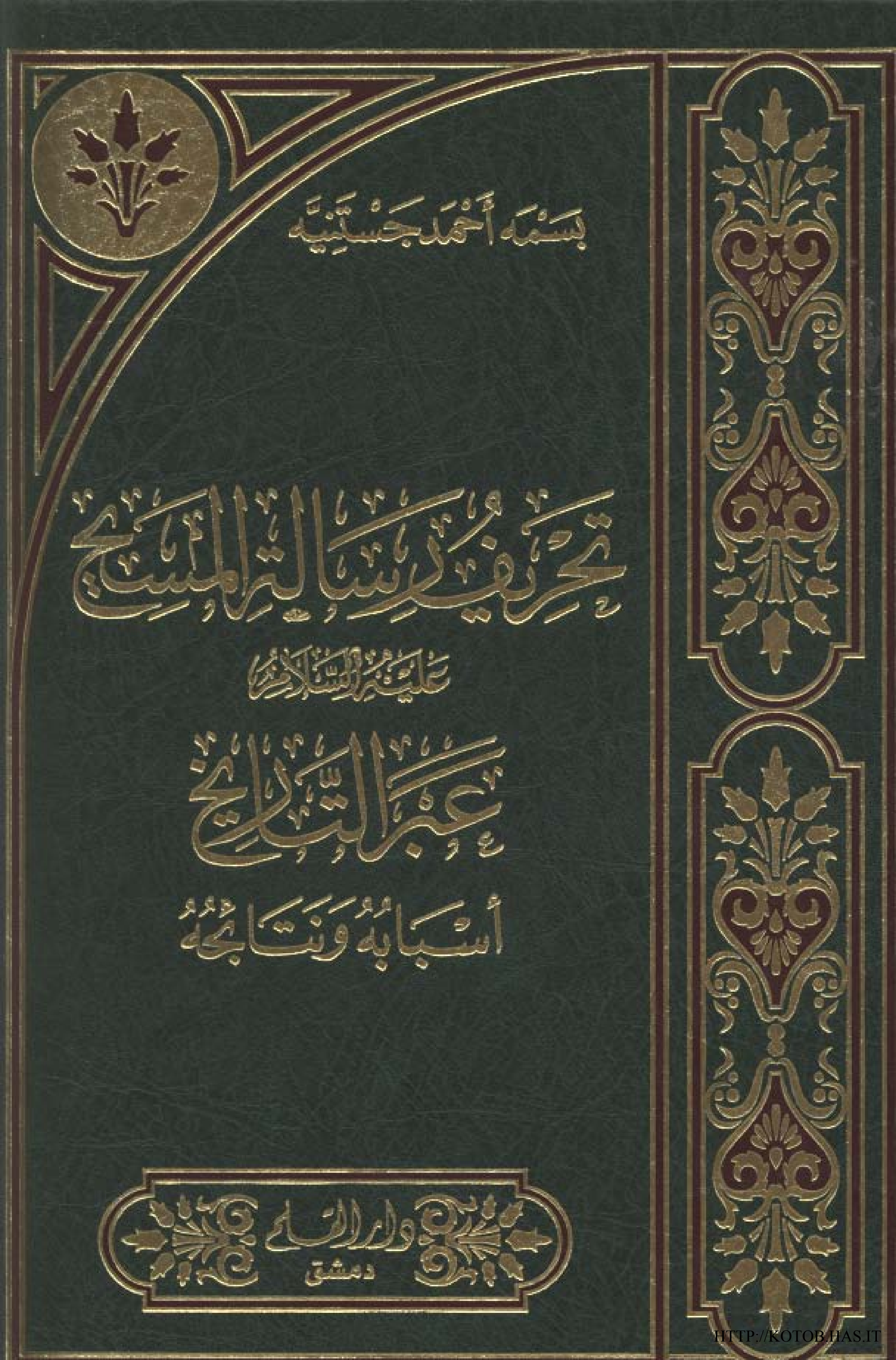

بسمه أحمد جستنيه
تحريف رسالة المسيح
عليه السلام
عبر التاريخ
أسبابه ونتائجه
دار القلم
دمشق
HTTP://KOTOB.HAS.IT




## أسبابه ونتائجه

تأليف

بسمه أحمد جستنية

دار القلم
دمشق

الطّبعَة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م



أصل هذا البحث رسالة ماجستير نوقشت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة تحت إشراف الدكتور عثمان عبد المنعم عيش وقد أجيزت بتقدير ممتاز والحمد لله

تُطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدّار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقريظ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فكما أنزل الله القرآن على نبيه محمد ﷺ أنزل التوراة والإنجيل على موسى وعيسى عليهما السلام، قال عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۝٤﴾ [آل عمران: ١ ـ ٤].

وليس المراد بالتوراة والإنجيل الذين يذكرهما القرآن في آيات كثيرة ما بأيدي اليهود الآن من أسفار العهد القديم ولا ما بأيدي النصارى من الأناجيل التي تدخل في أسفار العهد الجديد وإلا لذكرها القرآن وأشار إليها باعتبارها أسفاراً متعددة، وإنما المراد بالتوراة المذكورة في القرآن ما أوحاه الله إلى موسى عليه السلام والمراد بالإنجيل ما أوحاه الله إلى عيسى عليه السلام، وليس ما كتبه كاتبو هذه الأسفار بعدما طرأ على التوراة والإنجيل من التحريف والضياع.

وإذا كانت الدراسات التي أثبت فيها كاتبوها من العلماء المسلمين والغربيين ما طرأ على التوراة والإنجيل من التحريف والضياع لم تظهر إلا في عصور متأخرة، فإن القرآن الكريم أثبت هذا التحريف والضياع منذ نزوله على محمد ﷺ. قال عز وجل: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [البقرة: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ [البقرة: ٧٩].

ويقول الله تعالى في شأن النصارى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ

﴿أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٤] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا الموضوع.

وتحريف نصوص هذه الكتب يكون بالزيادة عليها أو النقص منها أو تغيير مواضعها أو تأويلها بمعان غير صحيحة أو بحذف بعض أجزائها، أما الضياع فقد نالها وأثبت التحقيق العلمي أن الموجود من الأسفار لا تصح نسبته إلى موسى وعيسى عليهما السلام بل إنها تفقد اتصال السند إلى كاتبيها ومن ثم أدى ما طرأ على التوراة والإنجيل من التحريف والضياع إلى انحراف عقائدهم وشرائعهم.

والرسالة التي بين أيدينا دراسة علمية مستوعبة ودقيقة لظاهرتي التحريف والضياع في أسفار الديانة النصرانية والانحراف في عقائدها. قامت ابنتي العزيزة التلميذة النجيبة بسمة أحمد جستنية تحت إشرافي العلمي وقد بذلت فيها من الجهد وحشدت لها من المراجع العربية والأجنبية حتى جاءت على هذا النحو الممتاز.

وقد تناولت في رسالتها بالدراسة المستوعبة الدقيقة مظاهر التحريف والضياع في أسفار العهد الجديد وكذلك كل عوامل الانحراف في العقائد سواء أكانت عوامل داخلية أو خارجية.

ومما ساعد على استيعابها كل عوامل الانحراف منهجها في الدراسة حيث بدأت رسالتها بعرض تاريخي للنصرانية في شخص رسولها وكتابها وأمتها ودعوتها وما تعاقب عليها من أوضاع دينية واجتماعية وسياسية عبر تاريخها الطويل، ومن ثم استطاعت أن تضع يدها على جميع عوامل انحراف العقائد والشرائع على نحو ما يجده القارئ في فصول هذه الرسالة.

وأرجو أن تحقق هذه الرسالة أهدافها العلمية والدعوية وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون لهذه الرسالة من الآثار العلمية والدينية بقدر ما بذلت فيها كاتبتها من الجهد وأن يوفقها في مسيرتها العلمية خدمة للعلم والدين، إنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**د. عثمان عبد المنعم**
**أستاذ العقيدة بجامعة الأزهر**
**غرة شعبان ١٤٢٠هـ**

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن لا إله إلا الله أدلة وحدانيته ظاهرة، وبراهين أسمائه الحسنى وصفاته العلى باهرة، سبحانه ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أرسله ربه ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

فصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد خلق الله البشر، وفطرهم على دين واحد هو الحنيفية السمحة والتوحيد الخالص ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

وهذا الدين إنما قوامه التوحيد المطلق لله رب العالمين بإخلاص العبادة له وتنزيهه سبحانه عن الشريك والصاحبة والولد، وتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته العلية، وصفاته الجلية. إلا أن البشرية لم تستقم على الدين الحق ولم تلتزم به، بل انحرفت عن الطريق السوي، فمنهم من اتخذ لله ندا، ومنهم من ادعى له ولداً، فكان من رحمة الله أن بعث الرسل إلى البشر يصححون ما انحرف من عقيدتهم، وما اعوج من أمرهم ويهدونهم إلى الصراط المستقيم، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فكانت تعاليم الأنبياء والرسل عليهم السلام الظل الظليل الذي هيأه الله ليفيء الناس إليه، وينعموا به جيلاً بعد جيل، والمنارات الساطعة التي تُظهر معالم الحق،

وتضع أبصار الناس وبصائرهم على طريق الهدى والنور.

وقد بذل الرسل عليهم السلام كل جَهد ممكن في سبيل هداية البشر، ومع هذا فقد تنكب الناس الطريق السوي، وأعرضوا عن تلك التعاليم والدعوات، وأغرقوا في الانحراف بالكفر والشرك.

وكان من أولئك المنحرفين عن منهج الله ودينه بنو إسرائيل، فقد أوغلوا في الانحراف والتحلل من أوامر الدين ونواهيه. وكان من انحرافاتهم في زمن موسى عليه السلام أن طلبوا منه أن يجعل لهم إلهاً كغيرهم من عبدة الأصنام[1]، قال عز وجل: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وعندما ذهب موسى عليه السلام لميقاته مع ربه صنعوا عجلاً لأنفسهم واتخذوه إلـهـاً ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

وتكرر منهم هذا الانحراف ـ أعني الشرك في العبادة والإعراض عن دعوة الأنبياء عليهم السلام ـ مرات كثيرة في تاريخهم، وكل من يطالع أسفار «العهد القديم» يجد هذا سمة لازمة لهم في فترات متطاولة من تاريخهم.

وكان آخر أنبيائهم عيسى عليه السلام، حيث دعاهم إلى عبادة الله عز وجل وحده كما دعا إلى ذلك سائر الأنبياء، فقال لهم كما يحكي القرآن عنه: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

تلك كانت رسالة عيسى عليه السلام الحقيقية التي دعا قومه إليها، وآمن بها الحواريون، وأعلنوا ذلك صراحة، إذ قالوا لعيسى عليه السلام كما أخبر القرآن الكريم: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وبعد رفع المسيح عليه السلام نزل بأتباعه ما نزل، وحل بهم ما حل من الاضطهادات من قبل أعدائهم، ودخل فيهم المنافقون وأهل الأهواء، إلى غير ذلك من العوامل التي قلبت دين المسيح عليه السلام من دين سهل ميسر بسيط إلى دين غاية في التعقيد، وانحرف عن الأصل الأصيل في رسالات الله وهو توحيد الله

---

(١) قيل هم قوم كانوا من لخم، وقيل هم من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم. انظر تفسير الطبري ٩/ ٤٥، تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٥.

بالعبادة إلى إضفاء الألوهية على عيسى ﷺ والقول بالتثليث، وما تلا ذلك من انحرافات كثيرة.

وهذا الانحراف الدخيل على دين المسيح ﷺ واضح لكل ذي عينين لا يماري ولا يجادل فيه إلا مغرض أو جاهل، حيث استبدل النصارى بعبادة الله ﷻ عبادة المسيح وبالتوحيد التثليث، وبنبوة المسيح وبشريته بنوته وألوهيته، وببساطة الديانة تعقيدها.

كما وقعوا فيما وقع فيه من قبلهم من اليهود بتضييع كلام الله وتحريفه، قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٤].

وقال الله ﷻ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ [البقرة: ٧٩][(١)].

وقد أخبرنا الله ﷻ بهذه الافتراءات التي افتراها النصارى عليه. وعابهم بذلك وحذرهم من مغبتها، فقال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ﴾ [المائدة: ١٧].

وقال: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾ [المائدة: ٧٣].

وبهذه التحريفات صنعوا لأنفسهم ديناً جديداً لا يمت بأدنى صلة لدين المسيح ﷺ، وسجلوا أصول تلك التحريفات في أسفار ورسائل أضفوا عليها صفة القداسة، وخلطوا فيها الحق بالباطل والغث بالسمين والطيب بالخبيث، وكذبوا على الله ﷻ وعلى أنبيائه، كما كذبوا أيضاً على الناس بما يروجونه من

---

(١) الآية وردت في اليهود، ولكن العبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لانطباق الأمر على النصارى أيضاً.

أن تلك الكتب «العهد القديم والجديد» تتضمن كلام الله ﷻ إلى أنبيائه وإلى غيرهم من أدعياء الوحي عندهم.

وإذا كان الباحث يقف متحيراً مذهولاً من ذلك الحجم الهائل من التغيير والتبديل الذي طرأ على ديانة المسيح عليه السلام، وذلك التعقيد الذي أصاب تلك الديانة السهلة الميسرة، فإن هذا يزول إذا عرفنا أن هناك عوامل وأسباباً عديدة أدت إلى تحريف رسالة المسيح عليه السلام وخرجت بها من التوحيد إلى التثليث، وإلى تقرير شرائع لم يأت بها المسيح عليه السلام ولا حواريوه المخلصون.

## موضوع البحث وأهميته:

إن معرفة العوامل التي أثرت في تحريف رسالة المسيح عليه السلام أمراً من الأهمية بمكان ولذا فإن هذه الدراسة تحقق أهدافاً عدة:

**أولاً**: يستطيع الباحث من خلالها الكشف بالبرهان عن حقيقة دعوة المسيح عليه السلام، وحقيقة ما عليه النصارى الآن وأنه لا يمت إلى رسالة المسيح عليه السلام بصلة.

**ثانياً**: إظهار براءة نبي الله عيسى عليه السلام مما افتراه عليه النصارى لتبقى صورته مشرقة وضاءة شأن سائر أنبياء الله ﷻ.

**ثالثاً**: تحذير المسلمين من الوقوع فيما وقع فيه النصارى حتى لا يصيب ديننا ما أصاب دينهم من التحريف.

**رابعاً**: الكشف عن حقيقة النصرانية المعاصرة، وتجلية ما طرأ على هذا الدين من انحرافات، وذلك يساعد الدعاة المسلمين في دعوتهم للنصارى أنفسهم ليفتحوا أعينهم ويبصروا نور الإسلام ووضاءته، ويدركوا حقيقة ما هم عليه من ديانة، انحرف بها أصحابها عن الدين الصحيح.

وواضح أن تحقيق هذه الأهداف وغيرها له أهميته البالغة في مجال الدعوة إلى الإسلام، والدراسات المقارنة بين الأديان، وبذلك تتضح أهمية هذه الدراسة ودوافعي إليها.

لهذا استخرت الله ﷻ وعزمت على الكتابة في هذا الموضوع ليستبين وجه الحقيقة ناصعاً ويذهب الباطل بزيفه ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وكنت قد عنونت لبحثي بـ«عوامل تحريف رسالة المسيح عليه السلام حتى المجمع المسكوني الثامن عام ٨٧٩م». الذي انشطر بعده جل النصارى إلى فرقتين كبيرتين، وهما الكاثوليك والأرثوذكس، وهذا هو أصل البحث الذي ناقشته وحصلت به على درجة الماجستير، ولكني وعند رغبتي في نشره وسعته بحيث يشمل تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ وجعلت عنوانه: «تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ» أسبابه ونتائجه.

والقارئ لرسالتي هذه يرىٰ أنها ليست أول بحث في موضوع تحريف رسالة المسيح عليه السلام فقد سُبقت بالكتابة في جوانب من هذا الموضوع من ذلك:

## ١ ـ أهم عوامل انحراف النصرانية:

وهي رسالة تقدم بها «إبراهيم خلف التركي» لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة، من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، عام ١٤٠٢هـ.

كما أفردت بعض تلك العوامل، بالدراسة، فمن ذلك ما كتبه «وهيب البكري»، بعنوان:

## ٢ ـ بولس وتأثيره في المسيحية:

وهو بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٥هـ.

وقد اعتمد الباحث في دراسته على مصادر عديدة أجنبية وعربية أثرت البحث.

وقدم دراسة وافية عن بولس ونشأته وشخصيته والبيئة التي نشأ فيها وتنصره ورحلاته وأعماله.

كما قدم دراسة وافية كذلك عن تأثيره في تحريف النصرانية والعقائد التي نادى بها.

وقد أفدت كثيراً من تحليلاته التي قام بها عن تنصر بولس وأسبابه.

## ٣ ـ المجامع النصرانية وأثرها على اعتقاد النصارى:

وهي رسالة من إعداد الجيلي محمد يوسف الكباشي تقدم بها للحصول

على درجة الماجستير من كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠١ ـ ١٤٠٢هـ.

### ٤ ـ النصرانية من التوحيد إلى التثليث:

وهي في الأصل رسالة علمية تقدم بها محمد أحمد الحاج لنيل شهادة الماجستير، من كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بعنوان «التوحيد في النصرانية وما أصابه من تحريف»، واختصره إلى المسمى المذكور، وطبعه في كتاب عام ١٤١٣هـ، ونشرته دار القلم في دمشق.

ولعل هذا العرض للدراسات السابقة في قضية تحريف النصرانية يكشف لنا في وضوح الحاجة الماسة إلى دراسة جامعة لجميع عوامل تحريف رسالة المسيح عليه السلام في مختلف جوانبها، على أن تكون في نفس الوقت دراسة متعمقة قدر الإمكان، وبحسب الطاقة لبيان أثر كل عامل من تلك العوامل، وهو ما أرجو أن تكون الدراسة قامت به وفاء لهذه الحاجة.

## ٣ ـ صعوبات البحث:

إن كل عمل علمي جاد يتحمل صاحبه في سبيل إتمامه صعوبات عدة، وقد كان هذا شأني في الإعداد لهذه الرسالة وكتابتها. وتتمثل هذه الصعوبات فيما يأتي:

ـ إن أول ما يواجه الباحث الذي يكتب في هذه الموضوعات هو قلة توفر المصادر، وصعوبة الحصول عليها، ومع ذلك فقد حرصت على جمع أكبر قدر ممكن من المصادر العلمية، وبذلت في سبيل ذلك جهداً كبيراً، حيث قمت بجمع المصادر العربية للبحث بنفسي، من مكتبات مكة والمدينة والرياض، ثم سافرت إلى القاهرة لهذا الغرض، فجمعت من مكتباتها ما وجدته فيها مما يفيد بحثي، ثم حصلت وبطريق المراسلة لمكتبات بيروت ودمشق وعمان على ما فيها من مصادر للبحث.

ـ وكذلك أمدني المعهد البابوي للدراسات العربية في «الفاتيكان» بأعداد من دوريته القيمة «إسلاميات مسيحيات».

ـ أما المراجع الأجنبية فقد حصلت على الكتب الفرنسية من الأستاذ الدكتور

«محمد محمد حسانين» في القاهرة، أما الكتب الإنجليزية فقد أرشدني إليها الدكتور «عمر الفاروق» أستاذ مادة الأديان بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وحصلت عليها من الولايات المتحدة عن طريق المراسلة. وهذه المراجع لم تسبق ترجمتها، فعملت على ترجمتها على نفقتي الخاصة.

ـ نظراً لندرة المعلومات المتعلقة بالعصور النصرانية الأولى التي تشملها الدراسة، والتي شهدت نشأة النصرانية وتطورها، وعوامل تحريفها ـ نظراً لندرة المعلومات التي تتضمنها المصادر التاريخية عن هذه الفترة، فقد اقتضت كتابة الباب الأول الخاص بهذا الجانب من الرسالة جهداً كبيراً في الحصول على هذه المعلومات، وفي تحقيق وجهات النظر المتعددة بين المؤرخين الغربيين في تصوير هذه الفترة وأحداثها، والحكم عليها وتصويب ما قد يكون بينهم فيها من أحكام خاطئة.

هذه إجمالاً أهم الصعوبات التي واجهتني في كتابة هذا البحث.

## ٤ ـ منهج البحث:

اتبعت فيما تضمنته الرسالة من حقائق تاريخية لا سيما الباب الأول الخاص بدراسة حياة المسيح وقيامه بدعوته، والتأريخ للنصرانية ـ اتبعت في ذلك المنهج التاريخي الذي يعتمد على تقصي الحقائق من مصادرها الأصلية، ووضعها في إطارها التاريخي الصحيح.

أما دراسة عوامل التحريف وبيان أثرها، فقد اتبعت في ذلك المنهج التحليلي في شرح كل عامل منها، وتحليل نتائجه في التحريف.

ثم سرت في كتابة هذا البحث وفق الخطوات المنهجية الآتية.

**أولاً**: استقيت المعلومات التاريخية من المصادر الأصلية في التاريخ العام، كذلك المصادر الأصلية في التاريخ النصراني سواء كانت تلك المصادر عربية أم أجنبية. ومن دوائر المعارف الموثوقة مثل: دائرة المعارف البريطانية، ودائرة معارف القرن العشرين، ودائرة معارف البستاني، كما هو مذكور في ثبت المصادر بالتفصيل.

**ثانياً**: رجعت في ذكر الأقوال المسندة إلى أصحابها إلى مؤلفاتهم، ولم أنقلها من المؤلفات الوسيطة التي تنقل عنهم.

**ثالثاً**: فصلت القول في بيان تأثير كل عامل من عوامل التحريف فيما نتج عنه من تحريفات عقدية أو تشريعية، مستشهدة على ما أذكره بالشواهد التاريخية، والنصوص القولية المعتمدة، ولم أكتف بالإجمال في ذلك حتى لا يكون ربطنا بين عامل التحريف ونتائجه مجرد دعوى لا يقوم عليها دليل.

**رابعاً**: نظراً لضياع النصوص الأصلية لإنجيل عيسى عليه السلام، ولعدم وجود المصادر التاريخية الموثوقة في نقل حقائق ديانة المسيح عليه السلام قبل تحريفها، فقد اعتمدت في ذلك على القرآن الكريم باعتباره الوثيقة الصحيحة الوحيدة التي تتضمن حقائق الدين النصراني، وغيره من رسالات الأنبياء السابقين.

**خامساً**: استشهدت على كثير من وقائع التحريف، وذكر العوامل المؤثرة فيه بأقوال الغربيين، الذين يعنون بالبحث العلمي الدقيق، دون تأثر بالعوامل الدينية أو غيرها، لأن شهادتهم علىٰ أنفسهم بالتحريف أقوىٰ في إقامة الحجة عليهم وإثبات التحريف.

**سادساً**: في بيان تأثير الوثنيات القديمة في تحريف العقائد النصرانية بينت العوامل التاريخية التي جمعت بين المجتمعات الوثنية والنصرانية، وساعدت على تأثر النصارى في عقائدهم بتلك الوثنيات.

**سابعاً**: عند ذكري لتأثير الفلسفة في انحراف العقائد النصرانية لم أعن بعرض آراء المدارس الفلسفية السابقة عليها، ولكني وجهت عنايتي لعرض الآراء الفلسفية للفلاسفة الذين دخلوا في النصرانية في عهودها الأولى، وكان لآرائهم الفلسفية أثرها البالغ في تحريف النصرانية في تلك العصور.

**ثامناً**: ما استفدته بالمعنى من المصادر أو تصرفت في نصه أشير إليه في الهامش بقولي راجع.

**تاسعاً**: استخدمت الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد النسخة البروتستانتية، وهي التي أحيل إليها، وإذا نقلت عن غيرها أشير إليه، كما أجعل النص المنقول من الكتاب المقدس بين قوسي تنصيص هكذا «» وأشير في الهامش إلى موضعه من الكتاب المقدس.

**عاشراً**: ذكرت في الهامش الاسم المشهور للكتاب أو المرجع، وأختصره إذا كان طويلاً، وإذا كان مسمى الكتاب عند أكثر من مؤلف فإني أميزه بذكر

لقب المؤلف، ويمكن للقارئ الوقوف على المعلومات المرجعية الكاملة للكتاب في قائمة المراجع، وذلك طلباً للاختصار لكثرة المصادر والمراجع المستخدمة في الرسالة.

**حادي عشر**: لم أعرف بجميع الأعلام الواردين في الرسالة نظراً لكثرتهم ولأن الكثير منهم لا يتعلق بالتعريف بهم غرض من أغراض الرسالة الأساسية.

## خطة البحث:

قسمت بحثي إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة هي:

**المقدمة**: وهي التي بين أيدينا وتتضمن بيان موضوع الرسالة وأهميته، ودواعي الكتابة فيه، والدراسات السابقة على الموضوع، وصعوبات ومنهج البحث، وأخيراً خطة الرسالة.

**الباب الأول**: وعنوانه؛ «**المسيح ﷺ، والنصرانية عبر التاريخ**»، ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول:

**أما التمهيد** ففيه تعريف بكلمة «النصرانية».

**الفصل الأول**، وعنوانه «**بنو إسرائيل عند مبعث المسيح ﷺ**»، وشمل الحديث عن بني إسرائيل عند مبعثه ﷺ من ناحية البيئة التي نشأ فيها، والوضع السياسي والاجتماعي والديني في تلك الفترة، والطوائف اليهودية القائمة عند مبعثه، وأخيراً الحديث عن وضع الهيكل ووضع رجال الدين عموماً.

**الفصل الثاني**: وعنوانه: «**حياة المسيح ﷺ وقيامه بدعوته**» وتحدثت فيه عن البشارة بالمسيح ﷺ وولادته ونشأته من خلال المصادر التاريخية والنصرانية، ثم بعثته وقيامه بالدعوة، وما لاقاه من مصاعب في دعوته وأخيراً نهاية أمره ﷺ.

وقد ختمت هذا الفصل بالحديث عن المسيح ﷺ ودعوته كما يصورها لنا القرآن الكريم، وكما ذكرها علماؤنا المسلمون.

**الفصل الثالث**: وعنوانه: «**النصارى والنصرانية من رفع عيسى ﷺ حتى المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني سنة ١٩٦٥م**».

وينقسم هذا التاريخ إلى أربع مراحل:

المرحلة الأولى: من رفع عيسى عليه السلام إلى تدمير القدس سنة ١٣٥م وتحدثت فيها عن الجماعة الأولى أو الأتباع وحالهم بعد عيسى عليه السلام.

وفيها عرضت لبدايات الاضطهاد الذي تعرضت له الجماعة الأولى، وما كان من أمر بولس وأنصاره ومخالفته لهم - أي للجماعة - في عرض تاريخي ساعد في تحديد العقائد النصرانية التي ظهرت في هذه المرحلة.

المرحلة الثانية: من تدمير القدس سنة ١٣٥م إلى مجمع نيقية سنة ٣٢٥. وفيه عرضت للوضع السياسي والديني في تلك الفترة وما ظهر وتأصل فيها من عقائد.

المرحلة الثالثة: وتمتد من مجمع نيقية ٣٢٥م إلى سنة ٨٧٩م وفيها تحدثت عن الوضع السياسي والديني في تلك الفترة وما ثبت من عقائد وما زاد عليها.

المرحلة الرابعة: من المجمع المسكوني الثامن ٨٧٩م إلىٰ المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني سنة ١٩٦٥م. وفيها تحدثت كذلك عن الوضع السياسي والديني في تلك الفترة وما تأصل من عقائد أصبح سمة للنصرانية عموماً.

**أما الباب الثاني**، وموضوعه «**العوامل الداخلية وأثرها في تحريف رسالة المسيح عليه السلام**».

وفيه أربعة فصول:

**الفصل الأول**: وعنوانه «**بولس وأثره في انحراف النصرانية**» وفيه تحدثت عن بولس ودخوله في النصرانية ودوافعه، ودعوته، وتأثيره في النصرانية فيما نادى به من عقائد وشرائع محرفة أصبحت سمة من سمات النصرانية الحالية.

**الفصل الثاني**، وعنوانه «**فقدان النصوص الأصلية للنصرانية وأثره في الانحراف العقدي**»، وشمل الحديث عن إنجيل عيسى عليه السلام وفقدانه، وكذا الأناجيل التي يعتمدها النصارى اليوم، وفقدان سندها، وإثبات تحريفها وتناقضها من خلال مصادرهم وما يذكره دارسو النصرانية الغربيين.

**الفصل الثالث**، وعنوانه «**الفرق النصرانية وأثرها في تحريف النصرانية**»، وتحدثت فيه عن الفرق التي ظهرت في تاريخ النصرانية، سواء الموحدون منهم أو المنحرفون وأهم هذه الفرق وأثر ظهورها وآرائها في تحريف النصرانية بعقائدها وشعائرها.

**أما الفصل الرابع والأخير**، وموضوعه «**المجامع النصرانية المسكونية وأثرها**

**في تحريف العقائد**»: وقد تكلمت فيه عن المجامع المسكونية التي يزعم النصارى اجتماع رؤسائهم وأساقفتهم وإجماعهم على تقرير العقائد التي خرجوا بها. وتقع هذه المجامع في الفترة من ٣٢٥م إلى ١٩٦٥م، وتحدثت عن كل منها وما تقرر فيه من عقائد محرفة.

أما **الباب الثالث** والأخير، وموضوعه «**العوامل الخارجية وأثرها في تحريف رسالة المسيح** عليه السلام» ويشتمل على ثلاثة فصول:

**الفصل الأول**، وعنوانه «**أثر الاضطهاد في تحريف النصرانية**» وخصصته للحديث عن الاضطهادات التي واجهها النصارى وأثرها في تحريف النصرانية.

وذكرت مصادر الاضطهاد الثلاثة: اليهود والرومان ثم النصارى أنفسهم بعضهم لبعض انتصاراً للعقائد التي ينادي بها أصحاب كل مذهب أو فرقة.

وذكر هذا الفصل ضمن العوامل الخارجية على اعتبار الغالب، حيث إن اضطهاد اليهود والرومان وما آل إليه أمرهم مع النصارى هو مما ووجه به النصارى من قبل أعدائهم الخارجيين.

**الفصل الثاني**: وموضوعه «**أثر الوثنيات القديمة في تحريف النصرانية**» وفيه ذكرت الظواهر العامة التي خضعت لها الوثنيات عموماً وما خضعت له النصرانية من تلك الظواهر.

ثم تناولت بالبيان أثر الوثنيات القديمة في تحريف العقائد والشعائر النصرانية، وذلك بذكر العقائد والشعائر النصرانية المحرفة بالتفصيل، مع بيان المؤثرات الوثنية في ظهور كل منها.

أما **الفصل الثالث** والأخير في هذا الباب فموضوعه «**أثر الفلسفة في تحريف العقيدة النصرانية**» ولم أعن في هذا الفصل بالتأريخ للمدارس الفلسفية السابقة على ظهور النصرانية، ولكنني تحدثت فيه عن بداية اتصال الفلسفة بالفكر اليوناني وأشهر الفلاسفة الذين تأثر بهم النصارى.

ثم عرضت لأهم فلاسفة النصارى في القرون النصرانية الأولى وآرائهم وما ظهر في آرائهم من ملامح التأثير الفلسفي في العقائد النصرانية التي ظهرت.

وأخيراً جاءت **خاتمة** الرسالة، وقد ضمنتها خلاصة وافية لما تضمنه البحث من نتائج.

وقد ألحقت بهذا العمل مجموعة من الفهارس تضمنت - إلى جانب فهرس الموضوعات:

- فهرساً للآيات القرآنية.
- فهرساً للأعلام ولم أسجل فيه الأسماء التي تتكرر كثيراً مثل الحواريين وبولس.
- فهرساً للمدن والبلدان.
- فهرساً للفرق والجماعات.
- فهرساً للمراجع المستخدمة في البحث.

هذا وأحمد الله تعالى على ما وفقني إليه في كتابة هذه الرسالة، وأعانني عليه، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.




# الباب الأول

## المسيح عليه السلام وتاريخ النصرانية

**وفيه تمهيد وثلاثة فصول**

**تمهيد: تعريف كلمة «نصرانية».**

**الفصل الأول: بنو إسرائيل عند مبعث المسيح عليه السلام.**

**الفصل الثاني: حياة المسيح عليه السلام وقيامه بدعوته.**

**الفصل الثالث: النصارى والنصرانية من رفع عيسى عليه السلام حتى المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني سنة ١٩٦٥م.**




# تمهيد

# تعريف كلمة نصرانية

**النصرانية لغة**: قيل نسبة إلى نصرانة وهي قرية المسيح ﷺ من أرض الجليل وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية والنسبة إلى الديانة نصراني وجمعه نصارى(١).

**النصرانية اصطلاحاً**: هي دين النصارى الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح ﷺ وكتابهم الإنجيل.

وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم نصارى(٢)، وأهل الكتاب(٣)، وأهل الإنجيل(٤)، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح ويسمون ديانتهم «المسيحية».

وأول ما دُعيَ النصارى «بالمسيحيين» في أنطاكية حوالي سنة ٤٢م، ويرى البعض أن ذلك أول الأمر كان من باب الشتم(٥).

ولم ترد التسمية بالمسيحية في القرآن الكريم ولا في السنة، كما أن المسيح حسب الإنجيل لم يسم أصحابه وأتباعه بالمسيحيين. وهي تسمية لا توافق واقع النصارى لتحريفهم دين المسيح ﷺ، فالأولى أن يطلق عليهم نصارى، أو أهل الكتاب.

فلذا فإنني خلال ذكري للنصارى إنما أطلق عليهم هذا الاسم وعلى ديانتهم «النصرانية» ما لم يكن ذلك ضمن نص منقول فإني أنقله كما كتبه صاحبه، فإن كثيراً من الكتاب يستخدمون كلمة «المسيحيون» أو «المسيحية».

---

(١) راجع النصرانية والإسلام ٣٦ نقلاً عن المفردات للراغب الأصفهاني ص٤٩٥ القاموس المحيط ص٦٦٢.

(٢) انظر البقرة آية (٦٢، ١١، ١١٣)،

(٣) انظر آل عمران (٦٤) والنساء (١٧١).

(٤) المائدة آية (٤٧).

(٥) قاموس الكتاب المقدس، ص٨٨٩.

# الفصل الأول

## بنو إسرائيل عند مبعث المسيح عليه السلام

### ١ ـ الموطن والأمّة:

ولد عيسى عليه السلام بأرض الجليل من مناطق فلسطين ـ أو «جليل الأمم» كما سمَّاها الإسرائيليون فيما بعده لأنها كانت إقليماً مفتوحاً لجميع الأمم الشرقية والغربية ـ في مدينة بيت لحم، والتي تبعد قرابة ١٠كم جنوبي (القدس)[١].

ولذا من المهم التعريف بجغرافية هذه المنطقة والأحداث التي مرت بها قبل بعثة عيسى عليه السلام.

ومعنى «الجليل» بالعبرية الدائرة، ويعنون بها الإحاطة؛ لأنها اتسعت للكثير ممن يحال بينهم وبين الإقامة في بلاد أخرى من فلسطين، ولا سيما الجنوب حيث اليهودية[٢].

تقع الجليل في الجزء الشمالي من فلسطين، بين البحر الأبيض المتوسط، وبحيرة طبريَّة ـ جنوب ما يعرف بلبنان ـ وكانت طبرية هي العاصمة السياسية لهذه المنطقة، أمَّا قراها التي اشتهرت في الإنجيل فهي: كفرناحوم، والناصرة حيث نشأ عيسى عليه السلام، ونايين، ومجدل[٣].

وتاريخ فلسطين تاريخ حافل، ففي الألف الثالثة ق.م هاجر إلى هذه المنطقة ـ والتي سميت فلسطين فيما بعد ـ أفواج من القبائل العربية، فكان

---

(١) معجم الحضارات السامية، هنري عبود، ص٢٥٣، ٣٢٠ ومتى ٢/ ١، لوقا ٢/ ٤، Jesues، Geneber، ص٩٤ ـ ١٠٠ حيث ناقش اختلاف الكتاب في ترجيح مكان ولادته الناصرة أو بيت لحم.

(٢) النصرانية، شاهين، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، الشرفي ص٢٢، ٢٤ المسيح إنسان أم إله، مرجان ص٤٣، عبقرية المسيح، العقاد ص٢٨ ـ ٣٥.

(٣) معجم الحضارات السامية، ص٣٢٠، ٨٣٥.

الفينيقيون ـ وهم شعب سامي منبته لا يزال غير محدد بصورة دقيقة ـ أسبق الجماعات هجرة إلى هذه المنطقة. وقد وجدوا على شاطئ البحر المتوسط شمال غرب فلسطين مكاناً جيداً للاستقرار فأقاموا به وأنشأوا أهم مدنهم: صيدا وصور.

وإلى الجنوب من الفينيقيين نزلت قبائل عربية أخرى أشهرها «الكنعانيون» حوالي سنة ٢٥٠٠ق.م.

واستقرت هذه القبائل على ضفة الأردن الغربية نحو البحر المتوسط في المنطقة الوسطى من فلسطين، وسميت هذه المنطقة باسمهم، فأصبحت تدعى «أرض كنعان»[١].

وقد شملت أرض كنعان مدناً عدة أهمها السامرة، والتي أصبحت فيما بعد وحوالي عام ٨٨٠ ق.م عاصمة مملكة إسرائيل[٢].

وفي سنة ١٢٠٠ ق.م نزلت بالساحل المطل على البحر المتوسط جماعات من جزيرة «كريت» وكانت تسمى قبائل «فلستين» نزلت بين «يافا» و«غزة» واختلط الكنعانيون بهم، وأطلقوا عليهم اسم «فلسطينيين» وأصبحت المنطقة كلها تعرف باسم فلسطين[٣].

وفلسطين هي المنطقة التي يذكر أهل الكتاب أن إبراهيم الخليل عليه السلام هاجر إليها، مع العلم أنهم لم يذكروا أنه هاجر بسبب أذى قومه له ومحاولتهم قتله بعد أن دعاهم إلى عبادة الله. وفي فلسطين رزق بإسماعيل ثم بإسحاق عليهما السلام، ورزق إسحاق بيعقوب عليه السلام، وهو إسرائيل الذي ينسب إليه بنو إسرائيل[٤].

---

(١) راجع: دراسة تحليلية لإنجيل مرقس تاريخياً وموضوعياً ٢٦ ـ ٣٦، اليهودية، شلبي ٤١، معجم الحضارات السامية، ٣٢٠، ٦٥٧.

(٢) راجع معجم الحضارات ٤٥٤.

(٣) اليهودية، شلبي ٤.

(٤) إسرائيل كلمة عبرية مركبة من كلمتي «اسر» و«ايل»: اسر ومعناها القوة والغلبة، وإيل معناها الإله أو الله، ومعناها في نصوص العهدين القديم والجديد يصرع أو يجاهد الإله ـ تعالى الله عن ذلك ـ، وترد كذلك بمعنى قوة الله. أما مفهومها الإسلامي كما ذكره المفسرون فهو بمعنى عبد الله أو صفوة الله، والقرآن الكريم أقر الاسمين ليعقوب عليه السلام وقد أطلق هذا الاسم كذلك على المملكة الشمالية لفلسطين. راجع: بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية ١٢٩، وفتح القدير ١/٧٣ ـ ٨٤، وتفسير ابن كثير ١/٨٢، ومعجم الحضارات السامية، ٧٨.

وظل بنو إسرائيل ـ أبناء يعقوب بن إسحاق عليه السلام ـ في أرض فلسطين يتنقلون في جنباتها على عادة الرعاة، ويعيشون فيها حياة البداوة، كما قال عز وجل حكاية عن يوسف عليه السلام ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

واستمر بهم هذا الحال إلى أن انتقلوا إلى مصر استوطنوها زمن يوسف عليه السلام، حتى خرجوا منها بعد ذلك بزمن طويل مع موسى عليه السلام، بعد أن أوحى الله تعالى إليه ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الشعراء: ٥٢]، فخرج بهم، وكان أن حكم الله عليهم بالتيه بعد ذلك وذلك جزاء تخاذلهم عن قتال أهل الأرض المقدسة[١].

وصل موسى إلى أرض «موآب» شرق الأردن، وصعد إلى قمة جبل قبالة «أريحا»، ونظر إلى الأرض التي أشار إلى بني إسرائيل بدخولها، ومات موسى عليه السلام على أرض «موآب» ولم يدخل الأرض المقدسة[٢].

وخلف موسى عليه السلام يشوع ـ كما يسميه أهل الكتاب ـ «يوشع بن نون»[٣] عليه السلام

---

(١) راجع: دراسات في الأديان، ٣٢، ٣٣، دراسة تحليلية ٤٦، ٤٧. وقد اختلف في تحديد الأرض المقدسة فقيل: هي أريحا، وقيل: هي الطور وما حوله، وقيل: الشام، وقيل: دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقيل: بيت المقدس. راجع: تفسير ابن جرير ٦/ ١٧٢، وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٦.

(٢) عدد ٣٤/ ٢ ـ ١٥، تاريخ الأقباط ٨/ ٤٣.

وهو ما يؤكده حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي أورده البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه وقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطى يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال فالآن، قال فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر». قال أبو هريرة رضي الله عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كنت ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب». انظر صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري لابن حجر، ٦/ ٥٨ كتاب أحاديث الأنبياء رقم ٣٤٠٧ باب وفاة موسى وذكره بعده وانظر ٣/ ٢٤٥ حديث ١٣٣٩ كتاب الجنائز.

وتفرد الطبري بقوله بدخول موسى عليه السلام الأرض المقدسة. انظر تفسير الطبري، ١٠/ ٢١٩٨، وانظر تفسير ابن كثير ٢/ ٤١، والجامع لأحكام القرآن، ٦/ ١٣٠، ١٣١.

(٣) دلّ على نبوته حديث أبي هريرة مرفوعاً «أن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس» أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٣٢٥ وفي رواية أخرى قال فيه: «غزا نبي من الأنبياء. . . الحديث» وفيه قصة تتفق مع حبس الشمس في الحديث السابق مما يدل =

ـ الذي اختاره موسى قبل موته لقيادة بني إسرائيل، وهو الذي عبر بهم إلى أرض كنعان ـ فلسطين ـ بعد انقضاء التيه المحكوم على بني إسرائيل وذلك في حدود القرن الثالث عشر ق.م، وكان هذا أول استقرار لبني إسرائيل واستيطان لفلسطين.

ومرت حياة بني إسرائيل في فلسطين بثلاثة عهود متميزة.

١ ـ **عهد القضاة**: وكان حكام اليهود فيه في هذه الفترة قضاة من الكهنة، ولم يكن في بني إسرائيل ملوك في تلك الأيام، وقد دون تاريخ هذه الحقبة في سفر القضاة.

٢ ـ **عهد الملوك**: وهو العهد الذي بدأ فيه الحكم ملكيّاً، وقد قص الله علينا خبر أول ملوكهم، في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، فجعل الله ﷻ عليهم طالوت ملكاً، ويسمّى في كتبهم شاؤول، وخلفه داود في زعامة اليهود.

واتخذت مدينة القدس عاصمة للملك، ثم خلف النبي داود عليه السلام ابنه النبي سليمان عليه السلام في ملكه، وكان عهدهما أزهى العهود التي مرت على بني إسرائيل.

٣ ـ **عهد الانقسام**: «زوال ملك بني إسرائيل»، وهو العهد التالي لسليمان عليه السلام، حيث انقسمت مملكته إلى مملكتين: مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها القدس، ومملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها نابلس في الجليل[1].

وكان بين الدولتين عداء وقتال، وكان يحدث في بعض الفترات من تاريخها توافق وتعاون وكانت تقع على الدولتين حروب من قبل جيرانهم، كما أن الدولتين وقع في حكامهما وشعبيهما عبادة للأصنام في كثير من فترات تاريخهما.

ثم تسلط الأعداء عليهم، ثم كان زوالهم وذلك أولاً: باستيلاء الآشوريين على دولة إسرائيل عام ٧٢٢ ق.م والقضاء عليها، ثم سقطت دولة يهوذا في الجنوب بيد الفراعنة عام ٦٠٣ ق.م تقريباً.

ثم جاء بعد ذلك حاكم بابل الكلداني بختنصر واسترجع منطقة الشام

---

= على أن المراد بهذا النبي هو يوشع بن نون عليه السلام. وأكد هذا الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/٣٢، وابن كثير البداية والنهاية ١/٣٥٢.

(١) راجع اليهودية، شلبي ٦٩، ٧٠، دراسة تحليلية ٤٩.

وفلسطين وطرد الفراعنة منها، ثم زحف مرة أخرى على دولة يهوذا التي تمردت عليه فدمرها ودمر معبد أورشليم، وساق شعبها مسبياً إلى بابل، وهو ما يسمى بالسبي البابلي، وكان في هذا نهاية هذه الدولة التي تسمى يهوذا، وذلك في حدود عام ٥٨٦ ق.م.

ثم سقطت دولة بابل في يد الفرس في عهد ملكهم قورش سنة ٥٣٨ ق.م، الذي سمح لليهود بالعودة إلى بيت المقدس وبناء هيكلهم وعين عليهم حاكماً منهم من قبله.

واستمر حكم الفرس من ٥٣٨ ـ ٣٣٢ ق.م، ثم زحف على بلاد الشام وفلسطين الإسكندر المقدوني اليوناني واستولى عليها، وأزال حكم الفرس، ودخلت منطقة اليهود تحت حكم اليونان من نهاية القرن الرابع ق.م إلى منتصف القرن الأول ق.م، حيث زحف بعد ذلك على البلاد القائد الروماني بومبي سنة ٦٤ ق.م وأزال حكم اليونانيين عنها فدخل اليهود تحت حكم الرومان وسيطرتهم، وفي زمانهم ولد المسيح عليه السلام(١).

## ٢ ـ الحالة السياسية والاجتماعية:

خضعت فلسطين للسياسة الرومانية منذ سنة ٦٣ق.م فانتهجت في أول الأمر نظام الحماية، وأوكلت ظاهر السلطة إلى ملك محلي من اليهود لضمان ولائه.

وتجدر الإشارة إلى أن من اليهود من استقبل حكم الرومان بصدر رحب وتعاونوا معهم في حكم البلاد، أما البعض فقد اعتبروا وجودهم أمراً يجب محاربته ومن هذه الجماعة ظهرت أحزاب ساهمت في تطور النصرانية.

وفي عصر أغسطس أمبراطور روما (ت ١٤م) أحاطت الامبراطورية الرومانية في تلك الفترة بالبحر المتوسط كله وببلاد أوروبا الواقعة غرب نهر الراين إلى البحر الأسود، وحكمت الأناضول «تركيا» وبلاد الرافدين والشام، ومصر والشمال الأفريقي كله.

---

(١) راجع: دراسة تحليلية ٥٥ ـ ٥٧، تاريخ الأقباط ١٥٨/٨ وما بعدها، موجز تاريخ العالم تأليف جماعة من المؤرخين السوفيت ترجمة محمد عيتاني، ص٣٠، ودراسات في الأديان، الخلف ٣٧، ٣٨ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ٢٩٥ ـ ٢٩٧، مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام، عوض الله حجازي ٨٥ ـ ٩٢، العقيدة اليهودية، ٧٠ ـ ٧٣.

أي أن المجتمع النصراني ولد في مكان التقى فيه عالمان: الشرق والغرب، والساميون والرومان والإغريق واليهود وغير اليهود[١].

وقد تولى الحكم في منطقة فلسطين رجل متهود هو «هيرودوس الأكبر» فحكم من (٣٧ ـ ٤ق.م) ثم ما لبثت رومة في سنة ٦م أن أخضعت البلاد كلها لحكمها المباشر، فضمت مقاطعتي اليهودية في الجنوب، والسامرة في الوسط ضمن ولاية واحدة.

وبعد موت هيرودوس الأكبر خلفه أبناؤه الثلاثة على حكم فلسطين معتمدين من قبل الحكومة الرومانية، فاحتفظ انتيباس (حكم من ٤ق.م ـ ٣٩م) أحد أبناء هيرودوس الأكبر ـ بمقاطعته المشتملة على منطقة الجليل في شمال فلسطين، والتي كانت عاصمتها طبرية على مقربة من الناصرة حيث نشأ عيسى عليه السلام كما ذكرنا[٢] ووقعت مشارف الشام في حصة فيليب (٤ق.م ـ ٣٤م)[٣].

وقد حكم أرخيلاوس منطقة اليهودية والسامرة (٤ق.م ـ ٦م) ويشمل ذلك منطقة بيت المقدس[٤].

وتولى الإمبراطورية الرومانية بعد أغسطس الإمبراطور الروماني طيباريوس ودام ملكه ثنتين وعشرين سنة[٥].

وقد خضعت منطقة فلسطين وما حولها تحت حكم هؤلاء لعديد من الاضطرابات، أما هيرودوس الأب فلم يكن محبوباً من الشعب نظراً لخضوعه للرومان من جهة، ولطغيانه من جهة أخرى، وظل رجال الدين اليهودي يرون فيه الوثني المحبذ للهلنستية[٦]، وفي عهده هدم الهيكل الذي بناه اليهود زمن عزرا، ثم جدد بناءه علىٰ الأسس التي كانت له زمن سليمان عليه السلام.

---

(١) راجع: تاريخ الكنيسة في العهود الأولى ص٣.

(٢) راجع: ص٢١.

(٣) راجع: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ٢٤، النصرانية، شاهين ٢٣. ٢٦، ٢٩، ٣٥، عبقرية المسيح، ٢٨ ـ ٣٥، تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص٦٦.

(٤) راجع: الفكر الإسلامي ٢٤، النصرانية، شاهين، ٢٣، ٢٦، ٢٩، ٣٥، عبقرية المسيح، ٢٨ ـ ٣٥، تاريخ مختصر الدول لابن العبري، ص٦٦.

(٥) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص٦٦.

(٦) معجم الحضارات، ص٨٩٢، ٨٩٣، والمدخل إلى العهد الجديد، ص٢٥، وانظر التعريف بالهلنستية، ص٢٩.

وقد عرف بالعنف والشراسة، وكان لا يتردد في قتل أي شخص تحوم حوله الشبهات، أو يهدد بقلب نظام الحكم، وكان يضطهد أعضاء السنهدرين[١] بطريقة بشعة لمجرد شعوره بشيء من النفوذ والتسلط منهم.

ومات وقد ترك مملكته منهارة اجتماعياً واقتصادياً مقسمة سياسياً بين أبنائه الثلاثة، وقد ساهم ذلك في إشعال الثورات والاضطرابات بعد موته، وقامت في البلاد أحزاب وطوائف مختلفة من اليهود ما بين مغالية ومعتدلة، وقد أسهم كل ذلك فيما حدث من تدمير أورشليم سنة ٧٠ م[٢].

أما عهد أرخيلاوس الذي حكم اليهودية فكان من السوء بحيث كثرت شكوى اليهود ضده للامبراطور الروماني، الذي عزله وولى مكانه بيلاطس البنطي الروماني الأصل والياً على اليهودية سنة ٢٦م، واستمرت ولايته عشر سنوات ثم عزل عنها وكان على الجليل وقتها انتيباس[٣] الذي كان أشد من أخيه، وهو الذي قتل يحيى بن زكريا عليه السلام، بسبب فتواه بتحريم زواجه من امرأة لا تحل له[٤]. ونقل صاحب العهد الجديد أن عيسى عليه السلام سماه بالثعلب لذكائه[٥].

وفي تلك الفترة ترك كثير من الشعب اليهودي تمسكه بالناموس وتأثروا باليهود الذين اندمجوا في الأمم الخاضعة للإمبراطورية، والذين يفدون إلى فلسطين والقدس للحج، حتى قادة الدين أنفسهم تخلوا عن مراكزهم وتمسكهم بالناموس، وهو ما دعا الفريسيين[٦] إلى المناداة بالعودة إلى الشريعة، وزاد من ترقب الآسينيين[٧] للمسيح الموعود..[٨].

وحدثت اشتباكات عدة بين الرومان ووفود الحجيج القادمة من القدس،

---

(١) انظر ص٤٤.
(٢) تاريخ مختصر الدول لابن العبري، ص٦٦، The rise of christianity، ص٢١، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص٣٤٥.
(٣) يقال له هيرودوس في العهد الجديد.
(٤) تاريخ مختصر الدول، ص٦٧، المدخل إلى العهد، ص٢٦.
(٥) المدخل إلى العهد الجديد، ص٢٦، ولوقا ١٣/ ٢٢.
(٦) انظر ص٣٧.
(٧) انظر ص٤١.
(٨) تاريخ الفكر المسيحي ١٠١ ـ ١١٠.

وامتدت الاشتباكات إلى أماكن كثيرة لا سيّما بين السلطات وبين جماعة سموا بـ«الغيورين» تميزوا بتعصب وطني في رفض المستعمر الأجنبي ودفع الجزية، وتعصب ديني في محاولة تطهير الهيكل من غير اليهود[١].

وكانت منطقة فلسطين في حالة هيجان وثورة ضد السلطات الرومانية، كما ذهب إلى هذا أكثر الدارسين، لا سيما في عهد طيباريوس[٢] في حين نجد بعض الدارسين يرى خلاف ذلك.

وباستثناء الصدوقيين المتعاونين مع المستعمر الروماني كانت الأحزاب الأخرى ضد الرومان في نزاع مستمر وعنيف[٣].

ونتيجة لكل هذه الاضطرابات تعمقت فكرة انتظار المخلص الموعود، وهو ما صعّد من حدة الاضطهاد بينهم وبين الرومان[٤].

وقد ولد المسيح عليه السلام في أواخر عهد هيرودوس الأكبر وعاصر فترة حكم أبنائه فيما بعد بكل ما في تلك الفترة من الأحداث.

وكانت الحالة السياسية في فلسطين في عصر المسيح من أسوأ ما يكون، وأبلغ منها في السوء الحالة الاجتماعية، فبسبب السلطة المطلقة التي كانت بيد الحكام ضاع النظام مع القانون، فحدث تفاوت كبير بين الحكام والمحكومين، فكانت الثروة والترف والطغيان في ناحية، والفقر والهوان في ناحية أخرى، إضافة إلى الضرائب التي كانت تجبى لحساب روما، وانحصر هدف رجال الدين في جمع الأموال وخلا المجتمع من الترابط والتآلف، وانتشرت العصبية بين الناس وظهرت الفوارق الطبقيّة[٥].

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي، ص١١٠، ١١٢، ٢١٦، راجع في ذلك أعمال الرسل ٢١/٣٨، ٥/٣٦ ـ ٣٨.

(٢) طيباريوس يوليوس قيصر إمبراطور روماني (١٤ ـ ٣٧) كان مكرماً ومحبوباً لدى هيرودوس أنتيباس، معجم الحضارات، ص٥٧٠.

(٣) تاريخ الفكر المسيحي، ص٢١٣ ـ ٢١٥ وانظر تاريخ أوروسيوس، ص٤٢٠، وانظر A study of early christianity من ٣٣ ـ ٤٠.

(٤) تاريخ الفكر المسيحي ١٢٩، ١٣٠.

(٥) راجع: النصرانية، شاهين ٢٣، ومشكلات العقيدة النصرانية، ص٤٤، دراسة تحليلية، ص٩٥.

## ٣ ـ الحياة الفكرية والدينية:

كانت الثقافة الغالبة للامبراطورية الرومانية هي الثقافة الهللينية[١]، ولذا اتصف أكثر سكان هذه الامبراطورية المترامية الأطراف بالانتماء إلى ثقافة واحدة، وتقاربت أجناس البشر مع كثرة اختلافاتهم الدينية والثقافية والجنسية تقارباً كبيراً.

وكانت للدولة الرومانية لغتان رسميتان:

أولهما اللاتينية ـ لغة إيطاليا القديمة ـ وهي أم اللغات الأوروبية الرومانية اليوم: أي الإيطالية والأسبانية والبرتغالية والرومانية والفرنسية.

وثانيتها: اللغة اليونانية وكانت هذه اللغة هي المقدمة لعلاقتها بالحضارة اليونانية القديمة وآدابها وفلسفتها، ولعلاقتها بالإسكندر الكبير، وحركة الهللينية والتهلين.

واتخذت الإدارة الرومانية اللغة اليونانية لغة رسمية في أقاليمها الشرقية أي الواقعة شرق إيطاليا، واتخذت الإدارة اللغة اللاتينية لغة رسمية في أقاليمها الغربية أي الواقعة غرب إيطاليا وبلاد الشمال الإفريقي إلى المغرب الأقصى.

وكانت جمهرة كثيرة من أهل الجليل يتكلمون الآرامية ويلفظون العبرية بلهجة عامية[٢].

ونتيجة للظروف السياسية التي مر بها اليهود انتشروا في العالم أجمع حتى أصبحت لغة فلسطين يجهلها الكثير وصارت اليونانية متداولة ومألوفة كالآرامية تماماً[٣].

ولم تكن منطقة فلسطين منعزلة عن العالم الخارجي بحيث تتجنب تأثير الشعوب السريانية والكلدانية التي عاشت بجوارها، وقد تأثرت بصلاتها المستمرة بالفاتحين الإغريق واليونان الذين بسطوا نفوذهم على مصر والشام، وتأثير وفود

---

(١) الهللينيّة هي فكر كان نتاج العصر الذي وقع بين خروج الإسكندر الأكبر من اليونان لغزو العالم (٣٢٣ق.م) حتى سقوط الممالك اليونانية على يد الدولة الرومانية (٣٠ ق.م) وتختلط فيه الفلسفات اليونانية بالمعتقدات والأفكار غير اليونانية لشعوب آسيا الوسطى والبحر المتوسط، وكان على رأس هذا الفكر مدرستان من أكبر مدارس الفكر قاطبة وهما (الأبيقورية والرواقية) المعجم الفلسفي، ص٣٦٨.

(٢) النصرانية، شاهين، ص٢٩، عبقرية المسيح، ص٥٣ ـ ٥٦.

(٣) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل. ص٢١، ٢٢ نقلاً عن رسائل الرسل.

الحجيج التي تفد إلى القدس من أبناء الجالية اليهودية التي هاجرت إلى أطراف الدولة اليونانية واستقرت بها، كل ذلك أدى إلى تشرب بني إسرائيل بالكثير من الأفكار الخارجية خلال القرون الثلاثة السابقة للتاريخ النصراني[١].

وكانت الفلسفات الفكرية التي كان يتحدث بها المثقفون في الامبراطورية الرومانية شائعة في بلاد الجليل، وحيث اختلط الغربيون والشرقيون كثيراً قبل عصر الميلاد ببضعة قرون وأكثرها الفيثاغورية والأبيقورية والرواقية[٢]، وهي مذاهب تتصل بسلوك الإنسان وعقيدته، مما كان له أكبر الأثر في النصرانية[٣] كما سنوضح فيما بعد[٤] إضافة إلى البيئة السورية والفينيقية والتي كانت آنذاك مصباً لكثير من الروافد والتيارات الفكرية والعقدية والأساطير[٥].

وشوهدت في روما والإسكندرية ونابلس وبيت المقدس كل عبادة يدين بها البشر وغلبت عقائد الشرق على عقيدة روما وأتباعها وجاءت النصرانية بعد ذلك فلم تكن استثناء من تلك القاعدة بعد انحرافها كما سنوضح ذلك فيما بعد. وإن كان المؤرخ «واند» يرى أن الطابع الوثني لم يكن له مثل ذلك التأثير الغالب في القدس بصفة خاصة[٦]، وهو يرى أن هذا الوضع سيفسر لنا وضع النصرانية فيما بعد من ناحية السهولة التي استطاعت أن تكيف بها نفسها مع احتياجات غير اليهود.

وزحفت على العالم الروماني نحل متعددة من فارس وآسيا الصغرى ومصر وغيرها، وشوهدت آثار العبادة المثرائية ـ الفارسية ـ في أقصى الدولة الرومانية في المغرب[٧].

---

(١) كتاب يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ص٧٩، ٨٠، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص٢٩.
(٢) انظر تفصيل هذه المذاهب ص٣٨٩.
(٣) محاضرات في مقارنة الأديان، إبراهيم خليل، ص١٧، وانظر النصرانية، شاهين، ص٢٨، ٢٩.
(٤) انظر ص٣٩٨.
(٥) كتاب يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ص٨٠، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص٢٩.
(٦) ص٤ A history of the early church.
(٧) النصرانية، شاهين، ص٢٥، ٢٦.

كذلك اقتربت نحلة إيزيس المصرية بنحلة مثرا الفارسية في غزو بلاد الرومان واليونان فسماها اليونان (ديمتر) ونحلوها صفتها المصرية وهي صفة الأمومة[1]. وشاعت عبادتها بين الرومان الذين اشتهروا بتقاليد الأسرة. وكان للمراسم السرية التي تلازم كلاً من نحلة إيزيس ومثرا أثر كبير في تشويق الناس إلى انتحالها.

ويضاف إلى ذلك وجود النحلة الأورفية في ذلك العصر وهي في الأصل نحلة يونانية لكنها ما لبثت أن اصطبغت بالصبغة الشرقية في التقشف والأخوة الروحية وتحريم اللحم وعدم شرب الخمر إلا في مواسم القربان، هكذا كان أشياعها في عصر ميلاد المسيح عليه السلام.

وقد كان أتباع هذه النحلة يزعمون أن (أورفيوس) زعيم النحلة يزور عالم الموتى ويعود منه وجعلوا لهم موعداً يحزنون فيه على موته وموعداً يحتفلون فيه ببعثه وهذا ما يشبه الاحتفالات الخاصة بموت وبعث (أدونيس) إله الربيع ـ حسب زعمهم ـ.

ومن هنا لاحظ علماء مقارنة الأديان أن (آتون) الإله المصري و(أدونيس) الإله اليونان و(أدوني) ـ بمعنى السيد أو الرب باللغة العبرية وهو اسم للإله عند اليهود ـ كل هذه الأسماء ترجع إلى مصدرها المصري القديم[2] وكل تلك كانت مصادر عدة مؤثرة في النصرانية.

ومن عجائب هذا العصر ـ عصر المسيح عليه السلام ـ أن الاعتقادات الوثنية في الامبراطورية الرومانية لم تعد تتمتع بقوتها القديمة، وكان العصر عصر الشكوك والتساؤلات الدينية عند كثير من الوثنيين في الدولة والمثقفين منهم خاصة.

وزعم غير واحد من المؤرخين أن من أكبر أسباب ضعف الوثنية ظهور الفلسفة الرواقية والأفلاطونية الحديثة.

ولعل من أسباب ذلك أيضاً تعرف الشعوب والقبائل على بعضها البعض،

---

(١) راجع: النصرانية، شاهين، ص٢٦.

(٢) انظر تاريخ المسيحية ص٢٨ ـ ٣٠، أديان العالم، ص٣٠ ـ ١٦١. ففيه عرض مفصل للأديان في المناطق المجاورة والبعيدة، ومحاضرات في النصرانية، إبراهيم خليل، ص١٧، ١٩ ـ ٢١، عبقرية المسيح، ص٣٦ ـ ٤٢، ٤٣ ـ ٥٢، ودراسة تحليلية، ص٩٤ ـ ٩٨، مشكلات العقيدة النصرانية، ٤٢ ـ ٤٤، المناظرة الأولى، الجوهري ص٩.

وما نتج عن تعرفهم على أديان الشعوب والملل، وما تتصف به هذه الأديان من وجود التشابه والاختلاف.

ويرى بعض المؤرخين أن ذلك جعل كثيراً من الروحانيين ومعاصريهم يرغبون في دين عالمي يجمع بين الشعوب والقبائل، وأن تحقيق ذلك كان من مقاصد الفلسفة الهللينية فكان هناك فراغ روحاني كبير[١].

أمّا عن وضع اليهود الديني في تلك الفترة، فقد تأثر هذا الوضع بالشعوب التي جاورها، وفي هذا يقول صاحب بوتقة النصرانية: «إن اليهودية السائدة في زمن المسيح لا يظن أنها كانت متطابقة مع ديانة العهد القديم أو مجرد تطوير لديانة إسرائيل القديمة»[٢].

ويذكر القس فهيم عزيز أن الفكر اليهودي قد حدث فيه تغير ضخم في موقف الشعب بعد السبي من جهة فكرتهم عن الله، فكانت تجربتهم المرة قبل السبي تكمن في الأصنام وعبادتها، ثم نبذت هذه الفكرة في بابل، وظهرت آثار عقيدة زرادشت واضحة بين اليهود[٣]، بل إن اليهود لم يستطيعوا التخلص من آلهتهم المتعددة إلا بعد فترة طويلة أي بعد انتهاء السبي البابلي[٤].

ويضيف إلى ذلك بعض الباحثين تأثير الوثنية الفرعونية وعقائدها، والكثير من عقائد المصريين وشعائرهم[٥].

وإن كان هناك من الكتّاب من حدد التأثر باليونانية في اليهود الذين استقروا في الإسكندرية، في حين أن الذين بقوا في فلسطين بقوا على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم[٦]، ويخالفه في هذا القول الباحث الغربي «فرند» حيث يرى أن الحضارة الإغريقية جذبت اليهود وفي فلسطين نفسها بدأت نصوص التوراة تخف حدتها عندما ازدهرت التجارة اليونانية[٧].

---

(١) انظر History and thought of the early church، ص٩.

(٢) The crucible of christianity، ص٢٣٦، وانظر دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية، ص٩٧.

(٣) المدخل إلى العهد الجديد، ص٤٩، ٥٠، وThe rise of christianity ص١٦.

(٤) راجع: التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص٤٣، ٥٢.

(٥) دور اليهود، ص٤٥، ٤٦.

(٦) الديانات والعقائد، ٢/٣١٨.

(٧) The rise of christianity، ص١٦.

ومن قرأ نصوص التوراة تتأكد له وثنية بني إسرائيل، من عبادتهم للأصنام في عهد يوشع بن نون والقضاة، وعبادتهم للأوثان في عصر ملوكهم بنصوص من أسفارهم[1].

أما الدكتور فتحي الزغبي فقد تتبع في دراسته لتأثر اليهودية بالأديان الوثنية وديانات الشرق الأدنى القديم في بلاد الرافدين وسوريا وديانات مصر القديمة وديانات اليونان والرومان، ثم تحدث عن قنوات الاتصال بين اليهود وأصحاب الديانة الوثنية عن طريق اتصال اليهود بمصر، واتصالهم بشعوب فلسطين، واتصالهم بالفرس مما أدى إلى تأثر اليهود بهم لا سيَّما فترات السبي والاضطهاد، وفيها تمَّ اختلاط اليهود بالشعوب الوثنية، وتبع هذا الاختلاط زواجهم من الوثنيات.

كما ذكر مظاهر الاتجاه الوثني لدى اليهود في عصر موسى والتي بيَّنها القرآن الكريم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف ١٤٨]، ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، وكان هذا من العوامل التي ساعدت على تأثرهم بالأديان الوثنية القديمة[2].

ذاك كان عرضاً لوضع اليهود الديني بشكل عام عند بعثة المسيح ﵇، مما سيكون له أكبر الأثر عند حديثنا عن تأثير العقائد الشرقية على النصرانية كما سنوضح ذلك.

### ٤ ـ الطوائف اليهودية عند ظهور المسيح:

إن أهم فرق اليهود في هذه الفترة ـ مبعث المسيح ﵇ ـ لدى الباحثين المعاصرين: السامريّون، والصدوقيون، والفريسيون، والقمرانيون، والآسانيون[3]

---

(١) بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية، ص٣٨٥، ٣٩٧ ـ ٤٠٤، وانظر مواطن الاستشهاد في الأسفار خروج ٣٢/١ ـ ٥، تث، ٤/٣ ـ ٤، عدد ٢٥/١ ـ ٣، مز ١٠٦/١٩ ـ ٢٩، هوشع ٩/١٠، يشوع ٢٤/٢٣، قضاة٢/١٩، ١٠ ـ ١٣، ٣/٥ ـ ٧، سفر الملوك الثاني ٨/١٧ ـ ١٨، أخبار الأيام الثاني ٢١/٦ و١١.

(٢) راجع: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ١٠١ ـ ١٥٧، ١٥٩ ـ ٢١٩، ٢٧٩ ـ ٣١٠، ٣٨٠ ـ ٤١٩، وانظر قاموس الكتاب المقدس، ٥٩٤، ٥٩٥.

(٣) راجع: التاريخ اليهودي، ص٢٦٤ ـ ٢٦٨، اليهود تاريخ وعقيدة، ص٢٠٤ ـ ٢١٢، دور =

وكلها باستثناء السامريين فرق ظهرت في الفترة الوسيطة بعد الأسر البابلي.

ويرى بعض الكتّاب أن معظم فرق اليهود التي ظهرت قديماً وفي الفترات المتأخرة انقرضت دون أن تترك آثاراً مكتوبة كثيرة حتى يعرفها المتأخرون معرفة دقيقة وأن أكثر فرقتين عرف عنها بشيء من التفصيل هما: الفريسيون والقمرانيون.

أما الفريسيون فالمعرفة بهم جاءت عن طريق الحاخامات الذين حافظوا على كثير من أخبارها، وخاصة في دواوين كتب التلمود[(١)]. وأما المعرفة بجماعة القمرانيين فتعود إلى اكتشاف مخطوطات البحر الميت، فصارت بهذا الاكتشاف من فرق اليهود المعروفة بعد أن ظلت لحوالي ألفي سنة لا يكاد يعرف عنها شيء.

ولكل فرقة من الفرق اليهودية السابقة مذهبها حول الاعتراف بأسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية التي يزعمون نسبتها إلى موسى عليه السلام المضمنة في التلمود، أو إنكار بعض هذه الأصول ورفض الأخذ بما فيها من أحكام وتعاليم، ولكل منها مذهبه في انتظار المسيح الموعود[(٢)].

وفيما يلي عرض لهذه الفرق[(٣)] بما يعرف بها ومعتقداتها بشكل عام في الفترة التي بعث فيها المسيح عليه السلام.

---

= اليهود في إفساد العقيدة الإلهية، ٨٧ ـ ٩٤، المسيح، عبود، ص٤٥، النصرانية، شاهين، ص١٣، المسيحية، شلبي، ص٢١٨ ـ ٢٢٤، رسائل الرسل وأثرها في تحريف المسيحية، ص٦٨ ـ ٨٢.

(١) التلمود هو القانون أو الشريعة الشفهية التي كان يتناقلها الحاخامات الفريسيون من اليهود سراً، ثم دونوها لخوفهم عليها من الضياع، وأطلق عليها اسم «المشناة»، ثم شرحت فيما بعد هذه المشناة، وسمي الشرح «جمارا». وهو يتضمن مبادئ فاسدة وخطرة. وراجع: الكنز المرصود، ص٤٧ ـ ٤٩، دراسات في الأديان، الخلف، ص٨٧، ٨٨.

(٢) انظر البرهان للسكسكي، ص٨٩، ٩٠، المسيحية للفاوي، تاريخ الفكر المسيحي ١/ ٢٢٤، ٢٤٥.

(٣) للتوسع في معرفة الفرق الأخرى، راجع: التاريخ اليهودي العام ٣٢٤، اليهودية، شلبي، ص٢١٨ ـ ٢٢٥، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، الشرفي، ص٢٥، ٢٨، الكتب السماوية، ص١٤٧ ـ ١٤٩، الملل والنحل ١/ ٢١٤ ـ ٢١٦، قصة الديانات، ص٤٠٨ ـ ٤١٠، النصرانية، شاهين، ص٢٠.

## السامريون:

السامريون نسبة إلى منطقة السامرة في فلسطين، وكانت السامرة مدينة تمثل عاصمة مملكة إسرائيل، ثم غلب اسم السامرة على شعب تلك الدولة، فصار يطلق عليهم «سامريون».

وهي أقدم الفرق المذكورة آنفاً ويقال لها أيضاً: الفرقة الشمالية لأن أتباعها كانوا في شمال فلسطين. وهم خليط من اليهود والآشوريين كانوا يسكنون مملكة إسرائيل القديمة.

وكان يهود دولة يهوذا يعتبرون السامريين فرقة خارجة عن اليهودية[1].

ومن أهم ما يتميز به السامريون في عقيدتهم:

١ ـ إيمانهم بموسى عليه السلام وإنكارهم نبوة من عداه من بني إسرائيل.

٢ ـ اعترافهم بالتوراة فقط، ويضيفون إليها سفر يوشع بن نون عليه السلام، وينكرون ما عدا ذلك من الأسفار والكتب التي يعزوها اليهود إلى الأنبياء وغيرهم، كما لا يعترفون بالتلمود ولا يقبلونه.

٣ ـ اعتقاد أن الجبل المقدس هو جبل «جرزيم»[2] وهذه كانت من أهم نقاط الاختلاف بين اليهود والسامريين.

٤ ـ إيمانهم بيوم القيامة، وفي هذا يتميزون عن بقية اليهود الذين لا يتضح في عقيدتهم وكلامهم الإيمان بالبعث والجنة والنار[3].

ويقال أيضاً إن السامريين اعتقدوا بعض الاعتقادات الباطنة التي حرموا إفشاءها لغيرهم، وهذه ملاحظة هامة، لأن أخبار النصارى تقول إن الفرق النصرانية الباطنية التي يقال لها الفرق الغنوصية جاءت من قبل السامريين، الذين ادعوا اتباع المسيح عليه السلام على حد تعبير الدكتور عمر الفاروق.

---

(١) راجع: السامريون واليهود، ١٥، التوراة السامرية، ص٤، أطلس الكتاب المقدس، ص١٧، دراسات في الأديان، الخلف ص ٣٥.

(٢) جبل قرب مدينة نابلس، أقام عليه السامريون هيكلهم، واعتبروه قبلتهم في الصلاة بخلاف ما يدعيه اليهود الآخرون من أن الجبل المقدس هو جبل صهيون في القدس. راجع: أطلس الكتاب المقدس، ص١٥، التوراة السامرية، ص١٥.

(٣) راجع: السامريون واليهود، ١٢٢.

وهم يؤمنون بالخلاص الروحاني على يد المسيح المنتظر، أو الرسول الموعود، ويعتقدون أنهم وحدهم جديرون باسم الإسرائيليين، إذ هم الذين ينتسبون إلى يعقوب ﷺ، وقد استمرت السامرية إلى يومنا هذا، وإن كانوا فرقة صغيرة في أرض فلسطين[1].

**الصدوقيون:**

أتباع صدوق الذي يقول أهل الكتاب إنه كان يتولى الكهانة في عهد سليمان ﷺ، وهم من أقوى فئات اليهود بعد الأسر البابلي اقتصادياً وسياسياً بسبب نفوذهم في الهيكل.

وكانت علاقتُهم مع الدول الأجنبية الحاكمة الفارسية ثم الرومانية من أحسن العلاقات، وكانت تراعي مصالح الحكام الأجانب في كثير من الأمور.

وهم من أكثر يهود فلسطين تأثراً بالفلسفة الهللينية، بل إن الكاهن الصدوقي جاسون (١٧٥ ق.م ـ ١٧٢ ق.م) الذي كان كاهناً أيام حكم المملكة السلوقية أراد أن يحول بيت المقدس إلى مدينة هللينية ويغير اسمه إلى أنطاكية القدس، ويؤسس فيه معاهد ومدارس هللينيّة.

كانت الصدوقية فرقة صغيرة من حيث عدد أتباعها ولكنها كبيرة من حيث ثرواتهم ونفوذهم في الاقتصاد والسياسة.

أما عن عقائدهم فقد لاحظ بعض الباحثين أن هناك تشابهاً بين اعتقادات الصدوقيين واعتقادات السامريين، إلا أن الصدوقيين اهتموا كثيراً بالهيكل والعبادات التي تقام فيه لأنهم كانوا المشرفين عليه.

ومن وجوه التشابه بينهم وبين السامريين أن الصدوقيين رفضوا كتب الأنبياء الذين جاؤوا من بعد موسى ﷺ، وقالوا إن التوراة وحدها هي مصدر اليهود ولم يعترفوا بالتلمود، ولا بالروايات الشفوية التي يرويها غيرهم. وهم لا يؤمنون بالبعث والآخرة والثواب والجزاء فيها، وعرفوا بالتساهل في الشرائع. ومع أنهم رفضوا روايات اليهود الشفوية وكتب الأنبياء، إلا أنهم كان لهم كتاب خاص دونوا فيه فتاواهم وقضاياهم وأحكامهم. وأظهروا الارتياب في أخبار آخر

---

(١) راجع: النصرانية، شاهين، ص١٩، المسيحية نشأتها وتطورها، ص٤٣.

الزمان، وما تعلق بمبعث المسيح عليه السلام، وتجاهلوها ولم يعجبهم اهتمام الطوائف بهذه الأمور، وعندما أرسل الله المسيح عليه السلام، بادر الصدوقيون إلى تكذيبه وكانوا أشد أعداء المسيح ومنهم حنانيا وقيافا[١].

## الفريسيون:

ويعتبرون من أهم الفرق كلها، لأنها تنتسب إلى اليهودية المتأخرة ـ يهودية الحاخامات ـ التي يدين بها جل اليهود بعد مبعث المسيح عليه السلام.

والفريسيون كلمة آرامية تعني المعتزلة؛ لأنهم فارقوا الجماعة ولم يكونوا على رأس جمهور الأحبار، وقيل غير ذلك[٢]، ويرى بعض الباحثين أن الفريسيين كانوا جزءاً من الطائفة الحاصدية ثم اعتزلوها[٣].

وقد ملكوا مناصب نفوذ في مجلس السبعين الذي ترأس على شؤون اليهود واليهودية ضد الأسر البابلي إلى تدمير الهيكل سنة ٧٠م. وهذا ما يفسر قوة تأثرهم قبل مبعث المسيح عليه السلام بسبب المناصب القوية التي تولوها.

واستمر نفوذهم ولم ينقطع، ولما ولد المسيح عليه السلام كان الفريسيون من أقوى فئات مجلس السبعين، وزاد نفوذهم كثيراً أيام الحكم الروماني عندما لم يشتركوا في الثورة الكبرى ضد الرومان من سنة ٦٦ ـ ٧٠م.

وبعد فشل اليهود وتدمير الهيكل اقتربوا من الرومان، واستأذنوهم في تأسيس معهد فريسي لتعليم اليهودية في جنوب فلسطين، وأصبح هذا المعهد من أهم مراكز اليهودية بعد تدمير الهيكل، ومن أهم المجامع العلمية. وذهب البعض إلى أن الفريسيين كانوا هم الزعماء المفكرين للشعب اليهودي زمن عيسى[٤]، وإن كان بعض الباحثين يرى أنّه لم يكن بين أفرادها من هم في رتبة الرؤساء والوجهاء[٥].

---

(١) راجع: النصرانية، شاهين، ص١٣، ١٤، المسيحية نشأتها وتطورها، ص٤٢.

(٢) راجع: الموسوعة النقدية، ص١٥٧.

(٣) راجع: الموسوعة النقدية، ص٩٥.

(٤) The rise of christianity، ص١٤.

(٥) النصرانية، شاهين، ص١٤.

وهم يؤمنون بالأنبياء والرسل المتأخرين الذين جاؤوا بعد سيدنا موسى وهارون عليهما السلام، وآمنوا بوجود الملائكة والشياطين والبعث والحساب والجزاء[1]، واختلفوا في مسائل القضاء والقدر، ووقفوا منها موقفاً شبيهاً بموقف المعتزلة عند المسلمين.

وقد آمنوا بروايات شفوية ينسبونها إلى سيدنا موسى عليه السلام تقابل التوراة وتفسيرها، وهي التلمود، لكنهم مع إيمانهم هذا اعتقدوا أن رواية الفريسيين هي الرواية الصحيحة وهي التي يجب على اليهود الأخذ بها، واستوجبوا تقليد عامة اليهود للحاخامات أصحاب هذه الرواية، بل إنهم جعلوا الحاخامات هم مراجع الدين وأقاموهم مقاماً أعلى من الكهنة.

وقد كانوا في ذلك ينتظرون المسيح المخلص في عالم الروح، أي مسيحاً ليس له سلطة الدولة[2].

ولم يرفضوا الهيكل وإنما جعلوه أمراً ثانوياً في دين اليهود ومن غير الضروريات، ولم يكن ذلك تقليلاً لشأنه، ولكنهم رأوا أن التمهيد لمجيء المسيح الذي ينتظرون لا يكون إلا بالدراسة والعبادة وتطبيق الشرع في حياتهم اليومية، ولذلك رفضوا قبول بعض الفرق لضرورة الجهاد كأساس للاستعداد لمجيء المسيح.

وكانوا في عصر الميلاد ينقسمون إلى فريقين: فريق يتبع الحكيم (هلل)[3] الذي قدم إلى فلسطين من بابل، والفريق الآخر يتبع الحكيم (شماي)[4] وهو أقرب إلى التحرج لدرجة رفض الراغبين في دخول الدين من غير اليهود.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٦٧٤.

(٢) النصرانية، شاهين، ص١٥.

(٣) هِلّل: حَبر يهودي ولد في بابل حوالي سنة ٧٠ ق.م، وكان صاحب مذهب خاص به وعين رئيساً للسنهدرين، حاول في تعليمه أن يبلور روح النصوص الدينية فوقف بسبب ذلك معارضاً لشمّاي، انظر معجم الحضارات، ص٨٨٥.

(٤) شمّاي: حَبر يهودي كان معاصراً لهلّل ومنافساً له في السنهدرين تميز بتقيده الحرفي بالنصوص الدينية وترأس مدرسة وقفت في وجه أتباع هلّل المجددين، انظر معجم الحضارات، ٥٣٨.

ويرجح بعض الباحثين أن معلمي المسيح في صباه كانوا من الفريسيين[1]. وقد رفضوا الهللينية وعلى العكس من ذلك تشربوا قدراً كبيراً من مذهب الثنائية الفارسي ومذهب مناجاة الأرواح أو اتصال أرواح الأحياء بأرواح الأموات والعلم الآخروي[2]. ولعلنا نلحظ تأثير هذا على بولس فيما بعد حيث كان منهم.

كانت العداوة بين الفريسيين والنصارى الأولين عداوة شديدة كما سنعرف، وكانوا من أهم الفرق اليهودية التي أعلنت محاربة المسيح ﷺ بكل ما لديها من وسائل.

## القمرانيون:

وجدت هذه الجماعة في وادي قمران على الشاطئ الشمالي الغربي من البحر الميت الوادي، وهو ليس بعيداً عن بيت المقدس، بل هو من أقرب مناطق البحر الميت إلى القدس الشريف.

وجماعة وادي قمران حسب ما قال الباحثون في المخطوطات ـ مخطوطات البحر الميت ـ لا تسمي نفسها بتسمية طائفية خاصة، ولذا أشكل على الباحثين أن يعينوا الطائفة الكتابية التي انتسبوا إليها.

ومن الواضح أنهم لم يكونوا من الصدوقيين ولا من الفريسيين، فإن كتب جماعة وادي قمران تسمي الفريسيين بالمرتدين أو المنافقين، بل إن مغايرة جماعة وادي قمران للصدوقيين والفريسيين معاً مع كثرة أتباع الجماعة وانتشارهم في مدن اليهود، جعل الباحثين يعيدون النظر في رأيهم السابق في الفريسيين من حيث إنهم كانوا يعتبرون الفريسيين الطائفة الغالبة على اليهود قبل ظهور المسيح.

وتتحدث هذه الجماعة عن نفسها أحياناً بأنهم يمثلون جنود الله المرابطين أو كتيبة الله، ويعتقدون بموسى ويوشع بن نون عليهما السلام، ويبيتون على الاستعداد الدائم للجهاد في سبيل الله، وكانوا يستفتحون برسول آخر الأيام، الذي ينتصرون به على جميع الأمم[3][4].

---

(١) النصرانية، شاهين، ص١٥، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص٣٣.

(٢) History and thought of the early church، ص٤.

(٣) انـظـر: The dead sea scriptures The odor H.Gaster, The dead sea scrolk in English . G,Vermes

(٤) وهذا يتفق مع ما كان يقوله اليهود للأوس والخزرج، كما قال الله تعالى ﴿ولما جاءهم =

وأحياناً يسمون أنفسهم بالفقراء؛ ولذا زعم بعض الباحثين أن جماعة وادي قمران هي الجماعة الأبيونية وهي من الطوائف اليهودية التي كانت في عصر المسيح عليه السلام[1].

إلا أن ذلك يشكل من وجوه منها أن الباحثين لم يجدوا في وادي قمران حتى الآن ـ حسب قولهم ـ أخباراً تخبر بصراحة عن مجيء المسيح ابن مريم، بل تدل كتبهم على أنهم كانوا ينتظرون مبعث المسيح وأنه لم يظهر.

وفي رأيي أن هذا لا يمنع أن يكونوا ممن كان في عصر المسيح عليه السلام وانتظارهم كان لنبينا محمد ﷺ الذي بشر به الأنبياء، ومن ضمنهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

وذهب كثير من الباحثين المعاصرين إلى أن هذه الجماعة تمثل الطائفة اليهودية التي عرفت باسم الأساة أو الأسانيين[2] The Essemens حيث إن المؤرخ يوسيفوس يصف الأسانيين بوصف يقرب إلى حد كبير من وصف جماعة وادي قمران.

ومما يدعو إلى التحفظ في هذه الأمور أن طوائف اليهودية منذ القرن الثاني ق.م حتى تدمير الهيكل الثاني سنة ٧٠م كانت كثيرة ومتنوعة ومتنازعة الأمر الذي يجعلنا لا نستطيع التأكيد على انتسابها للفرق التي يذكرها العلماء، لا سيما والأسانيون لم تكتشف كتب لهم حتى تتم المقارنة.

وكانت حرمة الشرع الموسوي لدى القمرانيين عندهم عظيمة، وقد أوجبوا على جميع أتباعهم دراسة الشرع دراسة دقيقة وصحيحة على أيدي أئمتهم.

وهم يؤمنون بالملائكة والقضاء والقدر والبعث والحساب، ويوافقون في كل هذا الأصول الصحيحة التي دعا إليها الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، وهو خير دليل على أفضليتهم على طوائف اليهود الآخرين وأمثالها في غير وادي قمران.

---

= كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ [البقرة: ٨٩].

(١) انظر التعريف بهذه الجماعة الفكر الديني اليهودي، ص٢٣٦، ٢٤٠، الموسوعة النقدية، ص٤٣.

(٢) انظر توحيد الأنبياء، ص٥٤٨، والتعريف بهم، ص٤١.

ويبدو أنه كان لهم ـ من خلال نصوصهم ـ أتباع كثيرون في بيت المقدس، وفي سائر مدن اليهود في فلسطين في ذلك الوقت.

وذهب بعض الباحثين أن جماعة النصارى الأولى التي كانت في بيت المقدس تحت رئاسة يعقوب العدل وبطرس ويوحنا الحواري[1] ـ منذ رفع المسيح عليه السلام حوالي سنة ٦٤م ـ كانوا على صلة وثيقة بجماعة وادي قمران، والتشابه بين جماعة وادي قمران والجماعة النصرانية الأولى في بيت المقدس والشام كبير.

وأشار بعض الباحثين إلى التشابه بين يعقوب العدل ـ إمام النصارى الأول بعد رفع المسيح ـ والمعلم أو الهادي العدل المذكور في مخطوطاتهم.

ومن المهم أن نذكر أن جماعة وادي قمران اعتبرت وجودها في البادية وجهاً من وجوه استعدادها لقبول المسيح عليه السلام، ورسول آخر الزمان الذي يأتيهم من قبل البادية وذلك كما يصرحون عملاً منهم بقول النبي أشعْياء[2].

ويرى كثير من الباحثين أن هناك علاقة ما بين النبي يحيى عليه السلام وبين هذه الجماعة.

## الآسينيون:

يرى بعض الباحثين أن هذه الفرقة كانت أيام ظهور المسيح عليه السلام من أهم فرق اليهود وأكثرها نشاطاً، حتى أن من يكتب عن الفكر الديني الإسرائيلي إبان ظهور النصرانية لا يخلو من ذكر هذه الفرقة بين الفرق.

ولكن المعلومات عن هذه الفرقة يكتنفها الغموض من البداية، لندرة من كتب عنهم من القدماء، فهي لا تتجاوز عشرين فقرة لدى المؤرخ يوسيفوس، كذا الحال بالنسبة للكتابات النصرانية القديمة[3].

---

(١) انظر التعريف بهم ص٧٤ وما بعدها.

(٢) وهو قولهم عن أشعيا أنه قال: «صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب ووطئوا في المفازة سبيلاً لإلهنا كل وطاء يرتفع وكل جبل وتل ينخفض ويصير المعوج مستقيماً، والعراقيب سهلاً فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلم»، راجع: أشعيا ٤٠/٣ ـ ٥.

(٣) الفكر الديني اليهودي، ص٢٢١.

وقد ذكرت عند الحديث عن الطائفة القمرانية أن كثيراً من الباحثين ذهب إلى أن الكتابات التي عثر عليها في وادي قمران هي من تراث الآسينيين.

والشائع بين العلماء أن الكلمة (الآسينيون) معناها الأطباء، وأن أصلها آرامي هو كلمة (آسيا) بمعنى الطبيب والمداوي، أو كما يقول العرب (الآسي) وهناك أقوال أخرى(١).

ويميل أكثر الباحثين إلى الربط بين كون الآسينيين أطباء وبين المسيح ومعجزاته، ويبدو أنهم ما كانوا يبيحون للعالم الخارجي أن يعرف عنهم الكثير.

والظاهر أنه كانت لهم فلسفة دينية وأخلاقية عملت فيها تيارات أجنبية غير يهودية منها الفلسفة الفيثاغورية، ومنها التنظيم الديني المجوسي الفارسي القائم على تقديس النور وربطه بالخير، ومنها رواسب وبقايا من العقائد المصرية الفرعونية، لا سيما ما يتصل منها بتقديس الشمس إلى جانب المعتقدات النابعة من كتب اليهود المقدسة بطبيعة الحال(٢).

هذه كانت أهم الفرق الرئيسية لليهود عند ظهور المسيح عليه السلام، وسوف نرى عند دراستنا للمسيح عليه السلام ودعوته تأثير هذه الطوائف وعلاقتها بالمجتمع النصراني الأول.

وأحب أن أشير هنا إلى النذريين أو المنذورين الذين وهبوا أنفسهم ونذروها لحياة القداسة وخدمة الله، ولم يكونوا طائفة منظمة مثل أصحاب النحل، بل كانوا آحاداً متفرقين، وهؤلاء تكاثروا قبل مولد المسيح؛ لأنه وافق نهاية الألف الرابعة من بدء الخليقة على حسب التقويم العبري، وهو الموعد الذي كان منتظراً لبعثة المسيح الموعود، وكان النبي يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) يعتبر علماً من أعلامهم(٣).

وهؤلاء النذريون كانوا أهل صلاح فكانوا قوة ذات بال في عصر الميلاد، وخاصة أنهم يؤمنون بأنهم رواد الدعوة إلى المسيح ويترقبون ظهوره دون أن

---

(١) راجع: الفكر الديني اليهودي، ص٢٢١.

(٢) راجع: الفكر الديني اليهودي، ص٢٢١ ـ ٢٣٥، النصرانية، شاهين، ص١٦.

(٣) يشير إلى هذا القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿إذ قالت امرأة عمران ربي إني نذرت لك ما في بطني محررا﴾ الآية [آل عمران: ٣٥].

تحيط بهم طائفة معينة أو مذهب محدود[1].

## ٥ ـ الهيكل ورجال الدين:

الهيكل هو الذي بناه سليمان عليه السلام ليكون مقراً للعبادة، ثم جاء البابليون بعد حوالي أربعة قرون وهدموه، ثم أمر «قورش» الفارسي بإعادة بنائه سنة ٥٣٦م، وجاء الملك «هيرودوس» بعد خمسة قرون فجدد بناءه، وتم ذلك أو كاد في عصر الميلاد.

أما عن وضع الهيكل وسلطان الكهنة في عصر الميلاد فكان ينتظمهم تنظيم طبقي يتكون من طبقة عليا هم رجال الدين، وطبقة دنيا هم الكتبة أو فقهاء الشريعة.

أما عن طبقة رجال الدين فكانت تعمل على انتظام العبادة في المعبد وتشرف على تقديم الذبائح، وإن كانت لا تعتني بدراسة الشريعة أو تعليمها، بل توجه كل اهتمامها إلى حفظ النصوص وممارسة الطقوس، وخاصة في الحفلات السنوية التي تفد فيها على القدس أفواج من الحجيج، وكانوا حريصين على تأثيرهم في الشعب، إلا أنهم كانوا في نفس الوقت تابعين للرومان خاضعين لحكمهم[2].

وأمّا الكتبة أو فقهاء الشريعة فكانوا يسجلون الأشعار الدينية لطالبيها، وانكبوا على شرح الكتاب المقدس أحياناً، وهم في عملهم هذا ـ شرح الكتاب المقدس ـ لم يسلموا من التأثر بالمذاهب الثنوية والنظريات اليونانية في الإله والكون والإنسان[3]، بل إن بعض الكتاب ذهبوا إلى أنهم كانوا مسؤولين عن التفسيرات الدقيقة للتوراة[4].

ولم يكن لهؤلاء الكتبة نصيب من وظائف الهيكل، وكانوا جميعاً من الفريسيين إذ هم الذين يعترفون بالأسفار الحديثة ويعتمدون عليها في العبادات والمعاملات[5].

---

(١) راجع: النصرانية، شاهين، ص٢٢.

(٢) راجع: الفكر الإسلامي، ص٢٤، ٢٥، النصرانية، شاهين، ص٢٠، ٢١.

(٣) راجع: النصرانية، شاهين، ص٢، الفكر الإسلامي، ص٢٥.

(٤) The rise of christianity، ص٢٦.

(٥) راجع: النصرانية، شاهين، ص٢١، الفكر الإسلامي، ٢٥.

وقد تداعى سلطان الكهنة في عصر الميلاد إذ كثر عددهم ووجد منهم ألوف بغير علم وبغير عمل يتعاطون صناعة الكهانة ويقتسمون النذور فيما بينهم، وكان كثير من الكتبة والفقهاء يشتركون في العلوم الدينية، ولكنهم لا يحسبون من رؤساء الدين الأصليين أو التابعين للهيكل، فشاع بين الناس إهمال الكهان ـ المنتمين للهيكل ـ والإقبال على العلماء غير الرسميين لسؤالهم والاقتداء بهم، فأصيبت الكهانة التقليدية والشعائر الهيكلية(١).

ويذكر في ذلك أحد الباحثين أن الحاخامات والمعلمين مارسوا نفوذاً بين معظم طبقات الشعب واعتبروا وسطاء بين الناس والرب صانعين للمعجزات(٢).

ولما ولد المسيح كانت وظائف الهيكل محصورة في مجلس (السنهدرين)(٣)، وقد سلب هذا المجلس في عصر المسيح حق الحكم في الجرائم الكبرى، وكانت أحكامه في تلك الأيام معلقة على إقرار الحاكم الروماني يقرها أو ينقضها، وكان موقفهم مما يشاع في ذلك الوقت عن قرب ظهور المسيح المنتظر هو عدم الترحيب بذلك، لما في ذلك من الاعتراف بفساد الزمن كله، وفي هذا اتهام لهم بالفساد(٤).

## تعقيب:

هكذا حفلت البيئة اليهودية ـ قبيل عهد عيسى عليه السلام، وعند ظهوره ـ بظهور أحداث سياسية وطوائف دينية معينة على نحو ما شرحنا آنفاً ليس في فلسطين فحسب حيث كان يعيش معظم اليهود، بل شمل تأثير تلك الأحوال والطوائف

---

(١) راجع: النصرانية، شاهين، ص٢١.

(٢) History and thought of the early church ص٤.

(٣) السنهدرين أو السنحدرين أو السنهدريم كلمة من أصل إغريقي معناها الاجتماع أو المحكمة أطلق على محكمة اليهود، أفراده من الصدوقين ومنهم الكهنة الكبار، وانضم إليهم الفريسيون بصورة لاحقة، وفي مطلع العصر الميلادي كان أعضاؤه يتألفون من واحد وسبعين عضواً، وكان جمالائيل أستاذ بولس من أشهر أعضائه. معجم الحضارات، ص٤٩٥، وانظر ص٣٨ من البحث في الهامش جمالائيل وشماي، وراجع: النصرانية، شاهين، ص٢١.

(٤) راجع: النصرانية، شاهين، ص٢١، المسيحية نشأتها وتطورها، ص٤٤، دعوة التوحيد، ص٢٠٣.

الجاليات اليهودية في المهجر وبلاد المشرق الأدنى والأوسط وحوض البحر المتوسط.

وقد دفعت هذه الأوضاع بعض فئات يهود المهجر إلى التخلي عن ديانتهم الأصلية، وأصبح معظمهم في مجتمعات منغلقة على نفسها.

وقد تضافرت هذه الأحداث كلها لتهيئة النفوس لقبول فكرة انتظار مجيء المسيح الموعود، وكان هذا الأمل يقوى - عند اليهود - كلما كانت الأحداث مخيبة لآمالهم، فكان هذا الأمل في المسيح المخلص يتأرجح بين الظهور والاختفاء، حيث كانوا يتعلقون به في فترات الاضطهاد، ويضعف عندما ينالون شيئاً من الاستقلال والسيادة.

وكانت الأذهان في ذلك الحين - ولهذا السبب - مستعدة لقبول الدعوة الجديدة دعوة المسيح المنتظر.

أضف إلى ذلك أن نصوص التوراة كانت تتضمن البشارة برسول بعد موسى عليه السلام، ولم يكن اليهود - الذين آمنوا بالخلاص - يفترقون إلا في تعيين ذلك الرسول المنتظر وفي كونه واحداً أو أكثر من واحد[1].

أضف إلى ذلك أن كل جماعة من هذه الجماعات كانت تنتظر وتؤمن بمجيء المخلص بحسب مفاهيم مختلفة ومتنوعة. وحاولت كل جماعة أن ترسم صورة لمسيحها المنتظر.

واستجابة لهذا الرجاء الذي استشرفته القلوب - نتيجة لما نزل بالناس من أحداث وما مر بهم من ظروف قاسية - ظهر كثير من المسحاء الأدعياء - قبل المسيح ابن مريم عليه السلام وأثناء حياته وبعد رفعه - كل منهم يزعم أنه المخلص الموعود، وقد ازداد عدد هؤلاء بعد الأربعين سنة الأخيرة - منذ أواخر حكم هيرودوس الأكبر - أي من سنة ٣٠ ب.م إلى سنة ٧٠ ب.م، ويوسيفوس

---

(١) راجع: في ذلك الفكر الإسلامي، ص٣١، ٣٢ - عقيدتنا التثليث والصلب، ص١٣ - قصة الديانات، ص٣٨٥ - التفكير الديني، ص٤٠٦، اليهود، سعفان، ص١٦٥ - ١٦٧، بذل المجهود، ص١٠٣، بنو إسرائيل وموقفهم، ص٥٩٨، الفكر الديني اليهودي، ص١٠٠، الكنز المرصود، ص٧٠، تاريخ المسيحية، ص٢٨، المسيح إنسان أم إله ١/ ٢٩، ٣٨، History and thought of the early church، ص٣، المدخل إلى العهد الجديد٥٥.

المؤرخ اليهودي يقدم لنا سلسلة طويلة لعدد كبير من الأشخاص الذين ادعى كل منهم بأنه المسيح المنتظر الذي يخلّص شعبه من ربقه المستعمر[1].

وقد تفاوتت استجابة الناس لهؤلاء المسحاء الأدعياء، وقد قاوم الرومان هؤلاء المسحاء نظراً لما تضمنه مفهوم الخلاص من عمل على التخلص من ربقة الحكم الروماني، والعودة باليهود إلى التمسك بالشريعة حفاظاً على هويتهم الخاصة وكونهم شعب الله المختار[2]، ولعل هذا يفسر لنا رد فعل الرومان تجاه المسيح ﷺ كما سنوضح ذلك[3].

وليس مما يعنينا تتبع تفاصيل أخبار هؤلاء المسحاء الأدعياء ومواقف الناس منهم، وإنما يعنينا أخبار المسيح عيسى ابن مريم ﷺ الذي جاء بالهدىٰ والنور لبني إسرائيل.

والسؤال هو: هل وجد اليهود في ظهور المسيح عيسى بن مريم ورسالته التي جاء بها ما يحقق آمالهم في الخلاص على يديه ويؤكد أنه المسيح الحقيقي والمخلص الموعود؟

هذا ما سوف تتكفل به الدراسة لموقف اليهود من المسيح ودعوته بعد عرضنا لتاريخه وتاريخ دعوته ﷺ في الفصل التالي.

---

(١) التاريخ اليهودي، يوسيفوس، ص٢٠، ٥٠.
(٢) راجع: تاريخ الفكر المسيحي، ص١٢٩ ـ ١٣١.
(٣) انظر ص٥٨ ـ ٦١.

# الفصل الثاني

## حياة المسيح[1] وقيامه بدعوته

اختلف الناس حول شخصيّة عيسى عليه السلام في التاريخ اختلافاً بيناً، وصل في أحد طرفيه إلى إنكار وجوده في التاريخ واعتباره مجرد أسطورة خيالية، وفي الطرف الآخر إلى اعتباره ابن الله بل هو إله الكون، وبين الطرفين من وقف بين الحدين ما بين محب وكاره ومادح وقادح وغال وجاف[2].

والثابت أنّه كان رجلاً حقيقياً لا مجرد خيال وأسطورة. وأنه نبي من أنبياء بني إسرائيل[3].

والقرآن الكريم بين لنا حقيقة هذا النبي الكريم ودعوته وأنه نبي من أنبياء بني إسرائيل دعا إلى الله عز وجل وبلّغ رسالة ربّه.

وسأبدأ في هذا الفصل بالحديث عن معتقدات النصارى أنفسهم حول هذا الموضوع، وما ذكره الكتاب الغربيون المتخصصون والمؤرّخون، وفيه أشير إلى ما ورد من أقوال العلماء عند التعارض في أقوالهم، ثم أذكر حقيقة المسيح عليه السلام ودعوته من خلال القرآن الكريم والمصادر الإسلامية.

---

(١) قيل: سمي مسيحاً لكثرة سياحته في الأرض، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برئ، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن. راجع: المفردات للراغب الأصفهاني، ص٤٦٨، وانظر تفسير ابن كثير ١/ ٣٢٠، والنصارى يقولون سمي مسيحاً لأنه جاء للخدمة والفداء. قاموس الكتاب المقدس، ص٨٦٠.

(٢) انظر تفاصيل الاختلاف حول شخصية عيسى عليه السلام ووجودها Jesues، Geneber ص٥، وما نقله صاحب رسائل الرسل من نقول عن العلماء في ذلك ٢ ـ ٧.

(٣) هذا القول الحق فيه كما سيأتي تفصيله، وهو ما بينه أيضاً بعض علماء النصارىٰ، انظر: Le christ, Geneber، ص١.

## ١ ـ البشارة بالمسيح عليه السلام وولادته ونشأته:

من بين الأناجيل المعتمدة لدى النصارى كان إنجيل «لوقا» هو الإنجيل الذي ذكر بشارة مريم وما يرتبط بولادتها لعيسى عليه السلام باستفاضة(١).

وذكرها متى باختصار جداً(٢) وذكرها يوحنا ذكراً جانبياً(٣)، وأما مرقس في إنجيله، وبولس في رسائله فقد سكتا عن هذه القصة ولم يذكراها.

وحاصل ما ورد في إنجيل لوقا أن الملاك(٤) لما بشر مريم أنها ستحبل بالمسيح قال لها: إن اسمه سيكون يسوع وأنه يدعى ابن العلي وأن الرب سيعطيه كرسي أبيه داود... ولا يكون لملكه نهاية وأن المولود منها يدعى ابن الله(٥)، ويرى النصارى أن المسيح وحقيقته ومعجزاته حفل بها الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد(٦).

وقد ناقش العلماء المنصفون ـ المسلمون والغربيون ـ هذه النصوص الواردة في بشارة لوقا وغيرها بما يبين حقها وباطلها(٧).

هذا عن البشارة به، أما عن تحديد يوم مولده فقد اعتمد كتاب النصارى في ذكره على ما ورد عند كتاب الأناجيل من أحداث تاريخية حصلت في الفترة التي عاصرها عيسى عليه السلام(٨)، ومن هنا حاول علماء النصارى أن يقفوا على

---

(١) لوقا، ١/٢٦ ـ ٤٥.

(٢) يلحظ أن بعض علماء الغرب زعموا أن الإعجاز في ولادة المسيح عليه السلام أسطورة من أساطير الديانات الوثنية. راجع: قصة الحضارة ٣/٢١٤، معالم تاريخ الإنسانية، ٣/٦٩١، المسيح إنسان أم إله، ٤٥ ـ ٤٩.

(٣) متى ١١/٢ ـ ٣، يوحنا ١ ـ ٩، ٢/١٢.

(٤) جبريل عليه السلام.

(٥) راجع: لوقا، ١/٢٦ ـ ٤٥، وانظر ميلاد المسيح في المسيح، شنودة ١/٥٩ ـ ٦٢، وراجع: النصرانية، شاهين، ص٤٣، حياة مريم، شلبي، ص١١٦.

(٦) راجع: المسيح في نبوات العهد القديم، ص١٤، ٣٧، ١٣٩.

(٧) راجع: رسائل الرسل، ص١٥، ١٦، التفكير الديني، ص٤٠٧، المسيح، البرشومي، ص١٤ ـ ١٧، إظهار الحق، ١/١٥٤ ـ ١٥٥، النصرانية، شاهين، ص٦٣، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص٧٣ ـ ٧٧.

(٨) لوقا، ١/٥، ٢٦ متى، ٢/١، ١٦، لوقا، ٢/١ ـ ٦، لوقا، ٣/١ ـ ٢، ٢٣ A study of early christianity ص٣٥٥.

تحديد السنّة التي ولد فيها حيث لم يرد في الأناجيل تصريح مباشر بتحديد سنة مولده(١).

ونقل كليمنت آراء مختلفة في هذا الموضوع كانت منتشرة في أيامه، واتفق المؤرخون أن ميلاد المسيح متقدم على السنة الأولى للميلاد ببضع سنوات، ولم يولد في السنة الأولى حسب رقم التقويم الميلادي(٢)، وأرجع بعضهم عدم المعرفة الدقيقة لمولده أنه لم يصبح مشهوراً عندهم إلا بعد بعثته ودعوته، وحسب قول النصارىٰ صلبه وقيامته(٣).

وينسب المسيح عند النصارى إلى داود وكان متّى ولوقا هما الوحيدان اللذان ذكرا سلسلة النسب(٤)، أما من عداهما مثل يوحنا؛ فلم يذكر ذلك، واكتفى مرقس بذكر أنه ابن داود(٥).

ولكن متّى ولوقا عندما تعرضا لذكر نسب المسيح وقع كل منهما في عدة أخطاء خطيرة، والمقارنة بين ما ذكره كل من متّى ولوقا عن نسب المسيح تسفر عن عدد من الملاحظات والأخطاء التي لا تخفى، وإن كان بعض المؤرخين يحاول تأويل اختلاف شجرتي النسب في الإنجيلين بما يتواءم مع النظرة اللاهوتية والناسوتية إلى المسيح(٦).

---

(١) راجع: تاريخ الفكر المسيحي، ص١٦٥ ـ ١٦٨.

(٢) كانت الأمم تؤرخ بسني ملوكهم أو مملكتهم، إلى أن رأى دانيس الصغير أحد كهنة كنيسة روما (ت٥٤٠) أن الأولى بالمسيحيين أن يؤرخوا بمولد المسيح، وقد بدأ في أول كانون الثاني بدلاً من ٢٥ كانون الأول، وأجمع المؤرخون أنه لم يصب بتعيين سنة المولد حيث إنه افترض أن المسيح ولد سنة ٧٥٤ لتاريخ روما، مع أنه من المؤكد ومن مراعاة تاريخ موت أرخيلاوس وفيليبس ابني هيرودوس ومدة ولاية كل منهما أن أباهما هيرودوس توفي سنة ٧٥٠ لروما، فالمسيح إذن لم يولد سنة ٧٥٤ بل سنة ٧٤٩ قبل موت هيرودوس، ويحتمل أنه ولد سنة ٧٤٧، راجع: تاريخ سورية، المطران يوسف الدبس، ٣/٢٩٣، تاريخ الفكر المسيحي ١٦٥، والنصرانية، شاهين ٢٩. وراجع: اختلاف العلماء في تحديد مولده قصة الحضارة ٣/٣٠٣، تاريخ الكنيسة ٢٧، الآثار الباقية، ص١٧ ـ ١٩، النصرانية والإسلام، ص٢٤١ ـ ٢٤٤.

(٣) A study of early christianity، ص٣٥٣.

(٤) راجع: متى، ١/١ ـ ١٧، لوقا، ٣/٢٣ ـ ٣٨.

(٥) مرقس، ١٢/٣٥، وراجع: يسوع كما في مرقس ص١٣٩.

(٦) انظر: يسوع كما في مرقس ص١٣٩.

وقد وقعوا في تناقض واضح فبينما يقررون أن المسيح ابن مريم دون أن يمسها رجل، يعودون ويقررون جرياً وراء أسطورة المسيح المخلص أن عيسى ابن يوسف النجار زوج مريم المزعومة ثم يرجعون نسبه إلى داود. ولو كانت مريم من ذرية داود فينسبون المسيح إلى داود من جهة أمه لكان الأمر مفهوماً، ولكن المدهش أنهم يربطون بين عيسى وداود عن طريق يوسف النجار[١].

ويؤكد هذا النقد موريس بوكاي حيث يقول: «الحق أن عيسى هو ابن مريم ولد من غير أب... وأما شجرتا النسب اللتان ذكرهما متّى ولوقا فلا علاقة لهما بالمسيح أصلاً.. وهما يذكران نسب يوسف النجار، ويوسف النجار لا علاقة له بالمسيح ولا بمريم لا من حيث النسب ولا غيره، فمريم من سبط هارون وهي لاوية بينما يوسف النجار من سبط يهوذا، وطبقاً لشرعة موسى لم يكن مسموحاً الزواج من سبط آخر»[٢].

أما عن نشأته وحياته الأولى، فليس هناك أي معلومات في الأناجيل عن ذلك، سوى خبراً أورده متى[٣] أنّ أمّه ذهبت به من فلسطين إلى مصر خوفاً من هيرودوس حاكم اليهود الذي عزم على قتل جميع الأطفال الذين ولدوا في ذلك العام بناء على ما أخبر به من قبل منجمين مجوس بولادة ملك اليهود، ولم يرجع هو وأمه إلا بعد موت هيرودوس[٤].

خبر آخر أورده لوقا أنه بعد ولادته صعدت به إلى أورشليم وأنه استمع

---

(١) راجع: المسيح إنسان أم إله، ص٥٢ ـ ٢٨، دراسة تحليلية، ص٧٧ ـ ٨٢، المسيح، وصفي، ص١٤، ١٥، المسيح، شنودة، ١/ ٧٣.

(٢) دراسة في الكتب المقدسة، ص١٠٥، وانظر رسائل الرسل، ص٣٨، شفاء الغليل، ص٤٢ ـ ٤٤، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ٨٠، ٨١، ٧٨ ـ ٨٣، الكتب السماوية ٤٥١ ـ ٤٦١، إظهار الحق، ١/ ١٥٥.

(٣) متى، ٢/ ١٩، وراجع: موجز الحياة الدينية من الفرعونية حتى المسيحية، ص٥٦.

(٤) أثبت رؤوف شلبي عدم دخول عيسى مصر، راجع: آلهة في الأسواق، ص٢٧١، ٢٧٢.
وصرح ول ديورانت أن تلك القصص التي تذكر عن مولد المسيح وعن سجود الرعاة والمجوس له وعبادتهم إياه وعن مذبحة الأطفال الأبرياء والفرار إلى مصر فالنقاد مجمعون على أنها افتراء سخيف. انظر قصة الحضارة، ٣/ ٢١٤، العقائد الوثنية، ص٧٨ ـ ٩٩، وحكم نورس المحامي للإنجيل بأن متى غلط وأن ما حكاه لوقا هو الصحيح، راجع: إظهار الحق، ١/ ١١٧.

وسأل المعلمين في الهيكل، وذلك حين كان عمره اثنتي عشرة سنة. ثم ذهبت به أمه إلىٰ الناصرة حيث استقر فيها، ثم لا يعرف عنه خبر إلىٰ أن بلغ الثلاثين حيث بدأ بدعوته[1].

وإن كان بعض المؤرخين لا يعترف بمصداقية الأناجيل في البحث عن حياة عيسى عليه السلام[2].

وقد نقل ديورانت الزعم بأنه ذهب إلى الهند وتلقى تعاليم بوذا هناك إلا أن ذلك مجرد دعوىٰ ليس لها ما يثبتها كما أن اكتشاف وثائق البحر الميت عام ١٩٤٧م ألقى الضوء على جانب من تلك الفترة ـ فترة نشأة المسيح ـ فدفع بعض العلماء إلى القول أنه في تلك السنوات كان تلميذاً للآسينيين، وأقروا بوجود مماثلة بين تعاليمه وألفاظه وبين نظيرتها التي وجدوها للآسينيين[3].

وقد حاول العلماء أن يستنبطوا جانباً من تلك الفترة اعتماداً على ما ورد في الأناجيل من أخبار تلك الحقبة التي ارتبطت بأمه وبيوسف النجار، فذهبوا إلى أنّه نشأ في قرية الجليل وبالتحديد في الناصرة إبان حكم أغسطس، ووعى وكبر وكان يعمل بيديه سواء في الزراعة أو غيرها.

ويضيف إلى ذلك توينبي أنه كان ابن النجار، وربما هو نفسه أصبح نجاراً، وعرف ممتهنوا النجارة في زمنه كطبقة متعلّمة[4].

وهناك دعاوىٰ عديدة تتعلق بحياة المسيح الأولى ليس لها ما يسندها منها:

ما ذهب إليه جينيبير من أنّه حفظ التوراة في المعابد اليهودية وكان يتكلم الآرامية والعبريّة، ويجهل اليونانية وأفكارها، وهو يخالف ما ادعاه القس عبد المسيح بسيط من أنه كان يتحدث اليونانية مع الأجانب، بناء على قدرته الإلهية[5]!!

---

(١) لوقا ٢/٢٢ ـ ٢٤، ٣٩ ـ ٤١.

(٢) حياة الحقائق ٦٢، المسيحية نشأتها وتطورها، ص٣٦، ٣٧، الفكر الإسلامي، ص٣٣، Le christ Geneber ص٩٦.

(٣) قصة الحضارة، ٣/٢١٥، وحقيقة التبشير، ص٩ ـ ١٠، رسائل الرسل، ص٤٤، النصرانية، شاهين، ص٤٧.

(٤) راجع: Le christ, Geneber، المقدمة، ص١٥٧، ١٥٩، ٢٢٥، The crucible of christianity، ص٢٢٥، الفكر الإسلامي، ص٣٣.

(٥) الإنجيل كيف كتب ص٩٠.

ومنها قولهم أنه نشأ بين رجال القضاء الذين لم يكونوا مرتبطين لا بالفريسية المتطرفة ولا بالآسينية الانفصالية، وإن كانت المبادئ الأساسية لهذه الطوائف ليست خافية عليه.

ويرى بعض الباحثين أنه من المرجح معرفته للفريسيين في الناصرة، ولعله تأثر بعدد من آرائهم، إلا أنه قطع صلاته بهم حين غادر قريته للالتحاق بيوحنا المعمدان في الصحراء، وأقام ضمن مريديه، وبدا كأحد من تلاميذه، بل إن الأناجيل تشير إلى شيء من هذا[١].

ومنها أنه اكتسب معرفة جيدة بالعلوم اليهودية، وكان متمكناً من التلمود العبري وتفاسيره التقليدية، وعلى معرفة بالتعاليم الأخلاقية والدينية واليهودية[٢].

### ٢ ـ بعثته عليه السلام ودعوته:

يذكر أصحاب الأناجيل أن المسيح بعث في سن الثلاثين، وقد خالف في هذا بعض الكتاب النصارى[٣].

وتذكر الأناجيل أن عيسى عليه السلام جاء من الناصرة واعتمد من يوحنا في الأردن ونزل عليه الروح القدس مثل حمامة.

يقول مرقس: «كان يوحنّا يعمد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا... وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن، وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت، والروح مثل حمامة نازلاً عليه». وبعد أن ذكر مرقس هذه القصة أورد أن المسيح خرج بعدها إلى البرية، وبقي بها أربعين يوماً مع الوحوش يجرب من الشيطان[٤] ـ حسب

---

(١) راجع: متى، ١١/٧ ـ ٥، لوقا: ٧/٢٤ ـ ٢٨.

(٢) The crucible of christianity، ص٢٢٥، الفكر الإسلامي، ص٣٣.

(٣) ذكر فروديك في كتابه حياة المسيح نقلاً عن إيرانيوس أنه بعث في الخمسين من العمر. راجع: رسائل الرسل، ص٥٤.

(٤) هذه الدعوى من النصارى أن الشيطان أخذ المسيح يجربه مرفوضة لا معنى لها، كما أنه ثبت عن النبي ﷺ أن الله قد أعاذ المسيح وأمه من الشيطان، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها، ثم يقول أبو هريرة: ﴿وإني =

زعمهم ـ والملائكة تخدمه ثم بدأ دعوته[1].

وفي لوقا أنّ يوحنا المعمدان كانت دعوته في السنة الخامسة عشر من سلطنة طيباريوس، كما يذكر أن يوحنا قد سجن وأن المسيح بدأ دعوته فيما بعد[2].

وقد اختلفت الأناجيل فيما بينها في إيراد هذه القصة ما بين زيادة ونقصان[3].

وتذكر الأناجيل أنَّه بدأ دعوته فكان يعظ الناس في أماكنِ تجمعهم، ويتجول في سائر المدن اليهودية، ومن الكتاب من ذهب إلى أن نشاطه كان مركزاً في منطقة الجليل[4].

وقد أجرىٰ الله على يديه معجزات باهرة، وتذكر الأناجيل أشياء كثيرة من العجائب والخوارق على يديه مثل تكثير الطعام وشفاء المرضى والمشي على الماء، وإحياء الموتى من القبور، وغير ذلك مما يطول ذكره[5].

ويصرح في ذلك يوحنا بأن معجزات المسيح لم تذكر الأناجيل إلا بعضاً منها إذ لو ذكرت جميعها لم يسعها العالم[6].

ولا شك أنه قول فيه من المبالغة ما فيه فعلى فرض أن المسيح قضى فترة

---

= أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ [آل عمران: ٣٦]. راجع: صحيح البخاري مع الفتح ٦/٤٦٩، كتاب أحاديث الأنبياء ح٣٤٣١.

(١) راجع: مرقس، ١/٤ ـ ١١، وانظر متى ٤/٣ ـ ١٠، والمسيح في البشائر، ص٥٩، ٨٨.

(٢) لوقا، ٣/١ ـ ٢٠.

(٣) راجع: لوقا، ٣/٢١ ـ ٢٢، ومرقس، ١/٤ ـ ١١ ومتى، ١١ ـ ١٧ و٣/٤ ـ ١٠، ٤/١٧، يوحنا، ١/٣٠ ـ ٣٤، وانظر رسائل الرسل، ص٥٣، Le christ, Geneber، ص١٦٣.

(٤) A study of early christianity، ص٦٣.

(٥) راجع: متى، ٨/٣ ـ ٤، ومرقس، ١١/٤٠ ـ ٤٩، ولوقا، ٥/١٢ ـ ١٤، ودراسات في إنجيل متى، ص١٢٧، رحلة بين أرجاء الكتاب المقدس، ص٢٨، متى، ٩/٢٨ ـ ٣٠، ومرقس، ٨/٢٢ ـ ٢٦، متى، ١٤/١٧ ـ ٣١، ومرقس، ٦/٣٨ ـ ٤٤ ولوقا، ٩/١٢ ـ ١٧ ويوحنا، ٦/٩ ـ ١٣.

(٦) يوحنا، ٢١/٢٥.

رسالته التي حسب إنجيل يوحنا لا تبلغ أربع سنوات كاملة، وحسب الأناجيل الثلاثة الأولى لا تزيد عن سنة واحدة، إذ لم يذكروا خلال دعوة المسيح إلا عيداً واحداً، أما إنجيل يوحنا فذكر ثلاثة أعياد، فلو فرض أنه يصنع آيات ومعجزات خلال تلك المدة فمن المؤكد أنها لو كتبت جميعها فإن العالم يسعها[١].

وكان أتباعه خلال هذه المدة ومن خلفهم بعده ينحصرون في الاثنى عشر حوارياً، وآخرين يبلغ مجموعهم مائة وعشرين فقط كما في أعمال الرسل[٢].

وتروي الأسفار أن المسيح اختار من بين السابقين الأولين من أتباعه ومن أكثرهم ملازمة له اثنى عشر رجلاً كلفهم بتبليغ رسالته إلى بني إسرائيل[٣]، ومن ثم أطلق عليهم اسم الرسل وهم: بطرس[٤] كبير الحواريين وأخوه أندراوس[٥]، ويوحنا[٦] وأخوه يعقوب الكبير ابنا زبدي[٧]، ويعقوب الصغير ابن حلفي، وأخوه يهوذا، ومتى العشار[٨]، وتوماس[٩]، وفيليبس[١٠]، وبرثولماوس[١١] وسمعان النشيط أو الغيور[١٢]، ويهوذا الأسخريوطي[١٣]، ويذكر بعض الكتاب أن هؤلاء الحواريين كان لهم سلطة رئيسية في الجماعة الأولى أعلى من الآخرين[١٤].

---

(١) راجع: تاريخ الكنيسة، يوسبيوس، ص٤٨.
(٢) أعمال الرسل، ١/ ١٥.
(٣) متى، ١٠/ ٢ ـ ٤، لوقا، ٦/ ١٣ ـ ١٦.
(٤) انظر هامش ص٧٦.
(٥) راجع: تاريخ الكنيسة، يوسيبيوس، ص١١٢، وقاموس الكتاب المقدس، ص١٢٢ ـ ١٢٣.
(٦) انظر هامش ص٧٦.
(٧) تاريخ الكنيسة، يوسيبيوس، ص٧٨، قاموس الكتاب المقدس، ١٠٧٥، وانظر هامش ص٧٦ من هذا البحث.
(٨) قاموس الكتاب المقدس، ص٨٣٢.
(٩) قاموس الكتاب المقدس، ٢٢٦ ـ ٢٢٧.
(١٠) قاموس الكتاب المقدس، ص٧٠٢.
(١١) قاموس الكتاب المقدس، ص١٦٧.
(١٢) قاموس الكتاب المقدس، ١٠٨٩ ـ ١٠٩١.
(١٣) قاموس الكتاب المقدس، ص٤٨٣.
(١٤) A study of early christianity، ص٢٧٩.

وقد ظل هؤلاء مخلصين لرسالته، صادقين ما عاهدوا المسيح عليه ما عدا يهوذا الأسخريوطي الذي خانه وأرشد الفريسيين والرومان إلى مقره وسهل لهم صلبه حسب زعمهم[١]، وحينئذ اجتمع نحو مائة وعشرين من كبار أتباع المسيح تحت رئاسة بطرس كبير الحواريين، ووقع اختيارهم على اثنين يكمل أحدهما عدد الحواريين الاثني عشر وهما: يوسف بارسابا الملقب «يوستس» ومتياس، ثم ضربوا القرعة فخرج سهم متياس فاختير حوارياً بدلاً من الخائن يهوذا الأسخريوطي[٢].

ومن بين هؤلاء خمسة فقط تنسب إليهم أسفار ضمن كتاب النصارى المقدس كما سنوضح وهم: بطرس، متى، ويوحنا، ويعقوب بن حلفي الصغير، ويهوذا الملقب تداوس، بالإضافة إلى بولس[٣].

وتروي أسفار الديانة أيضاً أن المسيح عليه السلام اختار من بين أتباعه والملازمين لصحبته بجانب الاثني عشر حوارياً، سبعين رجلاً كلفهم بالتبشير بالمسيحية في قرى الجليل، وأطلق على هؤلاء اسم التلاميذ. وبجانب هؤلاء الرسل والتلاميذ كان هناك من صاحب هؤلاء الرسل والتلاميذ، وقد كان لهم أثر في المسيحية[٤].

ولقد بدأت دعوة المسيح عليه السلام في وقت اشتدت فيه الفتن والاضطرابات بين الناس كما ذكرنا، وأخذت العداوة والبغضاء بينهم كل مأخذ، كما ساءت العلاقة بين الأفراد والطوائف والجماعات، ولذلك فإن حالة المجتمع في ذلك الوقت قد بلغت حداً من الانحطاط والانحدار لم تبلغه من قبل سواء من الناحية الدينية أو الاجتماعية.

وما جاء به المسيح عليه السلام هو إحدى مراحل الرسالات الإلهية إلى الناس ليعبدوا الله وحده ويطيعوه ويتقوه، وهكذا فإنه عليه السلام جاء يدعو إلى توحيد الله،

---

(١) الأسفار المقدسة، وافي، ص٧٦، ٧٧، وراجع: دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية ص١١٠، ١١١.

(٢) راجع: قاموس الكتاب المقدس، ص٨٣٥، أعمال الرسل، ١/ ١٥ ـ ٢٦.

(٣) أنكر ابن حزم أن يكون هؤلاء الحواريين هم المنصوص عليهم في القرآن الكريم. راجع الفصل، ٢/ ٨٩.

(٤) الأسفار المقدسة، وافي، ص٨٣.

والتبشير بقرب ملكوت الله[1] وأن من وحده فهو قريب من ملكوت الله وأنّه ما هو إلا رسول دعا إلى عبادة المعبود الحق وهو الله تعالى[2].

ومن نظر في الأناجيل التي تحوي دعوة عيسى عليه السلام ونشاطه وتحركاته ومواعظه يتيقن أنه عليه السلام لم يؤسس ديانة جديدة، بل كان يلتزم بشريعة موسى عليه السلام، ويدعو إلى الالتزام بها[3] ويحرم الخروج عليها، وبهذا أيضاً أوصى تلاميذه الذين أرسلهم إلى الدعوة في القرى[4]، وبين لهم أن هدفه الأول أن يجمع هؤلاء اليهود المتفرقين على طريق واحد هو طريق الحق[5].

وكان يدعو إلى الاتصال بالله دون وساطة أحد من الكهنة، فقد كان الكهنة والفريسيون كما أشرنا يقومون في تلك الفترة بدور الوساطة[6].

وقد بشّر في دعوته بنبي يأتي من بعده[7]، كما تضمّنت دعوته عليه السلام التأكيد على اتباع والتزام الناموس الموسويّ[8].

وشملت دعوته كذلك جوانب روحيّة واجتماعيّة وأخلاقيّة: فكان يدعو إلى الإيمان وتعظيم جانب الروح وترك مظاهر الشهوات والماديات[9]، والزهد في الدنيا ومتاعها وتزكية النفوس وتطهيرها[10]، وإنكار الذات والتخلص من الأنانية ومساوئها[11].

ومن تعاليمه في الزواج والطلاق ما ورد في إجابته للفريسيين حين سألوه ليحرجوه هل يحل للرجل أن يطلق امرأته ليجربوه فأجاب وقال لهم: بماذا أوصاكم موسى؟ فقالوا: موسى أذن أن يكتب كتاب طلاق فتطلق، فأجاب يسوع وقال

---

(١) مرقس، ١/ ١٤ ـ ١٥.
(٢) متى، ٢/ ٣١ ـ ٣٢ ومرقس، ١٢/ ٢٦، ولوقا، ٢٠/ ٣٧.
(٣) متى، ٥ :١٧ ـ ١٩، لوقا، ١٢/ ١٤، متى ٢٣/ ١ .٣، ٨/ ٤.
(٤) متى، ١/ ١٠.
(٥) متى، ٢٣/ ٣٧.
(٦) راجع: متى، ٢٣/ ١٢.
(٧) راجع: يوحنا، ١٤/ ١٦ ـ ١٧.
(٨) متى، ٢٢/ ٣٦، ١٩/ ١٠ ـ ١٣، ١٢/ ١ ـ ٥، ١٥/ ١ ـ ٩، يوحنا ٧/ ١٩ ـ ٢٤.
(٩) مرقس، ٣/ ٢٨ ـ ٢٩، مرقس، ٨/ ١٥ ـ ١٨.
(١٠) متى، ٦/ ١٩ ـ ٢١.
(١١) مرقس، ٨/ ٣٤ ـ ٣٨.

لهم: من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية... من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني[١]، ويفهم من مواضع أخرى عدم جواز الطلاق إلا لعلة الزنا[٢].

وكان يحذر من حياة الخيلاء والكبرياء[٣]، ويدعو إلى الوفاء في الحلف[٤]، والمحبة والتسامح[٥] والبعد عن الرياء[٦].

وهو في كل هذا لم يؤسس ديانة جديدة كما قلنا، بل كان شأنه في دعوته شأن الأنبياء السابقين من بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام[٧].

وقد ذهب بعض الكتاب كذلك إلى أنه لم يؤسس كنيسة[٨] النصارى، وإنما سعى إلى تجميع وإعادة اليهود إلى دعوة الحق[٩]، وبعضهم يرى أنه هو الذي أسسها[١٠]. وحاول بعض آباء الكنائس أن يفترضوا أنّه في دعوته أطاع التعاليم المكتوبة عند الفريسيين وأنكر التلمود، وهو موقف الصدوقيين، ولكن هذا القول قوبل بالنقد من قبل نقاد النصارى الغربيين[١١].

والثابت عندهم أن المسيح قد اصطدم مع الفريسيين أكثر من مرة، لا سيّما وأنهم أخذوا يعنون بدعوة غير اليهود إلى اليهودية. جاء في إنجيل متى «الويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المنافقون فإنكم تطوفون البحر لتكسبوا يهودياً واحداً

---

(١) مرقس، ١٠/٣ ـ ١٣.
(٢) متى، ٥/٣٢.
(٣) مرقس، ١٢/٣٨ ـ ٤٠.
(٤) متى، ٥/٢٣ ـ ٢٧.
(٥) متى، ٥/٤٣.
(٦) متى، ٦/٥ ـ ٧.
(٧) انظر في دعوته وحقيقتها الأزهر، سنة ٥٧، ج٧، رجب ١٤٠٥ هـ ـ إبريل ١٩٨٥ م، محمد عزت الطهطاوي.
(٨) كنيسة وباليوناني أكليسيا وتعني أشخاص مدعوين أو جماعة مدعوة وردت في العهد الجديد بمعنى محفل أعمال الرسل ٧/٣٨، ١٩/٣٢، ٣٩، ٤١، دراسات في إنجيل متى، ص١٣٠.
(٩) الفكر الإسلامي ص٣٤، وانظر متى، ١٦/١٥، ١٨، ومتى ١٨/١٧، ١ كورنثوس، ١/ ٢، ٢ كورنثوس ١/١.
(١٠) الأمور المتيقنة عندنا ١١٧، ١٢٣، ١٢٤.
(١١) The crucible of christianity ص٢٢٦.

فإذا تهود جعلتموه أهلاً لجهنم وذلك بكتمان الحق ومنعه من معرفة الدين الصحيح»[1].

وذهب بعض الكتاب إلى أن تعاليمه كانت موجهة إلى الريف الفلسطيني، وجاء دعمه الرئيسي من أهل الريف غير المتعلمين ـ ولعل ذلك مما يتواءم مع ما ذكر عن جماعة وادي قمران واستقرارها في البادية ـ وأثبت وجود أفكارٍ مشتركة بين هذه الطائفة والمسيح عليه السلام[2].

## ٣ ـ موقف اليهود من دعوته:

عند عرضنا لتاريخ اليهود ذكرنا أنه تاريخ طويل حافل وقع عليهم في آخره إذلال وشتات طويل بسيطرة واستيلاء الآشوريين عليهم، ثم الفراعنة فالبابليين ثم الفرس فالإغريق وأخيراً الرومان، ومن ثمّ تولد لدى اليهود أمل كبير أن يرسل لهم مسيحاً خصيصاً يخرجهم مما هم فيه ويعيد لهم على الأرض مملكة داود وسليمان إلاَّ أنهم أصيبوا بخيبة أمل عندما جاءهم المسيح عليه السلام يزين لهم ملكوت السموات، ويعدهم وعداً حسناً في الدار الآخرة، وأدرك رجال السطوة والنفوذ منهم أنّ مكانتهم إلى نهاية ونفوذهم ضائع لا محالة[3].

وكانت دعوة المسيح تحارب اتجاهين تأصلا عند اليهود وهما: شغفهم بالمادة، وإهمالهم الناحية الروحية فيهم، وادعاؤهم أنهم شعب مختار وادعاء أحبارهم أنهم الصلة بين الله وبين الناس. . .[4].

ولشدة ما كان ارتياع اليهود وغضبهم عندما شهدوا عيسى يكتسح أمامه كل ما يعتزون به من ضمانات، إذ يعلم الناس أن الله ليس من المساومين، وأنه ليس هناك شعب مختار، وأنه لا يستطيع اختصاص البعض بالرعايات[5] بل إنه كان ينتقد كهنة اليهود ومشايخهم في المجامع وفي الهيكل أحياناً لخروجهم على تعاليم موسى[6]

(١) متى، ٢٢/ ١٤ ـ ١٥ اعتماداً على الطبعة الأميركية.
(٢) The rise of christianity، ص٢٧.
(٣) دعوة التوحيد، ص٢٩٧.
(٤) المسيحية، شلبي، ص٥٣.
(٥) المسيحية، شلبي، ص٥٣، الماسونية، ص١٥.
(٦) نصرانية عيسى، ص١٣٩.

لهذا ولغيره أعلن اليهود عداءهم لعيسى عليه السلام[1].

وهكذا حين ابتدأ المسيح دعوته جن جنون اليهود وتحركت فيهم العوامل الموروثة من العداء للأنبياء والشغب عليهم فوقفوا في وجه المسيح عليه السلام.

وقد اختلف الكتاب في تصوير موقف اليهود من دعوته فنقل بعضهم في الأناجيل أنه ولد في جو من الاضطهاد، وبالتالي لم يكفل هذا الجو لمبادئه التي جاء بها الظهور والانتشار، فقد كانت بيئة ساد فيها خليط من ثقافات متعددة، واتجاهات فكرية ودينية متعارضة لم تهيئ لرسوخ الدعوة التي جاء بها، وأن الصورة الوحيدة التي تحمل شيئاً من التقدير هي صورة عطف السذج من عامة الشعب[2].

ويظهر من قراءة إنجيل مرقس أنه كان له تأثير في بلاد اليهود[3]، فقد ذاعت شهرته منذ أول معجزة[4]، وجاءوا من الجليل ومن القدس والأردن وتبعوه أينما ذهب[5]، بل إن حماسهم دفعهم إلى إهمال الطعام والشراب، وأحياناً أخرى كانوا يطلبون منه الإتيان بخوارق لإرضاء رغباتهم[6].

وذكر مرقس في إنجيله أن عدد هذه الجماعات يقدر بحوالي ٥٠٠٠، و٤٠٠٠ في رحلة أخرى، وهذا الأمر لا يخفى على السلطة في بلدة صغيرة[7]، وتذكر الأناجيل أنه اختار اثني عشر رجلاً من أتباعه جعلهم حوارييه وأخص أصحابه.

أما عن موقف السلطات في دعوته فقد ذكرنا سابقاً عند الحديث عن البيئة السياسية التي بعث فيها عيسى، أن تلك الفترة التي بدأ فيها عيسى عليه السلام بالدعوة كانت فترة قلق واضطراب وعدم استقرار[8].

---

(١) انظر التاريخ اليهودي، ص٣٣٨، ٣٣٩، في محاربة اليهود للنصارى، ومتى، ٢٦/٣ ـ ٥.
(٢) كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ٨٣.
(٣) مرقس، ١/٢٨.
(٤) مرقس، ١/٣٣.
(٥) مرقس، ٣/٧، ٢/١٣ ن١٠/٤٦، وراجع: عيسى، ص٢٥١، والفكر الإسلامي، ص٣٤ ـ ٣٩، The crucible of christianity، ص٢٢٦.
(٦) Le christ، ص٢٥٢.
(٧) Le christ، ص٢٥٢.
(٨) انظر ص٢٧ وما بعدها.

وكان الصراع بين الرومان ـ الدولة الحاكمة المستَعمِرة ـ وبين اليهود ـ الدولة المحكومة المستَعمَرة ـ صراعاً قوياً، ونتيجة لهذا نشطت الأحزاب الدينية والسياسية القديمة، وتعمق الشعور في الرغبة ببعثة مسيح مخلص.

وفي نفس الوقت كانت السلطة الرومانية تقف في وجه كل الحركات الوطنية والنصرانية ـ الداعية إلى مسيح مخلص ـ ولعلَّ هذا ما يفسّر حسب وجهة نظر بعض علماء النصرانية عدم كلام عيسى عليه السلام عن مسيحيته، أعني دوره كمخلص، بل إنه كان يمنع تلاميذه من أن يتكلموا في ذلك[1].

وعلى الرغم من ذلك فقد وقف اليهود من دعوته موقف المعارض منذ اليوم الأول، عندما لم يروا فيه المسيح المخلص الذي ينتظرونه من وجهة نظرهم، وبدا ذلك لعملاء الرومان من الجماعات اليهودية الذين ارتابوا من خطر الدعوة، وما يمكن أن تفضحهم به الدعوة الجديدة، ولن يتمكنوا من أداء دور الوشاية ضد طوائف شعبهم في خدمة السادة والرومان[2].

وهؤلاء بدورهم استطاعوا أن يوقعوا ساسة الدولة الرومانية بأن يعملوا معهم في مطاردة الدعوة الجديدة ورفضها، مع أنها في جوهرها كما رأينا لم تتعرض للدولة سياسياً لا بهدم ولا بناء، وأصبحت السلطة الرومانية بالوشاية اليهودية في معركة مع الدعوة ولم تشهر فيها السلاح علانية، وإنما بالمؤامرة والخداع وتكتيل جهود القوى الثائرة ضد الدعوة[3].

ويرى جينيبير أنهم عزموا على التخلص منه، ولكنهم فضلوا خداعه لمناقضة تعاليمه لما كانوا يريدونه[4].

وقد اتخذت المواجهة أسلوبين: فكري ومادي:

أما الأسلوب الفكري فقد اتخذت المواجهة فيه عدة مسالك، ظهر منها المجادلات الدينية. وقد ورد في الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى ما يؤكد

---

(١) مرقس، ١/ ٢٤ ـ ٢٥، ٣٤ و٣/ ١١ ـ ١٢، و٩/ ٨، وراجع: تاريخ الفكر المسيحي، ص٢١٤ ـ ٢١٦.

(٢) التاريخ اليهودي، ص٣٢٧.

(٣) التاريخ اليهودي، ص٣٢٨.

(٤) المسيحية، نشأتها وتطورها. ص٢٥٧.

اتباع هذا المسلك مع عيسى عليه السلام[1]، ثم التشكيك به وفي دعوته، وتشكيك المؤمنين به وملاحقته بطرح الأسئلة من قبل الفريسيين والصدوقيين حتى يسقط في أعين سامعيه. ويكاد يكون الإصحاح الثاني عشر من إنجيل متى مخصصاً لمثل هذا النوع من الألوان اليهودية في الإحراج ورد المسيح عليه السلام عليهم[2]. وقد حاولوا أن يفتنوا الناس عنه عليه السلام عندما صاروا يلصقون به ادعاء الألوهية أو البنوة، وجاء ذلك المعنى في إنجيل متى[3].

وقد اصطدم كثيراً بالصدوقيين القائمين على أمر المعبد في القدس[4]. وتنقل دائرة المعارف اليهودية أنهم رفضوا معجزاته وحكموا عليه بأنه ساحر وأنه تعلم السحر في مصر[5]. ولم يفتؤا عن تدبير المكائد له من وقت لآخر، ومحاولة رجمه بالحجارة[6] إمعاناً في رفض دعوته.

## ٤ ـ نهاية أمر المسيح عليه السلام:

بذل اليهود مجهودات كبيرة للقضاء على المسيح عليه السلام بأي طريقة[7]، ولما ضاقت بهم الحيل كذبوا عليه وادعوا أنه يحرض على عدم إعطاء الجزية لقيصر وأنه يثير الشغب ضد الدولة ويدعي أنه ملك اليهود وأنه يهدف إلى الاستقلال عن الحكم الروماني والتبعيّة لقيصر.

---

(١) راجع: لوقا، ٥/٢٧ ـ ٣٢، ١٨ ـ ٢٦، ٢٣ ـ ٣٩، ومرقس، ٢/١١، ١٢، ١٨ ـ ٢٢ ومتى ٢ ـ ٨، ١٤ ـ ١٧.

(٢) متى، ١٢/١ ـ ١٣، يوحنا، ١/١١، لوقا، ٤/٢٩، ١٧/٢٥، ودعوة التوحيد ص٢١٧ ـ ٢٢٢، محاضرات في النصرانية، ص٢٣، المسيح، عبود، ص٧٨، تاريخ الفكر المسيحي، ١/٢٦٢، Le christ، ص٢٥٥، ٢٥٦.

(٣) متى، ٧/٢١، ٢٤، يوحنا، ٥/١٦ ـ ٢٠.

(٤) The crucible of christianity، ص٢٢٦.

(٥) دائرة المعارف اليهودية ٧/ ١٤، وفيها نصوص عدة توصل إلى نفي معجزاته وولادته من عذراء وأنها أسطورة شائعة، راجع: موقف اليهود والنصارى من دعوة المسيح عليه السلام، سارة العبادي، ص٣٦.

(٦) متى، ١٢/١٤ ـ ١٦، مرقس، ٣/١ ـ ٦، ويوحنا، ١٠: ٣١ ـ ٣٦، دعوة التوحيد، ص٢١٧ ـ ٢٢٢.

(٧) راجع: بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية، ص٥٩٩ ـ ٦٠٥، الكنز المرصود، ص٩٩، ١٠٠ حيث أورد نقولاً عدة في ذلك، دور اليهود في إفساد العقيدة، ص١٠٦، مكائد يهودية، ص٣٢، وانظر رسالة موقف اليهود والنصارى من دعوة المسيح عليه السلام، حيث ذكرت موقف اليهود من المسيح من خلال كتبهم ومؤلفاتهم، ص٣٧ ـ ٧٨.

فحملوا الوالي الروماني على أن يصدر الأمر بالقبض عليه وحكم عليه بالإعدام صلباً[1] وقد كان لهم شيء من النفوذ لدى ولاة الرومان في تلك الفترة[2].

وقد اختلفت الأناجيل في مسألة صلب المسيح وقتله مع أن هذه الحادثة هي دعامة الإيمان في نظر النصارى واعتقادها من أصول الدين عندهم[3]، وقد أكد الكاتب حبيب سعيد هذا التناقض والاختلاف[4].

وتتلخص حادثة المحاكمة والصلب في أنه في الليلة التي صلب من غدها المسيح حسب زعمهم اجتمع عيسى ﷺ مع تلاميذه، ثم علم اليهود بمكانه بوشاية أحد أتباعه وهو يهوذا الأسخريوطي فجاءوا وألقوا القبض عليه، ففر التلاميذ وتركوه فأخذه اليهود إلى رئيس كهنتهم وواجهوه بما يتهمونه به، إلا أنهم رأوا أن الشهود لا تتفق كلمتهم فيما شهدوا به عليه، وأخيراً سأله رئيس الكهنة أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال عيسى: أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء، فمزق رئيس الكهنة ثيابه، وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود وقد سمعتم التجاديف. . . فحكم الجميع عليه أنه مستحق للموت.

ثم حملوه إلى الوالي الروماني بيلاطس البنطي الذي قرره بما كان متهماً به وهو أنه ملك اليهود، إلا أن المسيح لم يجبه بشيء فرأى بيلاطس أنه لا يستحق الموت، إلا أن بيلاطس بعد ذلك ونزولاً عند رغبة اليهود حكم عليه بالموت على الصليب.

ولما صلبوه كانت الساعة الثالثة صباحاً ـ حسب زعمهم ـ وبقي على

---

(١) تاريخ الأقباط، ص٥٦، دراسات في النصرانية، مزروعة، ٦٤، ٦٥، محاضرات في النصرانية، ص٢٣، العلمانية، ص٧١، أقانيم النصارى، ص٨٦ ـ ٩٠، المنظومة، ص٦٤، التاريخ اليهودي، ص٣٤٠ ـ ٣٦٣، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١١٠ ـ ١١٢.

(٢) القوى الخفية، ص٧٣، جذور البلاء، ص٩٠، العلمانية، ص٧١، المسيحية، شلبي، ص٥٤.

(٣) راجع: كورنثوس، ٢/٢، ١، تيموثاوس، ٢/٥ ـ ٦، رومية، ٢:٢٤ ـ ٢٥، غلاطية، ١٣/٣، ٦/٢.

(٤) أديان العالم، ص٢٥٨.

الصليب إلى الساعة التاسعة عصراً حيث مات بعد أن صاح «إلهي إلهي لماذا تركتني».

ثم أنزل عن الصليب وأدخل قبراً بقي فيه تلك الليلة ونهار السبت وليلة الأحد فلما جاءوا صباح الأحد وجدوا القبر خالياً، وقيل لهم إنه قام من قبره، ثم إنه ظهر لتلاميذه بعد ذلك وبين لهم أنه حي وبقي معهم ـ كما في أعمال الرسل ـ أربعين يوماً ثم ارتفع إلى السماء بعد أن أوصاهم أن يذهبوا إلى العالم أجمع ويكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها[1].

وأبرز العلماء الكثير من الأمور المتناقضة في الأناجيل حول قصة الصلب وروايات الآلام وما لقيه المسيح[2]. بل إن الصلب لم يتبلور في حقيقة الأمر كعقيدة في حياة المسيح عليه السلام على الأرض وإنما فيما بعد.

وقد أشار «أدولف هرنك» في كتابه إلى حقيقة خلو بعض الرسائل الهامة من ذكر الصلب والفداء، وكذا يوسيفوس المؤرخ مع قرب زمنه من زمن المسيح عليه السلام. بل إن التلاميذ أنفسهم لم يكونوا شهود عيان، جاء في مرقس «فتركه الجميع وهربوا»[3]، وقد كانت معلوماتهم فيما يختص بمعلمهم عن أخبار الغير، فقد سمعوا أنه علق على الصليب وأنه مات ودفن. ولذا فإن قضية الصلب ظلت من القرون الأولى موضع الشك والإنكار وهو ما اعترف به الكاتب النصراني المتعصب عوض سمعان[4].

---

(١) راجع: نهاية المسيح في إنجيل لوقا، ٢٢/٤٧ ـ ٥٣، مرقس، ١٤/٤٣ ـ ٥٢، متى، ٢٦/٤٧ ـ ٥٦، يوحنا، ١٨/٢ ـ ١١، ويسوع يقاد إلى حنانيا يوحنا، ١٨/١٢ ـ ١٣، ٢٤ ـ يسوع عند قيافا لوقا، ٢٢/٥٤ ـ ٦٢، مرقس ١٤/٥٣ ـ ٥٤، ٦٦ ـ ٧٢، متى ٢٦/٥٧ ـ ٥٨ و٦٩، و٧٥، ويوحنا، ١٨/١٤ ـ ٢٧، والحكم عليه بالموت لوقا، ٢٢/ ٦ ـ ٧، مرقس، ١٥/١ ـ ٢، ١١/٥٥ ـ ٦٤، متى، ٢٧/١ ـ ١٦، ٢٦/٥٩ ـ ٦٦. وراجع: أحداث الصلب في يسوع كما في مرقس، ٣٨ ـ ٤٤، ١٥٣، أديان العالم، ٢٥٨، ٢٥٩، المسيح إنسان أم إله ١٢٥ ـ ١٣٤، دراسة في الكتب المقدسة ١١٧ ـ ١٢٩، حياة يسوع، ص٢٢٦ ـ ٢٣٥، المسيح، شنودة ٢/ ٢٧٢، ٢٧٣، مباحث بريئة في الإنجيل ١٠٣ ـ ١٢٧، من دحرج الحجر، ٩ ـ ١٧.

(٢) راجع: دراسة في الكتب المقدسة ١١٧ ـ ١٢٩، وغياب رواية تأسيس القربان المقدس في إنجيل يوحنا، قصة الحضارة، ١/٢٣٦، ٢٣٨.

(٣) مرقس، ص١٤، وانظر مقال في الأزهر حقيقة المسيح ودعوته ج٧، سنة ٥٧، ١٤٠٠هـ رجب.

(٤) فلسفة الغفران، ص٨٩ ـ ١٢٨، نقلاً عن رسائل الرسل.

ومما يؤكد عدم القتل والصلب شهادة بعض علماء النصرانية مثل «إدوار سيوس» ـ أحد أعضاء «الأنسيتودي فرانس» ـ في كتابه «عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية»، ومنهم «الباسيليديون» حيث كانوا يعتقدون أن المسيح وهو ذاهب لمحل الصلب ألقى شبهه على سيمون السيرناري، وألقى شبه سيمون عليه ثم أخفى نفسه، ومنهم «السيرنيتون» فقد قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى. ونقل «موسيهيم» في تاريخه طوائف كثيرة من النصارى تنكر الصلب، وكذا ما ذكره «آرنست بونسن» في كتابه «الإسلام: أي النصرانية الحقة»(١).

وهكذا ومن المراحل الأولى المبكرة لدعوة المسيح وعناصر الرفض اليهودي لهذا الدين قوية شديدة، ولكن الخطير في موقف القوى اليهودية في مقاومتها للتعاليم النصرانية هو هذه المرحلة التي أشرنا إليها سابقاً والتي تم فيها تجنيد القوى الرسمية والسياسية في البلاد لمقاومة المسيح ﷺ ودعوته.

فالاضطهاد الديني بدأ منذ اللحظة الأولى للدعوة في عهد عيسى ﷺ، بدأه اليهود بما أوجدوه من الكذب والفتن وغيره.

## ٥ ـ المسيح ﷺ في القرآن الكريم والمصادر الإسلامية:

يذكر القرآن الكريم حقيقة عيسى ﷺ وأمّه مريم وحقيقة دعوته بما يتفق مع ما تذكره الأناجيل في بعض نقاطها، كما أبطل أيضاً بكل وضوح وقوة ما ورد فيها من الأمور التي لا تصح نسبتها لعيسى ﷺ.

ولقد ذكر الله ﷻ في القرآن أجداد المسيح ﷺ وصلاحهم وعن نذر أم مريم بأمه فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٣ ـ ٣٧].

---

(١) الأزهر ج٧ سنة ٥٧، ١٤٠٠هـ رجب مقال حقيقة المسيح ودعوته.

وقد بلغت مريم حداً عالياً من العبادة والصلاح وبشرتها الملائكة أنها من المصطفين الأطهار كما بشروها بالمسيح عليه السلام آية من الآيات ونبياً من الأنبياء ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران: ٤٢] ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٥ ـ ٤٧].

إذن فخلق المسيح عليه السلام بهذه الصورة إنما هو إعلان للقدرة الإلهية التي تخلق بلا أسباب كما تخلق بالأسباب[١].

وقد ذكر القرآن الكريم ما تعرضت له من آلام بسبب الحمل وابتعادها عن الناس حتى تمنت الموت ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم: ٢٢، ٢٣][٢]. هذا هو الميلاد العذراوي والذي اعتبر منفذاً للقول بتأليهه فيما بعد[٣].

وتمضي الآيات في عرضها لما كان من حمل مريم بالمسيح، وولادته وإكرام الله تعالى لها بأنواع الكرامات، ثم تسوق لنا اتهام قومها لها لما رأوها تحمله ولم يكن لها زوج ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: ٢٧ ـ ٣٣].

---

(١) انظر في ذلك محاضرات في النصرانية، ص٢٣، تفسير الرازي، ٢١/٢٠٣، الأديان في القرآن، ص١٥٧، ١٥٨، البداية والنهاية، ٢/٦٤، تاريخ الطبري قصة مريم، وعيسى ١/٣٤٩ ـ ٣٥٣، دراسات في النصرانية، مزروعة ٣٥، كتاب إن مثل عيسى ص٤٦ ـ ٦٤، ١٢٠ ـ ١٢٩، التوراة والإنجيل والقرآن في سورة آل عمران، ص٤٧ ـ ٦٠، الإله الذي لا وجود له، ص١٩ ـ ٢٠.

(٢) دراسات في النصرانية، مزروعة ص٣٢، ٣٣، حقيقة عيسى المسيح ١٠٩، المسيح إنسان أم إله ٥٠ ـ ٥٢.

(٣) المسيح إنسان أم إله، ص١٦٧.

فالقرآن الكريم يذكر أنه تكلم في المهد ليكون ذلك آية على طهر أمّه وطرداً للظنون والشكوك التي أثيرت حولها وبما بادرها به قومها من اتهام، والمثير للدهشة أن الأناجيل الأربعة ورسائل الرسل كلها لم تشر إلى تكلم المسيح عليه السلام في المهد أي إشارة[1]. مع أنه حدث عظيم وهو أمر في غاية الغرابة.

ومع شمول هذه الآيات لبيان حقيقة المسيح، فإن القرآن بعد ذلك يشير إلى أنه قص ذلك لكي يعلم من يختلف في شخص المسيح أن هذا هو المسيح وهذه حقيقته البعيدة عن دعوى بنوته لله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٣٥)﴾ [مريم: ٣٤ ـ ٣٥].

فالله خلقه بهذه الطريقة، ولكنه بشر مثله في ذلك الخلق مثل آدم الذي خلقه الله بلا أب ولا أم ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٥٩)﴾ [آل عمران: ٥٩].

ولم يتعرض القرآن الكريم لذكر نشأة عيسى عليه السلام وحياته الأولى بعد ولادته وقبل بعثته، وقد أشار إلى أنه نشأ في كنف أمه في ربوة، أي بلدة مرتفعة ذات استقرار وأمن وماء معين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠)﴾ [المؤمنون: ٥٠][2].

ولم يذكر القرآن الكريم كيف ابتدأ ولا متى بدأ المسيح دعوته[3]، ولكنه

---

(١) وقد وردت في بعض رسائل الجاحظ «الرد على النصارى» اعتراضهم على القرآن فيما أخبر به من كلام المسيح في المهد ٣/ ٣٢٤ ـ ٣٢٧، نقلاً عن رسائل الرسل، وانظر مناقشة العلماء لهذا في هداية الحيارى، ص٣٠٣ ـ ٣١٢، رسائل الرسل، ص٢٨، تفسير الرازي، ٢١/ ٢١٧، والبدء والتاريخ، ٣/ ١٢٠ ـ ١٢٨، كلمة من الله، ص١٠٤ ـ ١٣٠، المغني ١٥/ ١٦، الإمتاع والمؤانسة ٢/ ٩٧، وفيه ناقشوا تكذيب النصارى للقرآن في حديثه عن كلام المسيح في المهد وردوا عليهم فيه.

(٢) اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة، راجع: تفسير ابن كثير ٢/ ٧٧، تفسير الرازي ٢٣/ ١٠٤، فتح القدير ٣/ ٤٨٧، الجامع لأحكام القرآن، ١٢/ ١٢٧، ومؤدى الأقوال لا يخرج عن كونها في بلاد الشام إما دمشق، أو فلسطين، أو بيت المقدس. وانظر عقيدتنا التثليث والصلب وفيه استنبط جانباً من نشأته من خلال آيات القرآن ٨ ـ ١٢.

(٣) انظر الأقوال في ذلك تفسير الرازي ٢١/ ٢١٤، الأديان في القرآن ١٦٠، ١٦١ حيث =

ذكر أنه بعث في بني إسرائيل في بشارة الملائكة لمريم في سورة آل عمران، وأنه سيكون له آيات تثبت صدق دعواه ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩].

فكانت معجزاته قهراً للفكر المادي الذي طغى في ذلك الوقت، ودعوة للرجوع إلى عالم الروح وتربية لهذه الروح حتى يقوى لديها الإيمان بالبعث والنشور، وبالتالي السعي إليها بعمل الصالحات والبعد عن الفساد والسيئات[1]. وقد كانت هذه المعجزات منفذاً آخر لادعاء ألوهيته.

وقد ذكر الله تعالى أن الحواريين سألوه آية، وأنه دعا ربه فاستجاب له ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١١ - ١١٥].

وممن آمن به من وصفوا بالحواريين، وأنصار الله المخلصون لدعوة المسيح عليه السلام وقد صور القرآن الكريم موقفهم من عيسى عليه السلام صورة ناصعة مشرقة، فعندما كفر اليهود بدعوته ولم يجد له نصيراً جهر بالنداء والاستنجاد فكان الحواريون هم الملبين المستجيبين ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

---

= استدلا بظاهر الآية أنه نبئ في المهد، وانظر خلاف ذلك في فتح القدير ٣/ ٣٣١، والرازي السابق، وانظر البدء والتاريخ ٣/ ١٢٤، حيث ذكر أنه أوحى إليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة ورفع وهو ابن ثلاثة وثلاثين سنة.. وقد جرى المفسرون على أنه بعث بعد الثلاثين تقريباً.

(١) راجع: المسيحية شلبي ص٤٠ حيث ناقش القول أنه أرسل إلى قوم برعوا في الطب - حيث لم يكن منتشراً بتلك الصورة في الفترة التي بعث فيها، وراجع: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة ٢١، دراسة تحليلية ١١٢ - ١١٥.

وقد رفعهم الله إلى منزلة عالية حين جعلهم مثلاً أعلى للمؤمنين وطلب من المؤمنين التشبه بهم واتخاذهم قدوة في الانتصار لله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ۝١٤﴾ [الصف: ١٤][١].

وأنزل الله على سيدنا عيسى كتاباً هو الإنجيل فيه هدى ونور، وموعظة لمن خاف الله تعالى. ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٦﴾ [المائدة: ٤٦].

وقد بلغ المسيح عليه السلام أمر ربه، إلا أن اليهود كذبوه واتفقوا على الخلاص منه وقتله[٢] ولكن الله تعالى أراد نجاته، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٥٥﴾ [آل عمران: ٥٤، ٥٥].

وقد نجاه الله منهم ومع ذلك توهموا قتله وما المقتول إلا شبيه له، يقول تعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝١٥٥ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ۝١٥٦ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ۝١٥٨﴾ [النساء: ١٥٥ ـ ١٥٨].

وهو ما أجمع عليه المسلمون أنه لم يقتل ولم يصلب، وأن الله نجاه من القتل بأن رفعه إلى السماء حياً بجسمه وبروحه، ولا يزال فيها حتى ينزل آخر الزمان في أمة محمد ﷺ يحكم بينهم بشريعة الإسلام[٣].

---

(١) الأجوبة الفاخرة ١/ ١٨٢، دراسات في النصرانية، مزروعة، ص٨٧، ٨٨.

(٢) راجع: دراسات في النصرانية، مزروعة، ص٦، ٦٦، مشكلات العقيدة النصرانية، ص٤٧، ٤٨، دعوة التوحيد، ص٢٢٢ ـ ٢٢٦، محاضرات في النصرانية، ص٢٣، المسيحية، شلبي، ص٣٤ ـ ٣٧.

(٣) انظر تفصيل الأقوال في نفي الصلب، وعقيدة رفعه عليه السلام، تفسير ابن كثير ١/ ٥٧٤ ـ ٥٧٦، =

هذا هو المسيح عليه السلام في القرآن الكريم بشر خلقه الله بكلمته كما خلق من قبله آدم عليه السلام بكلمته «كن» وجعله الله سبحانه وتعالى آية حيث خلقه من غير أب.

وبين الله عز وجل حقيقة دعوة المسيح عليه السلام، وأنها واحدة من رسالات الأنبياء التي جاءوا بها إلى الناس تدعو إلى توحيد الله توحيداً مطلقاً كاملاً، قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [المائدة: ٧٥]. ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣٠، ٣١].

ويقول تعالى عما يكون منه يوم القيامة من إجابته لربه: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

فتجلي هذه الآيات مقالة المسيح في الآخرة يوم يجمع الله الرسل، وتفيد بصريحها أنه ما دعا إلا إلى التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له[1]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

= فتح القدير ١/ ٥٣٥، تفسير المراغي ٣/ ١٦٩، تفسير المنار، ٣/ ٣١٦ ـ ٣١٧، تفسير أبي السعود، ٨/ ٥٢، تفسير الألوسي، ٧/ ٣٤، الجواب الصحيح، ١/ ٢٥٣ ـ ٢٢٤، مجموع الفتاوى ٤/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩، المسيحية، شلبي ٥٤ ـ ٧٠، البدء والتاريخ ٣/ ١٢٦، ١٢٧، المسيح إنسان أم إله، ص١٥٤ ـ ١٦٠، مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٥٦٧، صلب المسيح، ديدات ١٧٢، مقامع الصلبان، ص٤٤، ٤٥، إنجيل برنابا الفصل ١٥، بل إن قضية الصلب ليس مما أجمع عليه النصارى وهو ما أكده الشيخ جمال الدين القاسمي وذكر طوائف كثيرة كانت تنكر ذلك. انظر: تفسير القاسمي ٥/ ١٦٩١، وانظر الأزهر ج٤ سنة ٥٧ ـ ١٤٠٥هـ ربيع الآخر/ ١٩٨٥ يناير، محمد الحديدي الطير، البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية.

(١) راجع: متى، ٢٣/ ٩، طبعة الأرثوذكس، ٤/ ٦ ـ ١١، مرقس، ١٠/ ١٧ ـ ١٨، لوقا، ١٨: ١٨ وانظر أقوال العلماء أضواء على المسيحية ١٣، مفتريات أهل الكتاب، ص٥٣٥ ـ ٥٣٨، دعوة التوحيد، ص٨٨ ـ ٩٢، المجتمع عدد ١٢٦ شوال ـ ١٣٩٢ ـ ١٩٧٣م (البابا بولس تهنئتك مقبولة ولنا معكم كلام).

﴿رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾ [آل عمران: ٥١].

وأنه رسول وجه دعوته لبني جنسه، وهم بنو إسرائيل خاصة ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ومتبع لشريعة موسى عليه السلام ومكمل لها ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]، مع التخفيف لبعض الأحكام التي شدد الله بها على اليهود من قبل، فكانت رسالته رسالة إصلاح لما طرأ على الشريعة التي أنزلت على موسى من التحريف من قبل اليهود.

وجاء ليجمع بني إسرائيل على كلمة الحق لاختلافهم في شأن دينهم ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٦٣﴾ [الزخرف: ٦٣].

وقد تفرق اليهود كما رأينا شيعاً وأحزاباً، كل منها يريد أن يستأثر لنفسه بالدنيا فكانت حالهم هذه من أسباب تفرقهم، ومن ثم كان لب دعوة المسيح عليه السلام دعوة إلى التسامح والزهد والتبشير باليوم الآخر(١).

وشملت دعوته الإيمان بالكتب السابقة، ومن جاء قبله من الأنبياء، والبشارة بالنبي ﷺ. ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦](٢).

أما ما طرأ على النصرانية فيما بعد من انحرافات تضمنت الأناجيل بعضها، فقد تناول القرآن الكريم بعضها بالإبطال كدعوى ألوهية المسيح، وبنوته لله عز وجل، وصلبه، ثم التثليث، فقد تناول القرآن الكريم كل هذه التحريفات بالإبطال.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢]. ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾

---

(١) انظر في ذلك المسيح، وصفي، ص٢٥ ـ ٣٠، الإسلام والأديان، أحمد عبد الوهاب، ١٣٣ ـ ١٣٦، النصرانية، شاهين ص٥٣، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٣، التفكير الديني ص٤١٥، أضواء على المسيحية ٢١.

(٢) انظر: المسيحية، شلبي، ص٧٠ ـ ٨٠، مشكلات العقيدة النصرانية، ص٤٨ ـ ٥١، والله واحد أم ثالوث، ص١٦٤، دعوة التوحيد، ص١١٤ ـ ١٢٠، ٢٠٩ ـ ٢١٦.

[التوبة: ٣٠]، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]. ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

ولم تكن هذه كل التحريفات، فقد طرأت على النصرانية في مراحل تطورها العديد من الأمور التي خرجت بها عن حقيقة دعوة عيسى عليه السلام، وسوف تتكفل الفصول التالية في البابين التاليين بدراسة أهم العوامل التي أدت إلى تحريفها وما آلت إليه.

# الفصل الثالث

# النصارى والنصرانية من رفع عيسى عليه السلام حتى سنة ١٩٦٥م

يمكن تقسيم هذه الفترة الطويلة إلى أربع مراحل متميزة نسبياً، وهي مراحل تختلف اختلافاً بينا من حيث طولها الزمني، ولكن كل واحدة منها اتسمت بخصائص معينة.

**المرحلة الأولى:** (من سنة ٣٠م ـ ١٣٥م)، وتمتد هذه المرحلة من رفع المسيح عليه السلام، إلى سنة ١٣٥م، والتي طرد فيها اليهود من بيت المقدس.

**المرحلة الثانية:** (من سنة ١٣٥م ـ ٣٢٥م)، وتمتد من طرد اليهود من بيت المقدس، حتى انعقاد مجمع نيقية ٣٢٥ م.

**المرحلة الثالثة:** (من سنة ٣٢٥م، مروراً ببداية القرن السابع، حيث ظهر الإسلام، إلى سنة ٨٧٩م حيث المجمع المسكوني الثامن).

**المرحلة الرابعة:** (من سنة ٨٧٩ م إلىٰ سنة ١٩٦٥ حيث المجمع المسكوني الفاتيكاني).

## أولاً: المرحلة الأولى: (من رفع المسيح عليه السلام إلى تدمير القدس سنة ١٣٥ م).

ويمكن أن نسميها العهد التأسيسي، ويمكن أيضاً تقسيمها إلى فترتين، من سنة ٣٠م إلى ٧٠م من رفع المسيح عليه السلام إلى تدمير الهيكل سنة ٧٠م، والثانية من سنة ٧٠م إلى ١٣٥م، على نحو ما ذكرنا آنفاً.

والملاحظ ندرة المعلومات الثابتة في الوثائق عن هذه الفترة، سوى ما ورد في أعمال الرسل ورسائل بولس، وهما أقدم المصادر المكتوبة، ثم الأناجيل الثلاثة الأولى. وقد اعتمد الباحثون الغربيون وغيرهم فيما ذكروه من معلومات عن هذه الفترة على هذه المصادر وغيرها مما أتيح لهم من وثائق أخرى،

ومصادر اكتشفت حديثاً، ومن هنا فقد رجعنا إلى ما كتبه هؤلاء الباحثون في تاريخ هذه الفترة الأولى.

## ١ ـ الجماعة الأولى بعد عيسى عليه السلام:

### أ ـ حواريو عيسى عليه السلام

**الحواري في اللغة:** هو الذي أخلص واختير ونقي من كل عيب ويطلق على الصاحب والناصر[١].

ومرادنا هنا بالحواريين هم أصحاب عيسى عليه السلام، وهم أخص تلاميذه، والذين أثنى الله عز وجل عليهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ [الصف: ١٤].

فمن هنا يجب على المسلم الدارس لتلك الطائفة أن يكون على حذر ولا ينساق وراء كلام النصارى ودارسيهم عنهم؛ لأنهم إنما يتكلمون عنهم من خلال عقيدتهم فيهم مع قلة المعلومات المتوفرة لديهم عنهم، وكلها مما لا يصح الاعتماد عليه لما سيتبين في الفصل الخاص بالحديث عن فقدان النصوص.

ومما يؤيد أن الحواريين كانوا على هدي عيسى عليه السلام وشريعته الصحيحة[٢] ما روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنهم تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون..» الحديث[٣].

فهذا الحديث يؤكد لنا معنى مهماً يتعلق بالحواريين، وهو أنهم كانوا على عقيدة عيسى عليه السلام ومنهجه وطريقته والتزموا ذلك بعد رفعه عليه السلام.

---

(١) المعجم الوسيط ١/٢٠٥.

(٢) يؤكد دارسو النصرانية أنه لمعرفة حياة المسيح معرفة دقيقة لا بد من معرفة ودراسة الحواريين مع أننا لا نعرف عن الحواريين إلا القليل، ولا نعرف شيئاً عن مراحلهم الأولى فالمعلومات نادرة. انظر: Orthodoxy and heresy in earliest christianity، ص٢٣٩.

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ١٠/٧٠.

كما أن الواجب عقلاً أن يثبت لهم ذلك، لأنهم لم يتغير عليهم شيء يمكن بسببه أن يتغيروا عما كانوا عليه مع نبيهم عيسى عليه السلام لأنهم من بني إسرائيل، وما يدعيه النصارى من أن صلب اليهود للمسيح ـ حسب كلامهم ـ قد قلب موازينهم وغير من نظرتهم قول غير صحيح، لأنهم سواء قتل المسيح عليه السلام أو رفع كما هو الحق في شأنه فكلا الأمرين ليس على تلك الدرجة من الغرابة بالنسبة للحواريين؛ لأن قتل الأنبياء من قبل اليهود سجية لهم وقد قتلوا قبيل رفع المسيح عليه السلام يحيى بن زكريا عليه السلام.

وكذلك رفع المسيح عليه السلام ليس مستغرباً عليهم إذا أثبتنا ما يدعيه اليهود من أن إيليا رفع إلى السماء حياً[١].

فبالتالي ليس هناك أي مبرر للتغير والانحراف عن منهج المسيح عليه السلام، خاصة وأنهم كانوا يعتقدون حلول بلاء قريب بهم وهو ما وقع من تدمير بيت المقدس سنة ٧٠م على يد القائد الروماني تيطس.

لذلك كله نقول إن الحواريين بعد عيسى عليه السلام قد التزموا دعوته وتمسكوا بتعاليمه المبنية على شريعة موسى عليه السلام.

### ب ـ تلاميذ المسيح في كلام النصارى

حسب ما أورد النصارى من معلومات فإن مجموعة التلاميذ الذين أرسلهم المسيح عليه السلام للدعوة في الأمصار ـ من المرجح أنهم لم يتجمعوا في القدس إلا بصفة تدريجية، وحاولوا أن يلتصقوا بالحواريين بعد صلب المسيح وصعوده ـ حسب زعمهم ـ.

ويظهر من سفر «أعمال الرسل» أن هذه الجماعة قامت في القدس[٢] بدعوة الوفود القادمة إليها للزيارة، وقد لاقت هذه الجماعة استحساناً كبيراً من جماهير اليهود الوافدين عليهم باستثناء أعدائهم الفريسيين والصدوقيين.

---

(١) يقول اليهود في الملوك الثاني، ٢/١١ (وفيما هما يسيران ـ إيليا واليشع ـ ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء وكان اليشع يرى وهو يصرخ يا أبي يا أبي مركبة إسرائيل وفرسانها ولم يره بعده).

(٢) الفكر الإسلامي، ص٤١، A study of early christianity، ص٢٧٩.

وتكونت منهم مجموعة نطقت بالأرامية والعبرية، ومنهم من تكلم اليونانية إثر دعوتهم لجاليات المهجر[١].

وحسب دعوى النصارى فإن المسيح ﷺ قد أوكل أمر قيادة هذه الجماعة إلى يعقوب العدل[٢]، وبطرس[٣]، ويوحنا[٤].

وقد اختير يعقوب إماماً، ولذلك تسميه المصادر النصرانية أسقف الكنيسة الأول[٥].

وكان إمام بني إسرائيل في عصره، سمي بالعدل لعدالته، وبقيت إمامته ثلاثين سنة، وكاد أن يتنصر جميع بني إسرائيل على يديه لولا مقتله خلال هذه الفترة.

وطبقاً لما تم اكتشافه في آثار نجع حمادى في مصر، فإن يعقوب كان الشخصية البارزة في الجماعة النصرانية الأولى الذين كانوا من أصل يهودي، وبذلك تبوأت عائلة المسيح المكانة المرموقة في ذلك المجتمع لقرابة يعقوب العدل وغيره ممن تولى الوعظ الرسولي ـ في تلك الفترة ـ من المسيح ﷺ من جهة أمه.

---

(١) A study of early christianity، ص٦٣.

(٢) يعقوب أحد رسل المسيح الاثني عشر، تذكر المصادر النصرانية أنه يربطه بالمسيح صلة قرابة من ناحية مريم ﷺ، وهذه القرابة سمحت بتسميته بالآرامية أخا للمسيح، وكان أول أسقف لأورشليم. معجم الحضارات، ص٩١٦، وقد ورد في أكثر من موضع في العهد الجديد أن لعيسى أخاً هو يعقوب هذا، وديوس وغيرهم. انظر متى ١٢/٤٦ ـ ٤٨ و١٣/٥٥ ـ ٥٦ ومرقس، ٣/٣١ ـ ٣٣ و٦/٣، ولوقا، ٨/١٩ ـ ٢٠ ويوحنا، ٧/٣ ـ ٥ وأعمال الرسل، ١٢/١٧ و١٥/١٣ و٢١/١٨، وغلاطية، ٢/٩ ـ ١٢ وهذا أقلق المفسرين النصارى، لأنه يتنافى مع عذرية مريم، فاقترحوا العديد من الحلول التي لا تخلو من التعسف، راجع: فصل يعقوب، قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٦٧.

(٣) سماه المسيح «كيفا» ومعناها بالآرامية الصخرة، وترجمتها اللاتينية بيتروس، وعرب فأصبح بطرس، عاصر المسيح ﷺ، واختير رئيساً للكنيسة في عهد من عهودها الأولى. معجم الحضارات، ص٢٢٩، ٤٩٠، ٤٩١.

(٤) أحد رسل المسيح أبوه زبدي، وهو أخو يعقوب، أصله من الجليل كان صياد سمك، من أوائل الذين تبعوا المسيح. معجم الحضارات، ص٩٣٢.

(٥) راجع: تاريخ يوسيبيوس الطبعة الإنجليزية ص٧٢، The crucible of christianity ص٢٦٧، تاريخ الكنيسة، يوسيبيوس، ص٦٤ ـ ٦٦.

وقد قرر الباحثون في تراث النصرانية أهمية هذه العائلة، حيث اعتبروا أن الوعظ والدعوة الذي كانت تقوم به هذه العائلة هو المصدر الوحيد للأناجيل، وذلك في نفس الوقت الذي يقررون فيه أن كتاب الأناجيل هم المصدر الثاني لتعاليمهم[1].

وقد حاولت هذه الجماعة برئاسة يعقوب العدل المحافظة على تعاليم المسيح عليه السلام، والمعلومات التي تتعلق بحياته، لكنها لم تسجلها ولم تدونها[2].

وقد دلت بعض نصوص الأناجيل على أن المسيح عليه السلام أمر هذه الجماعة الأولى بالإقامة في بيت المقدس، وحصر الدعوى في بني إسرائيل، ولذلك كانت دعوة الجماعة النصرانية الأولى مركزة على الهيكل، وعلى يهود بيت المقدس، والوافدين على الهيكل من الخارج[3].

وكان بيت المقدس عاصمة بني إسرائيل آنذاك، وكان يهود العالم المقيمين في الآفاق يقصدونه للعبادة، فاتصلت دعوة المسيح عليه السلام بهم.

ثم عندما انتشرت دعوته عليه السلام بين الأمصار كان وجود الجماعة الأم في بيت المقدس حجة على سيادتها الدينية في العقيدة[4] ـ عقيدة التوحيد ـ كما سنبين، بل مارست نوعاً من السيطرة على الجماعات اليهودية الأولى.

والظاهر أن اهتمام يعقوب كان منصباً على دعوة اليهود، أما دعوة غير اليهود فكان أمراً ثانوياً من وجهة نظره وأنه لم يكن من ضمن رسالة المسيح عليه السلام[5].

## ٢ ـ بداية اضطهاد اليهود للجماعة النصرانية الأولى:

من المهم القول أنه مرت فترة من الزمن قبل أن يبدأ الاضطهاد كحملات منظمة لمحاربة النصرانية، وذلك أن عدد النصارى في هذه الفترة لم يكن بتلك الكثرة التي يخشى منها، فالسلطات الرومانية لم تنظر إلى الجماعة الأولى وأتباعها

---

(١) The crucible of christianity، ص٢٧٦.

(٢) A study of early christianity، ص٦٣.

(٣) راجع: متى، ١٥/٢١ ـ ٢٤، ١٠/٥ ـ ٦.

(٤) راجع: التفكير الديني، ص٤٣٤، A study of early christianity، ص٦٣.

(٥) راجع: أعمال الرسل، ١٥/١٩ ـ ٢١.

على أنها طائفة منفصلة عن اليهود، وكذلك السلطات اليهودية نفسها لأنها اعتادت على تعدد الطوائف اليهودية.

وظل رؤساء اليهود فترة من الزمن لا يعارضون قيام هذه الشيعة لصغرها، فلما تضاعف عددهم في بضع سنين قلائل، حتى زاد من ١٢٠ إلى ٥٠٠٠ شخص، كما يذكر سفر الأعمال[١]، استولى الرعب على قلوب الكهنة، ومن ثم قبض على بطرس، وغيره من الرسل[٢]، وجيء بهم أمام محكمة السنهدرين لمحاكمتهم، فحكموا بجلدهم ثم أطلق سراحهم.

وبعد ذلك بزمن قليل استدعي أحد الذين عينوا للإشراف على جماعة المهتدين الجدد في دعوة المسيح عليه السلام واسمه «استفانوس» للمثول أمام السنهدرين، وكان متهماً بأنه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله وحكم عليه بالقتل (٣٥ ـ ٣٦م) وعزم الفريسيون على استئصال الجماعة الأولى بالقوة.

واضطر جميع أتباع المسيح عليه السلام ـ باستثناء رؤساء الحواريين ـ إلى الهروب من بيت المقدس إلى المناطق المجاورة[٣].

والملاحظ أنه خلال هذه الفترة كان الاضطهاد يتم نتيجة اجتهاد السلطات المحلية أكثر من كونه سياسة عامة للدولة[٤]، لأن قادة اليهود ظنوا أنهم انتصروا على التلاميذ، ولكن تبين لهم أنهم لا زالوا يصرون على الدعوة لدينهم فعادوا لاضطهادهم اضطهاداً شديداً بعد موت استفانوس[٥].

وقد نقلت كتب النصارى أن كهنة اليهود هم الذين حملوا راية التصدي لدعوة المسيح، ويروي لنا كتاب «الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة» بعض ما فعله الكهنة في ذلك فيقول: «أما رؤساء الكهنة فأينما سمعوا بوجود المؤمنين

---

(١) راجع: أعمال الرسل، ٤/٤.

(٢) أعمال: ١/٤ ـ ١٨، ١٢/٥ ـ ١٨، ٨: ١ ـ ٣، ١/٩ ـ ٩، ١/١٢ ـ ٤ وانظر رسالة بولس إلى رومية ١٨/١ ـ ٣٢، ٣/ ١٢ ـ ١٦.

(٣) راجع: قصة الحضارة، ١١/ ٢٤٣، تاريخ يوسيبيوس، الطبعة الإنجليزية، ص٧٣، ومختصر تاريخ الكنيسة، ١/ ٤١ وأعمال، ٨/ ١، The crucible of christianity، ٢٧٦.

(٤) الفكر الإسلامي، ص٥٥.

(٥) راجع: أعمال الرسل، ص٨، ومختصر تاريخ الكنيسة، ١/ ٤٥.

اقتفوا آثارهم ليضطهدوهم فأرسلوا إلى دمشق شاباً اسمه شاول[١] اشتهر بكرهه للنصارى، وبيده رسائل إلى اليهود يأمرونهم أن يسوموا المؤمنين الأذى وينكلوا بهم»[٢].

## ٣ ـ تزايد حملات الاضطهاد وفرار المضطهدين وظهورهم كطائفة مستقلة:

بدأ الاضطهاد يأتي من السلطة الحاكمة في البلاد. ففي عهد أغريباس الأول ـ حفيد هيرودوس الكبير ـ والذي حكم اليهود من (٤١ ـ ٤٤م) واشتهر بتكهنه أثناء إقامته في روما، فلما صار والياً على بلاد فلسطين أراد أن يتودد إلى رجال الدين من اليهود ويسترضيهم فأثار اضطهاداً على النصارى، وقبض على قوم منهم، من بينهم يعقوب[٣] الزبدي وقتله بحد السيف سنة ٤٤ب.م.[٤].

وتزعم أغريباس[٥] حملة القضاء على النصرانية، وملاحقة أتباع المسيح ﷺ، مهما كانت صفتهم، وأينما كانوا يوجدون كانت الاضطهادات والسجون وإلقاء التهم الكاذبة عليهم بهدف إيجاد المبرر للقضاء عليهم[٦].

وإزاء تصاعد حملات الاضطهاد انتشرت الدعوة في المدن اليهودية والسامرة وغيرها على أيدي النصارى المضطهدين أنفسهم[٧]. وكذلك انتشرت في فينيقية وقبرص وأنطاكية[٨].

---

(١) انظر ص١٣١.

(٢) راجع: نصرانية عيسى، ص١٣٩، ١٤٠، وانظر اضطهاد بولس أعمال الرسل، ٨/٣، أرض الإسراء، ع١١٥ رجب ١٤٠٨. ١٩٨٨ مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي.

(٣) يعقوب الأكبر أحد رسل المسيح الاثني عشر بن زبدي وأخو يوحنا الإنجيلي لحق بالمسيح ﷺ، وشهد أهم المعجزات التي قام بها. معجم الحضارات، ص٩١٦.

(٤) راجع: أعمال الرسل، ١/١٢ ـ ٢.

(٥) يذكر صاحب كتاب الماسونية أن هيرودوس قرر هو واليهود إقامة جمعية عرفت باسم القوى الخفية لمواجهة المسيحية والقضاء عليها في الرابع والعشرين من شهر حزيران سنة ٤٣ ب.م وكان يتزعم هذه الجماعة زعيمان يهوديان: جيروم أبيود وموآب لاوي، وفي أول اجتماع بهم خاطبهم هيرودوس قائلاً: «إن الغاية من جمعيتنا هي إرجاع العالم إلى اليهودية وسحق تعاليم يسوع...» الماسونية، ص٥٤، ٦١ بتصرف.

(٦) راجع أعمال الرسل ٤:١، ٥، ١٧.

(٧) راجع أعمال الرسل، ٨/٤.

(٨) أكثر المفسرين على أنها المدينة التي بعث إليها المرسلون المذكورون في سورة يس.

وتذكر مصادر النصارى أن أول من قصد تبليغ دعوة المسيح إلى غير اليهود هو فيلبس، حيث قصد مدينة السامرة وأخذ يبشر أهلها بالمسيح وأصغت الجموع إلى كلامه، وأن بطرس ويوحنا تابعوا دعوة فيلبس في المدينة السامرية ولاقوا قبولاً[١].

وأنطاكية كانت أول مدينة تنصرت، وهناك دعي التلاميذ بالمسيحيين لأول مرة سنة ٤٤ ب.م، حيث برزت المجموعة المسيحية بمظهر الفرقة المسيحية كطائفة مستقلة[٢].

## ٤ ـ بدء الصراع بين بولس وأنصاره والجماعة الأولى وانفصاله عنهم:

لبولس هذا شأن كبير في النصرانية وتحريفها وما اصطبغت به في القرون التالية، وسأعرف به تعريفاً موجزاً تاركة التفصيل في حقيقته وحجم الدور الذي قام به في أول فصل من فصول هذه الرسالة، حيث كان العامل الأول في خروج النصرانية وانحرافها عن أصولها الأولى.

مرّ معنا قبل قليل[٣] أنّه كان ممن مارسوا الاضطهاد الشديد للنصارى، وينسب بولس إلى أسرة يهودية تمتعت بحقوق المواطنة الرومانية، وكانت اليونانية لغته الأصلية، وكان قبل تنصره يهودياً فخوراً بيهوديته، وعدواً لدوداً لدعوة المسيح، كما أشرنا، ومضطهداً رئيسياً للنصارى.

وفي إحدى مهماته ضد النصارى حدث له ما غيّر مجرى حياته ـ حسب زعمهم ـ حيث تحول بعدها من مضطهد للنصارى إلى مؤسس لهذه الدعوى إنْ صحّ التعبير.

وكان السبب المباشر لهذه الواقعة والتي انتهت بإيمانه بالمسيح ـ كما يقول هو ـ رؤية رأى فيها المسيح عليه السلام يلومه على اضطهاده أتباعه، فوجد فيها برهاناً على خطئه في حق عيسى الناصري، وجعلت منه رسول الأمم حسب زعمهم[٤].

---

(١) راجع: أعمال الرسل: ١١/٢٦.

(٢) راجع: الفكر الإسلامي، ص٤٨، سيرة رسول الجهاد، ص٤١، أديان العالم، ص٣٩.

(٣) راجع: ص٧٩ من هذا البحث.

(٤) راجع: ص١٤٢ من هذا البحث.

وقد اعتبر بولس دعوة برنابا لصحبته، في مهمته في أنطاكية ـ كما ذكرنا آنفاً ـ آية من الله، وعقد مجمع من أجل حل هذا الإشكال ـ وهو وجود الوثنيين الذين آمنوا بالمسيح مع المتنصرين من أصل يهودي ـ. ولما كان الاختتان الذي يمارسه اليهود ويمتنع عنه الوثنيون سبباً في وقوع الخلاف بينهم، فقد قرر هذا المجمع إعفاء الأمميين ـ غير اليهود ـ من الختان، وتلا هذا الإعفاء التحلل من أمور عديدة سنعرض لها في الفصل الأول[1] وكان هذا المجمع وما نتج عنه بداية امتلاء الكنيسة المسيحية باليونان والرومان وغيرهم[2].

ولم يحظ هذا الرأي الذي تزعمه بولس بالتأييد من الجميع، لا سيما النصارى اليهود في القدس، وقام صراع كبير بين بولس وأنصاره وبين النصارى اليهود، وطال هذا الصراع وامتد قروناً بعد بولس. ولعل هذا يؤكد أن الجماعة الأولى لم توافق على إلغاء الختان بشكل مباشر، وهو ما نراه في رسائله التي كان يوضح فيها أسباب الشقاق بينه وبين النصارى اليهود ـ أو الكنيسة المقدسية[3].

---

(١) راجع: ص١٦٣، وما بعدها، و١٩٠ وما بعدها.

(٢) A study of early christianity، ص٦٣.

(٣) يفهم من سفر الأعمال أن الجماعة الأولى برئاسة يعقوب وافقت على إعفاء الوثنيين من مسألة الختان ولكن هناك أمور عدة تحكم هذه المسألة.

**أولاً**: ما نقلنا عن أعمال الرسل في فضل الجماعة الأولى.

**ثانياً**: يزعم مؤلف سفر الأعمال أن اجتماعاً تم في القدس اشترك فيه بولس وبرنابا وبقية التلاميذ، والذي طلب فيه بولس إعفاء الوثنيين من الختان، ويزعم المؤلف أن التلاميذ وافقوا على هذا الطلب، (راجع أعمال الرسل، ١٥/١ ـ ٢٠). وهذا الاجتماع المزعوم لا نجد له أثراً في رسائل بولس مما دفع كثيراً من الباحثين إلى وضع الافتراضات والنظريات حول نسيان بولس لهذه الزيارة، أو أن معلومات سفر الأعمال خاطئة، (راجع بولس وتأثيره ص١١٧). وراجع رسالة بولس إلى أهل غلاطية، (٢/٨ ـ ١٠)، حيث ورد فيها محافظة الجماعة الأولى على الختان والخلاف بينهم، وبين بولس، (راجع: نفس الرسالة، ١١ ـ ١٢)، وهو كذلك ينقض ما ذكره الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي من أن يعقوب العدل كان من كبار المؤيدين للأفكار البولسية. (راجع: قوله في كتابه اليهودية والمسيحية هامش ص٢٧٥).

**ثالثاً**: يذكر الكتاب الغربيون الذين وقفوا على الدراسات التي أجريت عن لفائف البحر الميت والبرديات في نجع حمادي مصر ما يخالف القول بموافقة الجماعة الأولى على ما ذهب إليه بولس، فبولس زار أورشليم بعد ثلاث سنوات من تحوله ورئيسها يعقوب =

واستمر هو في دعوته واستطاع أن يؤسس مجموعة من الكنائس في المناطق التي زارها في مقابل المجموعات أو الكنائس التابعة للكنيسة الأم في القدس، في المناطق المحيطة ببحر إيجا، وبعض مدن الشام[1]، وقد انفصلت هذه الكنائس شيئاً فشيئاً عن الكنيسة الأم!.

ونشوء هذه الكنائس كان يعني انفصال بولس وأنصاره عن الكنيسة الأم

---

= وبطرس، وما زارهم إلا بعد أربع عشرة سنة واعترف ببطرس حواري اليهود وبولس حواري الوثنيين (انظر A study of early christianity، ص٢٧٩). وقد أشار الكاتب إلى أن بولس شعر بضرورة أن يعرض إنجيله ـ وكأنه كتب إنجيلاً في تلك الفترة ـ على الكنيسة في أورشليم، ولكن بطرس ويعقوب لم يعتبروا أو لم يقروا مسألة الختان والحكم فيها، وهو يؤكد أن النصارى الأصليين كانوا يهوداً، واعتقاداتهم وممارساتهم الدينية منسجمة مع اليهودية (انظر المرجع نفسه، ص٢٨٤). بل إن بعض الباحثين يذكر أن تلاميذ القدس ظلوا يشعرون بالتشكك نحو بولس، وأن يعقوب وبطرس نفياه إلى أبعد مكان ممكن عبر قيصرية إلى موطنه طرسوس وظل فيها من سنة ٤٢ ـ ٤٤، ولم ينس بولس ذلك وكان احتقاره لهذين الرجلين والذين شككوا في سلطته الدينية، ومن ثم بدأ عمله دون الرجوع إلى القدس (The rise of christianity، ص٩٥ ـ ١٠١). وهو ما يؤكده جيجي ميتلي في دراسته التي كتبها بعنوان «كتبنا المقدسة» وأن الحواريين في مجمع أورشليم لم ينسخوا الختان نسخاً تاماً. (راجع: ما هي النصرانية، ص١٥٠)، ويشير بعض الكتاب الغربيين إلى أن وصية الامتناع عن المخنوق كانت مؤقتة لتيسير تأليف الكنيسة من أمم ويهود. (انظر: تاريخ سورية، المطران يوسف الدبس، ٣/ ٣٥٠).

**رابعاً**: ذكر صاحب رسالة بولس وتأثيره في المسيحية وقوفه على رسالة كتبت من بطرس إلى يعقوب يصف بولس فيها بأنه رسول الشيطان وقد عثر على مقتطفات من هذه الرسالة في كتاب The writing of st paul - meeks وهي تلقي الضوء على جانب هام في علاقة بولس بالتلاميذ وخصوصاً بطرس. (راجع: بولس وتأثيره في المسيحية ص٩١، ٩٢) ونقل بعض الكتاب أن بطرس اتهم بولس بقتل يعقوب وهو ما يؤكد عدم الموافقة بين بولس ويعقوب (راجع A study of early christianity ص٣١٤ ـ ٣١٦، Orthodoxy and heresy in earliest christianity، ص٢٠٣ ـ ٢١٣ ويؤكد هذا أيضاً حبيب سعيد حيث يقول: كان الحواريون أول من اعترضوا على مبادئ بولس ودعوته، لذا تركه مرقس في رحلته الأولى، وتركه برنابا، ثم عارضه يعقوب، ولذا عقد المؤتمر الأول في القدس برئاسة يعقوب. (انظر: سيرة رسول الجهاد، حبيب سعيد، ص٦٧).

(١) يرى يوسيبيوس أن بطرس وبولس أسسا كنيسة روما، ويذكر الناشر للترجمة الإنجليزية أنه لا يمكن أن يكون بولس وبطرس أسسا هذه الكنيسة لأن رسالة بولس إلى روما تبين أنه كان هناك جماعة من المؤمنين فيها قبل زيارته لها وبطرس لم يصل إليها إلا بعد بولس بمدة طويلة. تاريخ الكنيسة، يوسيبيوس، ١٠٨، ١٠٩.

ونشوء فرقة جديدة وديانة مغايرة لديانة النصارى، الذين هم من أصل يهودي فكانت هذه الكنائس عاملاً من عوامل اتساع هوة الخلاف والافتراق[1].

ومن المهم الإشارة إلى أن شرق فلسطين لم تمسه أصلاً بعثات بولس الدعوية، وهكذا بدأ افتراق، ليشكل بولس وأتباعه ديانة مستقلة جديدة لها طابعها العقدي، وظهرت نصرانيته كدين مستقل في الغرب.

### ٥ ـ سرعة انتشار النصرانية وبداية المواجهة مع السلطات الرومانية[2]:

حمل دعاة النصرانية ـ وعلى رأسهم بولس ـ الدعوة إلى أرجاء الإمبراطورية الرومانية فكوّنوا في أماكن متفرقة من البلاد جماعات نصرانية قليلة العدد في أول أمرها، وانتقل هذا الدين الجديد من أورشليم إلى حواضر الامبراطورية فبلغ رومية والإسكندرية حوالي منتصف القرن الأول، وبين هاتين المدينتين انتشرت الكنائس في اليونان ومقدونية وآسيا الصغرى وسوريا، ولم تكن تجمع هذه الكنائس وحدة دينية واحدة، وإنما كانت أشبه ما يكون بالمنتديات أو الهيئات الدينية التي حفلت بها الامبراطورية الرومانية يومئذ.

وأخذت النصرانية تنتشر بما تنادي به من العقائد والتعاليم التي جاء بها المسيح ﷺ، إضافة إلى ما قرره بولس من هذه العقائد والتعاليم.

وحدد بعض الكتاب الفترة البولسية من ٣٦ إلى ٦٠م وجغرافيتها تمتد من آسيا الصغرى إلى روما[3].

وبدا الصراع والصدام بين تعاليم النصرانية وعقائدها من جهة، والنظم والقواعد التي قامت عليها الدولة الرومانية من جهة أخرى. ويبدو أن الأمر، اختلط على الرومان في أول الأمر، فظنوا أن النصرانية ليست إلا فرقة من الديانة

---

(١) راجع: المسيحية جينيبير، ١١٢ الفكر الإسلامي، ٥٤، Orthodoxy and heresy in earliest christianity، ص٢٣٣.

(٢) راجع: هذه الجزئية في أوربا العصور الوسطى التاريخ السياسي، سعيد عبد الفتاح عاشور، ص٢٦ ـ ٢٨، The crucible of christianity، ص٣٤٦ ـ ٣٤٩، تاريخ المسيحية ١/٥٣، المسيحية جينيبير ٢١٠، وما بعدها، مختصر تاريخ الكنيسة ١/ ١٧٤، ١٧٨، التاريخ اليهودي، ص٣٨٠، ٣٨١، دعوة التوحيد، ص٣٠١ ـ ٣١٢، الدولة والكنيسة ١/ ٢٨، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ١/ ٣٣٧، ٣٣٨.

(٣) A study of early christianity، ص٢٨٦، قصة الحضارة ١/ ٣٧١.

اليهودية، ولكن بدأ يتضح لهم فيما بعد الفرق بين الديانتين.

وقد اختلفت نظرة المجتمع الروماني إلى النصرانية باختلاف الطبقات التي كان يضمها هذا المجتمع، بالإضافة إلى موقف السلطات الحكومية ذاتها، فالطبقة المترفة نظرت إلى النصرانية على اعتبار أنها تهدد كيانها بما تحمله من تعاليم تدعو إلى المساواة والأخذ بيد الفقراء، وهي مظاهر لم يألفها الرومان في تلك الأعصر، أما الطبقة العليا خاصة الذين وضعوا في مناصب تتطلب منهم الحفاظ على أمن الدولة وسلامتها، والذين يرتبطون بالأسلاف والذين كانوا يرون أن دياناتهم الوثنية جزء من كيان الحكومة ونظامها، فكان من الصعب عليهم هجران دياناتهم وعقائدهم، لا سيما في تلك الفترة التي بدأت فيها النصرانية بالانتشار وكان ينظر إلى المسيح عليه السلام على أنه في أسمى وأعظم مقام ـ كما سنبين ـ في مقابل الولاء للقيصر عند الرومان.

إضافة إلى أن فكرة قيام الكنيسة منفصلة عن الدولة كان أمراً غريباً عن العقلية الرومانية والفكر الروماني عموماً، ونظر الرومان إلى الكنيسة داخل الامبراطورية وكأنها حكومة يجب القضاء عليها قبل أن تصبح قوة عسكرية.

وقد قامت الامبراطورية الرومانية على مبدأ الاعتراف بعبادة الامبراطور القائم وهو مبدأ طبق على جميع الرعايا ولم يعف منه سوى اليهود، وقد ذكرنا أن الرومان كانوا ينظرون إلى النصارى في أول الأمر على أنهم فرقة من فرق اليهود، ولكن تبين لهم بعد أن النصرانية طائفة مغايرة لليهود. وأخذوا يجتمعون سراً لمباشرة طقوسهم الدينية الخاصة، كما أنهم رفضوا الخدمة في الجيش الروماني ـ أقول لما تبين للرومان كل ذلك بالنسبة للنصارى بدأوا يتهمونهم باتهامات عدة.

مع عدم إغفال التقلب الفجائي لليهود أحياناً، وحسدهم للنصارى أحياناً أخرى، مع ما يصاحبه من تحمس الحاخامات للاضطهاد بناء على الوشايات اليهودية[١]، فاتهم الوثنيون النصارى ببذر الشقاق في المجتمع الروماني، وجاء هذا الاتهام نتيجة تحريم زواج النصراني بغير النصرانية وزواج النصرانية بغير نصراني، والعمل على تشتيت الأسر وخراب البيوت.

ومما يؤكد هذا الاتهام أن حماس النصارى في هذه الآونة كان يدفع الواحد

---

(١) A history of the early church، ص١٨.

منهم طبقاً لتعاليمهم أن يهجر عائلته وأرضه في سبيل إيمانه، ويتهمونهم بالتعالي والتكبر على بقية أفراد المجتمع، لأنهم كانوا يضعون الصعوبات في وجه تناول الطعام خارج دورهم، حيث إن معظم اللحوم في الحوانيت مضحّى بها للأوثان.

وكان إظهار الشماتة من جانب النصارى إذا ما حل بالإمبراطورية مكروه، وما أذاعوه من تنبؤات صريحة من الكوارث والمحن التي تنتظر الإمبراطورية - كان كل ذلك يوحي إلى الوثنيين بانطباع معين عن خطر متوقع من وراء هذه الطائفة، وبهذا السلوك أدركت جموع الرومان أنهم إزاء جماعة منعزلة تأبى الاشتراك في الحياة العامة بل وتزدريها وترفض الانخراط فيها ولا تؤدي أي خدمة للمجتمع الذي تعيش فيه، ومن ثم كان سخط الجموع الوثنية ومعارضتها للدين الجديد أشد من سخط الأباطرة أنفسهم في بادئ الأمر[1].

ولم يكن ارتياب الأباطرة الرومان في النصرانية بأقل منه عند هذه الفئة أو تلك، بل أخذ يزداد بمرور الزمن حدة وصرامة، وكانت المشكلة الجوهرية التي أقلقت بال الأباطرة وزادت من حدة النزاع بينهم وبين النصارى هي رفض مشاركة هؤلاء بقية الرومان عبادة الإمبراطور وتأليهه كما أوضحت سلفاً، وتقديم القرابين لتمثاله وحرق البخور أمامه في المناسبات العامة[2].

أضف إلى ذلك أنه رسخ الاعتقاد في نفس الروماني أن مدينته وإمبراطوريته سيبقيان أبد الدهر. هذه كانت عقيدته الوطنية، ولكن النصراني آمن في قرارة نفسه بأن المدينة العظيمة ستدمر، وأن الإمبراطورية بل العالم كله سيزول، وآمن بأن الخلود في الآخرة، وقد كانت الدولة في نظر العالم الوثني القديم الخير الأسمى والمثل الأعلى، ففي خدمتها والولاء لها تمثلت كل الفضائل الأدبية، وكان واجب الرجل أن يعيش ويموت في سبيل هذا المبدأ، وقد استعار العالم الروماني عبادة الإمبراطور من بعض العبادات الشرقية القديمة، وجعلت الوثنية هذه العبادة أسمى مظاهر الإخلاص والولاء، ففي الإمبراطور الروماني تجسمت فكرة الدولة، ورأى النصارى أن هذه العبادة وثنية لا يمكن أن تأتلف مع دينهم الجديد[3]. وكان أول واجب على النصارى هو أن يحافظ على طهارة نفسه

---

(١) الدولة والكنيسة، رأفت عبد الحميد، ١/٨ وما بعدها بتصرف.

(٢) المصدر السابق نفسه ١/ ٣٠ وانظر قصة الحضارة ١١/ ٣٧٢.

(٣) في موكب التاريخ عشرون قرناً بقلم حبيب سعيد، ص٤ وما بعدها بتصرف.

وينأى بها عن أرجاس الوثنية[1].

وقد كان أسمى الأشياء في نظرهم لم يكن قيصر ولا الإمبراطورية الرومانية ولا الشعب الروماني، بل كان شيئاً آخر ليس من هذا العالم ـ حسب زعمهم ـ.

لهذه الأسباب كانت النصرانية خطراً على الدولة في العرف الوثني القديم، وذلك لأنها طعنت أسس الدولة القديمة التي زعمت أن لها الحق في تنظيم أحوال الفرد الداخلية والخارجية بما لها من قوة لا منازع لها فيها.

وهكذا نفهم السر في مقاومة الدولة الرومانية الوثنية من أباطرة وحكام وشعب وكهنة للنصرانية والنصارى. فلم تكن المسألة إذن مسألة رفض النصرانية السجود للآلهة والتقريب لها.. إلخ، لكن المسألة كانت أعمق من ذلك بكثير، فقد كان الرومان يعتقدون أن أمنهم ورفاهيتهم وحياتهم وكل شيء متعلق بآلهتهم، وأن هؤلاء النصارى إنما هم أعداء لآلهتهم، لذلك فحينما كانت تحل الكوارث والنكبات في الدولة سواء في الحروب والمعارك أو بسبب الكوارث الطبيعية كفيضانات الأنهار أو الزلازل والبراكين أو الأوبئة والمجاعات أو القحط والجدب بسبب قلة الأمطار ـ كانت ترتفع أصوات جميع الوثنيين على السواء، هذا بسبب أعداء الآلهة، وأن الآلهة غير راضية عن الدولة لتركها هؤلاء النصارى وشأنهم[2]. ولهذا عانى النصارى معاناة قاتلة من جراء رفضهم عبادة الأباطرة وآلهة روما[3].

وفضلاً عن ذلك فقد كان اليهود يقدمون قرباناً سنوياً في الهيكل من أجل الإمبراطور، وكان ذلك لغاية وهي المحافظة على سلامة وضعهم داخل الإمبراطورية، أما النصارى فقد كان الولاء وألوهية الإمبراطور عقيدة دينية لا تتفق مع العقيدة النصرانية ومن هنا نشأ سوء التفاهم بينهم وبين الرومان فلم يكن في إمكان أي فريق منهما أن يرضي وجهة نظر الآخر. وفضلاً عن ذلك فقد كان هناك نصارى يشعرون أن كل عمل يومي يسهم في رخاء الدولة إنما يسهم في بقاء الوثنية. وهكذا كان فريق يفكر من وجهة سياسية بينما كان الفريق الآخر

---

(١) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، إدوارد جيبون، ١/ ٣٣٧، ٣٣٨.

(٢) راجع: قصة الحضارة ١١/ ٣٧١، مختصر تاريخ الكنيسة، ١/ ١٧٤ ـ ١٧٨.

(٣) أوروبا في العصور الوسطى، ٢١. ٢٢.

يفكر من وجهة دينية[1].

وأخذت الحكومة الرومانية تغير نظرتها إلى النصارى وتعتبرهم فئة هدامة تهدد أوضاع الإمبراطورية وسلامتها، وبدأت تعتبر اعتناق النصرانية جرماً في حق الدولة، فمنعت اجتماع النصارى وأخذت تنظم حملات الاضطهاد ضدهم.

وقد كان الاضطهاد على فترات كما كان محلياً للغاية، وكان يحدث قبل كل شيء نتيجة لتهديد السّلام القائم بين الطرفين، بحيث تنظر المسألة في إطار الحكومة الإقليمية، وفي الغالب كان يجري الأمر لصالح الدولة ورفاهيتها، بحيث أصبحت الأسماء النصرانية رموزاً دالة على المشاركة في الأعمال الهدامة والممقوتة ومن ثم يعتبر ذلك دافعاً للاضطهاد.

أما أول اضطهاد عام للنصارى على مستوى الدولة فقد بدأ في عهد نيرون ٦٤م تقريباً، حيث أقدم على إشعال النار في روما، ثم اتهم النصارى بإحراقها وشن عليهم حملة شعواء في كل أنحاء المملكة الرومانية، متفنناً في تعذيبهم، مبتدعاً أبشع الوسائل في الفتك بهم. وفي عهده قتل بولس سنة ٦٨م كما حكم من قبل على بطرس بالصلب سنة ٦٥م[2]، لذلك اضطر النصارى إلى نقل الدعوة خارج المناطق اليهودية إلى الشعوب الوثنية المحيطة.

وتتابعت حملات الاضطهاد على دعاة النصارى فشملت مرقس (ت ٦٨) ولوقا (ت ٧٠) وطائفة كبيرة: يهوذا، ومتياس وتوما وغيرهم، حتى شمل الاضطهاد خمسة عشر أسقفاً تتابعوا على رئاسة بيت المقدس، تمسكوا بالختان كأداة للتطهر، وقد أسماهم يوسيبيوس لذلك أساقفة التطهير والختان.

وتتابعت موجات الاضطهاد مروراً بكل أسقفية انتشر في بلدها الدين النصراني[3]، ففي سنة ٦٦م ثار اليهود على رومه، وأيقن النصارى في القدس أن نهاية العالم قد دنت فلم يأبهوا بالشؤون السياسية، وخرجوا وأقاموا على الضفة

---

(١) راجع: دعوة التوحيد ٣٠٧، والمنار جـ٧ مج ١٦ ـ ٢٩ رجب ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م.

(٢) The crucible of christianity ٣٤٥ ـ ٣٥١، ١/ ٦٣، مختصر تاريخ الكنيسة، دعوة التوحيد ٣١٤، تاريخ المسيحية ١/ ٥٥، موجز تاريخ الشرق/ ١٢٠، تاريخ أورسيوس، ص٤٢٦ ـ ٤٢٨.

(٣) راجع: تفاصيل اضطهادهم كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١١٢ ـ ١١٤، دعوة التوحيد ص١٧٩.

البعيدة من نهر الأردن انتظاراً لرجعة المسيح، وهو ما مهد لافتراق اليهودية عن النصرانية، فاتهم اليهود النصارى بالخيانة[1]، وتذكر بعض المصادر أن منطقة الأردن اتخذت فيها النصرانية من (بيلا) ملجأً لها قبل عام ٧٠م، وازدادت الهجرة إليها فيما بعد عام ١٤٠ م[2].

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الاضطهاد للنصرانية كان له مصدران كما وضحنا: اليهود والرومان؛ الرومان وإن لم يكن متواصلاً لكنه شكل سلسلة من الاضطهادات تتصاعد أحياناً وتخف أحياناً حتى اعترفت الإمبراطورية بالنصرانية فيما بعد كما سنبين[3]، أما بالنسبة لليهود فإنه عداء مستمر وقائم كلما سنحت له الفرصة حتى وإن لم يكن مباشراً فيساهم فيه بدور الوشاية عند السلطات ضد النصارى، واستمر حتى بعد الاعتراف الرسمي من قبل الدولة بالنصرانية، بل إن البعض ذهب إلى أن الاضطهادات التي تعرض لها النصارى على أيدي الرومان كانت بوشايات من اليهود[4].

ولا بد أن نضيف ملحوظة أخرى وهي أنّ جماهير النصارى الأوائل، لم يقاوموا اضطهاد الرومان بل استسلموا له وربما رحبوا به واعتبروا القتل على أيدي أعدائهم استشهاداً في سبيل الله فأطلقوا كلمة الشهيد على المقتول، وكان الرومان يستغربون مفهوم هؤلاء النصارى للاستشهاد جداً، بل إنهم لم يستشعروا ضرورة المحافظة على دينهم، وكان كثير من النصارى الأوليين لا يستجيزون التقية.

ومن الواضح أن موقف النصارى من الاضطهاد هذا ساعد الرومان على تنفيذ قراراتهم. وكيف يحفظ دين المسيح وأكثر حامليه المعروفين لديهم بالصلاح يلقون بأنفسهم إلى التهلكة!!.

## ٦ ـ تدمير الهيكل سنة ٧٠م على يد الرومان ونتائجه:

لقد حذر المسيح عليه السلام اليهود كثيراً من مخالفة أمره وتوعدهم بالوعيد

---

(١) قصة الحضارة، ١١/ ٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) انظر قصة الطرد في The crucible of christianity، ص٢٧٧.

(٣) انظر ص١٠١.

(٤) راجع: قصة الحضارة، ١١/ ٢٤٤، الماسونية، ص٢٦، ٢٧.

الشديد مما سينزل بهم من الكوارث، وأنه تعالى يدمر هيكلهم الثاني والأخير[1].

وقد تحقق هذا فأصاب بني إسرائيل ما حذروا منه، لأن أكثرهم كفروا بالمسيح ﷺ ونصبوا العداوة له ولأتباعه كما ذكرنا.

وقد تمتعت اليهودية بتسامح نسبي مع الإمبراطورية الرومانية بخلاف النصارى كما وضحنا، ثم ساءت العلاقة بينهم وبين الرومان، ففي سنة ٦٦م تم إعدام ما لا يقل عن ٣٠٠٠ يهودي من قبل الحاكم Jessus جيسيوس قلوروس، وأثيرت الأمة واتجهت نحو الثورة[2]، مما آثار الحقد الروماني فحاصروا القدس ودمروا الهيكل سنة ٧٠م[3] على يد القائد الروماني تيطس في عهد الإمبراطور لوسباسيانوس حيث قضى هذا القائد على اليهود في فلسطين وخاصة القدس قضاءً شبه تام[4].

ولا شك أن عملية القتل والإبادة هذه قد نالت أكبر عدد من النصارى في ذلك التاريخ لأنه لم يكن هناك فرق بين اليهودي والمتنصر أبان تلك الفترة، كما أن البلاء والقتل والإبادة كان شبه عام لجميع المناطق التي يوجد فيها اليهود في فلسطين خاصة والمناطق المجاورة لها[5].

## ٧ ـ الوضع السياسي بعد تدمير الهيكل (من ٧٠م إلى تدمير القدس سنة ١٣٥م):

إن الحديث عن هذه الفترة الثانية من المرحلة الأولى يلفه الغموض الشديد، وهي فترة من أكثر فترات التاريخ النصراني غموضاً وأشدها صعوبة وخطورة، حيث إنّها هي الفترة التي تلت عصر التلاميذ وفيها برزت الأناجيل الكثيرة التي ظهرت في وقت متقارب من تلك الفترة.

---

(١) انظر متى، ١٠/٣٤ ـ ٣٥، ٢٤/١ ـ ٢، مرقس، ١٣/٢، لوقا، ٢١/٦.

(٢) A history of the early church، ص١٣.

(٣) التاريخ اليهودي، ص٣٧٦ ـ ٣٩٧، تاريخ المسيحية ١/٥١، ٩٩، ٥٣، ٥٤، عقيدتنا التثليث والصلب، ص٢٢، دعوة التوحيد، ص٢٩٧، الفكر الإسلامي، ص٥٥.

(٤) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص٣٨٠ ـ ٣٨٣.

(٥) النصرانية والإسلام، الخلف، ص٥٥.

ثم إنها كذلك الفترة التي برز فيها الكثير من الأقوال المنحرفة عن المسيح وديانته، مع تضاربها وتباينها.

يقول حبيب سعيد متحدثاً عن هذه الفترة: «ومع أنه من اليسير جمع نتف من هنا وهناك عن هذه الفترة ـ نهاية عصر الحواريين ـ إلا أن الأربعين سنة من ٧٠ إلى ١١٠م تبقى أكثر فترات التاريخ غموضاً وإبهاماً؛ لأن هذه الفترة حفلت بكثير من معالم التغير في الكنيسة نفسها، وفيها برز كثير من دعاة المسيحية المجهولين بعد بولس، وظهر كثير من الأفكار التي حملها بلا شك المتنصرون الوثنيون من مصادر غير مسيحية وخاصة حول العقائد والممارسات المسيحية مثل الأسرار والأصوام وأشكال العبادة ودستور الكنيسة نفسه خضع لبعض التعديلات»[١].

وهي فترة تمثل حلقة مجهولة في تاريخ النصرانية، حتى أن نهاية جميع الحواريين وكذلك بولس تعتبر مجهولة[٢]، بسبب ذلك البلاء الطويل من قبل الرومان الذي حل باليهود متتابعاً ومتلاحقاً منذ رفع المسيح عليه السلام إلى تدمير تيطس لبيت المقدس سنة ٧٠م[٣].

وفي هذه الفترة بدأت كنيسة أنطاكية تمتلئ باليونان والرومان وغيرهم، فقد انفصلت بذلك عن اليهودية، وأصبح لها طابعها اليوناني الروماني[٤].

وإن كان هذا الانفصال لم يحدث دفعة واحدة،بل تم بصفة تدريجية وبدأ أكثر وضوحاً في مستهل القرن الثاني.

ومع بداية القرن الثاني كانت البولسية تمثل النصرانية المدعومة بغالبية في روما. ولما كان هؤلاء النصارى يعرفون اليهود ومدى تعصبهم لجنسهم ودينهم فإنهم أبغضوهم، حتى مع تدينهم بالنصرانية، وبذلك نشأت العداوة بين النصارى من أصل يهودي وبين النصارى من أصل وثني، وأدى ذلك إلى انفصال الدين

---

(١) تاريخ الكنيسة، ١/٤٧.
(٢) تاريخ المسيحية، ١/٣.
(٣) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص٣٨٧.
(٤) التفكير الديني، ص٤٤٠.

الجديد ـ النصرانية الجديدة ـ عن العهد القديم وشريعته اليهودية[1].

وأدى هذا مع ما كان من دعائم دعوة بولس إلى الفصل بين ديانة موسى وعيسى ﷺ، وبالتالي الفصل بين ما يسمى بالعهد القديم والعهد الجديد في التشريع.

وسوف نرى فيما بعد أن هذا الوضع ساعد على فقدان النصوص القديمة الخاصة بالنصرانية، ومن ثم إحلال العقائد والشرائع التي تلائم الوضع الجديد.

ويمثل الاضطهاد حدثاً مهماً في تاريخ النصرانية، حيث اعتبر الحد الفاصل بين اعتبارها طائفة من جملة الطوائف اليهودية، وبين اعتبارها طائفة مستقلة.

وفي هذه الفترة كان اضطهاد دومتيانوس (٩٠ أو ٩٥م)، وقد بلغ هذا الحاكم أن النصارى يرغبون في السيطرة على العالم بما يعتقدون من انتظار المخلص وحلول مملكة الرب، فأمعن في الاضطهاد وقتل الكثيرين، وممن نكل بهم يوحنا الإنجيلي[2].

وتتابعت موجات الاضطهاد في كل بلد انتشرت فيه النصرانية، «أفسس» وفيها قتل تيموثاوس سنة ٩٧م، حيث ضربه اليهود والرومان حتى مات، ثم أساقفة أزمير وأثينا وليون وقرطاجة والإسكندرية[3].

ثم اضطهاد تراجان سنة ١٠٦، وقيل من (٩٧ ـ ١١٧م). وقد أصدر أوامره إلى ولاته بأن يقضوا على النصرانية ويمنعوا اجتماعاتهم التي كانوا يعقدونها ليقيموا الصلاة ويحتفلوا بأعيادهم، فسامهم الولاة أبشع أنواع العذاب والتنكيل وقتلوا منهم ألوفاً مؤلفة، وقد استخدم هذا الإمبراطور ساحة الملعب الروماني في إعدام النصارى بإلقائهم إلى الوحوش تمزقهم، وممن ذهبوا ضحية هذه الوحشية

---

(١) راجـــــــع: Orthodoxy and heresy in earliest christianity، ص٢٣١ The crucible of christianity، ص٢٧٧.

(٢) تحفة الأريب، ص١١٢، مختصر تاريخ الكنيسة، ١/١٦٨، ١٦٩، تاريخ أوروسيوس ٤٣٥.

(٣) انظر تفاصيل الاضطهاد في كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١١٦ ـ ١١٨.

كردونوس البطريرك القبطي الرابع، وأغناطيوس أسقف أنطاكية وكثيرون[1]، وقتل في عهده سمعان خليفة يعقوب العدل[2].

ثم اضطهاد أدريانوس سنة ١٢٤م[3]. وأصبحت القدس في عهده كأنها مدينة إغريقية حيث سيطر الإغريق أو جماعات منهم عليها، وقد اشتد الاضطهاد في عهده على المتنصرين من اليهود.

وفي عهده تجمع مجموعة من اليهود وأمروا عليهم رجلاً يسمى بركوكبا وزعموا أنّه المسيح المنتظر فخرج بهم على الرومان، فما كان من الإمبراطور الروماني أدريان حوالي سنة ١٣٠م إلا أن أرسل إليهم حملة كبيرة وأمرها بتدمير جميع المحلات التي يمرون عليها واستمر في ذلك سنتين حتى دمر بلاد اليهود وقضى عليهم، وسوى الأرض مكان الهيكل وبنى محله معبداً لكبير آلهة الرومان المشتري معبود الرومان في ذلك الوقت، وحرم على اليهود الدخول إلى بيت المقدس إلا يوماً واحداً في السنة[4]، بعد دفع غرامة مالية كبيرة والوقوف على جدار بقي قائماً من سور المعبد وهو الجزء الغربي منه وهو الذي يسمى حائط المبكى[5].

واضطر الجميع إلى ترك القدس وتفرق النصارى واليهود بعد هذا الحادث في الأرجاء المحيطة بالبحر المتوسط على ما فيه من مدارس وفلسفات[6] مما سيكون له أكبر الأثر ـ فيما بعد ـ لتحريف النصرانية.

وبعد تدمير القدس وطرد بني إسرائيل سنة ١٣٥ فقد المتنصرون من اليهود مركزهم وإشرافهم على الجماعات الأخرى وأصبح من شبه المستحيل أن يحافظ الصالحون من النصارى على سلامة الدعوة فلا مركز بعد ذلك، بل ظهرت بعد

---

(١) ذكر رؤوف شلبي أن يعقوب العدل قتل في هذا العهد وهو يخالف ما ذكره غيره أنه قتل سنة ٦٢ راجع: كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٢٦.

(٢) راجع: تحفة الأريب، ص١١٢، الفكر الإسلامي، ص٧٥، تاريخ المسيحية ١/ ٦٠، دعوة التوحيد، ص٣١٥.

(٣) راجع: كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٢٦.

(٤) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص٣٨٧، ٣٨٨.

(٥) أبحاث في الفكر اليهودي، ص٣٦ ـ ٣٨.

(٦) History and thought of the early church، ص١٥٧، The rise of christianity، ص١٣٠، ١٣١.

ذلك مراكز عدة، كما سنعرف في المرحلة الثانية التي مرت بها النصرانية، لأن منع الرومان لدخول اليهود بيت المقدس كان منعاً شاملاً يشمل نصارى بني إسرائيل أيضاً، ولذلك لم تستطع كنيسة بيت المقدس ـ متنصري بني إسرائيل ـ أن تعود إلى القدس فانتهى أمرها، وصارت كنيسة بيت المقدس الجديدة مكونة من نصارى من غير بني إسرائيل أسقفهم الأول يقال له مرقس وهو غير مرقس صاحب الإنجيل لأن ذلك من بني إسرائيل.

وكان لتدمير الهيكل وطرد اليهود من بيت المقدس بعد أن ساءت العلاقة بينهم وبين الرومان أثر كبير جداً في فصل النصرانية عن أصولها الموسوية، حيث كان هذا الهيكل هو مركز الدعوة النصرانية الأول، ومن ثم فإن تدميره ساعد على استقلال المراكز الأخرى كالإسكندرية وأنطاكية وروما، وكانت الإسكندرية بالذات مركز المذاهب النصرانية الهللينية المائلة إلى الانفصال عن اليهودية أو القائلة به.

وانفصال النصرانية عن أصولها الأولى كما ذكرنا آنفاً أمر في غاية الخطورة ومن أكبر أسباب ضياع رسالة المسيح عليه السلام من المتأخرين.

وإن الناظر في تاريخ هذه الفترة يجد أنها أفرزت إفرازات خطيرة جداً في الديانة النصرانية حيث ظهرت المذاهب والأقوال العديدة.

وكان في هذا العصر ـ عصر التوحيد ـ بعد جماعة بيت المقدس بعض الجماعات التي مثلت كلمة التوحيد ودافعت عنها وهو ما سنتعرض له عند حديثنا عن الفرق[١].

## ٨ ـ العقائد النصرانية في المرحلة الأولى من وجهة نظر النصارى:

ذكرنا فيما سبق ما يتعلق بحواريي المسيح عليه السلام في المفهوم الإسلامي، والجماعة الأولى بعد عيسى عليه السلام، وانفصال بولس عنها وتأسيسه لكنائس عدة وما مرّ بهم من عهود واضطهاد حتى الطرد الثاني من القدس سنة ١٣٥م.

ولأهمية تلك الفترة فإننا سنذكر هنا ما يتعلق بتلاميذ المسيح من وجهة نظر النصارى.

---

(١) رسائل الرسل، ص١٦٠ ـ ١٦٧، المسيح، عبود، ص٨٣، وانظر ص٢٩٥.

يرى النصارى أن الجماعة الأولى ساهمت ـ وبشكل غير مباشر ـ في تطور بعض المعتقدات والطقوس التي ظهرت فيما بعد[١].

وعندهم أن التلاميذ لم يشهدوا حادثة الصّلب والقيامة ولكنهم صدّقوا ما أخبروا به عن هذه الحادثة الغير متوقعة، وهو ما ولّد لديهم رفضاً داخلياً لهذا الصّلب، حيث إنّه لا يتماشى مع ما دعا إليه عيسى عليه السلام من قرب حلول ملكوت الرب.

ويرى بعض الكتاب أن التلاميذ لم ينظروا إلى عيسى في حياته كمسيح، ولم يمارس دوره كمسيح في حياته، لكنه بعد صلبه وقيامه تعمق هذا المفهوم في نظر التلاميذ كمبرر لصلبه[٢].

وحاولوا أن يوجدوا هذا التبرير في تعظيم الإيمان القائم على الاعتقاد والثقة بمعلمهم، وهو ما أدى شيئاً فشيئاً إلى تكوين مفاهيم معينة ترتبط بالمسيح وتعاليمه، وقد تلازم هذا مع طول مدة انتظارهم لرجوع عيسى عليه السلام[٣].

وهم في كل هذا لم يخرجوا عن الطابع اليهودي، ولم يرفضوا الممارسات اليهودية وإن كانت لم تعد يهودية خالصة.

بل إن المجامع اليهودية ظلت لفترة أهم الأماكن التي يبثون فيها دعوتهم ـ وقبلوا الكثير من أعياد اليهود وإن كانوا قد غيروا أشكالها فيما بعد، وأخذوا عنهم أساليبهم في إدارة المجامع وتنصيب جماعة من الكبراء ـ قساوسة ـ لتولي شؤون الجماعات.

وقد داومت الجماعة الأولى على زيارة الهيكل، وكانوا يجتمعون في بيت أحدهم يجددون الآمال ويتناولون الطعام، وهو ما ولد تأثيراً خفياً نتج عن المشاركة في تناول الطعام حول المائدة، وتذكر شخص معلمهم وتقليد حركاته، وترديد الكلمات المباركة التي كان يرددها[٤].

---

(١) كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص٩٠، ٩١، Le christ, Geneber، ص٤ ـ ٦.

(٢) A study of early christianity، ص٢٧٩، A history of the early church، ١٢.

(٣) A study of early christianity، ص٢٧٩.

(٤) المسيحية، جينيبير، ص١١٩، الفكر الإسلامي ٤٨٠، Le christ, Geneber، ص٦ ـ ٨، العبادة المسيحية، الأشمندريت الياس، ص١٩.

وتغلب إيمانهم بشخصه عليه السلام على أي تعليم آخر، ولأن ذلك لم يكن معروفاً في الأوساط اليهودية فقوبل بالرفض، وسبب لهم بعض المقاومة ونظر إليهم على أنهم خارجون عن الجماعة اليهوديّة وبدأوا في اضطهادهم.

ومع تأخر رجوع المسيح، وتزايد اضطهاد اليهود لهم ادعى التلاميذ في هذا التراث الشفوي أموراً ونسبوها إلى عيسى عليه السلام وطوروها؛ منها أنه النفخة أو الناموس أو الروح والكلمة، ورفعوه فوق الأشياء، ونظموا هذه الأمور بصورة تبرر الصورة الجديدة التي نتجت عن تأخر اليوم.

ومما يذكره النصارى ندرة الكتابات في تلك الفترة، وإن كان لا يستبعد ـ عندهم ـ أن تكون هناك كتابات جدلية من أوائل النصارى ضد المخالفين لمحو التفسيرات التي تخالف رأيهم التي تكونت حول المسيح، لكنها فقدت لأن الكنيسة تخلصت منها في وقت مبكر كما أنه للأسف لا يمكن التعرف على محتوياتها إلا من خلال خصومهم.

وقد كان العهد القديم هو الكتاب المقدس الذي عرفه النصارى الأوائل الذي كان يوافق الترجمة اليونانية المستخدمة بصورة خاصة في الأحياء اليهودية.

ومما يقرره علماء النصارى أن المسيح لم يكتب شيئاً ولم تذكر الأناجيل أنه كتب سوى مرة واحدة «كان يكتب بإصبعه على الأرض»[١]، وكان يبلغ دعوته شفاهة[٢].

وقد أطلق هؤلاء المتنصرون من اليهود على أنفسهم مصطلح أكليسيا ecclesia وهي تعني الكنيسة ولكنها بالنسبة لهم في ذلك الوقت كان عبارة عن مسمى تجمعهم، ولم تكن تعني كنيسة بالمفهوم الذي عرفت فيما بعد[٣].

وظهرت في صفوف أوائل النصارى مراسيم يمكن أن يطلق عليها طقوس الأسرار من التعميد، وتناول القربان، وهو ما تكون في كنيسة أورشليم وأصبح سمة لها.

---

(١) يوحنا، ٨/٦.

(٢) لا يفهم من هذا أنه أمي لأنه لو كان كذلك لعد من خصائصه كما هو الأمر بالنسبة للنبي ﷺ.

(٣) A study of early christianity، ص٢٧٩.

وبدأت هذه الأفكار تنتشر شيئاً فشيئاً لا سيما في البيئة الهللينية ـ بيئة يهود المهجر ـ الذين نقلوا هذه المفاهيم عند عودتهم إلى ديارهم، وساهم بولس في هذه البيئة بدور فعال، وكان أول ما بدأ به هو الدعوة إلى بنوة المسيح لله ثم تبرير عملية الصّلب المزعومة التي أرقت التلاميذ، حيث أن صلب المسيح كان نهاية غير متوقعة لديهم، فجاء بولس وفسرها لهم بأنه صلب فداء للبشرية بتفسير جعل صورة المسيح تتكامل لديهم بعد أن انتشرت فكرة عودة المسيح وقيامته[١].

وفي البيئة الهللينية انتقل هذا المفهوم وطوّر في إطار الديانات الموجودة في تلك البلاد، بما يتواءم مع الديانات الوثنية في تلك البيئات، مما أدى إلى ضياع حقيقة شخص عيسى الناصري، وشيئاً فشيئاً غلوا في المسيح حتى رفعوه عن مقام البشرية[٢].

وقد ارتبط بمفهوم البنوة مفهوم آخر يرى العلماء أن بولس أسسه كفكرة جديدة في النصرانية وهو القول بالتجسيد[٣]، فالله ـ تعالى عن قولهم ـ ظهر في الجسد هو المسيح ابنه، والمسيح افتدى البشرية بصلبه من لعنة الخطيئة الموروثة، وهو ما لم يستخدمه الحواريون في كلامهم عن الله[٤].

وطورت طقوس التعميد والقربان، ضمن ديانات الأسرار والخلاص والوثنية، ونجد في عبارات بولس فكرة القربان المقدس والعشاء الربانيّ كجزء من شعيرة ترتبط بعيسى عليه السلام.

ومرّ معنا إلغاؤه للختان وما قرره مجمع أورشليم في شأنه، ونجد في رسائله أنه استبدل به المعمودية، ثم القول بعمومية الرسالة، وتبع ذلك تحليل أمور كثيرة ورد تحريمها في التوراة، وتحريم أمور أحلت، وهو ما رفضته الجماعة الأولى في القدس، ولهذا قد شكل بولس وأتباعه تنظيماً عقدياً ميزهم عن الجماعة الأولى. لا سيّما والكنائس التي أسسها بولس لم تكن تضاهي الكنائس التي استطاعت الجماعة الأولى أن تؤسسها.

---

(١) انظر ص١٧٠.

(٢) المسيحية، جينيبير، ص١١٩، الفكر الإسلامي، ص٤٨، Le christ, Geneber ص٦ ـ ٨.

(٣) انظر ص١٦٤.

(٤) أعمال الرسل، ١٤/١١ ـ ١٢.

وبعد حادثة أورشليم تضخم أعداد المتنصرين من الوثنيين، وتعرضت الكنيسة الأولى للتقلص ومن ثم الزوال، ولم يبق بعد ذلك من حقيقة عيسى عليه السلام إلا اسمه الذي قيل إنه ورد في النبوءات، وسلسلة من المعجزات الخارقة التي نُقِل عنه القيام بها، ورواية صلبه التي فسرت بأنها سر الخلاص، وغدت أنطاكية ورومية وبعدها أفسس من أهم المراكز في التغيرات التي طرأت على النصرانية.

وحاول بولس وأتباعه أن يوالفوا بين دينهم وبين وضع أهل البلاد التي انتقلوا إليها لأن العقائد الأولى في تصورهم لم تكن تقنع أهل تلك المناطق[١]. ولا أن تتغلب على ما اعتادوا عليه في مدارسهم وسالف معتقداتهم.

وبدأت النصرانية تظهر كدين مميز، واستمرت طقوس العماد والعشاء الرباني في نطاق العبادات السرية، واستمر اجتماعهم لهذا الغرض، مع قراءة العهد القديم وكانوا يجتهدون في تأويل الشريعة وما ورد من نصوص عن الأنبياء حتى يثبتوا أنها تتعلق بالمسيح وبالكنيسة.

والملاحظ ندرة المعلومات التاريخية التي تتحدث عن الكنائس النصرانية في الجيلين اللذين كانا بعد تدمير الهيكل سنة ٧٠م، وما كتب استخلصه كاتبوه من الإنتاج الفكري المكتوب باليونانية، وإن كان من العسير التأكد من تاريخ تأليف هذه الوثائق بصورة دقيقة.

ولم يحفظ التاريخ شيئاً من إنتاج الكنيسة الفلسطينية المكتوب بالآرامية، على خلاف الكنائس اليونانية.

وشهدت هذه الفترة كتابة المئات من الأناجيل والعديد من الرسائل المنسوبة إلى بولس، كما اهتمت الجماعات النصرانية بنشر كتابات تعبر عن حقوق السلطة الكنسية، وفي هذه الفترة كانت كتابات أكليمندس الروماني ورسالته الأولى أواخر سنة ٩٦م، ورسائل أغناطيوس أسقف أنطاكية نحو سنة ١١٠م، وهي نفس السنة التي يقال إن يوحنا كتب فيها إنجيله[٢].

ومع وجود هذه النصوص المدونة إلا أنها لم تعط صفة القداسة وكانت محدودة الانتشار في المناطق التي ألفت فيها لعدة أسباب، منها قلة التبادل

---

(١) Le christ, Geneber، ص٦ - ١١، وتاريخ المسيحية، ١/٤٦.

(٢) راجع: The crucible of christianity، ص٢٨٢.

والاتصال بين الكنائس بسبب الاضطهاد آنذاك، والتنافس الذي كان بينها[1].

## ثانياً: المرحلة الثانية: من تدمير القدس ١٣٥م إلى مجمع نيقية ٣٢٥م:

### ١ ـ بداية تقلص وتلاشي كنيسة بيت المقدس:

بعد سنة ١٣٥م وبسبب تدمير بيت المقدس، فقدت الجماعة الأولى مركزها الأول وإن كان استمر انتشارها على نطاق واسع إلى فترة طويلة بعد ذلك، إلا أن تدمير بيت المقدس وجه لها ضربة قاصمة، وانتشرت في المقابل الدعوة بين غير اليهود على نطاق واسع بعيد الصلة عن الجماعة الأولى ومركزها ومبادئها، وبدأت الكنائس التي أسسها بولس في الفترة السابقة تؤتي ثمارها، حيث أخذت النصرانية البولسية الهللينية تنتشر بين الوثنيين الذين ناسبتهم لقربها من مبادئهم، وانتشرت اللغة اليونانية انتشاراً واسعاً حيث كانت لغة الكنائس الرئيسية في ذلك الوقت، وأُسست العديد من الكنائس في المناطق التي انتشرت فيها النصرانية، روما، والجزائر، والمغرب، وتونس ومصر وغيرها[2].

### ٢ ـ الوضع السياسي في هذه المرحلة:

في سنة ١٦٢م كان اضطهاد ماركوس أوريليوس الذي أصدر أمره بإبادة النصارى، وقد بدأ بقتل رؤسائهم، وطرحوا للوحوش حيث قاسوا أشد العذاب قبل قتلهم[3].

وقد استمر هذا الحال مدة تناهز العشرين عاماً، وفي عام ٢٠٢م صدر مرسوم يحظر الدعوة إلى الدين من جانب كل من اليهود والنصارى وتلقت أهم كنيستين ضربات شديدة فقد شتتت مدرسة الإسكندرية، وجرت إعدامات كبيرة في قرطاجة للمتعلمين العلم الديني[4]. ونقل أورسيوس أسماء العديد من القتلى من المتعلمين.

---

(١) The crucible of christianity، ص٢٨٢، A history of the early church، ص٨، A study of early christianity، ص٦٥.

(٢) The crucible of christianity، ص٢٨٢، A history of the early church، ص٨، A study of early christianity، ص٦٥.

(٣) قصة الحضارة ١١/ ٣٧٥، مختصر تاريخ الكنيسة، ١/ ١٨٤، ١٨٥، ١٩٣، ١٩٤، تاريخ أورسيوس، ص٤٤٠.

(٤) A history of the early church، ص٦٨.

وفي سنة ٢٠٣م كان اضطهاد سافيروس. وقد اشتد الاضطهاد في عهده وازداد عدد القتلى في أيامه زيادة مروعة، ومنع اعتناق النصرانية بقوة القانون، واضطرمت نيران الاضطهاد لا سيّما في مصر وبعض ولايات أفريقيا وبذلك الاضطهاد أصاب سافيروس الكنيسة في أصولها، حيث إنها تستمد قوتها من الأعداد المتزايدة من الداخلين إليها، ولكنه على الرغم من ذلك يمكن القول أنَّ الكنيسة عاشت فترة سلام نسبي تمثل في أخريات عهد سافيروس، إلى أن كان اضطهاد كاراكلا سنة ٢١١م في أفريقيا الذي ضاعف الجزية على النصارى في مصر، وقضى على من يقاوم الحكومة منهم بالصلب أو بأن يطرح للوحوش[١].

ثم اضطهاد مكسيمانوس سنة ٢٣٥م، وكان يركز على رؤساء الكنائس فقط، وقد اضطهد النصارى اضطهاداً شديداً وخاصة في مصر فقتل كثيرون في عهده. واضطر كثيرون إلى الفرار[٢].

ويذكر الكاتب واند أنه على الرغم من كل هذا ظهرت كنائس محلية عظيمة تميزت كل واحدة بطابع فردي خاص بها[٣].

ثم كان اضطهاد ديسيوس سنة ٢٤٩م. وكان امبراطوراً يكره النصارى كراهية شديدة، وقد عزم على القضاء قضاءً مبرماً على الكنيسة وكل أثر للدين الجديد، ونكل بهم تنكيلاً لم يسبق له مثيل، وتفنن في تعذيبهم وقبض على رؤساء الكنائس.

وقد كان يهدف إلى إظهار النصارى كمرتدين لا كشهداء، ولذلك كان يأمر جميع سكان الدولة أن يذبحوا للإمبراطور فمن رفض - وكان النصارى يرفضون - قتل باعتباره مرتداً، حيث أراد هذا الإمبراطور أن يعمم الديانة الوثنية.

ويذكر يوسيبيوس القيصري أنه في فترة من فترات ذلك العهد قتل عشرة آلاف دفعة واحدة[٤]، ومع استمرار عهد الاضطهاد وحدوث غربلة للمتذبذبين

---

(١) الفكر الإسلامي، ص٨٢، ٨٣، التاريخ اليهودي، ص٣٨٥، تاريخ أورسيوس، ص٤٤٤، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٢٦، ١٢٧، تاريخ المسيحية، ١/٥٩، مختصر تاريخ الكنيسة، ١/٢٢١، A study of early chritianity، ص٦٥.

(٢) تاريخ أوروسيوس، ص٤٤٨، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ١٢٧.

(٣) A history of the early church، ص٦٩.

(٤) مختصر تاريخ الكنيسة، ١/٢٩٩، تاريخ أورسيوس، ص٤٤٩، قصة الحضارة، ١١/ ٣١٢، تاريخ المسيحية، ١/١١١، تاريخ الفكر المسيحي، ٥٣٦، ٥٣٧.

أصبحت المقاومة أشد إلى أن وصلت إلى حد التعصب[1].

وذكر ديونسيوس بابا الإسكندرية الرابع عشر من ذلك الاضطهاد أنه كان من الفظاعة، حتى لقد كان كفيلاً بأن يزعزع أكثر المؤمنين استمساكاً وثباتاً.

ونقل توينبي أن بعض النصارى كانوا يقدمون رشاوي للموظفين ليحصلوا على شهادات مزورة تثبت أنهم قدموا قرباناً، وسمي هؤلاء بالمرتدين في نظر المتشددين[2].

وبعد هذا الاضطهاد كان اضطهاد الإمبراطور كالس ما بين سنة ٢٥٢ م وسنة ٢٥٣م، ثم اضطهاد فاليريان سنة ٢٥٨م، وكان من أشد ما نزل بالنصارى، ذلك أنه أظهر محبة شديدة لهم قاصداً من ذلك إخراجهم من الخفاء ليبطش بهم، فركز على رؤسائهم ومصادرة ممتلكاتهم، وأصدر أوامره بمنع كل تجمع لهم، وقتل في عهده كثيرون[3].

وبعد فاليريان نعمت الكنيسة لمدة أربعين سنة تقريباً بما اصطلح على تسميته «سلم الكنيسة القصير» في عهد جالينوس ٢٦٠ - ٢٦٨م وحتى العشر سنوات الأولى من حكم دقلديانوس، ولم يكن الاضطهاد في تلك الفترة إلا لحالات فردية؛ لأن الإمبراطورية الرومانية حاولت أن تحافظ على السلام لأغراض سياسية.

حتى كان أقصى اضطهاد شهدته النصرانية في تاريخها وهو اضطهاد دقلديانوس الذي اعتلى العرش سنة ٢٨٤م وقيل غير ذلك.

ويقال له الاضطهاد الكبير حيث كان أشد من كل ما سبق، حيث أصدر أربعة أوامر تباعاً يقضي بهدم الكنائس ومصادرة الكتب وإحراقها، ومنع النصارى من شغل وظائف في الدولة، والحكم بالموت أو التعذيب أو النفي عمن يمتنع عن تقديم القرابين للآلهة[4].

---

(١) A history of early church، ص١٠١.

(٢) The crucible of christianity، ص٢٤٩.

(٣) موجز تاريخ الشرق، ص١٢٠، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٢٩، قصة الحضارة، ١١/ ٣٧٧، ٣٧٨.

(٤) موجز تاريخ العالم، ص١٨٠.

وهنا أمر تجدر ملاحظته وهو اهتمامهم بتدمير الكتب الأمر الذي يكشف عن إدراك هذا الإمبراطور لمدى تأثير الكلمة المكتوبة في ربط أتباع العقيدة الجديدة معاً، وكانت الكنيسة هي الوسيلة الفعالة للمحافظة على هذا التراث العلمي.

وقيل إن الذين قتلوا في هذا الاضطهاد والذي استمر عشرين عاماً يبلغ عددهم المليون، ويسمي النصارى عصره عصر الشهداء[١].

ثم كان اضطهاد غاليريوس في الشرق سنة ٣٠٤م وكان صهر دقلديانوس، جلس على العرش بعد موت صهره وكان يرمي من وراء الاضطهادات القاسية أن يقضي على النصارى، ولكنه كان كلما شدد التنكيل بهم كلما ازدادت النصرانية انتشاراً فأصدر أمراً جديداً سنة ٣٠٨م يقضي بمواصلة اضطهادهم في غير رحمة.

ثم لم يلبث الاضطهاد أن هدأ تدريجياً إلى أن أصدر غاليريوس سنة ٣١١م مرسوم البراءة باسم الأباطرة الأربعة: غاليريوس نفسه ولوقيانوس ومكسيمان وقسطنطين، وقد تلكأ مكسيمان في تطبيقه بعد موت غاليريوس، إلا أن توالي الأحداث السياسية أدى إلى إصدار لوقيانوس وقسطنطين في ميلانو مرسوماً جديداً بالبراءة سنة ٣١٣م يعلن حرية المعتقد في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

ومنذ ذلك التاريخ كسبت النصرانية السلم بصفة نهائية، وما حالات الاضطهاد في حكم لوقيانوس ٣٢٠ ـ ٣٢٤م ثم في عهد يوليانس إلا رواسب ضئيلة الأهمية بالنسبة لما سبق[٢].

وتعد سنة ٣١٣م سنة فاصلة بين عهدين، بين الاضطهاد وبداية الصلات

---

(١) موجز تاريخ العالم، ص١٨٠، قصة الاضطهاد الديني، ص٣٠١، تاريخ المسيحية ١/ ١١٢، قصة الحضارة، ١١/ ٣٧٩، تاريخ أوروسيوس، ص٤٥٣ ـ ٤٥٦، The crucible of christianity، ص٣٥٠، A history of the early church، ص١٢٤ ـ ١٢٦، محاضرات في النصرانية، ص١٣٢، دعوة التوحيد، ص٢٩٨، الفكر الإسلامي، ص٨١ ـ ٨٣، وقد أشار ديورانت إلى أن صور التعذيب ومشاهدها وصلت إلينا عن طريق المسيحيين أما الوثنيين فلم ينقلوا شيئاً من هذه الأخبار. راجع: قصة الحضارة ١١/ ٣٨٠.

(٢) قصة الحضارة ١١/ ٣٨٠، ٣٨١، وتاريخ المسيحية ١/ ١١٤، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٣١، الفكر الإسلامي، ص٨٤، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى د. محمود سعيد عمران، ص٣٥ ـ ٤٢.

المتينة بين الكنيسة والإمبراطورية الرومانية، ومهما كانت دوافع قسطنطين الحقيقية، فقد أدى إيواؤه لها إلى قيامه بدور مهم في تاريخها، حيث قدم إعانات مالية لأساقفة عدة، وشجع على ترميم العديد من الكنائس، وأصدر أحكاماً عدة لفائدة الكنيسة، وظهرت الرموز النصرانية من سنة ٣١٥م على النقود، على حين اختفت آخر النقوش الوثنية سنة ٣٢٣م.

وقد تدخل الإمبراطور قسطنطين تدخلاً مباشراً في شؤون الكنيسة بطلب من رؤسائها، حيث لجأ النصارىٰ إلى السلطة المدنيّة للقضاء علىٰ نصارىٰ آخرين[١].

وهنا بدأ اضطهاد من نوع آخر:

### ٣ ـ اضطهاد النصارى بعضهم لبعض:

أثرت الاضطهادات التي مرت على النصارى فجعلتهم يحقدون حقداً كبيراً على كل مخالف لهم حتى حانت الفرصة للانتقام، فانتقموا أشد انتقام باضطهاد الموحدين ثم باضطهاد جميع المخالفين من وثنيين وغيرهم حين أصبحت السلطة بأيديهم إن صح التعبير[٢].

فبدأ صراع جديد اعتبر فيه النصارى الحقيقيون (الموحدون) متمردين وأوقعت بهم النصرانية الإغريقية أو نصرانية بولس ألواناً من الفتن والاضطهادات واستمرت الكنيسة في إخراج البدع وترويج الخرافات؛ ووجد من النصارىٰ من يعارض هذه الخرافات فووجه بقسوة لا نظير لها[٣].

ومن صور اضطهاد النصارى للنصارى ما حدث حين تدخل قسطنطين لحل النزاع المترتب عن اضطهاد سنة ٣٠٣م في إفريقية، ذلك أن الحزب المتشدد الذي كان يتزعمه دوناتس قد قدح سنة ٣١٢م في انتخاب سيسليانس أسقفاً لقرطاج لتسليمهم ـ الأساقفة ـ الكتب المقدسة إبان الاضطهاد إلى السلطة، وأوكل الإمبراطور البت فيه إلى أسقف العاصمة الإمبراطورية فعقد مجمعاً سنة ٣١٣م أيد

---

(١) الفكر الإسلامي، ص٨٥ ـ ٨٧، The rise of christianity، ص٤.

(٢) راجع: فلسفة الفكر الديني ٢/ ٢٨٦، The crucible of christianity، ص٣٥٠، وراجع: فصل المجامع، ص٣١٥.

(٣) المسيحية ٣٥٦، جينيبير، المسيحية، شلبي، ص٨٣، النصرانية والإسلام، الطهطاوي، ١٦٤، ١٦٥، فلسفة الفكر الديني ٢/ ٢٨٦، الفكر الإسلامي، ص٨٦.

انتخاب سيلسيانس، فأعاد الدوناتيون الكرة مما اضطر قسطنطين إلى استدعاء مجمع في أرل لم يكن هو أيضاً لفائدة دوناتس، ولم تهدأ المعارضة فلجأ الإمبراطور إلى اضطهاد الدوناتيين، لكنه تراجع سنة ٣٢٠م عن ملاحقتهم[١].

وكما تدخل الإمبراطور في حل الأزمة الدوناتية تدخل أيضاً في حل الأزمة الأريوسية سنة ٣١٨ ـ ٣٢٠م تقريباً، وهي صورة أخرى من صور الاضطهاد الذي أنزله النصارى بإخوانهم النصارى، حيث عارض آريوس القول بألوهية المسيح مما دعا إلى عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وقرروا ألوهية المسيح، وإدانة آريوس وإحراق كتبه، وتحريم اقتنائها وخلع أنصاره من وظائفهم والحكم بإعدام كل من أخفى شيئاً من كتابات آريوس وأتباعه، وانتهى الأمر بقتل آريوس نفسه[٢].

ولم يقتصر الأمر على قسطنطين، بل إن كثيراً من الأباطرة الذين جاءوا بعده كان لهم اليد الطولى في الدعوة إلى المجامع وحتى في تعزيز ما يصدر عنها من قرارات. وهكذا دخلت الوثنية ودخل الشرق في النصرانية بتأثير الذين تقلدوا مناصب عالية في الدولة الرومانية وتظاهرهم بالنصرانية، كما سنبين ذلك عند دراستنا للمجامع، وما نتج عنها وعن رؤسائها من إرساء لمعتقدات شكلت النصرانية الحالية[٣].

وهكذا كانت النصرانية التي تبلورت صورتها في القرن الرابع خاصة بعد مجمع نيقية غير النصرانية الأولى سميت بالمسيحية الصليبية، بعد أن ورثت ما امتازت به روما من أنماط تنظيمية، وأخذت النصرانية من أصل يهودي منذ ذلك الوقت يقل عدد أتباعها، وتضعف قوتها وتترك الميدان للدين الجديد المصبوغ بالعقلية اليونانية الوثنية.

### ٤ ـ العقائد النصرانية في هذه الفترة:

سيطرت السمات الإغريقية على كنيسة بيت المقدس من عهد أدريانوس، وسيطر على هذه المنطقة صدى الحديث عن الخرافات والأساطير، وبالرغم من

---

(١) الفكر الإسلامي، ص٨٥.

(٢) المسيحية، شلبي، ص٨٣، النصرانية والإسلام، الطهطاوي، ص١٦٤، ١٦٥، فلسفة الفكر الديني، ٢/٢٨٦، الفكر الإسلامي، ص٨٦.

(٣) انظر فصل المجامع، ص٣٣٣، ٣٣٨.

استمرار كنيسة بيت المقدس في السلطة حتى عام ١٤٠م، إلا أنها فجأة بدأت تفقد سيطرتها على نصرانية بولس التي قطعت صلاتها مع الكنيسة الأم.

وساعد على هذا الافتراق أمور عدة: أهمّها أن النصارى غير اليهود لم يكونوا ينظرون إلى الثورات اليهوديّة والاضطهادات السابقة على النصارى إلا من ناحية اليهود وثوراتهم، مع ما عرفوا عن اليهود من بغض وكره وما لهم من مواقف عدة ظهر بعض منها في مجمع أورشليم، وظهر بعض منها في الاضطهادات المباشرة على النصارى، فكان أنْ كره هؤلاء المتنصرون من الوثنيين الجماعة النصرانية الموحدة من بني إسرائيل لرفضهم لليهود وكل ما يتعلق بهم، وهو ما أدى إلى الإقبال على الثقافة اليونانية الرومانية السائدة.

وهذه المباغضة جعلت حاجزاً كبيراً بين هؤلاء المتنصرين من الوثنيين والعلوم المنسوبة إلى الأنبياء والتي كانت عند اليهود.

وأدى ذلك بالتالي إلى رفض اللغة الأصلية أو تجاهلها وتجاهل أهميتها، وإلى رفض أصل التشريع والخروج إلى المفاهيم والثقافة واللغة اليونانية عن المفاهيم التوحيدية، فلم يكرهوا اليهود فقط بل كرهوا النصارى المنتسبين إلى بني إسرائيل.

وبذلك تميزت النصرانية اليونانية عن النصرانية من أصل يهودي فصارت ديانة مستقلة ولم تكن كذلك في القرن الأول.

وهذا ما يفسر وجود المخطوطات اليونانية؛ لأن هؤلاء الوثنيين كانوا يتكلمون اليونانية فاكتفوا بهذا، ورفضوا العبرية، وبالتالي الشرائع الموسوية، وهو ما مهد لفقد النصوص الأصلية فكان من أكبر أسباب ضياع الرسالة، ولعل هذا وحده كافياً، فضلاً عن الاضطهاد الذي كان سمة هذه الفترة.

وهكذا فإن الإعراض عن اللسان الذي بلغت به الرسالة هو ضياع لتلك الرسالة وهو ما حدث.

وانتشرت النصرانية خارج القدس، وبرز النصارى كجماعة دينية مستقلة في البلاد التي انتشرت فيها النصرانية، وأسهمت الكنائس التي أسسها بولس بدور فعال في تدعيم النصرانية ونشر معتقداتها كما وضحنا، والتي لم تكن متفقة تماماً مع معتقدات البلاد التي انتشرت فيها.

ولذا فإن أهم ما تميزت به هذه الفترة هو نشأة المدارس الفكرية النصرانية، لا سيما في الشام وأنطاكية، لدفع المآخذ التي وجهت لهذه الديانة من قبل الوثنيين، وما وجد في تلك المناطق من آراء متطرفة، حيث كانت التعاليم النصرانية لا تزال في مرحلة الإعداد، وانتسب حديثوا الإيمان إلى النصرانية انتساباً اسمياً، ثم قاموا بتغيير تعاليمها ومعتقداتها بما يتماشى مع أفكارهم الفلسفية.

ومن هنا كان تاريخ الكنيسة الأولى عبارة عن سلسلة من المواجهات بين التغيرات المختلفة والمتضاربة في نفس الوقت، وكان الخاسر في تلك المواجهات يوصف بالابتداع والهرطقة، بل إن التصورات الوثنية المختلفة ساهمت في الانقسامات الحادة داخل الكنيسة، فبرز دعاة يدعون إلى توضيح العقائد النصرانية وتعميقها، وأطلق عليهم لقب «الكتاب الدفاعيين» أو «حماة الإيمان».

وشيئاً فشيئاً ساهمت هذه الكتابات في نشأة ما يسمى بعلم اللاهوت المسيحي وانفصلت النصرانية الجديدة عن النصرانية من أصل يهودي، وذلك نتيجة لغلبة الفكر اليوناني الروماني على تلك المسيحية الجديدة.

وظهر اختلاف هؤلاء المدافعين فيما نادوا به أو حاولوا أن يعرضوه من عقائد ترتبط بالمسيح، فرآه بعضهم نبياً اصطفاه الله وفضله، وتمثل هذا الاتجاه في الطوائف المتشبثة بالتوحيد وآراء الجماعة الأولى، وهو ما تمثل في الفرق التي عرفت بالموحدة.

ونمت البذور التي زرعها بولس ومن تابعه في ادعاء بنوة المسيح حتى وصل الأمر إلى الاعتقاد بألوهيته وهو ما تمثل في الفرق المؤلهة[1].

وكان أكبر الأخطار التي هددت النصرانية في هذا القرن ـ الثاني ـ هو الغنوصيّة[2].

ولم تكن الغنوصية وحدها هي التي تهدد الكنيسة فكانت المرقيونية[3] التي أخذت تنمو وتنتشر في القرن الثاني.

---

(١) المنار ج٩، مج٢٩ ١٣٤٧ شعبان/ فبراير ١٩٢٨م «مقال تطور الاعتقاد بألوهية المسيح».

(٢) انظر التعريف بها، ص٣٠٤.

(٣) انظر التعريف بها، ص٣٠٥.

وكان أكبر منافس للنصرانية في ذلك الوقت «الأفلاطونية الحديثة»[1] حيث كانت الإسكندرية وروما تنظر إلى النصرانية بمفهوم الفلسفة الأفلاطونية أو فلسفة أرسطو.

وقد شهدت هذه الفترة كثرة الكتب التي زعم أصحابها قداستها، وكذا الأناجيل المكذوبة، وقد استمرت هذه الكتب بأيدي النصارى إلى ما بعد مجمع نيقية ٣٢٥م حيث تم اعتماد البعض ورفض البعض الآخر واستغرقت هذه العملية زمناً طويلاً وتمت على مراحل.

ويؤكد كثرة الأناجيل المنحولة ما نقل عن ماني الذي تنسب إليه النحلة المانوية أنه كان يتصرف في الأناجيل على ما يروقه حذفاً وإثباتاً، وكان يأخذ من الأناجيل المنحولة التي كانت في أيامه[2].

وترجم ما يحتويه هذا العهد الجديد من أناجيل ورسائل من اليونانية إلى اللاتينية والقبطية والسريانية منذ بداية القرن الثالث، والتزم بها فيما بعد دون غيرها، وهو ما أثار مسألة أخرى وهي «التأويل» لاختيار ما يدعم سلطة الكنيسة[3].

وكما تم الاعتراف بهذه الكتب تدريجياً تم الاعتراف بالعقائد على هذا النحو، فكانت تقتصر في بداية الأمر على الإعلان بأن عيسى هو المسيح أو الرب[4]، ثم تغيرت بمرور الزمن استجابة لمتقضيات التعليم والطقوس والرد على الوثنيين والهراطقة في عرفهم لتأخذ آخر القرن الرابع شكلاً ثلاثياً يحتوى على الإيمان بالأب وبعيسى المسيح ابنه الوحيد، وبالروح القدس واعتقاد أن الكنيسة مقدسة.

ولم يقر التثليث إلا في نهاية القرن الرابع وأول استعمال له كان عند ثيوفيلوس الأنطاكي[5].

---

(١) انظر ص٣٨٧.

(٢) الفلسفة اليونانية، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩، المدخل إلى العهد الجديد، ص١٥٩.

(٣) الفكر الإسلامي، ص٧٤.

(٤) مرقس، ٨/٢٩، يوحنا ٢/٢٢، رومية، ١٠/٩، ١ كورنثوس ١٢/٣.

(٥) انظر ص٣٩١.

وكانت عقيدة الثالوث محور الاهتمامات في آخر القرن الثالث، وفتح الباب على مصراعيه في آخر هذا القرن لمناقشات لاهوتية عدة شكلت العقائد النصرانية في القرون التالية، والتي كانت سبباً بالتالي في انعقاد المجامع التي أضفت لتلك العقائد صبغة رسمية.

وفي هذا المقام لا بد أن نشير إلى بروز الرهبانية المرتكزة على الغلو في الزهد والتبتل المعروفين في تلك الفترة، فقد أدى انتشار النصرانية المتزايد في مختلف أصقاع العالم اليوناني الروماني وفي بلاد المشرق بصفة عامة إلى تكاثر النصارى من حيث العدد، ولكنه أدى إلى انحطاط مستواهم، واحتفاظ الكثير منهم بالأخلاق والعادات الوثنية، فكانت الرهبانية بمثابة رد الفعل على التدهور الروحي وفراراً من الدنيا لتحقيق الحياة النصرانية المثلى في عرفهم، وأثر من آثار الاضطهاد الذي مارسته السلطة الرومانية[1].

## ثالثاً: المرحلة الثالثة: من مجمع نيقية سنة ٣٢٥م إلى المجمع المسكوني ٨٧٩م.

### ١ ـ الوضع السياسي في تلك الفترة:

دخلت النصرانية عهداً جديداً باعتناق قسطنطين الإمبراطور الروماني النصرانية كما سبق ذكره، وأرسيت في مجمع نيقية الذي عقده سنة٣٢٥م قواعد نصرانية بولس[2].

ولم يقتصر أمر سيطرة قسطنطين على مجمع نيقية، بل إن المجامع التي تلته دخلت تحت سلطة الإمبراطور.

وإذا كان النصارى قد انقسموا في مجمع نيقية إلى فريقين كبيرين ثالوثيين وموحدين، فقد أخذ الثالوثيون بعد انتهاء المجمع يتعقبون الموحدين الذي رفضوا الخضوع لقرارات هذا المجمع.

ولم يقتصر الأمر على مجرد تعقبهم، وإنما حاولوا محو آثارهم بجمع كتبهم التوحيدية وإحراقها وما أشبه ذلك. إضافة إلى ما كانت تسمح به الفرص

---

(١) الفكر الإسلامي، ص٨١.

(٢) انظر تفصيل القول في هذا المجمع وقراراته فصل المجامع ص٣١٦ وما بعدها.

أحياناً من تعقب اليهود والنصارى في ذلك العهد، أو القيام بدور المحرضين لمنع رفع الاضطهاد عنهم.

ومن ذلك ما كان من اليهود في عهد يوليان ابن أخي قسطنطين والذي ذاق النصارى على يديه بعض الاطمئنان، حيث حسن له اليهود العودة بالشعب إلى الوثنية، وأطنبوا بفوائد تعدد الآلهة[1]، وهولوا له خطر النصرانية، لا سيما عدم اعترافها بالقانون القاضي بعبادة الأباطرة.

وكان الموحدون إذا تمكنوا من جهة السلطان قاوموا ذلك الاضطهاد كما حدث في زمن قسطنطيوس الذي كان أريوسيا، فأمر أن يستبدل ببولس وهو من المثلثين رجلاً أريوسياً وهو مقدونيوس في القسطنطينية، فهب جماعة من مؤيدي بولس يقاومون هذا الإمبراطور، وقتل في الاضطرابات التي أعقبت هذه المقاومة ثلاثة الآف شخص.

وذهب ول ديورانت إلى أن الذين قتلوا من النصارى على أيدي النصارى بين عامي ٣٤٢ ـ ٣٤٣م يزيد على من قتلوا بسبب اضطهاد الوثنيين للنصارى في تاريخ روما كله[2].

وكثيراً ما كانت الاضطهادات للإرغام على الاعتراف بأمور أقرت في مجمع من المجامع التي تعقد أو عقدت، ومن عهد ثيودوسيوس سنة ٣٩٥م ظهرت أولى محاكم التفتيش التي تم تنظيمها فيما بعد في القرن الثاني عشر الميلادي، وكان أعضاؤها من الرهبان، وكانت وظيفتهم اكتشاف المخالفين في العقيدة.

وتاريخ محكمة التفتيش هو تاريخ الاضطهاد الديني في أقسى صوره، ومن أشد أساليبها انحرافاً ما نادت به من ضرورة إيصال المعلومات عن المخالفين بأي طريقة، وهددت من يتوانى في ذلك بعقوبات صارمة، فانتشر بسبب ذلك نظام التجسس حتى بين أفراد الأسرة الواحدة.

وكانت الكنيسة تلجأ إلى تعذيب المخالفين إلى حد الإعدام لهم، كما فعل

---

(١) هذا ما يذكرنا بقول الله ﷻ عن اليهود وكلامهم مع المشركين عن المسلمين: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ [النساء: ٥١].

(٢) راجع: قصة الحضارة، ٢١/١٢.

ببنيامين كبير أساقفة مصر لأنه رفض الخضوع لقرارات مجمع خلقدونية ٤٥١م حول طبيعة المسيح[١].

وظهر في قانون الإمبراطورية الرومانية والذي يدور حول المهرطقين ما لا يقل عن ستة وستين قانوناً، خلال القرنين الرابع والخامس، وقد قوبلت هذه السياسة باستحسان من جموع الثالوثيين.

وكان أوغسطين هو الذين أعلن حق الدولة في قمع المخالفين، ولذا وصف بأنه الأب الحقيقي لمحاكم التفتيش وشرع في تبرير عقوبة الإعدام في الحالات التي يفشل فيها الإقناع، ولجأ إلى حكاية العشاء التي وردت في إنجيل لوقا مع تفسير الأمر للخادم ليذهب إلى الطرقات، وإلزامهم بالحضور كتبرير للقمع القسري للهرطقة والطوائف المنشقة[٢].

وبعد مجمع أفسس سنة ٤٣١م حدث انشقاق بين نصارى روما والأقباط في الإسكندرية، ونتج ما سمي بالمذهب الأرثوذكسي (في الإسكندرية) في مقابل الكاثوليك (في روما)، وكان لكل مذهب كنائسه، وكل يطالب بالصدارة لنفسه وحدثت نتيجة لذلك مصادمات واضطهادات كثيرة لا سيما من قبل نصارى روما لنصارى الإسكندرية، الأرثوذكس المخالفين للكاثوليك في روما، حيث كانت مصر في ذلك الوقت مستعمرة رومانية يحكمها حاكم يعينه الإمبراطور الروماني[٣].

كما حدث في تلك الفترة سنة ٦١٥م في بعض الأماكن التي خرجت عن حكم النصارىٰ اضطهاد لهم من قبل اليهود وذلك حين نجح الفرس في الاستيلاء على سورية سنة ٦١٥م وسبوا كثيراً من النصارىٰ فبادر اليهود إلى شراء أعداد كبيرة من النصارىٰ قدر عددهم بتسعين ألفاً وذبحوهم، كما أخذ الاضطهاد من قبل اليهود جانباً آخر في نشر الكتب التي تهاجم النصرانية[٤].

---

(١) راجع: قصة الاضطهاد الديني، ص٢٢٧، التعصب والتسامح، ص٢٩٠ ـ ٢٩٦، فلسفة الفكر الديني ٢/٢٨٦، المسيحية، شلبي، ص٨٤، ٨٥، الإسلام والنصرانية، محمد عبده، ص٣٣ ـ ٤٠، تاريخ الكنيسة القبطية، ص٣١٠ ـ ٣٣٧.

(٢) راجع: The crucible of christianity، ص٣٥١، وانظر لوقا، ١٤/١٥ ـ ٢٤.

(٣) تاريخ الكنيسة القبطية، ص٣١٠، ٣٣٧.

(٤) راجع: قصة الحضارة، ١١/٢٤٤، ٢٤٥، جذور البلاء، ص٩٠ ـ ٩٤.

## ٢ ـ الوضع الديني في تلك الفترة:

فيما يتعلق بتقرير العقائد النصرانية خلال هذه الفترة، فقد كان تحول النصرانية إلى دين الإمبراطورية الرسمي وانعقاد مجمع نيقية وما تمخض عنه من قرارات ـ كان ذلك هو الأمر الذي كيف مصيرها، حيث يعد هذا المجمع مرحلة تأسيسية حاسمة ونقطة انطلاقة لمرحلة ثانية، لعل أبرز مميزاتها ازدهار حركة الشرح وتوضيح العقائد وتجديدها.

وقد ظل الخلاف الشديد قائماً في أوساط النصارى فالعقائد الأساسية التي دونها مجمع نيقية في قانون الإيمان النيقوي كانت مبهمة ومعقدة، فاستمر الخلاف لمدة غير قصيرة لتفسير تلك العقائد والتعبير عنها.

وبناءً عليه في تلك الفترة ظهرت بوضوح الفجوة بين الغرب اللاتيني ومصر المتشبث بنيقية من جهة، وبين الشرق الذي يرى في التمسك بعبارة المساوي للأب في الذات والجوهر ـ وصفا للمسيح عليه السلام ـ بدعة غير مقبولة! وهم الأريوسيون ومناصروهم[(١)].

ولم تمض ثلاث سنوات على انعقاد المجمع المسكوني الأول حتى تلته مجامع عدة[(٢)]، صاغت عقيدة النصارى صياغة جديدة.

وشهدت الكنيسة في أنطاكية على سبيل المثال سنة ٣٦٢م خمس مجموعات من النصارى متنافسة، كل منها تعتقد أنها على صواب وأن الأربع الأخرى على ضلال.

وكانت الاختلافات العقدية ترجع بنسبة كبيرة إلى لبس في المفاهيم والمصطلحات، وإلى اختلاف اللغات حيث لم يكن الذين في الشرق ـ ويتكلمون اليونانية ـ يعرفون اللاتينية، وكان اللاتينيون في هذه الفترة لا يحسنون اليونانية إحساناً تاماً[(٣)].

وما بين ٣١٣ ـ ٥٣٩م استحكمت سيطرة الديانة النصرانية على روما على الرغم من وجود الوثنيات إلا أن الرواج كان للنصرانية.

---

(١) انظر ص٣٢٤. وانظر قصة الحضارة ١٢/١٩.

(٢) انظر ص٣٢٢، وما بعدها.

(٣) راجع: الفكر الإسلامي، ص٨٨ ـ ٩٥.

وقد تقاسمت النصرانية مملكتان في هذا العصر: مملكة الشرق وعاصمتها القسطنطينية وتشمل: البلقان واليونان وآسيا الصغرى ومصر، وكان رئيس القادة الديني أو رئيس رؤساء الأساقفة فيها يسمى البطريرك[1]. ومملكة الغرب والتي كانت عاصمتها روما ومعظم مناطق أوروبا تابعة لها، والرئيس الديني لها يدعى بالأب أو البابا، وكان بين المملكتين منافسة منذ اليوم الأول، كل منها تريد أن تثبت أفضليتها.

وقد حميت معركة الخلافات في القرنين الرابع والخامس الميلاديين لذا فإن المؤرخين النصارى يسمون هذا العصر بعصر المجامع أو عهد الخلافات والمناقشات[2].

واستمرت الخلافات بين كنيسة روما والكنائس الشرقية، بل إن بعض الأساقفة الشرقيين كانوا يحرمون من الدخول إلى كنيسة روما لخلاف بينهم وبين رؤسائها. حتى أن الخلاف نشأ حول الشعائر والطقوس الخاصة بميلاد المسيح عليه السلام، وتحديد يوم ميلاده.

وفي منتصف القرن الخامس أصبحت النصرانية الشرقية تنقسم إلى ثلاث فرق كبرى: النساطرة في العراق وبلاد فارس، واليعاقبة، والخلقدونيين أو الملكية.

ولم تجد محاولات السلطة الإمبراطورية المتكررة شيئاً في توحيد هذه الفرق، التي انتظمت كل واحدة منها في كنيسة منشقة عن الأخرى لها ما يميزها.

أما في الغرب فقد كثرت الحركات الانفصالية المعارضة، وأخذت الإمبراطورية الرومانية الغربية في القرن الخامس تضعف أو بدأت تنتهي تحت وطأة الغزوات الجرمانية التي ستقضي على كل حركة فكرية، فلم تعد الكنيسة اللاتينية تعرف شخصيات ذات شأن بعد موت أوغسطينوس، ووجهت كل طاقاتها إلى التنظيم الكنسي، وإلى الحد من آثار الغزو البربري وما صحبه من إحياء للوثنية[3].

---

(١) راجع: الفكر الإسلامي، ص٨٨ ـ ٩٥.

(٢) تاريخ المسيحية، المنفلوطي، ١٠٤ ـ ١٠٦.

(٣) الفكر الإسلامي، ص٩٦.

تلك كانت أهم التيارات العقدية والمذاهب التي عرفتها النصرانية في القرون الثلاثة التي تلت مجمع نيقية، وهناك ظواهر أخرى تميزت بها الكنيسة في هذه الفترة لها أهميتها في الدلالة على تطور النصرانية ومعتقداتها في الثالوث والتجسد وغيرها من العقائد الجوهرية عندهم، وتتمثل الظاهرة الأولى أن النصرانية في القرن الرابع وبداية القرن الخامس أنجبت مفكرين من الدرجة الأولى كانوا مسؤولين كنسيين وكتاباً ممتازين، فلعبوا دوراً أساسياً في توجيه الفكر النصراني، وساهموا في الآراء والمعتقدات التي اعتمدتها مقررات المجامع، وسميت هذه الفترة التي عاشوا فيها «عصر آباء الكنيسة الذهبي» أمثال أوريجانوس وأكلمندس الإسكندري وغيرهم[1].

وهؤلاء الآباء اعتبروا الكتاب المقدس على نحو ما انتهى إليه تأويل الأجيال التي سبقتهم، وقاموا بتعميق البحث عن التعبير الملائم للعقائد النصرانية.

وكان أبرز آباء الكنيسة اليونانية: أثناسيوس الإسكندري (ت٣٧٣)، وبازيليوس القيصري (ت٣٧٩) وغريغورس النيسي أخوه (ت٣٩٤)، ثم يوحنا فم الذهب (ت٤٠٧)، وكيرلس الأسكندراني (ت٤٤٤).

أما في الكنيسة اللاتينية فأشهرهم: هيلاريوس (ت٣٦٧)، وداماسيوس الروماني (ت٣٨٤)، وأمبروزيوس (ت٣٧٩)، ومارتينوس (ت٣٩٧)، وأخيراً أوغسطينوس (ت٤٣٠)[2].

أما الظاهرة الأخرى التي تسترعي الانتباه في هذه الفترة من تاريخ الكنيسة ترتبط بالعلاقة بين السلطة الدينية والسلطة المدنية، وذلك بتدخل الأباطرة في النزاعات العقدية وترجيحهم لكفة حزب على آخر، ودعوتهم لانعقاد المجامع بغية إضفاء صبغة شرعية على اختياراتهم سواء كانت دوافعهم دينية أو سياسية بحتة، أو دينية سياسية معاً[3].

وكانت سلطة الكنيسة بدورها تحاول توسيع صلاحياتها وضمان استقلالها والتأثير في الإمبراطور نفسه أو أفراد حاشيته بشتى الوسائل حتى تسلك السياسة في صالحها.

---

(١) انظر ص٣٩٢ ـ ٣٩٦.
(٢) راجع الفكر الإسلامي، ص٩٦ ـ ٩٨.
(٣) الفكر الإسلامي، ص٩٩، تاريخ المسيحية، المنفلوطي، ص٩ ـ ١١.

واعتبرت الكنيسة في تلك الفترة وريثة المسيح ونسبوا عصمة الكنيسة لتقرير المسيح لها[١]، وتبع ذلك قداسة البابا، فكان للباباوات وما يقررونه من مجامع الدور الكبير فيما آلت إليه النصرانية من تطور[٢].

أما الظاهرة الثالثة البارزة في هذه الفترة فهي تغلغل النصرانية عقيدة وأخلاقاً وسلوكاً في مختلف الفئات والأصناف الاجتماعية التي بلغتها، وتأثرها هي أيضاً بالمفاهيم والعادات السائدة عند تلك الشعوب.

ومنذ القرن الرابع اكتسبت الكنائس شكلها النهائي، وخصص فيها مكان للتعميد، وانتشرت الرهبانية على نطاق واسع، وبدأت تظهر القواعد المنظمة لمجموعات الرهبان[٣].

وظهر تأثير العقائد الشعبية والوثنية في الإيمان بالخوارق والتعبد لقتلاهم وبقايا رفات أحبارهم ورهبانهم، وفي طليعتها بقايا الخشبة التي يظن أن عيسى قد صلب عليها، والملاحظ أن التعبد للصليب لم يدخل في الغرب إلا في بداية القرن السابع.

ومنها كذلك إكرام الصور المنحوتة للمسيح وأمه وأحبارهم وتعظيمها والتعبد لها، مع أن الكنيسة في أول أمرها كانت تقاوم هذه الظاهرة عملا بما جاء في العهد القديم[٤].

وفي مطلع القرن السابع انتشرت النصرانية وتكاثرت الأسقفيات بصفة ملحوظة من غرب أوروبا في بريطانيا وإيرلندا شمالاً وأسبانيا جنوباً إلى حدود الإمبراطورية الشرقية في آسيا الصغرى، مروراً ببلاد اليونان وسواحل إفريقيا

---

(١) راجع: متى، ١٦/١٨ ـ ١٩، يوحنا، ٢٠/٢١.

(٢) راجع تاريخ الفكر السياسي، ص٨٧، ٨٨. وقد فسرها رسول الله ﷺ في حديث عدي بن حاتم، قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي أخرج عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله...﴾ الآية، قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدوهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه. جامع الترمذي، مع تحفة الأحوذي، سورة التوبة، أبواب تفسير القرآن، ٨/٤٩٣.

(٣) الفكر الإسلامي، ص١٠٠، ١٠١، تاريخ المسيحية، المنفلوطي، ص١١ ـ ١٧.

(٤) خروج ٢٠/٤.

ووادي النيل وسوريا وفلسطين وبعض مناطق العراق وبلاد فارس.

أما الجزيرة العربية فكان الوجود النصراني فيها قليلاً ففي بلاد الحجاز لا يكاد يذكر، ولكن أطراف الجزيرة كانت تحوي جاليات نصرانية: الغساسنة ـ واللخميون وإن انتهت سلطتهم، وفي جنوب الجزيرة العربية في اليمن وحول نجران حيث يوجد جماعات نصرانية.

وتعتبر هذه الفترة ـ مطلع القرن السابع ـ فترة ركود على المستوى النظري سوى ما كان من مشكلات عقدية نتيجة لانقسام الكنيسة إلى ملكية ويعقوبية ونساطرة.

وبلغ الفتح الإسلامي حدود القسطنطينية سنة ٦٧٤م وحاصروها إلى سنة ٦٧٨م، ففقدت الخصومة العقدية بين النصارى أهميتها بانتشار الإسلام في تلك المناطق.

ومن سنة ٧٢٦ ـ ٨٤٣م كانت الأزمة التي عرفتها الكنيسة حيث قسمت الكنيسة البيزنطية إلى حزبين متقابلين بين مؤيد لعبادة الصور ومحرم لها، وأثارت حملة من العنف والاضطهاد كان محور الخصام فيها هو التعبد للصور، وهي ظاهرة لم تكن وليدة هذا القرن كما أشرنا، ولكنها اكتسبت أبعاداً جديدة سياسية ودينية بإعلان الإمبراطور ليون الثالث سنة ٧٢٦م معارضته للتعبد للصور وتحطيم صورة المسيح، ولا يستبعد أن يكون للإسلام تأثير في هذا[١].

وتفاقم الأمر سنة ٧٣٠م بإصدار مرسوم يمنع التعبد للصور والقضاء على جميع صور قديسيهم وعقدت في ذلك مجامع عدة[٢].

وقد سمّي هذا العصر بعهد العصور المظلمة ما بين غريغورس الأول ٦٠٤م ـ وعهد شارلمان ٨٠٠م ـ ١٨٤هـ حيث كان انهيار النصرانية السياسي والانحطاط العلمي الثقافي[٣].

وكان أهم حدث بعد ذلك ما كان سنة ٨٧٩م حيث انقسمت فيه الكنيسة إلىٰ قسمين: الروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك بسبب خلاف بين كنيسة

---

(١) راجع: الفكر الإسلامي، ص١٠٢ ـ ١٠٥.
(٢) انظر فصل المجامع ص٣١٥ وما بعدها.
(٣) راجع: الفكر الإسلامي، ص١٠٩، تاريخ المسيحية، المنفلوطي ، ص٥٤، ٥٥.

القسطنطينية وكنيسة روما في الروح القدس، هل انبثق من الأب فقط وهو زعم كنيسة القسطنطينية، أم من الأب والابن معاً كما هو زعم كنيسة روما، وهكذا نشأ كرسي البطريركية في الشرق نظير كرسي البابوية في الغرب، ونجم عن ذلك عدم الاعتراف ببابا روما على الإطلاق مع اختلافات جوهرية عقدية بينهما[١].

وفي ذلك الوقت زادت أهمية الكنيسة الغربية برئاسة البابا بعد أن ضعفت الكراسي الأخرى المناهضة لها في بلاد الشرق بسبب انتشار الإسلام.

وتميزت هذه الفترة بالفساد لدى رجال الدين، وهبوط المستوى العلمي والأخلاقي، وحتى العبادة شابها الكثير في هذه الفترة، وأدخل إليها الوثنيون المتنصرون بعضاً من عباداتهم وإن لبست ثوباً نصرانياً، فظهرت القصص والأساطير التي سميت بالأساطير النصرانية.

وبالرغم من قيام بطاركة في الكنيسة الشرقية إلا أنها أصبحت شبه ميتة، وتقلص دورها شيئاً فشيئاً في الدعوة إلى النصرانية[٢].

تلك كانت حياة النشأة لهذه الديانة، فقد ولدت في جو من الإرهاب لم يستطع عيسى عليه السلام أن ينأى عنه إلى أن رفع، ثم تتابعت الأحداث من بعده.

ومع تمسك الجماعة الأولى بما تصوره العقيدة التي لم يدم صفاؤها الأول فقد نالوا من الاضطهاد الشيء الكثير. ثم كان نصيب تلاميذ الحواريين من بعدهم كذلك.

وفي تلك الأحقاب كتبت الأناجيل، وكتبت رسائل وسط الأشلاء الممزقة، والرؤوس المقطعة، والسجون الغاصة والتعذيب المستمر والتستر الخفي. وما تلا ذلك من اعتناق الإمبراطورية الرومانية للنصرانية البولسية ديناً رسمياً وإقرار مجمع نيقية لذلك، وما تلاه من مجامع عدة، اعترف فيها بالأناجيل التي اعتمدت فيما بعد مصادر وأصولاً للديانة النصرانية.

وظهرت الفرق المختلفة التي أسهمت هي وغيرها من العوامل في الخروج عن ديانة التوحيد التي جاء بها عيسى عليه السلام.

---

(١) انظر فصل المجامع، ص٣٢٨ وما بعدها.

(٢) تاريخ المسيحية، المنفلوطي، ص٣٥ ـ ٤٥، ٥٤، ٥٥.

وفي هذا يقول الدكتور سفر الحوالي: إنه بإلقاء نظرة سريعة فاحصة على الحقبة التي شهدت ميلاد الدين النصراني سنرى أن منطقة حوض البحر الأبيض كانت تموج بعقائد وأفكار متباينة: الديانة اليهودية، المثرائية، الأفلاطونية الحديثة، الوثنية المصرية، الوثنية الرومانية، أفكار فلسفية من رواقية وأبيقورية، ثم قال: ولو أننا حاولنا أن نستنبط من مجموع هذه العقائد عقيدة واحدة مشتركة، لخرجنا بعقيدة تقوم على ست دعائم:

الإيمان بالتوراة اليهودية، اعتقاد الفداء والخلاص والوساطة بين الله وبين الناس، الحلول، وتجسد الإله في شكل بشري، الهروب من الحياة إلى الرهبانية، تقديس الصور والتماثيل. وهي التي أصبحت دعائم الدين النصراني الكنسي ولب تعاليمه[١] كما سنعرف.

## رابعاً: المرحلة الرابعة: من المجمع المسكوني الثامن ٨٧٩م إلىٰ المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ١٩٦٥م:

### الوضع السياسي والديني في تلك الفترة:

في أوربا الغربية بالذات كان الحكم يقوم على أساليب البطش، والقهر والإذلال، وخلال فترة الخراب والدمار الذي حل بروما علىٰ أيدي الغزاة (البرابرة) اتجهت أبصار الناس إلى الكنيسة وإلى البابا ملجأً وملاذاً.

ومن عام ٧٦٧م آل الحكم لشارلمان، والذي كان نصرانياً واستخدم نفوذه في نشر الدين النصراني، وأقام علاقات مع البابا باعتباره رأس الكنيسة الغربية، ونصبه البابا «ليو الثالث» إمبراطوراً، والذي اعتبر مدينة «رومية» واحدة من عواصم إمبراطوريته، ولكنها كانت إمبراطورية جرمانية؛ لأن جميع الذين جلسوا علىٰ أعراشها كانوا من الجرمان.

وبعد موت شارلمان تم تقسيم الإمبراطورية بين أحفاده إلى ثلاث ممالك، وهكذا سقطت الإمبراطورية الرومانية مرة أخرىٰ.

وفي القرن العاشر الميلادي قام الملك (أتو الأول) بتأسيس الإمبراطورية الجرمانية من جديد، وكانت تضم سويسرا وشمال ووسط إيطاليا[٢].

---

(١) العلمانية، ص٢٩ ـ ٣٢.

(٢) تاريخ المسيحية، المنفلوطي، ص١١ ـ ١٣.

وقام البابا بتتويج الإمبراطور سنة ٩٦٢م، وحملت اسم الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وكانت هذه الإمبراطورية هي القوة السياسية الرئيسية والمؤثرة في العالم النصراني طوال فترة العصور الوسطىٰ، واستمرت كذلك حتىٰ عام ١٨٠٦م، رغم أنها كانت قد بدأت تتداعىٰ وتنهار بعد انتهاء القرن الثالث عشر الميلادي[١]. ولعلّ أهم التطورات التي حدثت خلال فترة العصور الوسطى في الكنيسة:

١ ـ بروز سلطة البابا.

٢ ـ تأصل انفصال الكنيسة في الشرق عن الكنيسة في الغرب.

## العوامل التي أدت إلىٰ بروز سلطة البابا:

من أهمها: معاناة أوربا من غزو البرابرة ما بين عامي ٤٠٠ ـ ٧٦٨م، حيث لم تقم حكومة مدنية ذات شأن في تلك الفترة، أضف إلىٰ ذلك موت شارلمان وتقسيم الإمبراطورية بعده مما أضعفها. وفي نفس الوقت كان الأسقف يمارس اختصاصات الحاكم بالإضافة إلى الخدمة المدنية، أما البابا فقد كان لسنوات عديدة يقوم مقام الإمبراطور مما جعل نفوذه يتسع.

عامل آخر: وهو أن الناس كانوا ينظرون إلىٰ الأساقفة على أنهم يمثلون البر والتقوى، في حين كان معظم الحكام تتحكم فيهم أهواؤهم وشهواتهم، كما أن حالة الخراب الشامل التي كانت سائدة في أوربا كانت تتطلب وجود حاكم قوي حازم، ولم يجد الناس غير الأسقف جديراً بشغل منصب الحاكم، ولعلَّ خير ممثل لشخصية البابا كان (غريغورس الأول) عام ٥٩٠م والذي كان له أكبر الدور في إعلاء شأن أسقف رومية.

وكان للبعثات التبشيرية التي أرسلها البابوات الدور الكبير في توسيع نفوذ الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، كما ساهم امتلاك البابوات لكثير من الإقطاعيات التي أقطعهم إياها الأباطرة والأمراء من ازدهار نفوذهم. وقد ظل البابوات يحكمون تلك المقاطعات حتىٰ عام ١٨٧٠م. بل إن الشرق الذي طالته الفتوح الإسلامية كما ذكرنا أصاب كنيسته الوهن والانحطاط بعدما سقطت أهم المراكز

---

(١) تاريخ المسيحية، المنفلوطي، ص١٣ ـ ١٦.

في أيدي المسلمين وهي: أورشليم وأنطاكية والإسكندرية. وهذا زاد من نفوذ البابا في الغرب، وأضعف من نفوذ البطريركية الشرقية كما ذكرنا[1].

وكان تأصل وانقسام الكنيسة من أهم أحداث فترة العصور الوسطىٰ أيضاً.

وقد ذكرنا أسباب ذلك. وكانت نتيجته معسكرين: أحدهما في الشرق ويضم الكنيسة اليونانية وتتبعها منطقة اليونان وشبه جزيرة البلقان، وروسيا، ومعظم نصارىٰ بلدان آسيا الصغرىٰ وسوريا وفلسطين، بينما استمرت بقية أوربا في حظيرة البابوية خاضعة لقوانين الكنيسة الرومانية، وإلىٰ جانب هاتين الكنيستين كانت هناك الكنيسة النسطورية، والكنيسة الأرثوذكسية، وكنائس متفرقة في بلدان آسيا[2].

## الحروب الصليبية:

حاولت الكنيسة الغربية أن توسع نفوذها متجهة إلىٰ الأرض المقدسة في فلسطين، وقد حاول البابا «هلدبراند» أن يجند جيشاً للقيام بهذه المهمة، لكنه لم ينجح، وكانت هذه هي البداية لما أصبح يعرف في التاريخ باسم الحروب الصليبية، وقد استمرت تلك الحروب حوالي قرنين من الزمان (١٠٩٦م - ١٢٩١م). واستولىٰ فيها الصليبيون على القدس التابعة كنيستها للكنيسة الشرقية وغيرها من المدن الإسلامية التي كان يعيش النصارىٰ فيها آمنين، ثم ثنىٰ أولئك الصليبيون أتباع الكنيسة الغربية فاستولوا علىٰ دولة الرومان الشرقية نفسها، وأنزلوا بإخوانهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون. وهو ما اعترف به الكاتب النصراني صاحب سوسنة سليمان أن المسيحيين أحسوا بنعمة الإسلام عليهم[3].

وقد اتسمت تلك الحروب بوحشية بالغة، وأقام فيها النصارىٰ الأوروبيون لأنفسهم مملكة علىٰ أنقاض إمبراطورية نصرانية أخرىٰ. وكان هذا من أسباب توسيع شقة الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية[4].

وقد كان لهذه الحروب آثارها البعيدة، حيث زادت من نفوذ البابا، إذ

---

(١) راجع تاريخ المسيحية، المنفلوطي، ص٣١ - ٣٦. وانظر ص١٠٣.

(٢) راجع تاريخ المسيحية، المنفلوطي، ص٣٦ - ٣٨.

(٣) راجع محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٦٥ - ١٦٦.

(٤) انظر تفصيل ذلك: تاريخ المسيحية، المنفلوطي، ص٧٤ - ٨٧.

خضع لسلطانه جميع الحكام من دول غرب أوربا، كما أدت إلىٰ التوسع في استخدام الغفرانات التي كانت الكنيسة تقدمها للمقاتلين والمتطوعين للقتال كحوافز، كما أدت تلك الحروب إلى توحيد دول غرب أوربا، وعاد المقاتلون إلىٰ بلادهم وقد انفتحوا علىٰ الحضارة العربية التي فتحت أمامهم آفاقاً جديدة[١].

## حركة الإصلاح الديني:

هناك العديد من الأسباب التي دعت إلىٰ الثورة، وأنتجت ما يسمّى حركة الإصلاح، وأول هذه الأسباب هو السلطة التي حصل عليها البابا، تلك السلطة التي منحتها له المجامع. فهذا مجمع روما المنعقد سنة ٨٦٩م[٢] قرر أن الفصل في المسائل الدينية من اختصاص كنيسة روما، وأن النصارىٰ يخضعون لقرارات رئيس هذه الكنيسة.

وقد بالغت الكنيسة في فرض تعاليمها علىٰ الشعب، وسلكت سبيل القهر والعنف والتسلط، وحرمت كل رأي يخالف رأيها، واستتبع ذلك تحريم الأبحاث الطبيعية العلمية، وأصدرت فتاوىٰ التكفير لكل عالم يبحث في مسائل الطبيعة والمعرفة[٣].

وعقدت المجامع لذلك، ففي عام ١٢١٠م عقد المجمع الثاني عشر[٤] المسمّى بالمجمع اللاتراني الرابع، وقرر استئصال كل من يرىٰ رأياً يخالف رأي الكنيسة، بل إنهم زعموا في هذا المجمع أن الكنيسة تملك حق الغفران لمن تشاء، وتطور هذا الأمر إلىٰ وثائق تباع.

وراحت الكنيسة تفتش عن العلماء الذين يبحثون في مسائل الطبيعة والمعرفة، وشكلت لذلك نظام محاكمة عرف في التاريخ بـ«محاكم التفتيش».

وقد فرضت الكنيسة أوامرها علىٰ الملوك والأمراء، كما فرضتها علىٰ سائر الناس، وأصدرت قرارات الحرمان واللعن والطرد علىٰ من خالفها، فقد انعقد المجمع الثالث عشر في ليون سنة ١٢٤٥هـ بأمر البابا أينوسنت الرابع لأجل عزل

---

(١) راجع تاريخ المسيحية، المنفلوطي، ص٨٧، ٨٨.

(٢) انظر فصل المجامع.

(٣) أضواء علىٰ المسيحية، ص١٢٧.

(٤) انظر فصل المجامع.

فردريك ملك فرنسا وحرمه[1].

كما فرضت أتاوات علىٰ كل فرد نصراني، واستخدموا كل السبل في جمع المال، كما استحوذت علىٰ أحقية تفسير الأناجيل وإصدار الفتاوىٰ، أي أنها منعت العقل وحجرت عليه من التفكير. ولكن الحروب الصليبية التي أشرنا إليها سابقاً خلفت آثارها التي انعكست أول الأمر علىٰ الكنيسة نفسها، حيث عايش النصارى أثناء تلك الحروب غيرهم من الأمم وانفتح العقل علىٰ آفاق شهد فيها نور الحقيقة من الإسلام في تلك الفترة، فانتشار الدين الإسلامي كان له أكبر الأثر في تهديد النصرانية عامة ونظام الكنيسة بصفة خاصة، فكان مجرد وجود النظام الإسلامي قريباً من العالم النصراني الغربي تهديداً له ولأمته، لا سيما عن طريق طلاب العلم الذين تعلموا في الجامعات الإسلامية.

وتقدم الاتصال الاجتماعي علىٰ المستوىٰ العالمي، وانتعشت الحركة العلمية والاستكشافات الجغرافية، واندلعت ثورات داخلية علىٰ حق الكنيسة في الغفران وما يسمى سر الاعتراف، فكانت الثورة الدينية التي نادى بها «يوحنا هوس» وتلميذه «جيروم».

وملخصها أن الكنيسة ليس لها سلطان في محو الذنوب، وأن التوبة مع رحمة الله فقط هي الطريق الطبيعي لمحو الآثام وتطهير النفوس من الخطايا والأدران.

ولكن الكنيسة رأت أن ذلك هدم لكيانها فانعقد لذلك مجمع «كونستانس» للنظر في ثورة «يوحنا هوس وتلميذه» وقرر المجمع قتل العالمين الثائرين[2].

لكن هؤلاء المصلحين مهدوا الطريق لمن جاء بعدهم، حيث حفل القرن السادس عشر بمجموعة من المصلحين، ومن أشهرهم:

١ ـ أرزم (١٤٦٥ ـ ١٥٣٦م). وقد وجه دعوته إلىٰ الحكام المستنيرين، كما دعا إلىٰ قراءة الكتب المقدسة لفهم العقيدة من مصادرها الأولىٰ. وكان أرزم صديقاً للبابا «ليو العاشر».

وقد حاول أن يتجنب الخلط بين الإصلاح ومركز البابا وقداسته، وأن الإصلاح ينبغي أن يقوم به رجال من الكنيسة نفسها، ولكن احترام البابا لهذه

---

(١) راجع أضواء علىٰ المسيحية ١٢٨.

(٢) راجع أضواء على المسيحية، شلبي، ص١٣١، ١٣٢.

الآراء ألغاه صوت لوثر المعاصر لأرزم الذي ما إن سمع بإصلاحات لوثر حتىٰ رفض مقالات أرزم[1].

٢ ـ تومس مور (١٤٧٨ ـ ١٥٣٥م). ظهر في إنجلترا، ودعا إلىٰ إصلاح الكنيسة متبعاً في ذلك منهجاً هادئاً، فأعلن أن سيادة البابا واجبة، وأن سلطانه الديني يجب أن يشمل الجميع.

٣ ـ مارتن لوثر: ولد عام ١٤٨٢م، في ألمانيا، وقد كانت له ميول دينية، عكف علىٰ دراسة الفلسفة ودفعته عواطفهُ إلى أن يزور روما، حيث اصطدم بما رآه من القديسين والرهبان الذين انغمسوا في الشهوات والملذات.

وقد أخذ يدعو إلىٰ الإصلاح بعد أن عاد إلىٰ ألمانيا في الفترة التي كان البابا «ليو» يريد إعادة بناء كنيسة بطرس في روما، وشاء أن يكون تمويلها من صكوك الغفران، فأرسل أحد الرهبان إلىٰ ألمانيا ومعه أوراق الغفران ليبيعها. وهنا كانت ثورة لوثر، حيث كتب منشورات يلعن فيها بيع صكوك الغفران وعلقها على أبواب الكنيسة، فتهيج الرأي العام وتنبه، فغضبت البابوية.

وأصدر البابا قراراً بحرمان لوثر، الذي اشتد في عدائه، فاجتمع مجمع «ورمز» لمحاكمة لوثر، الذي انفض من غير نتيجة، ولكنه صادق علىٰ قرار حرمان لوثر من الحقوق المدنية بناءً على قرار البابا بالحرمان.

وقد تعاطف مع لوثر بعض الأمراء وتولوا حمايته، منهم أمير سكسونية الذي قدر علىٰ حمايته.

وفي عام ١٥٢٩م حاول الإمبراطور أن ينفذ قراره، فمنعته القوة الشعبية لأفكار لوثر، واحتجوا فسموا بعدها بـ«البروتيستنت» ـ والتي تعني المحتجين ـ حتىٰ مات لوثر.

٤ ـ زونجلي. سويسري الأصل، ولد عام ١٤٨٤م. وقد ابتدأ ثورته علىٰ الكنيسة بسبب صكوك الغفران، ومات عام ١٥٣١م في أثناء صراع بين أنصاره وأنصار الكنيسة الكاثوليكية[2].

---

(١) راجع أضواء علىٰ المسيحية، ص١٣٢، ١٣٣.

(٢) راجع أضواء على المسيحية، ص١٣٣ ـ ١٣٥.

٥ ـ كلفن: فرنسي ولد عام ١٥٠٩م وحياته الثقافية تشبه إلىٰ حد ما حياة لوثر، وعندما شاعت تعاليم لوثر أخذ كلفن في مساعدتها والدعوة إليها. وكتاباته تعتبر الأصل الأساسي في تنظيمات الكنيسة البروتستنتية[١].

وقد كان لهذه الحركات الإصلاحية أثرها، حيث عجزت الكنيسة عن القضاء علىٰ هذه الحركات، وبقيت الكنيسة في واد، ودعوة الإصلاح في واد آخر. وكانت نتيجة ذلك أن أنشأت الحركة الجديدة كنائس لأتباعها سميت الكنائس البروتستانتية لها مبادئها التي تميزت بها[٢].

تلك كانت حركة الإصلاح وما نادت به، وقد قامت حركات إصلاحية من قبل كحركة أريوس ونسطور وغيرهما، ولكنها فشلت واندثرت، ولم يبق لها إلاَّ ظلال قليلة، أما حركة لوثر فقد ساعدها تطور الزمن والحرية التي انتعشت، ثم ساعد بعد ذلك علىٰ انتشارها أنها صادفت اكتشاف أمريكا، فدخلت هذه البلاد مع أتباعها من الإنجليز وغيرهم، وهناك قويت واستقرت.

ولكن إذا تعمقنا في فهم هذه الحركة فكما يقول الدكتور أحمد شلبي نجد أنها فشلت من ناحيتين:

ـ لم تستطع تقويم الكنائس التي كانت قائمة، ولم تفلح في التغلب علىٰ البابا وأفكاره وأتباعه، فأنشأت لها كنائس خاصة تظهر فيها المبادئ الإصلاحية التي اعتنقتها.

ـ كانت الحركة إصلاحاً للكنيسة لا للنصرانية، فما أثاره لوثر ومعاصروه هو أفعال الكنيسة في ذلك العهد، أما البحث في الأشياء المهمة التي دخلت علىٰ النصرانية الأصيلة فلم يكن موضوع إصلاح عند لوثر ومعاصريه.

وعلىٰ هذا بقيت موضوعات مهمة لم يتطرق لها الإصلاح مثل:

ـ التثليث.

ـ صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر.

ـ أصول الكتاب المقدس، والصلة بين الأناجيل ومؤلفيها، وأين الإنجيل الأصلي.

---

(١) راجع أضواء علىٰ المسيحية، ص١٣٦.

(٢) انظر فصل الفرق ص٢٩٥.

ـ مدىٰ سلطة المجامع في اتخاذ القرارات المتعلقة بأسس الدين.

وبهذا كان نجاح الحركة الإصلاحية محدوداً، ومحدوداً للغاية[1].

## ما قبل الثورة الفرنسية:

استمر الصراع بين الكنيسة والعلم، وحاولت الكنيسة كما قلنا أن تحتكر هذا العلم، وتهيمن علىٰ الفكر البشري، وشكلت محاكم التفتيش لتعقب المخالفين لآراء الكنيسة.

وقد ظهرت خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر العديد من النظريات والاكتشافات العلمية حول كروية الأرض، وحركات الأجرام السماوية، ونظرية الجاذبية الأرضية، وغيرها مما كان يرىٰ أصحابه أنه لا مضايقة فيه بين العلم والدين، ولا سلطان لأحدهما على الآخر.

ولكن الكنيسة قاومت كل محاولة للتجديد وإن كانت نافعة خيرة، وقد كان اكتشاف نيوتن حول الجاذبية المؤيد بقانون رياضي من أعظم الاكتشافات أثراً في الحياة الأوربية، فهي التي وضعت أساس الفكر المادي الغربي، وإليها يعزىٰ الفضل في نجاح كل من المذهب العقلي والطبيعي، وإن كانت هذه الآثار لم تظهر إلا فيما بعد.

وكرد فعل لهجوم الكنيسة العارم قام العلماء بالهجوم علىٰ الدين، من غير هدف معين وإنما فقط للانفكاك من ربقة الكنيسة.

وقد مهدت نظرية نيوتن فكرياً للثورة الفرنسية، وتميز القرن الثامن عشر بظهور روح الشك في كل شيء تقريباً، وظهر مصطلحا «العقل والطبيعة» هروباً من نير الكنيسة، فنادت أصوات الفلاسفة أن العقل هو الحكم الوحيد وهو كل شيء، وما عداه وهم وخرافة، وما خالف العقل فهو أسطورة كاذبة، وتبع ذلك الوحي وغيره مما لا يتفق مع مألوف العقل. والطبيعة إلٰه جذاب ليس له كنيس ولا التزامات، لا يستدعي طقوساً ولا صلوات، وكل ما يطالب به الإنسان أن يكون إنساناً طبيعياً تلبي مطالبه الطبيعة في وضوح وصراحة. وهو ما سمي «عصر التنوير».

---

(١) راجع المسيحية، شلبي، ص٢٦١ ـ ٢٦٢.

وهكذا فهذا الإلٰه ليس له رجال دين يستعبدون الناس لأنفسهم، ولا كتاب مقدس متناقض، ولا أسرار عليا مقدسة، وقد بين العقل أن الرهبانية تعني تضييعاً لقدرة الإنسان الإنتاجية.

ثم العقل يقول إن النظام الرياضي ضد مبدأ التثليث، فإن أي نظام رياضي لا يسمح أن يكون الثلاثة ثلاثة وواحد في آن واحد.

وربما كان أعدى أعداء الكنيسة في تلك الفترة هو «فولتير» الذي انتقد العقيدة النصرانية في التثليث وتجسيم الإلٰه والصور المقدسة، وأنحىٰ باللائمة علىٰ بولس الذي طمس النصرانية وحرفها.

وهكذا كان شيوع المذهب العقلي في عصر التنوير نتج عنه بالاعتماد علىٰ أفكار نيوتن وغيره مذهبان جديدان علىٰ العالم النصراني ينمان عن التخبط والضياع:

ـ مذهب المؤلهة أو المؤمنين بإله مع إنكار الوحي، لأن الوحي يعني صحة تعاليم عدوهم وهو الكنيسة، وكل عمل الإله أنه خلق الكون ثم تركه يدور، وفق القوانين المودعة فيه والتي أوضحها نيوتن.

ـ المذهب الإلحادي المادي. وتهافت مذهب المؤلهة جعل أصحاب هذا المذهب ينكرون هذا الإلٰه الذي لا أثر له، والطبيعة تغني عنه، والاعتراف بوجوده نوع من الإقرار بصحة دعاوى الكنيسة.

هكذا كان الصراع بين الكنيسة والدين، والذي كان مقتصراً على الفلاسفة والطبقات المثقفة، ولم يتجاوز ذلك إلىٰ القاعدة الشعبية إلا بعد الثورة الفرنسية التي كانت سنة ١٧٨٩م. وبقيامها افتتح عصر جديد من الصراع بين الدين واللادين[1].

## الثورة الفرنسية وأثرها علىٰ النصرانية المعاصرة:

هيمن النظام الإقطاعي علىٰ أوربا بصورة ظالمة. وفي الفترة التي كان ينعم فيها الشرق المسلم بالحياة في ظل أفضل وأعدل مجتمع عرفه التاريخ، كان الغرب النصراني يئن تحت ظلم الإقطاع. وكان أرقاء فرنسا هم رواد الثورة،

---

(١) راجع العلمانية، ص١٥٠ ـ ١٦٤.

فموقعها الجغرافي المحاذي للجزء المسلم من أوربا، وبعدها النسبي عن مركز البابوية في روما جعلها أقرب إلىٰ روح التحرر.

وكان للحركات الإصلاحية التي تزعمها لوثر وغيره، وما أحدثته من مذاهب وفرق لا حصر لها الدور في إضعاف السلطة الكنسية كذلك.

فالكنيسة ناقضت تعاليم الإنجيل الداعية إلى المحبة والتسامح، ونافست الأفراد والإقطاعيين في إذلال الشعوب وقهرها، وأدىٰ هذا إلىٰ مزيد من استغلال للأرقاء من قبل أسيادهم، كي يعوضوا الأسياد عن الضرائب التي فرضتها الحكومة على إقطاعياتهم.

وفي السنوات السابقة للثورة بلغ الفساد السياسي والتدهور الاقتصادي في فرنسا غايته بإرهاق الشعب بالضرائب، وعصفت بالبلاد موجة من الجوع ونقص المؤن، في حين بقيت طبقة رجال الدين والأشراف والأسرة المالكة تنغمس في مختلف الملاذ.

وكانت الثورة التي تمخضت عن نتائج بالغة الأهمية، فقد ولدت لأول مرة في تاريخ أوربا النصرانية دولة لا دينية تقوم فلسفتها علىٰ الحكم باسم الشعب وليس باسم الله، وعلىٰ حرية التدين وعلىٰ دستور وضعي بدلاً من قرارات الكنيسة.

وقامت الثورة بأعمال غريبة، فقد حلت الجمعيات الدينية، وسرحت الرهبان والراهبات، وصادرت أموال الكنيسة وألغت كل امتيازاتها، وحوربت العقائد الدينية.

وقد كانت الثورة الفرنسية بداية، إذ توالت بعدها الثورات في أنحاء القارة، وكان نجاحها يعني انهيار النظام الإقطاعي، وانهيار نفوذ الكنيسة، ومن الطبيعي لتغير عميق كهذا أن يصحبه فراغ هائل في المعتقدات والقيم.

وتزلزلت العقائد الدينية جملة، وانتشر الإلحاد بسبب ما أشاعه أعداء الدين من نظريات باطلة مثل نظرية التطور، ساعد علىٰ ذلك ما أباحته الثورة الفرنسية من حرية الإلحاد تحت شعار حرية الاعتقاد.

لقد استبعدت أوربا الدين في جميع قضاياها، وليكتب من شاء ما شاء ما دام لا ينبع من الدين، فقد ذاقوا ويلات الخضوع للدين يوم ظهرت نظريات

الكون والأفلاك، يوم أن كانوا محرومين باسم الطاعة الإلهية (باسم الكنيسة) من حقوقهم وحرياتهم.

ولا ضرر على الدين من قيام الحياة على اللادين. وهكذا فإن المجتمع الغربي منذ مطلع القرن العشرين قد تخلى عن حقيقة الدين، وأصبح الدين لا يعني عنده سوى واحد من أمرين: الطقوس المتحجرة التي كان يقيمها أولئك الذين كانوا متمسكين عن طريق العادة، أو اللامبالاة الساخرة من قبل أولئك الذين كانوا أحراراً، والذين كانوا يعتبرون الدين خرافة يمكن للمرء أن يمتثل لها في بعض المناسبات ظاهرياً.

والذين يذهبون إلى الكنيسة قلة ضئيلة، وهذه القلة لا تجد من الدين في الكنيسة ما تنشده، بل ربما وجدت من مظاهر الفساد ما لا تجده في الأماكن المعدة لذلك.

يقول الأديب الأمريكي «أرسن» ١٨٨٢م : «إن الدعوات بل والعقائد الثابتة في كنائسنا أشبه شيء بالبرج الفلكي في دندرة أو الآثار الفلكية عند الهندوس تنعزل انعزالاً تاماً عن أي شيء مما يوجد اليوم في حياة الناس وأعمالهم. لقد فقدت الكنيسة سيطرتها على عواطف الأخيار ومخاوف الأشرار، وأصبحت نصف الدوائر الدينية تنشد لمجرد النشيد».

وقد أجري استفتاء عن الدور الذي يلعبه الدين في حياة الأوروبيين اليومية، فكانت النتيجة أن الدين لا يلعب دوراً كبيراً على الأقل على المستوى الشعوري من قرارات الآلاف من الأشخاص، وليس السبب أن هؤلاء غير متدينين، فكثيرون منهم من رواد الكنائس، بل السبب أنهم لا يرون صلة بين تصرفاتهم اليومية وبين تدينهم، وأكثرهم يعترف أن الدين لا ينفذ إلى أعماقهم.

فإذا كان الدين قد فقد قيمته في قرارات النفوس ومشاعر الناس بهذه الصفة، فهل يليق بأحد أن يسأل بعد عن دوره في واقع الحياة الغربية، وهل يمكن أن يكون ذلك إلا نتيجة العلمانية (اللادينية) التي أطبقت على نواحي الحياة وتسربت في كيان الأفراد والمجتمعات[١].

وهكذا يمكن القول أن النصرانية اليوم لا تعيش في قلوب النصارى ولا

(١) راجع العلمانية، ص ٤٩٣ ـ ٥٠٢.

عقولهم ولا أفعالهم، ولم تعد صالحة لحل معضلات الحياة ومشاكلها، بل ليس لها أي دور في حياة النصارى اليومية ولا في تصوراتهم للحياة ولا في أمالهم المستقبلية.

وذلك كله بسبب انحراف النصرانية عما كان عليه المسيح عليه السلام وبتبديلهم لدين الله عز وجل مما جعلها ديانة تعصف بها الأهواء والتصورات الخاصة، التي أدت بها إلى تلك المواقف البعيدة عن العقل والشرع، مما جعل الشعوب تنفر مما تنتمي إليه تلك المواقف والعقائد، فأعرضت عن الدين بالكلية وتبنت الإلحاد والعلمنة شريعة ومنهجاً وجعلت الدين أمراً خاصاً بكل فرد من أفراد المجتمع يمارسه أو يعرض عنه أو يميل عنه ما يشاء ويرفض ما يشاء حسب رغبته وهواه، وكل ذلك لا شك مما جنته يد أحبار السوء ورهبانها الذين غيروا دين الله وبدلوه وصدوا عن سبيل الله، قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].




# الباب الثاني

## العوامل الداخلية وأثرها في تحريف رسالة المسيح عليه السلام

### وفيه أربعة فصول

الفصل الأول: بولس وأثره في تحريف النصرانية.

الفصل الثاني: فقدان النصوص الأصلية للنصرانية وأثره في الانحراف العقدي.

الفصل الثالث: الفرق النصرانية وأثرها في الانحراف العقدي.

الفصل الرابع: المجامع النصرانية المسكونية وأثرها في تحريف العقائد.




# الفصل الأول

# بولس ودوره في تحريف النصرانية[1]

من الحقائق المقطوع بصحتها أنّ أنصار شاول الطرسوسي أو (بولس) وخصومه وإن كانوا مختلفين فإنهم يتفقون على أمر واحد ذي أهمية بالغة، وهو خطورة شخصية بولس، وعلى كبر دوره في تشكيل النصرانية الراهنة التي يعرفها الناس اليوم.

فالواقع أنّ بولس يعد أبرز شخصية في الديانة النصرانية بعد المسيح ﷺ، وذلك لما كان له من أثر بالغ في تحريفها وما آلت إليه كما سنتبين من خلال هذا الفصل.

## أولاً: شخصيته ودخوله في النصرانية ودوره في الدعوة إليها:

### ١ ـ اسمه:

كان بولس يدعى باسم (شاول)، وهو اسم عبري على اسم أول ملوك بني إسرائيل عندهم الذي كان أيضاً من سبط بنيامين. ومعنى شاول في العبرية «المطلوب» أو «المرغوب فيه». واستمر يدعى بهذا الاسم حتى بعد أن اعتنق النصرانية بزمن، ثم أطلق عليه بعد ذلك اسم بولس، واشتهر به وهو اسم روماني ومعناه «الصغير»[2]. وكان يلقب نفسه باسم بولس الرسول، وبهذا الاسم عرف عند الأمم[3].

---

(١) إنما اعتبرنا بولس من العوامل الداخلية بل من أهمها لأن النصارى يعدونه من المؤسسين لديانتهم، مع أن حقيقته لا تعدو أن يكون محرفاً لدين المسيح ﷺ بقصد أو من غير قصد. وتجدر الإشارة بأن من العلماء من يرى أنه مدسوس على النصرانية مثل ابن حزم وغيره. انظر، ص٢٠٩، ٢١١، من هذا الفصل. فهو بهذا يعتبر من العوامل الخارجية، وقدمت الاعتبار الأول ملاحظة لاعتقاد النصارى فيه.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص١٦٩.

(٣) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٧٤.

ويرى ديورانت أن اسم بولس كان هو اللفظ اليوناني المرادف للاسم العبري شاول، ولهذا ظل الاسمان يطلقان على هذا الرسول منذ طفولته[١].

وقيل: إن اسم شاول هو الاسم اليهودي الذي دعي به من قبل والديه، أما بولس فهو اسمه الأممي[٢].

## ٢ ـ مولده:

يتفق كتاب المصادر النصرانية المتاحة على أن بولس ولد بمدينة يونانية هي (طرسوس) عاصمة ولاية «قيليقية»، وهي تقع حالياً في جنوب تركيا على بعد (١٧) كم تقريباً من البحر المتوسط[٣]. من أبوين يهوديين من سبط بنيامين، وينتميان إلى فرقة الفريسيين[٤]، أي أنه من يهود المهجر أو من اليهود غير الفلسطينيين[٥].

ولم تتفق المصادر على تاريخ ولادته، ويفترض أنه ولد بعد المسيح بـ(١٥) سنة[٦]، وقد تفاوتت تقديرات المؤرخين لتاريخ ميلاده بين السنة الأولى الميلادية وسنتي ٤ و٦م[٧]. أي أنه كان من معاصري المسيح.

وذكر صاحب قصة الحضارة أنه ولد حوالي سنة ١٠م[٨]، وقيل إنه ولد ما بين عامي: ٥ و١٥م[٩]، ولكنه لم ير المسيح طوال حياته[١٠]. وقيل: إنه

---

(١) قصة الحضارة ١١/٢٤٩.

(٢) مختصر تاريخ الكنيسة ص، ١/٨٦.

(٣) كانت قديماً على ضفتي نهر كيدنوس، وكانت وقتئذ عند مصب النهر مرفأ ترد إليه بضائع كثيرة، غير أن ذلك النهر تغير مجراه، لذا تعتبر الآن مدينة ثانوية بالنسبة إلى الميناء المجاور. قاموس الكتاب المقدس ٥٧٥ ـ ٥٧٦.

(٤) حياة بولس ف.ب ماير ص١٦، قاموس الكتاب المقدس ١٦٩، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ٣٢٧ نقلاً عن رسائل الرسل.

(٥) دراسات في الملل والنحل، ص١٧.

(٦) Le christ, Geneber، ص٢١٣.

(٧) قاموس الكتاب المقدس، ص١٩٦، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص٣٢٧، نقلاً عن رسائل الرسل.

(٨) قصة الحضارة، ١١/٢٤٩.

(٩) معجم الحضارات السامية، ص٢٤٥.

(١٠) دراسات في الملل والنحل، ص١٧.

لم يدرك عيسى[1].

### ٣ ـ جنسيته:

جاء على لسانه في سفر أعمال الرسل: «أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ولكن ربيت في هذه المدينة ـ أورشليم ـ»[2].

وفي السفر ذاته صرح أنّه يهودي فريسي قال: «أيها الرجال الأخوة أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات»[3].

ومن الملاحظ أن بعض النصارى أنكر يهوديته فمن ذلك قول رينان وغيره: أن بولس هذا لم يكن يهودياً وأنه تظاهر بدخول اليهودية كي يتزوج من بنت رئيس الكهنة واختتن لذلك فلما أبى رئيس الكهنة أن يصاهره دخل في النصرانية، وادعى أنه رسول المسيح إلى النصارى[4].

ورجح ويلز في معالم تاريخ الإنسانية أنه يهودي المولد، وإن كان بعض الكتاب اليهود ينكرون ذلك[5].

وهو مع هذا يدعى أنه روماني من ناحية جنسيته فقد ورد في الإصحاح الثاني والعشرين من نفس السفر: «فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المئة الواقف: أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مقضي عليه. فإذا سمع قائد المئة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلاً انظر ماذا أنت مزمع أن تفعل لأن هذا الرجل روماني، فجاء الأمير وقال له؛ قل لي أنت روماني؟ فقال: نعم[6].

### ٤ ـ بيئته ونشأته العلمية والدينية:

قبل الحديث عن نشأته تجدر الإشارة إلى البيئة التي نشأ فيها فقد كانت

---

(١) تحفة الأريب، ص١٠٩.

(٢) أعمال الرسل، ٢٢/٢.

(٣) أعمال الرسل، ٢٣/٦.

(٤) دعوة التوحيد، عرفة سالم، وانظر دائرة المعارف للبستاني، ٥/٦٩٩.

(٥) معالم تاريخ الإنسانية، ٣/٧٠٥.

(٦) أعمال الرسل، ٢٢/٢٥ ـ ٢٧.

طرسوس مدينة نشطة، كما كانت حلقة اتصال بين هضبة آسيا الصغرى وبين الشام، ومفرق الطرق التجارية الهامة التي يرد إليها ـ بحكم موقعها هذا ـ في آن واحد من اليونان وإيطاليا والشام وقبرص ومصر سيلٌ لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات المختلفة.

وحاول ملوك الشام وخاصة أنطاكيوس (سنة ١٧١ ق.م) أن يصبغوها بالصبغة الإغريقية غير أنها بقيت أساساً مدينة شرقية، وذلك على الأقل في مجال المعتقدات السائدة، وإن انتشرت فيها المدارس اليونانية وقام بين رحابها ما يشبه ما نسميه اليوم بالجامعة.

ويقول الجغرافي (سترابون) الذي كان معاصراً لبولس عن تلك الجامعة: إنها كانت سبباً لشهرة المدينة في العالم اليوناني والروماني، وكانت تنافس مدارس أثينا والإسكندرية وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية.

وكان أساتذة هذه الدراسات ينتمون إلى المذهب الرواقي، وراحوا ينشرون مبادئه على نطاق واسع في شبه حملة تبشيرية ذات طابع شعبي يتفق مع طرق تفكير الجماهير. وهذا ما يفسر ـ كما سنرى فيما بعد ـ معرفة بولس للمبادئ الأولى للفلسفة الرواقية وللوسائل الشائعة في الأساليب الخطابية لدى المفكرين اليونانيين على حد تعبير الكاتب النصراني شارل جينيير.

وهو يرجح أن بولس لم يكن من رواد جامعة طرسوس ولا من دارسي الفلسفة الرواقية، ولكن كفاه أنه عاش سني شبابه في الوسط الذي تشبّع بالتراث اليوناني على أيدي أساتذة الفلسفة الذين جمعوا بين التفكير الفلسفي والأسلوب الخطابي ليتشبع بتلك الأفكار[١].

لكن انتقلت إليه بعض المبادئ الدينية والأخلاقية الرواقية من بيئة طرسوس، ويؤكد هذا المعنى. د. هنتر Hunter أن بولس لم يتلق تعليماً رواقياً ولم يدرس الكتب اليونانية لأن الفريسيين لم يكونوا يسمحون بأن يتأدب أبناؤهم بهذا الأدب اليوناني الخالص. ولو أن كاتب الرسائل ـ يعني بولس ـ درس اليونانية لما كتبها بهذا الأسلوب اليوناني الركيك. على أنه عرف كيف يتحدث بهذه اللغة بطلاقة تمكنه من أن يخاطب المستمعين له من الأثينيين، وأن يشير

(١) المسيحية، جينيير، ص٨٨، بولس وتأثيره في المسيحية، ص١٤، ١٥.

أحياناً إلى بعض الفقرات الموجودة في الأدب اليوناني[1].

أمّا عن الحياة الدينية في تلك الفترة فقد أشرنا إلى جانب من وضع منطقة البحر المتوسط عند الحديث عن البيئة الدينية وقت مبعث المسيح عليه السلام[2].

أمّا عن الوضع الديني في المنطقة المحيطة بطرسوس ـ من بحر إيجة غرب آسيا الصغرى قديماً، (تركيا حديثاً) وشرقاً حتى بلاد ما بين النهرين ـ فنلحظ كثرة تعدد الآلهة وظهورها في صورة بشرية تبرز تجسدها في تلك الصورة، وهي ظاهرة معروفة لدى اليونانيين والرومانيين، وأهم الآلهة التي كانت موجودة: أتيس في بلاد الفريجيين ـ تطلق على مقاطعة في غرب آسيا ـ وأدونيس في الشام، وتموز في بلاد ما بين النهرين، وأوزريس في مصر، وميثرا في فارس.

وطبعي أن يتبادر إلى الذهن عدة أسئلة بخصوص نشأة هذه الآلهة وتطورها، ويلخص شارل جينيبير الوضع أنّ تلك البيئة شاع فيها فكرة موت الآلهة ثم بعثها في زمن معين[3]، واقترنت تلك الآلهة بآلهة أم تتمثل في الأرض أو الطبيعة الخصبة، وعادة ما ترسم لها صورة جميلة تنم عن الطهارة والحنان والمحبة والبراءة.

ويجمع بين تلك الآلهة عامل مشترك فالأساطير تقتضي موتهم في مواسم معينة من السنة ثم بعثهم في مواسم أخرى وبالتالي يستثيرون عواطف المؤمنين بهم من الحزن إلى الفرح[4]، ولا شك أن هذه المسألة سوف تفيدنا كثيراً في بحثنا هذا فيما بعد.

أما عن العلاقة بين الإله والإنسان فيشرحها جينيبير بقوله: يتعذب الإله تماماً كما يتعذب الإنسان ثم يموت كما يموت الإنسان ولكنه يتغلب على العذاب وعلى الموت إذ يبعث من جديد وأتباعه يمثلون رمزاً ويجددون كل عام بشكل ما مأساة حياته على الأرض.

ونقل إلينا جوستين وهو أحد المدافعين عن النصرانية في القرن الثاني

---

(١) قصة الحضارة، ١١/٢٤٦، بولس وتأثيره ص١٥.

(٢) انظر الفصل الأول من الباب الأول من هذه الرسالة.

(٣) المسيحية، جينيبير، ص٩٣.

(٤) راجع: عبقرية المسيح، ص٦٧، وفصل الوثنيات القديمة، ص٣٤٩.

الميلادي أن أسرار ميثرا احتوت على نوع من الشعائر بغرض تقديم كأس من الشراب وقطعة خبز إلى المؤمن مع النطق ببعض العبارات المعروفة آنذاك[١].

ويشير جينيبير إلى أن مأدبة القربان لا تعني فقط الجلوس وإنما تذهب في رمزيتها إلى أبعد من ذلك، إنها تعني بالنسبة إلى المؤمنين طعامهم الإله نفسه وتشربهم بجوهره المنجي[٢].

هذه باختصار نبذة موجزة عن الحياة الدينية في المناطق حول طرسوس، أمّا عن طرسوس نفسها ومدى تأثرها بالمعتقدات السائدة مما حولها فينقل الدكتور (هـ.تشبس) إن طرسوس كانت مركزاً لعبادة إلٰه الزراعة ساندان الذي شابه الأديان الخفية تماماً الذي قرنه أهل اليونان بهرقل، وكان يقام في طرسوس مهرجان سنوي لتكريم ساندان حيث يبلغ الاحتفال ذروته عند التظاهر بإحراق تمثال هذا الإلٰه.

وكانت فكرة بعثه إلى حياة جديدة هي محتوى هذا الطقس الديني، مما يوحي على الفور بصلة قرابته مع عبادة أدونيس بالشام وأتيس في تركيا وأوزوريس في مصر وتموز في بابل حيث تشترك الآلهة جميعاً في معنى واحد هو الموت ثم القيامة منه[٣].

وهكذا نلاحظ أن المعتقدات الوثنية كانت فعلاً موجودة في طرسوس وهي تشبه غيرها من المعتقدات الموجودة في أجزاء الإمبراطورية.

وكما ذكرنا آنفاً أن موقع طرسوس الاستراتيجي، بالإضافة إلى العلاقات التجارية مع المناطق الأخرى كل ذلك جعل تبادل التيارات الفكرية والدينية يتم بكل سهولة، والتاريخ يحوي كثيراً من الأمثلة على تبادل هذه التيارات والمعتقدات، وهو ما سنتعرض له عند حديثنا عن بولس وما نادى به من عقائد وشعائر ومدى ارتباطها بما كان سائداً في مدينته وما جاورها من معتقدات.

ولما بسطت روما سلطتها على منطقة الشام أصبح اليهود من رعايا الإمبراطورية الرومانية، ووقعت مدينة طرسوس في حوزة روما فمنحت لبعض سكانها حقوق المواطنة الرومانية، وكان والد بولس ممن نالوا هذه المواطنة[٤].

---

(١) راجع: المسيحية جينيبير، ص٩٤ ـ ٩٩.
(٢) راجع: المسيحية جينيبير، ص٩٩.
(٣) بولس وتأثيره في المسيحية، ص٢٢٥.
(٤) بولس وتأثيره في المسيحية، ص٢٢٥.

وبناءً على هذا يمكن القول بأن بولس يهودي الديانة، يوناني الثقافة وله حقوق المواطن الروماني لما سبق ذكره.

وقد أثرت هذه العناصر الثلاثة في تكوينه الفكري والثقافي كما سيتضح ذلك من خلال عرض نشأته.

وفيما يتعلق بنشأته يقول (ف.ب ماير): إن بولس بدأ في الخامسة من عمره يقرأ الكتاب المقدس ـ أي التوراة ـ وفي السادسة من عمره أرسل إلى مدرسة أقرب معلم، وفي العاشرة تعلم الناموس الشفوي، وفي الثالثة عشرة صار أباً للناموس بموجب طقس معين[1].

ويرى صاحب كتاب تاريخ المسيحية أنه فكر في إعداد نفسه لكي ينخرط في سلك فقهاء الشريعة يوم انتقل من بلدته ليدرس تحت إشراف غمالائيل[2]، في حين يرى صاحب قصة الديانات أن نفسه كانت تهفو لكي يصبح ملاحاً ـ فقد كان يقضي معظم وقته على ساحل طرسوس يرقب السفن وهي تأتي من البحر المتوسط ـ ولكن أباه كان يرغب لابنه أن يصبح حاخاماً[3].

وبعد أن تعلم حرفة صنع الخيام، وتلقى العلم في المجمع الديني القائم في المدينة، أرسله أبوه إلى أورشليم، وهناك كما يقول بولس عن نفسه إنه تعلم عند رجلي غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي الدقيق[4] في الثانية عشر أو الثالثة عشرة من عمره[5].

وقد خلف غمالائيل بولس في رئاسة السنهدرين، وواصل السنة القديمة سنة تفسير الناموس، ولقّبه اليهود بما لم يلقب به إلا ستة رجال من بعده وهو (الربان) أي: (سيدنا)[6]. وكان متطرفاً في ولائه للفرقة الفريسية[7].

---

(١) حياة بولس، ص٢٢، ويلاحظ أن هذا لا يعدو أن يكون بناءً على ما هو معلوم من حال اليهود في ذلك الوقت مع أبنائهم، لا أن هناك معلومات مدونة تتعلق ببولس في هذا.

(٢) تاريخ المسيحية، ١/ ٤٠.

(٣) قصة الديانات، ص٤٣٥، ٤٣٦.

(٤) أعمال الرسل، ٢٢/ ٣.

(٥) معجم الحضارات، ص٢٤٥.

(٦) قصة الحضارة، ١١/ ٢٥٠.

(٧) تاريخ المسيحية، ١/ ٤٠.

وعن هذا يقول صاحب قصة الحضارة ـ تعليقاً ـ: إن بولس استفاد كثيراً من أستاذه، فكان مجادلاً سوفسطائياً، ذا فلسفة دينية وأخلاقية لا يبتعد كثيراً عن الرواقية التي كانت بيئتها في طرسوس نفسها، ولكنه مع ذلك كان يتهاون في تعليم الناموس بما يتلاءم مع ضعف النفس البشرية بما يجعل تعاليم اليهودية من الكتاب المقدس سهلة متسامحة بعض الشيء، وتلك كانت طريقة أستاذه غمالائيل فقد كان يفسر الناموس تفسيراً آلياً كما كان جدلياً بارعاً[١].

ويرى بعض المؤرخين رأياً آخر في نشأة بولس العلمية، وهو أنه تعلم في مجمع مدينته مستبعدين أن يكون من تلاميذ كهنة فلسطين، لأنه قد وصل به الحال إلى أنه تجاهل وأنكر أساتذته في طور من أطوار حياته.

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أنه قد أحسن التعبير عن الروح اليهودية التي كانت تسود ـ كما بدا لهم ـ معابد المهجر المتأثرة بالفكر اليوناني، كما يغلب على ظنهم أنه تلقى فعلاً العلوم الخاصة بأصول اليهودية وأتى عليها، وتدرج في الدراسات الدينية إلى أبعد حدودها، ولكن في غير القدس من المدن فلم تكن فلسطين هي الموطن الوحيد للعلماء اليهود، فمنهم من كان يقيم أيضاً في الإسكندرية كما أن منهم من كان يقيم في أنطاكية، والدلائل عند هذا الفريق من الباحثين تشير إلى أن بولس قد أكمل دراسته بهذه المدينة الأخيرة.

ويستند هذا الفريق في رأيه إلى ما تغلب على ظنهم من أن بولس كان يعتمد على الترجمة اليونانية للتوراة وهي المسماة بالسبعينيّة[٢]، وذلك يدعوهم إلى الاعتقاد بأن بولس لم يدرس النصوص المقدسة في مدينة القدس، وإنما كانت دراسته لها في إحدى المدارس اليهودية في المهجر وعلى الأخص في أنطاكية والتي لا تبعد عن طرسوس كثيراً، فقد كانت المركز الفكري الأكبر لآسيا الصغرى اليونانية، كما كانت ميدان التلاقي والتجمع لأصحاب المذاهب والمعتقدات المتشابهة والمختلفة.

ويعلق الدكتور محمد أبو الغيط الفرت على الرأيين السابقين فيقول: لعله

---

(١) قصة الحضارة، ١١/ ٢٥٠، بتصرف.

(٢) السبعينية هي الترجمة اليونانية للعهد القديم وقد تمت في حدود سنة ٢٨٢ق.م وكان يهود المهجر يعتبرون النص السبعيني منزلاً تماماً كالنص العبري. المسيحية نشأتها وتطورها، ص١٠٨.

يكون من المستطاع أن نجمع بين الاتجاهين بقولنا: إن بولس لما فرغ من تعليمه الديني في مجتمع مدينته ـ طرسوس ـ أرسله أبوه إلى أورشليم ليتم تعليمه في جامعتها الدينية، وبعبارة أخرى في مجمعها الديني طلباً لأصول الدين اليهودي ثم أكمل دراسته في أنطاكية[١].

ونضيف إلى ذلك أن اقتصار بولس على ذكر تلمذته لغمالائيل لا يقوم دليلاً على أنه لم يتعلم في أورشليم كما ذكر شارل جينيبير، فربما اقتصر على ذكر أهم أساتذته الذين استفاد منهم، وتلقى العلم على أيديهم.

وتمتع بولس بصفات خلقية لعبت دوراً متميزاً ومهماً خصوصاً بعد تنصره، ولا شك أنه اكتسب أيضاً بعض الصفات المهمة من خلال البيئة التي عاش فيها سنوات طفولته وشبابه.

يقول ديورانت: «أما عقله فكان من طراز شائع بين كثير من اليهود، فيه من نفاذ البصيرة وشدة الانفعال أكثر مما فيه من الدماثة... وفيه من الإحساس القوي والخيال أكثر مما فيه من نزاهة الحكم والنظرة الموضوعية للأشياء»[٢].

أما جينيبير فيرى أن بولس تميز بصفات كانت من أسباب نجاحه فيما بعد: الروح الحماسية الوثابة والمنطق المدرب على المناقشة وعزيمة لا تقهر[٣].

وقد ذكر الشيخ أبو زهرة بعضاً من الصفات التي تمتع بها[٤]. ونقل جينيبير أنه لم يكن يتمتع بصحة جيدة، ولعل من تأثيرات مرضه أنه كان عصبياً حساساً بما أثر على كتاباته وأسلوبه وعلى تحجر فكره أحياناً[٥].

وفي رأيي أن هذه الصفات لا بد أن نضعها نصب أعيننا فيما بعد عند الحديث عن العقائد التي نادى بها، حيث تفسر لنا الكثير من الأمور الغامضة والتي تظهر منذ بدء تنصره إلى قيامه بدعوته وأخيراً وفاته.

وسنشير إليها في حينها لبيان مدى علاقتها بهذه الصفات.

---

(١) دعوة التوحيد، عرفة سالم، ص٢٤٦.

(٢) قصة الحضارة، ١١/٢٥١.

(٣) المسيحية، جينيبير، ص٩٠.

(٤) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٨٦ ـ ٩٠.

(٥) Le christ, Geneber، ص٢٠٨.

## ٥ ـ موقفه في يهوديته من النصارى:

كان بولس قبل تنصره يهودياً فخوراً بشعبه وفريسياً مثالياً[١]، وعدواً لدوداً للكنيسة الناشئة[٢].

وقد اشتهر بتعصبه ليهوديته، وينسب إليه سفر أعمال الرسل دوراً رئيسياً في اضطهاد النصارى، وأنه كان عدواً حانقاً على تلاميذ المسيح وحواريّيه المؤمنين به الذين كانوا في نظر اليهود المتعصبين يحدثون خرقاً في صفوف الجماعة اليهودية[٣]، وكان شغله الشاغل نيلهم بالأذى والاضطهاد والإبادة.

ويذكر صاحب الموسوعة النقدية أنه قد عارض النصرانية رغم أن تعاليم أستاذه ـ غمالائيل ـ كانت تطالب برفع القيود عن رسل المسيح والكف عن اضطهادهم[٤]، وربما كان موقفه العدائي من رسل المسيح دليلاً على شدة غيرته على الناموس اليهودي وهو الشأن بالنسبة لكثير من الفريسيين، فقد ورد عنه في رسالته إلى أهل غلاطية: «وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثير من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي»[٥].

ثم إن أول إشارة لاسم شاول في سفر أعمال الرسل جاءت في الإصحاح السابع عند ذكر مقتل «استفانوس»، الذي رجمه اليهود بعد اتهامه بالتجديف على موسى والناموس.

ففي سفر الأعمال: «فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم وصرّوا بأسنانهم عليه... وأخرجوه خارج المدينة ورجموه، والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلي شاب يقال له: «شاول» فكانوا يرجمون استفانوس... وكان شاول راضياً بقتله[٦].

«أما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت، ويجرّ رجالاً

---

(١) راجع: رسالته إلى أهل فيلبي، ص٣ ـ ٥.
(٢) راجع: رسالته إلى أهل غلاطية: ١/١٣ ـ ١٤.
(٣) مختصر دراسة للتاريخ، ص٣٧٥.
(٤) الموسوعة النقدية، ص٧٤.
(٥) ١/١٣ ـ ١٤.
(٦) أعمال، ٧/٥٤ ـ ٦٠.

ونساءً ويسلِّمهم إلى السجن»[1].

وأخذ بولس يضطهد النصارى، وحصل من السنهدرين على السماح له بالبحث عنهم في كل أرجاء سورية، وهو ما تؤيده النقول السابقة من أنه أخذ السلطان من قبل رؤساء الكهنة.

ولكن ماكوبي في كتابه «صانع الأسطورة واختراع النصرانية» عند الحديث عن مشكلة بولس يقول قولاً يشكك في طبيعة العلاقة بين بولس ورئيس الكهنة. يقول: «لكن أي شخص له دراية بالوضع الديني والسياسي في منطقة اليهودية في ذلك الوقت ليشعر بوجود مشكلة هامة هنا، ذلك أن رئيس الكهنة لم يكن فريسياً ولكنه كان صدوقياً، وكان للصدوقيين عداوة مريرة مع الفريسيين. كيف يمكن لشاول بزعم أنه فريسي غيور (فريسي ابن فريسي) أن يعمل هكذا بمنتهى الود مع رئيس الكهنة؟

إن الصورة التي أعطيت لنا من مصادر عهدنا الجديد عن شاول والخاصة بحياته مثل تحوله إلى خدمة يسوع إنما هي متناقضة ومشكوك فيها، وما نسمعه ثانية عن شاول في الإصحاح التاسع أنه كان ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى الجماعات اليهودية بدمشق ليفوضه إذا وجد أناساً رجالاً ونساءً من الذين تبعوا الطريق الجديد أن يسوقهم موثقين إلى أورشليم.

إن هذا الحادث مليء بالألغاز!!! إذا كان لشاول مثل هذه القوة في السطو على الكنيسة اليهودية فلماذا جاءته فكرة الذهاب إلى دمشق للسطو على الكنيسة هناك؟! ماذا كانت الضرورة الملحة لزيارة دمشق؟ وبجانب هذا ما هي نوعية السلطة القضائية التي كانت لرئيس الكهنة على مدينة غير يهودية مثل دمشق، والتي تمكنه من إعطاء أوامر بالقبض وتسليم مجرمين في تلك المدينة؟

وفوق هذا يوجد شيء محير تماماً في وصف العلاقة بين شاول ورئيس الكهنة كما لو كان شاول مواطناً غير حكومي يريد أن يكون القبض على المواطنين وفقاً لخطة من تدبيره، وهو يفاتح رئيس الكهنة بطلب السلطة بذلك.

---

(١) أعمال الرسل، ٨/١ ـ ٣، وراجع ٩/١ ـ ٢، ٢٢/٣ ـ ٥، ٢٦/٩ ـ ١٩، وغلاطية ١/ ١٣ ـ ١٤.

ثم يقول ماكوبي ـ بعد هذا التشكيك في دور بولس في اضطهاد النصارى ـ: من المؤكد أنه كانت هناك صلة رسمية معينة بين رئيس الكهنة وشاول ويبدو أكثر احتمالاً أن الخطة كانت من صنع رئيس الكهنة ولم تكن من صنع شاول، وأن شاول كان عميلاً أو جاسوساً سرياً لرئيس الكهنة»[1].

هذا ما يؤكده ابن حزم في كتابه «الفصل» حيث يقول: «وفيما سمعنا علماءهم يذكرونه ولا يتناكرونه معنى أن أحبارهم الذين أخذوا عنهم دينهم والتوراة وكتب الأنبياء عليهم السلام اتفقوا على أن رشوا بولس البنياميني لعنه الله وأمروه بإظهار دين عيسى عليه السلام وأن يضل أتباعه ويدخلهم إلى القول بالإلهية وقالوا له: نحن نتحمل إثمك في هذا ففعل وبلغ من ذلك حيث قد ظهر»[2].

هذا هو موقف بولس من النصارى قبل أن ينتقل إلى النصرانية وهو موقف الاضطهاد الشديد لهم.

## ٦ ـ اعتناق بولس النصرانية:

فجأة تغير بولس من ألد أعداء النصرانية إلى داعية من دعاتها، ثم تبوأ مركز الصدارة في الدعوة إلىٰ مبادئه التي تميز بها عن غيره من تلاميذ المسيح عليه السلام.

فبعد رحيل المسيح ببضع سنوات أعلن بولس فجأة أنه قد أصبح رسولاً للمسيح إثر حادثة وقعت له على طريق الذهاب إلى دمشق كما سيأتي، ولا يتحدث عنها هو إلا تلميحاً ولكن كاتب «أعمال الرسل» يبسطها في عدة مواضع بطرق مختلفة بعض الشيء[3].

وكان السبب المباشر لهذا التحول رؤية رأى فيها عيسى يلومه على اضطهاد أتباعه، فوجد فيها برهاناً على خطئه في حق عيسى عليه السلام، واعتقد منذ ذلك الحين أن الشخص الذي كان يعتبره دجالاً يتمتع في الحقيقة بتأييد إلهي. وهكذا جعلت هذه الرؤية من المضطهد تلميذاً، ومن الفريسي ابن الفريسي رسول الأمم على حد تعبيره[4].

---

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ص١٠١ نقلًا عن هيام ماكوبي ص٧، ٨.
(٢) الفصل، ١/٣٢٥.
(٣) ٩، ٢٢، ٢٦.
(٤) الفكر الإسلامي، ص٨، ٩، حياة بولس، مرقس داود، ص٩١.

ولسنا نعرف تاريخ هذه الحادثة التي غيرت مجرى حياته تغيراً جذرياً - معرفة دقيقة - فبعض المؤرخين يرجح أنها سنة ٣٠ وبعضهم سنة ٣٨ وآخرون يضعونها بين هاتين السنتين(١).

ولقد ذكر سفر أعمال الرسل قصة تحول بولس إلى النصرانية في ثلاثة مواضع أحدهما على لسان لوقا - في أعمال الرسل - في الإصحاح التاسع، والثاني والثالث أوردهما - لوقا - على لسان بولس في الإصحاحين الثاني والعشرين والسادس والعشرين.

والمواضع الثلاثة مجمعة على أن بولس - وهو في طريقه إلى دمشق مقتفياً أثر النصارى للقبض عليهم - ظهر له المسيح وحمله الرسالة أو وعده بها - حسب قوله -.

يقول لوقا في الإصحاح التاسع: «وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتةً أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاول شاول لماذا تضطهدني؟ فقال من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده صعبٌ عليك أنْ تَرْفُس مَنَاخِس(٢). فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة، فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل. وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً، فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين، ولا يبصر أحداً، فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق، وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب»(٣).

وفي الإصحاح الثاني والعشرين ذكر لوقا قول بولس: «فحدث لي وأنا

---

(١) راجع: Le christ, Geneber، ص٢٠٦، وانظر قاموس أكسفورد، ص٣٨٥، بولس وتأثيره، ص٣٠، وهذا لا يتفق مع تاريخ الميلاد الذي ذكروه لبولس، فإذا كان من مواليد عام ١٥ ب.م يكون عمره أيام اضطهاده النصارى خمس عشرة سنة من عمره، فكيف يقوى صبي على ذلك؟!

(٢) ترفس: تضرب برجلك إلى الوراء، ومناخس جمع منخس، قضيب طويل في رأسه مسمار، ينخس به الحيوان لتسرع في السير، والمعنى أن لا فائدة من معاندة كلمة الرب، وهو شبيه بالمثل الحالي، العين التي تضرب المحرز تفقأ العين، معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس تأليف موريس جدعون، حنا حلو، غسان خلف، ص٣٢ و١١٨.

(٣) أعمال الرسل، ٩/ ٣ - ٩.

ذاهب ومقترب إلى دمشق، أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حوالي من السماء نور عظيم، فسقطتُ على الأرض، وسمعت صوتاً قائلاً لي: شاول شاول لماذا تضطهدني؟ فأجبت من أنت يا سيد؟ فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده. والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلّمني، فقلت ماذا أفعل يا رب؟ فقال لي الرب قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل. إذا كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور، اقتادني بيدي الذين كانوا معي فجئت إلى دمشق[١].

أما في الإصحاح السادس والعشرين فقد ذكر لوقا على لسان بولس قوله: «ولما كنت ذاهباً في ذلك إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة، رأيت في نصف النهار في الطريق أيها الملك نور من السماء أفضل من لمعان الشمس فقد أبرق حولي وحول الذاهبين معي. فلما سقطنا جميعاً على الأرض سمعت صوتاً يكلمني ويقول باللغة العبرانية، شاول شاول لماذا تضطهدني؟ صعب عليك أن ترفس مناخس. فقلت أنا من أنت يا سيد؟ فقال أنا يسوع الذي تضطهده، ولكن قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرت لك، لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت، وبما سأظهر لك به، منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم، لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً من المقدّسين[٢].

ونظراً لأهمية ما يزعمه بولس من رؤية المسيح فمن المفيد أن نسلط الضوء على بعض أقوال رجال الدين النصراني المتخصصين في هذا الشأن بحيث نتناول المسألة من زاويتين: تناقض الروايات في حادثة تحول بولس للنصرانية، وأسباب تنصره وهو ما سنذكره في الفقرة التالية.

أمّا عن تناقض الروايات الأربعة الإجمالي[٣]. فقد حاول بعض العلماء التوفيق بين تعارض الروايات والموازنة بينها حيث ادعوا أن لوقا ـ مؤلف سفر الأعمال حسب افتراض علمائهم ـ حصل على الروايات الثلاث من مصادر

---

(١) أعمال الرسل، ٢٢/٦ ـ ١١.

(٢) أعمال الرسل، ٢٦/١٢ ـ ١٨.

(٣) راجع: التفصيل في هذه التناقضات: الاختلاف والاتفاق، عوض، ص٣٨، بولس وتأثيره، ص٣٣.

مختلفة: بولس نفسه، والكنيسة في القدس، والكنيسة في أنطاكيا، ولذا توجد بعض الاختلافات بسبب النقل الشفهي، ولا تعارض بين الروايات.

أما الرأي الثاني فلا يعترف بما ورد في سفر الأعمال نظراً للتناقض الواضح بين الروايات، واعتبروا شهادة بولس لنفسه في رسائله هي الأصل.

ولكن كما يقول وهيب البكري: إن الرأيين لم يتعرضا لجوهر الموضوع وأساسه وهو مدى شرعية رسالة بولس وهل أصبح رسول الأمم فعلاً بعد هذه الحادثة[1].

وهو تناقض واضح فكيف يتم إثبات مسألة رسولية بولس إذا لم يثبت بالسند الصحيح تاريخياً وقوع هذه الحادثة فعلاً.

ولعلنا عندما نناقش أسباب تنصره في الفقرة التالية نلقي الضوء على بعض الأسباب التي تجعل أمثال هؤلاء الباحثين يناقض بعضهم بعضاً.

## أسباب تنصره:

هنا أيضاً نجد اختلاف رجال الدين النصارى والباحثين حول أسباب تحوّل بولس من اليهودية إلى النصرانية.

وسنعرض هنا ثلاثة آراء رئيسية:

**الرأي الأول**: يقول أصحابه إن عملية تنصّر بولس كانت بسبب «معجزة» إلهية بحتة بدون مقدمات.

وبالتالي هم يُعارضون القول بالمؤثرات النفسية والعُضوية التي تقول إنه كان يعاني من: شوكة في الجسد، أو ضعف الرؤيا، وأمراض أخرى.

وهناك من قال إنه كان يُعاني من الصرع[2].

**الرأي الثاني**: ويقول أصحابه إن هذا التّغيير الكامل الذي تم لبولس لا بد وأن يكون على أثر استعداد نفسي سابق، وأنه لا بد وأن يكون هناك شيء ما في حياة بولس الأولى جعله يتحول هذا التحول الكبير[3].

---

(١) راجع: بولس وتأثيره ٣٣، ٣٤.

(٢) راجع: بولس وتأثيره في المسيحية، ص٣٦.

(٣) بولس وتأثيره في المسيحية، ص٣٧، سيرة بولس، حبيب سعيد، ص٢٥.

ويدخل تحت هذا الرأي التفسيرات التالية:

أ ـ لم يستطع أن يتحمل عبء الشريعة التي أثقلت كاهله.

ب ـ أنه من خلال اضطهاده السابق لتلاميذ المسيح تأثّر بهم وبدعوتهم.

ج ـ أنه بسبب مشاكل عاطفية وفشل محاولاته في الزواج.

ويضيف إلى هذا جينيبير خصائص شخصيته المتقلبة والنازعة إلى التهيؤات الصوفية، ثم التأثيرات التي تراكمت في أعماق اللاشعور لديه من تأثيرات أسرار طرسوس وأنطاكية، التي عودته على فكرة المنقذ، إضافة إلى تأثيرات أساتذته من اليهود.

ولعل محاولاته مع من كان يدعوهم لليهودية وإجاباتهم الغير مقنعة ـ على خلاف ما كان يجده من النصارى من القوة والثبات والتي كانت تمثل إجابات شافية لتساؤلاته ـ لعل كل هذا جعل من بولس مسيحياً بالاستعداد، وداعياً إليها ـ فيما بعد ـ بالإرادة المطلقة، حيث أيقن أنه أبصر المسيح وتلقى منه ما تلقى من كلمات، واختص منه بالتشريف الأعظم أن يكون من الرسل[١].

ومثل هذا الرأي رأى أيضاً (سيجمون فرويد)[٢] العالم النفساني إذ يقول: «إن بولس قد التمس الإحساس بالذنب المتأصل في نفسه وفي الشعب اليهودي فبنى عليه مذهباً انفصل به عن الديانة اليهودية، وقد نجح في تجاوز هذا الإحساس عندما فقد وعيه من شدة الحر ومشقة السفر، ورأى رؤيا في طريقه إلى دمشق[٣].

**الرأي الثالث:** يتزعم هذا الرأي رينان الذي فسر ما رآه بولس بـ«ضربة شمس» أدّت إلى «هلوسة»[٤].

وزاد على ذلك أحد الباحثين الذي فسر تنصر بولس بأنه خليط من جميع

---

(١) Le christ, Geneber، ص١٢٤ ـ ١٢٦، ٢٥٩.

(٢) فرويد (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩م)، طبيب فيلسوف نمساوي مؤسس علم التحليل النفساني، درس أهمية الدوافع والعواطف اللاشعورية، انظر: المنجد في الأعلام ص٢٥٦.

(٣) الموسوعة النقدية، ص٧٦، وراجع: أقوال أخرى لبعض الباحثين في الفكر اللاهوتي، ص٢٩، ٣٠.

(٤) بولس وتأثيره، ص٣٧.

ما أوردناه في الرأي الثاني بالإضافة إلى ضربة شمس جعلته «يتخيل» الأشياء وكأنها ظواهر طبيعية خارجية[١].

ونلحظ على جميع هذه الآراء أن أصحابها يفترضون وقوع هذه الحادثة فعلاً، وبالتالي فإن التفسيرات السابقة لرؤياه بأنها معجزة إلهية، أو نتيجة عوامل نفسية، أو غير ذلك مبنية على صحة ما أورده لوقا في سفر الأعمال تاريخياً، على الرغم من اختلافهم حول ما يقوله عن رؤيته تلك.

والحقيقة أن ما أراه سبباً في هذه «الحيرة» والتّخبط بين الآراء يعود إلى نقطة غاية في الأهمية وهي:

إنهم ـ حسب ما هو متوفر لديهم من معلومات ـ يرون تناقضاً واضحاً بين سفر أعمال الرسل ورسائل بولس، وهذا التناقض يشمل الناحية التاريخية والمنطقية بالإضافة إلى عدم وجود وثائق تؤيّد ما يزعمه لوقا في سفر الأعمال أو بولس في رسائله، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن كونهم أمام نتائج عملية لما قام به بولس من نشاط واضح ونجاح ملموس، يرون أنه لولا صحة إيمان بولس ورسوخ اعتقاده ـ حسب تصورهم ـ لما واجهت دعوته هذا الإقبال الواسع الانتشار.

وبالتالي أصبح التناقض بين ما هو «مكتوب» وبين نتائج العمل «الموجود» يضع الباحثين في «حيرة» يميلون بعدها إلى الواقع العملي.

ومهما يكن من أمر حادثة (طريق دمشق) وهل وقعت فعلاً أو أنّها مجرد اختلاق من مؤلف سفر الأعمال، ومهما يكن من أمر محاولة علماء النصرانية لتفسيرها لدى بولس، فإننا نرى أن الأمر الأهم هو دراسة ما ترتب على هذه الحادثة الفاصلة وعلى دخوله في دعوة المسيح عليه السلام وما نتج عن تحريفه لها حتى أصبح ما دعا إليه بولس يناقض تماماً ما دعا إليه المسيح عليه السلام كأنهما ديانتان تختلفان في كل أمر من أمور الديانة وأصولها وقواعدها وكلياتها وجزئياتها.

وهذه النتيجة الحاسمة هي عين ما صرح به بولس نفسه في رسالته إلى أهل غلاطية، حيث يقول إن تلاميذ المسيح المعتبرين في القدس لم يشيروا عليه

---

(١) بولس وتأثيره، ص٣٨، وانظر: أيضاً قصة الحضارة ١١/ ٢٥٢.

بشيء، ولم يزوّدوه بشيء من إنجيل عيسى عليه السلام، الذي تركه لهم، ويزعم أنهم أقروه على إنجيله الذي يبشر به[1].

## ٨ ـ بولس بعد تنصره وقبل لقائه بالتلاميذ:

قد أسلفنا أن بولس كان يهودياً متشدداً، ثم زعم أنه قد آمن بعيسى عليه السلام وقد كان إيمانه يقتضي منه أن يقضي أطول وقت ممكن ـ بعد هذا التحول العقدي والفكري ـ في صحبة تلاميذ المسيح عليه السلام وحواريّيه الذين تلقوا التعاليم منه، والذين كانوا آنذاك أكبر علماء الدين المسيحي[2].

ولكن أقواله تؤكد أنه بقي فترة لا تقل عن ثلاث سنوات تفصلها عن قدومه إلى كنيسة أنطاكية حوالي سنة ٤١هـ ذات الأغلبية غير اليهودية، ولا نعرف عن هذه المدة سوى أمرين اثنين.

**الأمر الأول**: إن بولس بعد هذا التحول في حياته لم يتجه فوراً إلى أورشليم، وإنما استقر في جنوب دمشق وقام بعد ثلاث سنوات من حادثة طريق دمشق بزيارة «القدس» فأقام عند بطرس خمسة عشر يوماً ولم ير غيره من الرسل غير يعقوب أخي الرب، ولم يتعلم منهما شيئاً.

**والأمر الثاني**: أنه شرع في الدعوة بين الأمم بعد ذلك.

يقول في رسالته إلى غلاطية:

«لكن لما سر الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته، أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم للوقت لم أستشر لحماً ودماً، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي بل انطلقت إلى العربية[3]، ثم رجعت أيضاً إلى دمشق». ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً ولكنني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب والذي أكتب به

(١) راجع: غلاطية، ٢/٧ ـ ٩، وبناء عليه فلا يستبعد أن بولس ادعى تلك الرؤيا وافتراها حتى تكون مدعاة ووسيلة لقبول الناس لما سيفتريه ويختلقه من أمور دينية مناقضة لدعوة المسيح عليه السلام وهو ما حدث فعلاً.

(٢) ما هي النصرانية، ص١٧١.

(٣) ليكن ملحوظاً أن المراد من «العربية» ههنا منطقة جنوبي دمشق، التي كانت تطلق عليها آنذاك كلمة «العربية» تجوزاً (دائرة المعارف البريطانية، ج١، ص٣٨٩ مقالة بولس).

إليكم هو ذا قدام الله أني لست أكذب فيه، وبعد ذلك جئت إلى أقاليم سورية وكيليكية ولكنني كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التي في المسيح غير أنهم كانوا يسمعون أن الذي كان يضطهدنا قبلاً يبشر الآن بالإيمان الذي كان قبلاً يتلفه فكانوا يمجدون الله في»[1].

وهكذا يحرص بولس على تأكيد رسالة مهمة: هي استقلاله التام عن تلاميذ عيسى ﷺ في تعليمه وفي إنجيله، فهو لم يستشر أحداً منهم، ولم يأخذ عنهم أي شيء يتعلق برسالته الجديدة أو إنجيله الجديد، بل ولم يصعد توا بعد أن رأى المسيح وأمره بالتبشير بين الأمم ـ على حد زعمه ـ إلى أورشليم ليناقش تلاميذ المسيح في الأمر ويناقش معهم أمور الدعوة.

وما ذكره بولس يطرح عدة أسئلة لا جواب عليها، من هذه الأسئلة:

أ ـ لماذا مكث ثلاث سنوات دون أن يذهب إلى أورشليم ـ على فرض صحة روايته ـ مع أن المنطق كان يقتضي منه أنْ يسرع بلقاء التلاميذ حتى يزف إليهم خبر رؤياه المسيح وتكليفه بالرسالة الجديدة؟

ب ـ لماذا اختار بطرس بالذات؟ ولماذا الانفراد به وعدم السعي للقاء بقية التلاميذ؟

ج ـ ماذا دار من أحاديث ومناقشات في هذه الاجتماعات الانفرادية المطولة؟

د ـ وما هي نتيجة هذه الاجتماعات؟

هـ ـ والسؤال الخطير هو أن بولس صرّح أنه لم يتعلم من الحواريين شيئاً فالسؤال الذي يطرح نفسه هو ما هي مصادر معلوماته في دعوته وتعاليمه التي لا شك لم تنبن على تعاليم المسيح ﷺ التي ورثها تلاميذه وأخص حوارييه.

ونلحظ هنا أن كلام بولس قد يعارض ما ذكر في سفر أعمال الرسل على لسان لوقا حيث يدل سياقه بأن بولس ذهب على الفور إلى أورشليم دون انتظار حيث يقول: «ولما وصل شاول إلى أورشليم (بعد حادثة طريق دمشق) هناك. فخافوا منه، إذ لم يصدقوا أنه صار تلميذاً للرب»[2].

---

(١) غلاطية، ص١/١٥ ـ ٢٤.

(٢) سفر أعمال الرسل، ٩/٢٦.

فهذا قد يتعارض إلا إذا فهمنا أن البعدية في قوله بعد حادثة طريق دمشق بعدية غير مباشرة، أما إذا فهمت بأنها بعدية مباشرة فهو قد يتعارض مع ما ورد عند لوقا.

وتختلف التفسيرات لما ذكره بولس من رحلته إلى العربية بعد حادثة دمشق، فيرى كاتب المقال في دائرة المعارف البريطانية أنّ بولس ما لبث أن شعر بالحاجة إلى العيش في جو هادئ صامت يتمكن فيه من التفكير في موقفه الجديد فأم مكاناً في جنوبي دمشق.

وكانت القضية الأساسية عنده أن يفسر الشريعة (الناموس) في ضوء تجاربه الحديثة تفسيراً جديداً[١].

ويذهب صاحب كتاب تاريخ المسيحية أنه بقي ثلاث سنوات قبل ذهابه إلى أورشليم ليخلو هناك مع نفسه ومع ربه[٢].

أما المؤرخ الشهير (جامس ماك كينون) في كتابه «من المسيح إلى قسطنطين» فيقول: إن السبب في ذهابه إلى العربية (نبطية) وكان الغرض المنشود من وراء ذلك ـ فيما يبدو ـ من التبشير، أن يدرس مضمونات عقيدته الجديدة، ثم ذهب بعد ذلك بثلاثة أعوام إلى أورشليم، حتى يجتمع ببطرس، ويعقوب أخي السيد، للتشاور فيما كان متبعاً في شأن المسيح من التقليد[٣].

لكن هناك من العلماء من ينظر إلى ما ذكره بولس عن نفسه من حادثة الرؤيا وما يترتب عليها من نتائج، ينظر إلى ذلك نظرة التشكيك، ويعلق عليها تعليقات أخرى تدحضها وتشكك فيها وفي نتيجتها.

يقول تقي العثماني: «ثم إنه إذا كان من المقرر بعثة «رسول ثوري» بعد سيدنا عيسى عن رضاً منه، فلماذا لم يعط سيدنا عيسى عليه السلام إلى ذلك إشارة، على حين نرى أنه عليه السلام فيما تعتقد النصارى قد أخبر بمناسبة عيد الفصح بنزول روح القدس، رغم أنه لم يكن ذلك حدثاً ثورياً، ولكنه لم يخبر بمجيء بولس رسولاً»[٤].

---

(١) دائرة المعارف، ١٧/ ٣٨٩، مقالة بولس.

(٢) تاريخ المسيحية، ١/ ٤١.

(٣) كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ١٧٢.

(٤) ما هي النصرانية، ص١٧٣، ١٧٤.

ويقول الشيخ أبو زهرة: «إن ذلك ليس له نظير، وليس له مشابه، ولم يعهد ذلك في أنبياء ورسل قط، وهذا العهد القديم الذي يؤمن به المسيحيون لم يذكر لنا رسولاً بعث من غير أن يكون في حياته الأولى استعداد لتلقي الوحي، وصفاء نفس يجعله أهلاً للإلهام، ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته. وإذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها، لا يكون على الأقل قبلها ما ينافيها ويناقضها»[1].

وسوف نرى في السطور القادمة ونحن نناقش موضوع اتصال بولس بالتلاميذ ما يؤكد ما ذهب إليه الكُتّاب المسلمون في تحليلاتهم.

## ٩ ـ بولس مع تلاميذ المسيح:

لا يوجد سند للاطلاع على أخبار لقاء بولس بالتلاميذ إلا طريقان: رسائل بولس نفسه، وسفر أعمال الرسل.

يذكر بولس أنه بعد ثلاث سنوات ـ من حادثة الرؤيا ـ سعى للتعرف على بطرس وأنه لم يجتمع بأحد من التلاميذ غيره. يقول:

«ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً، ولكنني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب»[2].

بينما يذكر سفر الأعمال أن برنابا قد قدمه إلى الرسل وشرح لهم التطورات التي وقعت له وطمأنهم وأزال خوفهم، حتى أصبح بولس معهم كواحد منهم يدخل معهم ويخرج معهم في أورشليم.

ويذكر سفر الأعمال الرواية قائلاً: «فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل، وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق، وأنه كلمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع، فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع»[3].

ويدل سفر أعمال الرسل على أن بولس وبرنابا كانا مترافقين لمدة طويلة يقومان بالتبشير والتبليغ معاً[4].

---

(١) راجع: محاضرات في النصرانية.

(٢) أعمال الرسل، ٩/٢٦ ـ ٢٨.

(٣) رسالته إلى غلاطية، ١/١٨.

(٤) ١١/٣٠، ١٢/٢٥، والإصحاحات، ص١٣، ١٤، ١٥.

أما كيف صدق برنابا بولس فهنا لا بد أن نتذكر بعض صفاته التي تحدثنا عنها من حماسته وقوة إقناعه في قبول برنابا لدعوته[1].

أما عن أفكار بولس في هذه المرحلة خصوصاً مع برنابا وقبل أن يقابل بطرس فلا يعلم بالتحديد كيف كانت وكيف فسر له رؤيته وتبشيره؟ وما هي أفكاره بعد اجتماعه ببطرس لا سيّما وقد عرفنا بيئته التي نشأ فيها وأساتذته ويهوديته المتعصبة واضطهاده فكيف كانت خلفيته عن المسيح وتعاليمه التي لا يستبعد أن تكون مشوهة[2].

ولا شك أن أفكاره بعد مقابلة بطرس تختلف عما كانت عليه من قبل وللأسف ليس لدينا أي معلومات تاريخية قد تساعدنا على معرفة كيفية تطور أفكار ومعتقدات بولس[3]، سوى ما ذكره جينيبير أن بولس لم يتأثر بعيسى عن طريق المجتمع المسيحي الأول، وإنما عن طريق التجمعات اليهودية في بلاد الوثنيين والتي كانت أكثر مرونة من عقيدة أهل فلسطين وأكثر اتصالاً بتيارات التأليف بين الأديان[4].

وهكذا نستنتج من أعمال الرسل أن بولس اعتمد اعتماداً كبيراً على تلميذين فقط من تلاميذ المسيح هما برنابا وبطرس وأن برنابا لعب دوراً مهماً للغاية في حياة بولس وأنه لولا برنابا لما عرف بولس[5].

أما بخصوص اتصال بولس ببطرس فيرى وهيب البكري أن بولس حصل في ذلك الاجتماع السري على ما كان ينقصه من معلومات تتعلق بالمسيح عليه السلام وهذا هو السبب الذي جعله ينفرد ببطرس[6].

والسؤال هو:

ماذا عمل الحواريون والتلاميذ تجاه انحراف بولس؟ ألم يكتبوا شيئاً ولم يدافعوا عن اعتقادهم وآرائهم؟ يقول الدكتور «أحمد شلبي»: «الإجابة التي هي

(١) انظر، ص١٣٩.
(٢) راجع: الإصحاح الثاني من أعمال الرسل.
(٣) راجع: بولس وتأثيره في المسيحية، ص٤٥.
(٤) راجع المسيحية، ١١٠ - ١١٢.
(٥) المسيحية، جينيبير ١٣١، بولس وتأثيره في المسيحية، ص٤٦.
(٦) راجع: بولس وتأثيره في المسيحية، ص٤٦.

يقين لا يحتمل شكاً، وعلم لا يحتمل ظناً، أن هؤلاء كتبوا وناضلوا، ولكن أين ما كتبوه؟ وأين أحاديثهم وشروحهم ودفاعهم عن آرائهم؟ الجواب أنه ليس في أيدينا شيء، فلا بد أن يكون قد ضاع ودمرته يد الطغيان في العصور المظلمة، كما دمرت إنجيل عيسى. أو قل إن بعض ما كتبوه ربما نجا من التدمير، وأخفاه ذووه، وتوارثه الأبناء والأحفاد، حتى انعقد مجمع نيقية، حيث تقرر أن يختار من الأناجيل والرسائل الموجودة ما لا يعارض أفكار بولس وآراءه، ودمر ما سواها»[١].

وهذه النتيجة المنطقية تحولت واقعاً، عندما ظهر إنجيل برنابا في القرن السادس عشر من مكتبة البابا «اسكوتس» الخامس، السرية، الذي يحمل في صفحته الأولى العبارة الآتية:

«أيها الإعزاء! إن الله العظيم العجيب قد انتقذنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً، مجوزين كل لحم نجس، الذي ضلَّ في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي يسوع، لكي تخلصوا، ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه، لتخلصوا خلاصاً أبدياً»[٢].

وكما ظهر بولس فجأة في قائمة المبشرين ـ التلاميذ ـ فإن كل من اصطدم به منهم اختفى ذكره فجأة من أعمال الرسل، الذي يعتبر كما صرح (وليم باركلي) مفسر العهد الجديد المذكرة التي أعدت للدفاع عن بولس أمام إمبراطور روما عند محاكمته[٣].

وبدأ الخلاف بينه وبين التلاميذ مع تبادل التّهم حتى مع بطرس الذي سعى بولس بنفسه إلى الاجتماع به في أورشليم، ويرجح أكثر الكتاب أن هذا قد وقع

---

(١) المسيحية، ص١١٨.

(٢) ما هي النصرانية، ص٢٠٢، وإنجيل برنابا، ١/٢ ـ ٩.

(٣) تفسير العهد الجديد، ص١٣.

بعد مجمع أورشليم، ويستدلون بعبارات بولس نفسه[1].

وكذا لم يلبث بعد أن توطد مركزه في مجتمع التلاميذ أن تشاجر مع برنابا الذي كان له فضل تقديمه للتلاميذ[2]، وكان ذلك إيذاناً باختفاء اسم برنابا وجهوده في الدعوة من سفر أعمال الرسل.

وقد ناقش العلماء أسباب الفراق بين بولس وبرنابا بما يطول ذكره ولا مجال له هنا[3]، وأكتفي بما ذكره بعض النصارى: أن سبب الخصومة هو أن برنابا تشاجر مع بولس حول إنجيل حق[4].

وبعد انفصال بولس عن برنابا نجد حلقة مفقودة فلم يبيّن لنا سفر الأعمال عمن تلقى بولس مبادئ النصرانية وهو ما صرح به بولس نفسه: «وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذي بشرت به إنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح»[5].

### ١٠ ـ انفضاض التلاميذ عن بولس:

لم تكن حال بولس مع باقي التلاميذ خيراً من حاله مع بطرس وبرنابا. فالذي يطالع رسائل بولس إلى أهل فيلبي وكولوسي وغلاطية ورسالتيه إلى تيموثاوس وتيطس، يجد من ذلك الشيء الكثير. وقد طال مدى هذا الاصطدام وامتد قروناً بعد موت بولس، فإن القرون الثلاثة الأولى للميلاد، هي قرون المعركة بين اتجاهين، بين النصرانية اليهودية، وبين النصرانية البولسية، إلى أن جاء مطلع القرن الرابع، فأصبحت النصرانية البولسية هي الغالبة[6]. بل إن أكثر أنصار بولس وأحباءه قد انفصلوا عنه وتركوه. فكتب لتيموثاوس في رسالته الثانية قائلاً: «إن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني»[7].

---

(١) راجع: كورنثوس، ١/ ١٢، غلاطية، ٢/ ١١، وانظر دائرة المعارف، ٧/ ٦٤٢، مقالة بطرس، وما هي النصرانية، ص١٥١، ١٥٢.

(٢) أعمال الرسل، ١٥/ ٣٩.

(٣) ما هي النصرانية، ١٨٠.

(٤) حياة برنابا، ص٣٧، وانظر حياة ورسائل بولس، ص٨٨، ٨٩.

(٥) غلاطية، ١/ ١٢، ١ كورنثوس، ٧/ ٤٠.

(٦) راجع: رسائل الرسل، ص٣٤٩.

(٧) ١: ١٥.

بل إن الدراسات الدقيقة التي قام بها الكاردينال «دانيلوا» تقول إن جماعة المؤمنين النصرانية اليهودية اصطدموا ببولس وكانوا يعتبرونه كخائن ويصفونه بالعدو المنافق[1].

وقد حفظ لنا التاريخ أسماء المعارضين وهو ما سنعرض له عند الحديث عن الفرق التي ظهرت[2].

## ١١ ـ نشاط بولس في تأسيس نصرانيته الجديدة:

في هذا البحث نحاول التعرف على الأحداث التي تمت بعد لقاء بولس وبرنابا والرحلات الدعوية التي تبعت ذلك وأعماله، مع ملاحظة أن هذه المعلومات ليست ثابتة تاريخياً وأن ناقدي العهد الجديد أثاروا هذا التناقض ويحاولون إيجاد معلومات ثابتة تاريخياً لكن دون جدوى، وكل ما يعرض مبني على الافتراضات والنظريات[3].

وحاول علماؤهم وضع مخطط لترتيب أهم الأحداث في حياته منذ تنصره إلى وفاته ـ بناء على ما ورد في سفر أعمال الرسل وفي رسائله ذاته من معلومات ـ على النحو التالي:

| الحدث | التاريخ |
| --- | --- |
| ١ ـ تنصره | ٣٣م[4] |
| ٢ ـ فترة انقطاع تام للمعلومات لا يعلم ماذا حدث فيها (ثلاث سنوات) | ٣٣ ـ ٣٦م |
| ٣ ـ زيارته الأولى للقدس بعد تنصره | ٣٦م |
| ٤ ـ فترة أخرى من انقطاع المعلومات عنه (عشر سنوات) | ٣٦ ـ ٤٦م |
| ٥ ـ زيارته الثانية للقدس لتوصيل المساعدات التي جمعها لضحايا المجاعة | ٤٦م |
| ٦ ـ رحلته التبشيرية الأولى | ٤٦ ـ ٤٩م |
| ٧ ـ زيارته الثالثة والأخيرة للقدس وانعقاد الاجتماع الخطير مع التلاميذ الذي أعفى الأممين من الختان | ٥٠ م |

---

(١) رسائل الرسل، ص٣٤٨.

(٢) راجع: ص٢٩٥.

(٣) راجع: بولس وتأثيره، ص٤٨ والمقدمة التي أثبت فيها ذلك.

(٤) هذه محاولة اجتهادية تقديرية من العلماء، لذلك تتفاوت تقديراتهم في ذلك، وتحدد لجنة الكتاب المقدس للنسخة الأمريكية أن تاريخ تنصر بولس كان سنة ٣٧م. راجع دراسات الملل، الشرقاوي، ص٤٢.

| | |
|---|---|
| ٨ ـ الرحلة التبشيرية الثانية | ٥٠ ـ ٥٢م |
| ٩ ـ رحلته التبشيرية الثالثة | ٥٣ ـ ٥٨م |
| ١٠ ـ فترة سجنه في قيصرية | ٥٨ ـ ٦٠م |
| ١١ ـ ذهابه إلى روما للمحاكمة وتحديد إقامته في أحد المنازل | ٦٠ ـ ٦٣م |
| ١٢ ـ وفاته؟ (لا يعرف تاريخها بدقة) | ٦٣ ـ ٧٦م؟ |

وبتأمل هذا الجدول نلاحظ أن الفترة التي لا تذكر المصادر الأساسية الأولى (سفر الأعمال ورسائله) أي معلومات عنها فترة طويلة جداً تصل إلى أربع عشرة سنة، أي نصف حياته كداعية، وهذا أمر غريب جداً يزيد من غموض شخصية بولس الطرسوسي، ويحجب قدراً ضرورياً من المعلومات المطلوبة عنه، ويفتح المجال واسعاً للافتراض.

## ١٢ ـ أعماله الدعوية:

يذكر لنا لوقا في أعمال الرسل: أنه بعد أن جاء بولس إلى أورشليم، والتحق بالحواريين وقبلوه بينهم بشفاعة برنابا، أخذ يشاركهم في الدعوة وعرض آرائه، لكن يظهر أن آراءه أثارت ضجة كبرى بين اليهود الذين يتكلمون اللغة اليونانية، فحاولوا أن يقتلوه، واضطر بولس بسببها إلى الإسراع في مغادرة المدينة متجهاً إلى طرسوس مسقط رأسه[(١)].

وظل بولس في طرسوس ثماني سنين لا يعرف عنه خلالها شيءٌ، حتى جاءه برنابا وطلب منه أن يساعده في الدعوة في أنطاكية، فذهب معه[(٢)] وظل الرجلان فيها لمدة سنة كاملة (٤٣ ـ ٤٤م). تابعهم فيها كثير من الناس، وأصبحت أنطاكية في مدة وجيزة تفوق سائر المدن في عدد النصارى[(٣)].

وكانت الرحلة سنة ٤٥ تقريباً، بصحبة برنابا وابن أخته مرقس... وفي هذه الرحلة فارق هو يوحنا ورجع إلى أورشليم[(٤)].

---

(١) أعمال الرسل، ٩/٢٦ ـ ٣٠.

(٢) راجع: بولس وتأثيره في المسيحية في التشكيك ونقد هذا القول ٥٢، ٥٣.

(٣) راجع التشكيك ونقد هذه المقولة Le christ, Geneber، ص٢٠٢.

(٤) راجع: حبيب سعيد في الأسباب التي جعلت يوحنا يترك بولس، سيرة رسول الجهاد، ص٥٦، ودراسة تحليلية، ٢٢٧، ٢٢٨، انظر تفصيل هذه الرحلة. دراسات في الملل، الشرقاوي، ص٤٣، القديس بولس، القس حارث قريصة، ص٣٠ ـ ٦٥.

وانتهت الرحلة بسفرهما ـ بولس وبرنابا ـ إلى أورشليم لحضور المجمع النصراني الأول ـ حسب كلام أعمال الرسل ـ الذي عقد فيها سنة ٥٠هـ برئاسة يعقوب أخي المسيح في كلامهم لبحث مشكلة الأمميين الذين دخلوا النصرانية، وفيه أُعفي الأمميون من الختان[١].

ثم قام بولس برحلة ثانية في أنحاء الإمبراطورية الرومانية للدعوة إلى رسالته: وفيها كان افتراقه عن برنابا[٢]. كما كثر فيها ادعاؤه للرؤى التي كان يدعى أن الرب يشجعه فيها على المضي في الدعوة.

ثم كانت رحلته الثالثة التي استغرقت وقتاً طويلاً نسبياً من سنة ٥٣ ـ ٥٨، وتمت بعد الرحلة السابقة بفترة وجيزة وفيها عمد بولس اثني عشر رجلاً.

وذكر في أعمال الرسل الإصحاح العشرين: «أنه في أواخر سنة (٥٤ ـ ٥٨م) قصد بولس أفسس ومكث بها ثلاث سنين، جاعلاً منها قاعدة عمله، ثم طُرد من المدينة إثر تمرد حصل فيها. ثم زار للمرة الثانية الكنائس التي أسسها في مكدونية وأخائية، وأمضى ثلاثة شهور في كورنثوس وما جاورها، وقد فكر بالتوجه نحو الغرب (إيطاليا وأسبانيا) ولكنه قرر العودة قبل ذلك إلى أورشليم لتسليم المسؤولين مبلغاً من المال جمعه من التبرعات[٣]، وفي خلال هذه الفترة كتب بولس رسائله إلى أهل غلاطية وكورنثوس ورومية.

يقول د. محمد الشرقاوي معلقاً: «وكأن واضع سفر الأعمال أراد برواية هذه الرحلة أن يشبه بولس بالمسيح عليه السلام، فاختار أحداثاً ونسبها إلى بولس، قد نسب مثلها إلى المسيح، مثل تعميد اثني عشر رجلاً، وشفاء المرض وإحياء الموتى والعشاء الأخير، والخطبة الوداعية. . . إلخ.

أمّا تفصيل ما نادى به من عقائد في تلك الفترة فسوف يأتي عند دراستنا لما أدخله في النصرانية من عقائد. أما أهم الأعمال التي ظهرت في رحلاته فتمثلت في بناء الكنائس وجمع المال. وقد ناقش الباحثون الأهداف من هذه

---

(١) راجع: ص٨١.

(٢) معجم الحضارات، ص٢٤٥. وانظر تفصيل الرحلة الثانية: بولس وتأثيره، ص٥٨ ـ ٦٠.

(٣) معجم الحضارات، ص٢٤٦، قصة الحضارة، ص٢٥٩.

الأعمال التي قام بها[١].

وقد اتخذ أسلوبين في دعوته: الشفهي والكتابة، ويلاحظ عليه عدم إتقان الكتابات التي تميزت غالباً بعدم الانسجام، وتوضح كتاباته بأنه كان يواجه صراعاً قوياً مع اليهود، ورأى نفسه كالمسيح الذي تعرض لأذى كثير من اليهود حتى قتلوه في زعمهم[٢].

## ١٣ ـ محاكمته ووفاته:

في ربيع سنة (٥٨م) سافر بولس للمرة الخامسة والأخيرة إلى أورشليم وفيها دبر اليهود ضده تهمة تدنيس الهيكل بإدخال يونانيين إليه، وكانوا سيقتلونه لا محالة، لولا تدخل الضابط الروماني «ليسياس» وأنقذته حقوق المواطنة الرومانية التي يتمتع بها. ثم أرسله «ليسياس» تحت حراسة قوية إلى «فيلكس» الوالي الروماني في قيصرية، وبقي أسيراً في قيصرية لمدة سنتين كاملتين (٥٨ ـ ٦٠م) في انتظار محاكمته، ثم طلب بولس كمواطن روماني أن ترفع دعواه إلى القيصر، فوافق الوالي على ذلك. فأُرسل في خريف سنة (٦٠م) إلى روما، وفي مارس سنة (٦١م) وصل بولس إلى روما. وكانت السنة السابعة لجلوس الإمبراطور «نيرون» على عرشه. وفي روما أمضى بولس سنتين كاملتين حتى سنة (٦٣م) أقام في سكن خاص استأجره، وقد منح له حرية استقبال الزائرين ودعوتهم.

هذه خلاصة ما ذكر في أعمال الرسل من (الإصحاح العشرين) إلى آخر السفر (الإصحاح الثامن والعشرين). وهنا يتوقف الكاتب عن ذكر بقية أيام بولس ولم يذكر شيئاً عن نهاية حياته. فأثير جدل كثير بخصوص حياته فيما بين سنة (٦٣م) إلى وقت قتله فيما قيل إما سنة (٦٧ أو ٦٨م)[٣].

ونقل يوسيبيوس إجماع النصارى القدامى على أن بولس قُتِلَ بقطع رقبته بحد السيف في عهد «نيرون» سنة (٦٧ أو ٦٨م)[٤].

---

(١) انظرها في بولس وتأثيره، ٦٤، ٦٥ وبيادر، عدد٧، رجب ١٤١٢هـ، كتبه جير الدباشيل ونشر في U.S news» إبريل ١٩٩١م، ترجمة أ. أحمد سليم الفيعي، عن سفر التمثيل، ١٧: ١٨.

(٢) Le christ, Geneber، ص٢٨٢، ٣٠٧.

(٣) راجع: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، ص٢٣٧، نقلاً عن رسائل الرسل.

(٤) راجع: تاريخ الكنيسة «يوسابيوس القيصري»، ص١٠٨.

يقول ول ديورانت: «لسنا نعرف حقيقة التهمة التي وجهت إليه، وأكبر الظن أنه اتهم بما اتهم به هو وزملاؤه في تسالونيكي وهو أنهم يعملون ضد أحكام قيصر قائلين أنه يوجد ملك آخر يسوع، وكانت هذه جريمة كبرى يعاقب عليها بالإعدام»(١).

ويذكر «دين إنج» أن بولس لم يكن أبداً قديساً محبوباً في كنيسة روما(٢).

وقد قتل «بطرس وبولس» فيما قيل في وقت واحد، وإن كان كلاهما قد قتل منفرداً. أما بولس فقد قطع رأسه على طريق «أوستيان «ostian» في المكان الذي يقوم عليه الآن دير لثلاثة ينابيع، ولا يزال باقياً أيضاً العمود الذي قيل إنه ربط فيه(٣).

وهكذا انتقل بولس من عدو إلى داعية ومن مبغض إلى مناصر لما أبغضه، وهو أمر جدير بالدراسة لمعرفة التعاليم والعقائد التي جعلته المرجع الرئيسي في تفسير كل ما يتعلق بالديانة النصرانية.

## ١٤ ـ رسائل بولس ومكانتها العقدية والتشريعية في النصرانية:

يختلف الكتّاب والمؤرخون في تجسيم حقيقة ومدى الدور الذي قام به بولس في النصرانية، فمنهم من يعتبره المؤسس الحقيقي للديانة النصرانية، بل ويرى أن النصرانية الحالية ليست إلا نصرانية بولسية، وهناك من يرى أن لبولس دوراً مساهماً في تأسيس النصرانية ولكنه لا يصل إلى جعله مؤسساً لها(٤).

ومهما يكن الأمر فإن كونه المؤسس الحقيقي لها أو غير ذلك يبرزه دراسة الآراء التي نادى بها، والعقائد التي أصلها وما نتج عنها منذ تنصره إلى وقتنا

---

(١) قصة الحضارة، ١١/ ٢٦٨.

(٢) A history and thought of the early church، ص١٦، ١٧.

(٣) قصة الحضارة، ١١/ ص٢٦٨، وراجع، الأجوبة الفاخرة للقرافي حيث تفرد بالقول أن بولس ذبح نفسه بيده، ص٣٢٢، مع العلم أنه لا يوجد معلومة تاريخية تؤيد أي قول من الأقوال السابقة.

(٤) الموسوعة النقدية، ص٧٤، المسيحية، شلبي، ص١٠٩، تاريخ المسيحية، ١/ ٤٥، وإبطال ألوهية عيسى، ص٦٩، مع العقيدة والحركة والمنهج، ص٢٩٢، تثبيت دلائل النبوة، ص١٥٠، ما هي النصرانية، ص١٢٥، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٧٥، دراسات تحليلية، ص٣٨٨، الميزان في مقارنة الأديان، ص١٣٢.

الحاضر وهو في رأيي المعيار الذي يحكم عليه به، بحيث يعتبر مؤسساً فعلياً تنسب إليه النصرانية، أو مجرد صاحب دور فعَّال في حدود ما نادى به وما نتج عنه؟.

استقر رأي النصارى في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفراً من أسفارهم، وقرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة أي الموحى بها، ويعتقدون أنها قد أوحاها الرب إلى كتابها بمعانيها لا بألفاظها، وأطلقوا عليها اسم (العهد الجديد) للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها اسم (العهد القديم).

فتسمية هاتين المجموعتين من الأسفار بهذين الاسمين هي تسمية متأخرة لاحقة لظهور النصرانية[١].

ومن بين السبعة والعشرين سفراً أربع عشرة رسالة لبولس وهي التي نحن بصدد عرض ما فيها من عقائد، وقد كتب بولس هذه الرسائل للمدن المختلفة ولبعض الأشخاص شارحاً فيها أفكاره وباسطاً أصول دعوته الجديدة، وقد وضعت هذه الرسائل في العهد الجديد مرتبة حسب طولها أو وجازتها وهي كما يلي:

(١) رسالة إلى أهل رومية (٢ و٣) رسالتان إلى أهل كورنثوس (الأولى والثانية). (٤) رسالة إلى أهل غلاطية. (٥) رسالة إلى أهل أفسس، (٦) رسالة إلى أهل فيلبي، (٧) رسالة إلى أهل كولوسي. (٨ و٩) رسالتان إلى أهل تسالونيكي (الأولى والثانية). (١٠ و١١) رسالتان إلى تيموثاوس (الأولى الثانية). (١٢) رسالة إلى تيطس. (٢٣) رسالة إلى فليمون. (١٤) رسالة إلى العبرانيين.

وتسمّى الرسالة الأولى والثانية إلى تيموثاوس، والرسالة إلى تيطس بالرسائل الرعوية، كما تسمّى بالرسائل الباباوية لأن موضوعها واحد وتمثل مجموعة منفصلة مختلفة عن بقية رسائل بولس، لأن هذه الرسائل الثلاث ـ مع الخطاب القصير إلى فليمون ـ كتبت إلى أشخاص بينما كتبت جميع رسائل بولس الأخرى إلى كنائس.

---

(١) راجع: ص٢٥٩، وما بعدها

ويمكن القول دون تردد أن رسائل بولس هي وحدها مصدر التشريع في النصرانية، وإن التشريعات التي وردت في الرسائل الأخرى كانت تكراراً وصدى لآراء بولس وتشريعاته[1].

وقد كُتبت كلها في الأصل باللغة اليونانية، ما عدا الرسالة إلى العبرانيين. فمن المتفق عليه أنه كتبت بالعبرانية. لكن أصلها مفقود.

وقد كتب بولس هذه الرسائل في أزمنة مختلفة وأمكنة متعددة. بعضها محدد التاريخ وبعضها غير محدد. غير أنها تبدأ سنة ٥٤م وتنتهي سنة ٦٥م تقريباً[2].

وقد شكك العديد من الكتاب في صحة نسبه العديد من الرسائل إلى بولس فمن ذلك التشكيك المجمل في تلك الرسائل قول «يوسابيوس المؤرخ»: «فبولس مثلاً الذي فاقهم جميعاً في قوة التعبير وغزارة التفكير لم يكتب إلا أقصر الرسائل[3]». فقوله «أقصر الرسائل» يدلنا على أن رسائله لم تكن بهذا الطول التي هي عليه الآن.

وكذلك ما نقله يوسابيوس نفسه عن أوريجانوس حيث قال عن بولس «الذي أكمل التبشير بالإنجيل من أورشليم إلى الليريكون فإنه لم يكتب إلى كل الكنائس التي علمها ولم يرسل سوى أسطر قليلة لتلك التي كتب إليها»[4].

فهذا النص مثل سابقه يشير إلى قلة محتوى رسائل بولس وأنها عبارة عن أسطر قليلة مع أن الموجود منها بين يدي النصارى يعدل الأناجيل الثلاثة: متى - مرقص - لوقا.

ومن التشكيك المفصل في صحة نسبة الرسائل إلى بولس ما قاله «ول ديورانت»: «بعض هذه الرسائل لا يعرف كاتبها معرفة أكيدة ومنها عدة رسائل تؤرخ بعام ٦٤م ولكنها في الحقيقة كتبت بعد ذلك التاريخ»[5].

---

(١) المسيحية، شلبي، ص١٢٧.

(٢) الأسفار المقدسة، وافي، ص٢٠١، ٢٠٢.

(٣) تاريخ الكنيسة، ص١٤٨.

(٤) تاريخ الكنيسة، ص٣١٧.

(٥) قصة الحضارة، ١١/٢٠٥.

ومنها ما نقله شريف هاشم عن «فرديناند كرسيتيان بور» حيث قال عن رسائل بولس: «إنها كلها مدسوسة عليه، عدا رسائله إلى غلاطية وكورنثوس وروميه»[(١)].

كما ذكر د. فهيم عزيز في كتابه «المدخل إلى العهد الجديد» اختلاف النصارى في نسبة عدة رسائل إلى بولس وهي: رسالتا أفسس وكولوسي، وكذلك رسالته الأولى والثانية إلى تيموثاوس، ورسالته إلى تيطس.

أما الرسالة إلى العبرانيين فهي التي تحوم حول نسبتها إلى بولس شكوك كثيرة[(٢)].

ومن الملاحظ أن هذه الرسائل لم تجمع إلا حوالي سنة ٩٠م وقيل سنة ١١٠م. وكان كثير من الكنائس تحتفظ بأجزاء من هذه الرسائل، ولم يكن من السهل أمر جمعها وترتيبها على نحو ما هي عليه الآن، وكذلك لم توضع لها عناوينها إلا في وقت متأخر عندما جُمعت ونشرت لتقرأ في الكنائس[(٣)]. وهذا أمر أخر يدعو إلى الشك في صحتها لأن معنى ذلك أن هذه الرسائل لم تعرف إلا بعد وفاة بولس بما يقارب الثلاثين عاماً، مما يعطي مجالاً واسعاً للافتراء والزيادة والحذف حسب الأهواء.

وعلى كل حال سواء كانت نسبة الرسائل لكاتبيها صحيحة أم لا، فإن آثار هذه الرسائل الأربع عشر المنسوبة لبولس في تحريف دين المسيح واضحة كل الوضوح، بل أكثر تأثيراً من الأناجيل، فإن الأناجيل أسفار تاريخية وأما الرسائل فتعليمية، وبولس بالذات هو المتهم الأول في هذا التحريف.

ولهذه الرسائل قيمة كبرى من وجهة النظر النصرانية لأنها أول أسفار العهد الجديد كتابة وتدويناً واشتهاراً، إذ إنها كتبت قبل أقدم الأناجيل (إنجيل مرقس) بأكثر من ١٥ عاماً[(٤)].

وكانت تلك الرسائل تقرأ في اجتماعات العبادة مع كتب العهد القديم، كما

---

(١) الإسلام والمسيحية في الميزان، ص٢٤٢.

(٢) انظر تفصيل الخلاف في الرسائل المذكورة في المدخل للعهد الجديد، ص٤٧٠، ٤٨٤، ٥٢٣، ٦٨٣.

(٣) تفسير العهد الجديد، ص١٠١.

(٤) الإسلام والأديان، ص١٥٩.

أمر بذلك بولس: «أناشدكم بالرب أن تقرأ هذه الرسالة على جميع الأخوة القديسين»[1]، وأيضاً: «متى قرأت عندكم هذه الرسالة فاجعلوها تقرأ أيضاً في كنيسة اللادوكيين»[2].

ولهذا معنى مهم وهو أن أفكار بولس ودعوته قد انتشرت بين الناس من خلال تلك الرسائل قبل كتابة الأناجيل أو على الأقل قبل اشتهارها، مما يكون له أخطر الأثر في صبغ الفكر والكتابات التي جاءت بعده بصبغته ودعوته.

## ثانياً: عقائد بولس المحرفة ودوافعه إليها:

هل يمكن أن يسمّى ما وضعه بولس أسساً لاهوتية للعقائد النصرانية المعاصرة؟

من مال إلى القول بأن بولس هو المؤسس الحقيقي للنصرانية نظر إلى أن ما كتبه هو أساس العقائد النصرانية.

أما من نظر إليه على أنه مجرد داعية إلى النصرانية فإنه يرى أن ما دعا إليه مجرد آراء دعا إليها بشكل عملي أكثر من كونها أسساً لاهوتية.

يقول «الشرفي»: «إننا كثيراً ما نعثر عند الدارسين المسيحيين على عبارة «علم اللاهوت البولسي» مما ينبئ بوجود نظام لاهوتي شامل ومتكامل عند بولس، وليس الأمر كذلك في الواقع، فقد كانت اهتماماته عملية في المقام الأول ولم تكن آراؤه تخلو من التردد وعدم التماسك بل ومن التناقض أحياناً»[3].

ومهما يكن من أمر هذه الفروض فقد تضمنت رسائله وأقواله جملة من العقائد النصرانية التي كان لها أكبر الأثر في تشكيل النصرانية بعد المسيح عليه السلام، حتى ولو لم يكن يقصد إلى تحقيق هذه الغاية.

وإذا أردنا أن نحدد شخصية بولس كداعية إلى النصرانية فينبغي أن نأخذ في الاعتبار أنه كان هناك تياران متعارضان يتجاذبان فكره وعقائده:

**أحدهما**: أنه الرجل اليهودي الفريسي الذي عرف اليهودية وأحاط بتعاليمها وآدابها ودعا لها وحذق فيها.

---

(١) ١: تسالونيكي، ٥/٢٧.

(٢) كولوسي، ٤/١٦.

(٣) الفكر الإسلامي، ص٢٥.

**ثانياً**: أنه الرجل اليوناني الذي نشأ في بيئة يونانية بما ازدحمت به من ديانات وعقائد وآداب. وهو الذكي البارع والواسع الخيال. ومن غير شك أنه قد ألمّ بمعارف عصره سواء الدينية منها أو الفلسفية.

ومن خلال النظر في دعوته يمكن تحديد أهم العقائد التي نادى بها وهي:

١ ـ تجسد المسيح.

٢ ـ صلب المسيح تكفيراً للخطايا، بل قيل: إن بولس هو الذي أوضح فكرة الخطيئة الأولى[١].

٣ ـ ألوهية المسيح وبنوته لله.

٤ ـ النصرانية ليست ديناً لبني إسرائيل بل هي دين عالمي.

٥ ـ إلغاء شريعة موسى بما فيها فريضة الختان[٢].

## عقيدة التجسد (الحلول والاتحاد):

قبل التفصيل في هذه العقيدة وما أدت إليه تجدر الإشارة إلى تحديد معنى كل من الحلول والاتحاد لارتباطهما بمفهوم عقيدة التجسد.

جاء في كتاب التعريفات للجرجاني ما نصه: «الحلول نوعان: سَرَياني وجِواري فالحلول السرياني هو عبارة عن اتحاد الجسمين، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد فيسمى الساري حالاً، والمسري فيه محلاً. والحلول الجواري هو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر كحلول الماء في الكوز[٣].

أما الاتحاد فهو تصيير الذاتين واحدة ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعداً، وقيل: الاتحاد هو امتزاج الشيئين واحتلالهما حتى يصيران شيئاً واحداً[٤].

---

(١) الميزان في مقارنة الأديان، ص١٣١، وانظر بولس الرسول، بيشوى وديع، ٣٦، ٣٨، ٥٢، ٨٨، ٩٧، ١١١.

(٢) انظر العقائد التي نادى بها بولس على اختلاف عند كل كاتب، دراسات في النصرانية، مزروعة، ص٩٩، المسيحية، شلبي، ص١١٦، قاموس الكتاب المقدس، ص٤٦٨، النصرانية، شاهين، ص٢٠٧، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص١٤٧.

(٣) التعريفات، ص٩٢، ٩٣.

(٤) التعريفات، ص٨، ٩.

والفرق بين الحلول والاتحاد أن في الحلول بقاء الاثنين بمعنى أن يحل أحد الشيئين في الآخر مع احتفاظ كل منهما بذاته، أما الاتحاد ففناء للاثنين بحيث تصبح الذاتان ذاتاً واحدة فلا أثنينية بينهما فالاتحاد إذاً مبني على الحلول[1].

وعقيدة التجسد عند النصارى هي الأساس الذي تدور حوله العقائد النصرانية كلها كما سنرى، والتجسد معناه: إن يظهر الله ـ تعالى عن قولهم ـ للبشر في صورة ما من صور المخلوقات.

وعند النصارى هو: ظهور الله ـ تعالى عن قولهم ـ في المسيح ظهوراً واضحاً بشرياً ملموساً[2]. فالكلمة عندهم تدل على أن المسيح إلٰه متجسد حيث أعلن للناس في حياته ذات الله وصفاته ومحبته للبشر[3]. وباختصار أن المسيح هو الله ـ تعالى الله عن قولهم ـ الظاهر في الجسد[4].

ويستدلون على هذا المفهوم لعقيدة التجسد، بما ورد على لسان بولس لهذه العقيدة في رسالته الأولى لتيموثاوس «عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد تبرر في الروح»[5].

وبقوله: «الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائر في شبه الناس، وإذا وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض، وتحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب لمجد الله الأب»[6].

وبقوله في رسالته إلى أهل كولوسي: «الذي هو (يعني المسيح) صورة الله

---

(١) رسائل الرسل، ص٤٩٨.

(٢) إيماني، ص٤٤، الإيمان المسيحي هل هو معقول، ص٥٣.

(٣) أديان العالم، ص٢٥٧.

(٤) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ص٧٦، ٧٧.

(٥) ٣/١٦.

(٦) ٣/٦ ـ ١١.

غير المنظور، بكر كل خليقة، فإنه فيه خلق الكل، ما في السموات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خلق»[١].

والنصارى يقررون بهذا، أن بولس هو أول من قال بالتجسد في النصرانية حيث لم تظهر هذه العقيدة في قول أحد قبله لا من الحواريين ولا من غيرهم في رواية مكتوبة أو شفوية، وهذا يرد على من قال إن فكرة التجسد لم ترد صراحة في رسائل بولس أو في أسفار الكتاب المقدس[٢].

ومن الملاحظ أن مفهوم التجسد لم يظهر بعد بولس إلا في إنجيل يوحنا ـ وليس هو يوحنا الحواري ـ حيث يقول في مستهل إنجيله: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله... والكلمة صار جسداً وحل بيننا»[٣].

ويجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى ما يذهب إليه بعض الدارسين من أن النصوص الواردة في إنجيل يوحنا ـ التي أثبتناها آنفاً ـ تتضمن القول بالتجسد ـ على حد قولهم ـ فإن ذلك يدل على أن مؤسس عقيدة التجسد ليس هو بولس، وإنما يوحنا حواري المسيح كما يزعمون.

والصحيح هو ما ذهب إليه أكثر علماء النصرانية من أن إنجيل يوحنا منحول ليوحنا الحواري زوراً، وأن مؤلفه الحقيقي هو يوحنا الإنجيلي، وهو ما سنفصل القول فيه.

وبما أن هذا الإنجيل قد كتب سنة ٩٥م وكان قد مضى على موت بولس ثمانية وعشرون عاماً، فإن ذلك يؤكد القول إن بولس هو أول من أدخل عقيدة التجسد في النصرانية، وبهذا صرح تقي العثماني قائلاً: «إن الرجل الأول الذي توجد عنده عقيدة التجسد صراحة إنما هو بولس[٤].

---

(١) كولوسي: ١/١٦.

(٢) النصرانية، شاهين، ٢٧٦، نقلاً عن مقالة لفرنسيس يونج الأستاذة بجامعة برمنجهام، وموريس وايلز أستاذ علم الإلهيات والكتاب المقدس بكلية المسيح بجامعة أكسفورد عن كتاب أسطورة تجسد المسيح.

(٣) يوحنا، ١/١١ ـ ١٤.

(٤) ما هي النصرانية، ص١٤٠.

أما عن مصدر هذه العقيدة فإن بعض الدارسين في النصرانية ذهبوا إلى أن بولس قد استوحى فكرة التجسد من أفكار السامريين العبريين.

وبذلك تكون فكرة التجسد من أصل يهودي، ظهرت عند «سمعان ماغوس» ورفاقه السامريين إضافه إلى البيئة الوثنية التي وجدت فيها هذه الفكرة.

بل من الباحثين من يرى أن مصادر فكرة التجسد لا تنحصر فقط في مصدري اليهودية والوثنية[١]، بل هناك شيء من هذه الأفكار عند أفلاطون والفيلسوفين فيثاغورس وانباذوقليس قبل عصر سقراط، ففي إحدى الروايات أن فيثاغورس هو الابن المتجسد لهرمس، وكذا انباذوقليس، وكل هذه الأساطير والخرافات هي التي أوحت للنصارى بالتجسد الإلهي في المسيح، وقد ظهر هذا بصورة واضحة عند النصارى الجدد الناطقين باليونانية.

ويؤكد أصحاب هذا الرأي أن ما نسب إلى المسيح مستقى من تلك الخلفية الوثنية وإن امتداد الكنيسة في العالم غير اليهودي هو وحده السبب في قيام عقيدة التجسد.

والدليل على وجود القول بالتجسد لدى الوثنيين قبل ظهورها في أقوال بولس ما جاء في سفر أعمال الرسل: «فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم قائلين: إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إليها، فكانوا يدعون برنابا (زفس) وبولس (هرمس)»[٢].

فمن هنا نقول: إن بولس تأثر بتلك الدعوات السابقة، وهو أول من ادعى في النصرانية أن المسيح عليه السلام إله قد تجسد بصورة البشر ودخل هذا العالم.

## ٢ ـ عقيدة صلب المسيح للفداء وتكفير الخطايا:

يعتقد النصارى ـ على اختلاف فئاتهم ـ أن المسيح قد صلب ومات على الصليب، وأنه بعد صلبه ودفنه قام من القبر وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وأنه هو الذي سيحاسب الناس يوم القيامة[٣]. بغض النظر عما بين أصحاب

---

(١) راجع: فصل العقائد، ص٣٥٧.

(٢) أعمال، ص١٤/١١ ـ ١٢.

(٣) دراسات في الملل، ص٧٩، دراسات في الأديان، ص٢٢٤، قاموس الكتاب المقدس، ص١٩٥، المسيحية، شلبي، ص١٠١، تحفة الأريب، ص٦١.

الأناجيل من اختلافات في تصويرهم لبعض جزئيات هذه الحادثة[1].

أما الاعتقاد بأن صلب المسيح إنما كان فداء للبشر، وتكفيراً لخطاياهم فيما بعد إذا آمنت بتلك العقيدة ـ أما هذا الاعتقاد فيعتبر الأساس الثاني من أسس العقائد النصرانية ـ التي أدخلها بولس عليها ـ بعد عقيدة التجسد، وهو أيضاً كالتجسد محور رئيسي يدور عليه دينهم، بل هو رأس الإيمان عندهم[2].

وبالنظر إلى رسائل بولس فإننا نجد التفسير لحادثة الصلب التي رواها الإنجيليون على النحو الذي ذكرنا.

وفيما يلي أقوال بولس حول هذا الموضوع:

«ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني»[3].

وأصبح صلب المسيح فداء للبشرية وتكفيراً لخطاياها في نظره الهدف الحقيقي لرسالة المسيح التي جاء من أجلها إلى الأرض، فلم تخل أية رسالة من رسائل بولس، من ذكر وشرح هذه الحادثة المركزية، فيقول: «الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء»[4].

كما يقول: «ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير، حسب إرادة الله وأبينا»[5].

وترجع قصة خطيئة البشر الموروثة التي يرددها النصارى إلى قصة «آدم وحواء» وهي أن الله خلق آدم وحواء وأسكنهما الجنة، وأحل لهما طيباتها، وما نهاهما عن شيء فيها إلا عن شجرة واحدة وهي شجرة المعرفة، فأوصاهما أن لا يقرباها. جاء في التوراة ما نصه: «وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن

---

(١) راجع: التفصيل في اختلاف الروايات، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص١٦٦ ـ ١٧٩.

(٢) العقائد الوثنية، ص٨٣.

(٣) غلاطية، ٤/٤ ـ ٥.

(٤) رومية، ٨/٣٢.

(٥) غلاطية، ١/٣ ـ ٤، وراجع كورنثوس، ٥/١٤ ـ ١٥، تسالونيكي، ٥/٩ ـ ١٠، ورومية ٣/ ٢٥.

ليعلمها ويحفظها وأوصى الرّب الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر[1] فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت»[2].

لكن آدم ضعف أمام إغواء الحية فأكل من الشجرة المحرمة بإيعاز من زوجه «حواء»، تقول التوراة: «فرأت المرأة أنّ الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرتها، وأكلت[3] وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل[4]، فصار «آدم» و«حواء» بذلك خاطئين آثمين، فطردهما الله من الجنة ولعنهما، وظل الله غاضباً على أولادهما، حتى جاء المسيح وصلب كفارة عن تلك الخطيئة التي ارتكبها «آدم» و«حواء» وأورثها إلى ذريتهما[5]». هكذا يزعمون.

فتلك الخطيئة حسب رأيهم لم تقتصر على آدم وحواء فقط، بل امتدت بحكم التناسل إلى البشرية كلها. إذ يقول بولس: «من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت هكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع»[6].

ويضيف قائلاً بمزيد من الشرح والإيضاح: «أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الأب هكذا نسلك نحن أيضاً جدة الحياة، لأنه إن كان قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطيئة»[7].

---

(١) هكذا زعم اليهود في كتابهم، ولم يرد عندنا في القرآن الكريم تسمية ووصف للشجرة، وادعاؤهم ينافي تعليم الله ﷻ لآدم الأسماء كلها حتى تقدم في ذلك على الملائكة، فلا يبعد أن يكون ما ذكره اليهود في تحريفاتهم وكذبهم، والله أعلم.

(٢) تكوين، ٢/ ١٥ ـ ١٧.

(٣) هكذا زعم اليهود أيضاً، والوارد عندنا في القرآن عزو الأكل إلى آدم وحواء عليهما السلام كليهما، فأكلا منها، فلا يبعد أن يكون ما ذكره اليهود من افتراءاتهم وتحريفاتهم.

(٤) تكوين، ٣/ ٦.

(٥) رسائل الرسل، ٢/ ٦١٣.

(٦) رومية، من ٥/ ١٢.

(٧) رومية، ٦/ ٣ ـ ٦.

ويحاول كتاب النصرانية تفسير أقوال بولس الواردة في عقيدة الفداء المتقدمة بقولهم: «إنه لا سبيل للحصول على الغفران أو التمتع بالله إلا إذا تمّ أولاً إلغاء مطالب عدالته وقداسته بوسيلة ما، وهذه الوسيلة هي بواسطة كائن عوضاً عنا، وبما أنه لا يساوي الإنسان إلا الإنسان مثله لذلك يجب ألا يكون حيواناً بل أن يكون إنساناً، ويجب أن تكون قيمته معادلة لكل هؤلاء الناس الذي سيفديهم، فالفادي مع وجوب كونه إنساناً يجب أن يكون خالياً من الخطيئة خلواً تاماً ومعصوماً منها، يجب أن يكون شخصاً غير مخلوق، يجب أن يكون ذا مكانة لا حد لها لسموها، وإذا تصفحنا حياة الأشخاص الذين ظهروا في العالم نرى أن هذا الشخص ليس سوى المسيح لأنه هو الذي توافرت فيه جميع الشروط»[1].

هكذا يرى النصارى أن خطيئة آدم وحواء عليهما السلام قد ورثها أبناؤهما وأصبح الفداء ضرورياً، ولا أحد يليق بتقديم نفسه للفداء سوى المسيح وحده لأنه إنسان وإله في آن واحد[2].

ومن المهم هنا أن نشير أن بولس لم يقرر أن المسيح افتدى البشر من خطيئة آدم وإنما صلب فداء وتكفيراً للخطايا.

يقول الأب بولس الياس: «ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس الرسول مشاعره فعبر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب، وينقل بهم من عهد الناموس الموسوي إلى عهد النعمة»[3].

وقد كان بولس هو أول من فسر عملية الصلب ـ المزعومة ـ على أنها للفداء وتكفيراً للخطايا، وهذه الفكرة لم تكن واردة حتى عند مؤلفي الأناجيل الأربعة المعتمدة.

أمّا كيف لاقت هذه الفكرة قبولاً لدى النصارى وأصبحت فيما بعد عماد

---

(١) فلسفة الغفران، ص٧٥ نقلاً عن رسائل الرسل.

(٢) رسائل الرسل، ص٦١٧، وانظر الإنجيل والصليب، ص٦، ٧، تاريخ الأقباط، ص٢٣٨، حول مسألة الصلب والخطيئة، ص١١١، وتقول أخرى عن قساوسة آخرون في المسيحية لشلبي، ص١٦٠، ١٦١.

(٣) يسوع المسيح، ص٢٨، ٩٢، ٩٣، المسيحية، شلبي، ص١٦٧.

النصرانية، فإن الأحداث التي وقعت وما حيك حولها من قصص وروايات قد مهدت لهذا القبول.

فصلب المسيح كان نهاية مفزعة، ولكن بولس عندما فسر هذه النهاية وأنها من أجل فداء الناس، تكاملت صورته بأنه إنما جاء ليفديهم ولهذا صلب، ودعوى موته وقيامته المزعومة شجع على قبول التأويلات عن سبب موته وقيامته.

والواقع أن قول بولس بأن صلب المسيح كان للفداء والتكفير لم يكن غريباً عن ذلك المجتمع، بل كان بولس في هذا التفسير خاضعاً لتأثير الميراث العقدي الذي كان شائعاً في البيئة المحيطة به، ذلك أن فكرة المخلص كانت شائعة في الأوساط الوثنية المحيطة بطرسوس(١)، فقد كان الوثنيون القدماء يعتقدون أنهم بسفك الدم يتخلصون من خطاياهم، كما كانوا يعتقدون أن آلهتهم تألموا لكي يخلصوا أتباعهم من خطاياهم، وكانت ألقاب مثل سوتر (المنقذ) واليوثريوس (المنجي) تطلق على هذه الآلهة(٢).

وكان يتردد في أصداء الجو اليوناني المحيط به في طرسوس الحديث عن منقذ ينتشل البشرية، كما كانت علوم اليهود من بني جنسه تتحدث عن قرب مجيء المسيح كما ذكرنا(٣).

وقد كانت هناك خاصية مشتركة لآلهة المنطقة كلها فهي عقائد وثنية متشابهة في الأصول العامة وإن اختلفت في الجزئيات والتفاصيل(٤). وكان آلهة الزراعة الذين يموتون ويبعثون يعدهم أتباعهم شفعاء ومنقذين، وقد كان «ساندان» يحتفل الناس به كل عام فيتظاهرون بإحراقه ويزعمون أنه يرتفع بعد ذلك إلى السماء.

ولو لم ير بولس من مظاهر عبادته سوى الطقوس السنوية لتمجيد موته لكان ذلك وحده أمراً بالغ الأهمية(٥).

يقول ول ديورانت: «من حقنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدينية اليونانية

---

(١) تطور العقائد، ص١٩٢.

(٢) راجع: مشكلات العقيدة النصرانية، ص١٦٦، نصرانية عيسى، ص١٤٦، قصة الحضارة، ١١/ ٢٦٤.

(٣) راجع: ص٤٥.

(٤) دراسات في الملل، ص٢٢، ٢٣.

(٥) المسيحية، جينيبير، ص١٠٢، ١٠٢.

انتقلت من البيئة المدرسية في طرسوس إلى مسيحية بولس، وكانت طرسوس كما كان في معظم المدن اليونانية وغيرها من العقائد الخفية، يعتقدون أن الله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم، ثم قام من قبره، وأنه إذا دعي بإيمان حق، وصحب الدعاء الطقوس الصحيحة استجاب لهم وأنجاهم من الجحيم، وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة، وهذه الأديان الغامضة الخفية هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس، وأعدت بولس لدعوة اليونان[1].

فمن هنا نقول إن بولس قد أخذ فكرة الفداء والتضحية، وتكفير الخطايا البشرية من تلك الوثنية. وقد حاول بولس أن يقرب هذه النصرانية إلى عقول هذه الشعوب حين يدعوهم، فصور عيسى في صورة المصلوب فداء عن خطايا البشر[2]، شأنه كشأن أوزريس عند أتباعه كان رباً مات ليبعث حياً وليمنح الناس الخلود.

ولقد علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب ولا زعيم اليهود فقط، بل إن موته كان تضحية مثل موت الضحايا القديمة المقربة إلى الآلهة لدى الوثنيين من أجل خلاص الأتباع[3]. حيث تجده يقول: «فإن حمل فصحنا أي المسيح قد ذبح»[4].

وبهذا لا يكون التحول من الوثنية إلى النصرانية معناه الدخول في جو غريب أو ممارسة لثورة فجائية بل حاول بولس أن تكون طقوس العقيدة الجديدة استرجاعاً للعقائد الوثنية القديمة[5].

وقد قرر أساتذة تاريخ الأديان بأن فكرة بولس ما هي إلا تطور للديانات الشعبية التي اعتنقها كثير من الناس وكانت تسمى الديانات السرية وهي ديانات جاءت من الشرق إلى الغرب[6].

---

(١) قصة الحضارة، ١١/ ٢٥٠، ومشكلات العقيدة النصرانية، ص١٦٦.
(٢) مشكلات العقيدة النصرانية، ١٦٦، نصرانية عيسى، ١٤٦، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص١٩٦.
(٣) موجز تاريخ العالم، ص١٧٨.
(٤) ١ كورنثوس ٥/ ٧.
(٥) مشكلات العقيدة النصرانية، ص٩٠، ٩١.
(٦) الفكر اللاهوتي في رسائل بولس، ص١٩، مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص١٥٦.

ولهذا لم يكن في وسع غير اليهود من أهل أنطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا عيسى عليه السلام بشخصه أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين، ولهذا ناداهم بولس بعد أن فسر لهم صلب المسيح بأنه فداءً للبشرية وتطهيراً لخطاياهم ـ ناداهم بقوله: «هو ذا سر أقوله لكم»[١].

ويؤكد ويلز: أن ذهنه كان مشبعاً بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية فيما نُسِبَ لعيسى من أقوال وتعليم، ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذي يقدم قرباناً لله كفارة عن الخطيئة، فما بشَّر به عيسى كان ميلاداً جديداً للروح الإنسانية، أما ما بشَّر به بولس فكان الديانة القديمة، ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلباً لاسترضاء الآلهة، كان عيسى في نظره حمل عيد الفصح، تلك الضحية البشرية المأثورة المبرأة من الدنس أو الخطيئة[٢].

وفي هذا المقام لا ينبغي أن ننسى أن بولس كان يهودياً، وكان لليهود مظاهر وثنية ـ تأثراً بالبيئة المحيطة بهم[٣] ـ وقد أشرنا إلى هذه المظاهر من قبل[٤].

وأياً كان الأمر فمما قدمناه يتضح حقيقة المؤثرات التي دفعت ببولس إلى تقرير عقيدة الصلب للفداء وتكفير الخطايا وجعلها أساساً من أسس النصرانية.

### ٣ ـ ادعاء أن المسيح ابن الله:

إن الجيل الأول الذي عاش مع المسيح عليه السلام لم يعرف شيئاً عن مسألة بنوة المسيح لله، فليس لدينا نصوص صحيحة السند بالنسبة إليهم تثبت هذه العقيدة، ولم تنقل عنهم روايات شفوية حول ذلك، بل على العكس من ذلك فقد روى صاحب أعمال الرسل عن بطرس قوله أمام جمع من اليهود: «أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال يسوع الناصري رجلٌ قد برهن لكم من قبل الله

---

(١) قصة الديانات، ٤٣٩، وقصة الحضارة ١١/ ٢٦٤، ومحمد في التوراة، ١٠٥.

(٢) المسيحية، شلبي، ص١١٥.

(٣) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص٩٧، وراجع قصة الحضارة، ١١/ ٢٦٤، وفيه يقول: «لقد كان اليهود الأقدمون يشتركون مع الكنعانيين والمؤابين والفينيقيين وغيرهم من الشعوب في عادة التضحية بطفل، بل بطفل محبوب، لاسترضاء السماء الغضبي، ثم أصبح في الإمكان على توالي الأيام أن يستبدل بالطفل مجرم محكوم عليه بالإعدام.

(٤) انظر ص٣٢.

بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم تعلمون»[١]، كما أن ما عثر عليه من لفائف البحر الميت، والبرديات في نجع حمادي تنقل عن هذه الفترة أنهم كانوا يؤمنون بالتوحيد الخالص.

وبذلك يعتبر الاعتقاد ببنوة المسيح عقيدة طارئة نشأت فيما بعد. ويعتبر بولس أول من نادى بتلك العقيدة[٢]، حيث ورد التعبير عن المسيح في رسائله بلفظ «ابن الله» أربع مرات، وبلفظ «ابنه» مضافاً إلى ضمير الغائب ومرجعه إلى اسم الجلالة (١١) مرة، وبلفظ «الابن» معرفاً بأل العهدية مرتين[٣].

ومن أقواله في ذلك: «تبين أنه ابن الله بالقيامة من بين الأموات أنه يسوع المسيح ربنا»[٤] وقوله: «فإن الله أمين فقد دعاكم إلى الشركة مع ابنه يسوع ربنا»[٥]، وقوله: «لكن لما سر الله... أنه يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم»[٦].

ويفهم من إنجيل متى أن أول من قال بأن المسيح ابن الله، هو «بطرس»، حيث قالها في حياة المسيح قبل دخول بولس في النصرانية، وكتابته لرسائله، حيث ذكر فيه: «قال ـ أي المسيح ـ لهم ـ أي للتلاميذ ـ وأنتم من تقولون أني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت المسيح ابن الله الحي»[٧].

لكن إنجيل مرقس يختلف عن إنجيل متى في إجابة بطرس للمسيح، حيث لم يورد على لسانه وصف البنوة للمسيح ﷺ، حيث أجاب وقال له: «أنت المسيح»[٨]. لذلك أكد «جون فنتون» أن كلمة «ابن الله الحي» هي زيادة من متى[٩]. وبهذا يبقى الاحتمال الراجح أن بولس هو أول من قال بأن المسيح هو

---

(١) أعمال الرسل، ٢٢/٢.

(٢) لا يشكل على هذا ورود هذا اللفظ في الأناجيل فإنها مضطربة فيه، حتى يصح أن يقال إنه يحتمل معنى مجازي احتمالاً كبيراً كما أثبتنا من قبل ص١٦٢، أن رسائل بولس لها الأسبقية في الكتابة والاشتهار قبل أقدم الأناجيل وهو إنجيل مرقس.

(٣) فهرس الكتاب المقدس، ص٧٠، ٧١.

(٤) رومية، ٤/١.

(٥) ١ كورنثوس، ٩/١.

(٦) غلاطية، ١٦/١، و١ كورنثوس، ١٣/١١، و٢ كورنثوس، ١٩/١.

(٧) راجع: متى، ١٦/١٦.

(٨) راجع: مرقس، ٢٩/٨.

(٩) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص٩٦.

ابن الله، ويؤكد هذا ما جاء على لسان «لوقا» في سفر أعمال الرسل ما كان يقوم به بولس قوله: «وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله»[1].

وقد اختلف الباحثون في دلالة عبارات بولس عن بنوة المسيح لله، وهل كان يقصد بها بنوة حقيقية أم مجازية؟

فذهب صاحب «الفكر اللاهوتي في رسائل بولس» إلى أن بولس حينما سمى المسيح ابن الله فقد كان يتحدث عن كائن إلهي[2]. وكذا د.الشرقاوي ذهب إلى أن هذه الأقوال الواردة من بولس إنما قصد بها ألوهية متجسدة، بل إنها توضح تماماً موقفه المتمثل في قوله بأن المسيح فعلاً «ابن الله»، وأن المسيح إلٰه تجسد في صورة عبد أي إنسان[3].

ويؤكد هذا د.محمد أبو الغيط الفرت قائلاً: إن المتصفح لرسائل بولس يجدها تحتوي عبارات لاهوتية غامضة يمكن أن تحمل على محاميل شتى من بينها أن يكون المسيح ابن الله بمعنى لاهوتي وهو الولادة العقلية، ولهذا اعتمدت مسيحية بولس كثيراً من مقولات بولس في تصوير العقيدة على النحو الذي تشكلت به فيما بعد[4].

وعلى العكس مما سبق يذهب جينيبير إلى أن تعبير ابن الله الوارد على لسان بولس في وصف المسيح لم يكن في الواقع يمثل سوى خطأ لغوي فاحش، وهي لغة لم يبدأ في استخدامها سوى النصارى الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، وهي اللغة التي استخدمها بولس.

ولقد كانت فكرة الله في وحدانيته هي المسيطرة على عقل بولس، وقد تربى على هذه الفكرة باعتباره يهودياً، إلا أن الأمر الذي يدعو إلى الدهشة والاستغراب هو كيف تصور بولس مع ـ ذلك ـ أن عيسى «ابن الله»؟!

يرى جينيبير أنه من البساطة بمكان أن تتطور كلمة «خادم» في اللغة اليونانية إلى كلمة «ابن»، وقد حدث مثل هذا التطور اللفظي في النصوص اليهودية

---

(١) راجع: لوقا، ٩/ ٢٠.

(٢) انظر ص١٤٣.

(٣) راجع: دراسات في الملل الشرقاوي، ص٩٠.

(٤) عقيدتا التثليث والصلب، ص٢٨٠.

النصرانية كمجموعة أعمال الرسل عندما نقل بعضها إلى رسائل بولس[(١)].

وقد أطلق بولس على المسيح كلمة «ابن»، ولم يكن يتوقع أن يتطور معناها إلى بنوة حقيقية على مدار التاريخ، أو أن تأخذ من بعده طابعاً فلسفياً يذهب بمعناها كل مذهب، وربما أطلقها كتعبير تقريبي عن علاقة أكثر من أن تكون علاقة بشرية بين الله وعيسى، وربما كان لا يستطيع التعبير عن هذه العلاقة إلا بهذا اللفظ الذي لا يحتمل المعنى الذي تنفعل به نفسه إلا به، وربما لا يعدو في نظره أن يكون اصطلاحاً لما ترضاه نفسه، لأننا نراه في بعض تعبيراته عن هذه العلاقة يصرح بأن المسيح خاضع لهيمنة الله عليه، حيث يقول: «وأما أنتم فللمسيح والمسيح لله»[(٢)].

وذهب الدكتور عبد المنعم عثمان إلى أن الذي يبدو من كلام «ابن البطريق» المؤرخ النصراني أن بولس وأتباعه لم يعرفوا المسيح سوى إنسان، وتسميته بابن الله لا يقصد بها سوى التعبير المجازي، وهو المحبة، وكانوا لا يعرفون عن الله إلا أنه واحد، وقد سيق مذهبهم على لسان مسيحي يؤمن بالثالوث، فجاء منطقه في التعبير عن هؤلاء الموحدين بهذا السياق[(٣)].

وفي نفس هذا الاتجاه يقول الدكتور أبو الغيط الفرت معلقاً: «مع قطع النظر عن المفسرين المبالغين في تحميل اللفظ ما لا يحتمله، وربما كان ذلك داعي التقريب بين معنى لفظين هما أسمى ما في الوجود، فإذا عبر عن المسيح بأنه ابن الله فربما كان لا يريد به بنوة حقيقية وإن أعطاها معنى البنوة الحقيقية أتباع مذهبه الآتين بعده، دون إرادة منه متوقعة لما كشف عنه المستقبل عن هذه المغالات[(٤)].

وبغض النظر عن مدى صحة أحد هذين التفسيرين لما أطلقه بولس على المسيح عليه السلام من بنوته لله، فلا يختلف أحد من أنه هو أول من أطلق لفظ البنوة على عيسى عليه السلام، سواء كان يعلم مسبقاً بما سيؤول إليه هذا التعبير عند النصارى

---

(١) المسيحية جينيبير، ص١٣٦.

(٢) ١ كورنثوس ٣/ ٢٣، وراجع المسيحية، جينيبير ص١٣٦، ١ كورنثوس ٣/ ٢٣، وفيلبي ٢/ ٨، ١ كورنثوس ١٥/ ٢٨، ١ كورنثوس ٨/ ٦.

(٣) المسيحية بين التوحيد والتثليث، ٨٦.

(٤) راجع: حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة، ص١٥٤.

في المستقبل من عقائد باطلة، أو لم يكن يتوقع ذلك.

ويبقى علينا الآن أن نستكشف العوامل الدينية والثقافية التي أدت ببولس إلى تحريف العقيدة النصرانية من التنزيه لله إلى دعوى بنوة المسيح ﷺ له ـ تعالى الله عن قولهم ـ.

بالنظر إلى العهد القديم والذي يحاول بولس نسبة أقواله إليه كما ينقل د. الشرقاوي عن بعض دارسي العهد الجديد، حيث يقول: «إن مسألة وجود اللقب آنذاك في اليهودية مسألة لم يبت فيها، ولكن حتى لو فرض استخدامه فقد يكون بمثابة لقب ملكي، فالملك يطلق عليه «ابن الله»، أما أن يرتبط اللقب بحيث يكون المسيح هو ابن الله، فهذا المفهوم غير موجود لا في اليهودية، ولا في النصرانية الأولى[1].

وبالنظر إلى المجتمعات الهلنستية التي عاش فيها بولس وتأثر بما فيها نجد أن لقب «ابن الله» يطلق في الأديان الشرقية القديمة حيث كان الملوك يعتبرون أبناء الله، هذا الاعتقاد كان معروفاً في مصر حيث أن الحكام الفراعنة كانوا يعتبرون أبناء إله الشمس.

وكان مفهوم «ابن الله» في الهللينية لا ينحصر في الحكام فقط، ولكن أي شخص يعتقد أن لديه القدرة على أداء بعض المعجزات يعتبر «ابن الله»، وقد وجد هذا المفهوم في الأديان الخفية التي يعتبر المؤسس فيها هو «ابن الله»[2].

ولعل تحقق هذه المعاني في المسيح ﷺ هو الذي حدا ببولس أن يطلق لقب «ابن الله» عليه لهذا الاعتبار.

وسوف نتناول وضع عقيدة البنوة في الأديان الشرقية بالتفصيل في الفصل المعقود لدراسة هذه الأديان، ودراسة أثرها في تحريف النصرانية[3].

### ٤ ـ القول بألوهية المسيح:

عرضنا لفكرة البنوة عند بولس بين قائل بأنها بنوة حقيقية وقائل بأنها

---

(١) راجع دراسات في الملل، ص٩١.

(٢) راجع دراسات في الملل، ص٩٣، قصة الحضارة، ص٣/ ٢٦٤. الإيمان المسيحي هل هو مقعول، ص٤٥.

(٣) انظر: ص٣٤٩.

مجازية في أقوال بولس، وفيما يتعلق بوصفه للمسيح بالألوهية فهناك رأيان أيضاً.

أما الرأي الأول فقد ذهب أصحابه إلى القول بأن بولس لم يصف المسيح بالألوهية، وأن ما ورد عنه من عبارات ما هي إلا تمجيد لشخص المسيح ولا يعدو أكثر من ذلك.

واستدلوا بما أثبته بولس في كلامه عن الله ﷻ وحده، وصفاته الأحديّة، وأنّه لا يمكن أن يكون بعد ذلك قال بألوهية المسيح، وإن كان هذا القول لا يوافق عليه النصارى أنفسهم الآن فهم يقولون بألوهية المسيح كما سنوضح.

ومما يستشهدون به من أقوال بولس في ذلك:

قوله: «... نحن نعلم أن الوثن ليس بشيء في العالم وأنه لا إلٰه غير واحد..»[1].

وقوله: «لأن الله واحد والوسيط بين الله والناس واحد وهو الإنسان يسوع المسيح»[2].

واستدلوا كذلك بأن الناس عندما أرادوا تأليهه وبرنابا؛ أنكر ذلك[3].

وفي هذا يقول شارل جينيبير: «إن فكرة الله بالنسبة لبولس تدخل ضمن ميراث العقيدة اليهودية فالله واحد لا شريك له ولا نظير له، وما عداه خاضع لمشيئته»[4].

ولا يستطيع بولس أن يأتي بما يقرب أكثر من هذا بين اللفظين البالغين في السمو أقصى درجاته وهما «السيد» و«الله» وتلك هي العلاقة الوثيقة التي عبر عنها بلغة البشر عندما قال: «إن السيد هو ابن الله»[5].

ويذهب بعض الباحثين في استدلالهم على عدم قول بولس بالألوهية إلى

---

(١) ١ كورنثوس ٨/٣ ـ ٦، طبعة الأرثوذكس.

(٢) تيموثاوس ٢/٥، ١ كورنثوس ١٥/٢٤ ـ ٢٨.

(٣) انظر: ص١٦٧.

(٤) المسيحية جينيبير، ص١٣٥، دعوة التوحيد، ص٢٧٢، الإسلام والأديان، ص١٥٢، الرد الجميل، ص٢٨٨، تحقيق الأب رومير شدياق.

(٥) المسيحية، جينيبير، ص١٣٥، بتصرف.

أنه حين تحدث عن وضع المسيح أمام الله أعلن بصراحة ووضوح أنه يتحدث عن اثنين، لا عن شيء واحد، وأن الله «الأعلى» ولا شك، وأن المسيح لا يتساوى مع الله[1].

ثم قالوا: ولقد جرى التقليد على أن بولس جعل المسيح إلهاً، وفق عبارة يستشهد بها كثيراً، تقول: «المسيح، حسب الجسد، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين»[2].

لكنهم يرون أن هذا القول أصبح في حاجة إلى إعادة نظر على ضوء الترجمات المختلفة، فكم غيرت المقارنة بين الترجمات من مفاهيم ومعتقدات سادت قروناً عديدة ثم ثبت زيفها.

فالترجمة القياسية المراجعة تقول: «وإليهم ينتسب الآباء، ومن جنسهم المسيح حسب الجسد. تبارك الله الذي هو فوق كل شيء إلى الأبد. آمين». وتتفق مع هذا ترجمة «إنجليزية اليوم» حيث تجعل التبريك خاصاً بالله فقط، ولا تنسب للمسيح ألوهية.

وبالنسبة للتراجم الفرنسية: نجد أن ترجمة «لوي سيجو» تتفق مع التراجم العربية في جعل التبريك والألوهية يتعلقان بالمسيح، إلا أنها تشير في الحاشية إلى أنه يمكن ترجمة تلك الفقرة بما يخالف ذلك، حيث يتعلق التبريك والألوهية بالله.

وتذكر الترجمة الفرنسية المسكونية في الحاشية أن بعض المفسرين يختمون الجملة الأولى بكلمة المسيح، ليبدأ الجملة الثانية بتسبيحة لله الأب، مع إشارة هامة إلى أن هذا القول له نظائر كثيرة في رسائل بولس فهو يتفق مع أسلوبه كما جاء في رسائله، مما يدل على أن التبريك والألوهية لله وحده وليست للمسيح[3].

وهكذا أصبح هذا القول في حاجة إلى مراجعة على ضوء مفهوم بولس لوضع المسيح بالنسبة لله كما عبر عنه في رسائله على نحو ما ذكروا.

---

(١) الإسلام والأديان، ص١٤٧، عقيدتا التثليث والصلب، ص٢٧١.

(٢) رومية ٩/ ٥.

(٣) الإسلام والأديان، ص١٤٩، ١٥٠.

ويرى أصحاب هذا الرأي أن بولس إذا كان قد انزلق ووصف المسيح بالألوهية في هذا القول أو في غيره فالواقع أنّه بذلك يكون قد ناقض نفسه في عقيدة التوحيد التي صرح بها كثيراً في رسائله، ولا يمكن أن يصدر عنه هذا القول ـ وما شابهه ـ وهو في حالة وعي وتيقظ، بل لا بد أن يكون قد اعترته غيبوبة كتلك التي يقول فيها عن نفسه ـ حسب ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت ـ: «وحدث لي بعدما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلي في الهيكل أني حصلت في غيبة»[١]. أو بتعبير العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية: «بينما أنا أصلي، غبت عن الحس»[٢].

ثم قالوا: بل إن الأمر يحتاج إلى تمحيص حتى نتبين حقيقة هذا الفكر العقائدي المتقلب الذي يتردد بين عقائد أهل اليمين مرة وعقائد أهل الشمال مرات ومرات[٣].

أمّا الرأي الثاني فهو رأي القائلين بأن بولس وصف المسيح بالألوهية بناء على أنه أثبت بنوته لله،. فمجرد إثبات بنوة المسيح لله يعتبر من وجهة نظرهم قولاً بألوهيته.

وفيما يتعلق بمدى صحة نسبة القول بألوهية المسيح لبولس نتتبع أقواله في رسائله في وصف المسيح وعلاقته بالله والناس، لنستخلص من جملة هذه الأقوال مدى صحة نسبة هذا القول إلى بولس، هذا إنْ لم يكن قد نصّ على ذلك صراحة.

وبتتبع هذه الأقوال نقرر الحقائق التالية:

**أولاً**: أن بولس يتحدث في رسائله عن الله وعن المسيح كموجودين مستقلين، يطلق على الإله اسم لفظ الجلالة وعلى المسيح اسم الرّب كألفاظ مفردة أو مركبة تركيباً إضافياً.

يقول بولس: «نعمةٌ لكم وسلام من الله أبينا والربّ يسوع المسيح»[٤].

---

(١) أعمال الرسل ٢٢/١٧.

(٢) الإسلام والأديان، ص١٥٠.

(٣) الإسلام والأديان، ص١٤٨.

(٤) رومية ١/٧.

ويقول: «أمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا»[1].

**ثانياً**: أنّ لفظ الرب في إطلاقه على المسيح في بعض أقواله قد يأتي صراحة بمعنى السيّد أو المولى دلالة على الاعتبار والإكرام، يقول: «لأنكم تخدمون الرب المسيح»[2].

وفي نصوص أخرى يكون لفظ الرب في إطلاقه على المسيح بمعنىٰ «الإله»، حيث تكون العبادة متوجهة إليه والعبادة لا تكون إلا لإله حيث يصف المسيح بأنه به جميع الأشياء.

وفي هذا يقول بولس: «مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة غير متكاسلين في الاجتهاد عابدين الرب»[3].

«لكن لنا إله واحد الأب الذي منه جميع الأشياء ونحن له ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به»[4].

**ثالثاً**: في تحقيق الصلة بين الله والمسيح يقرر بولس أنّ الله حلَّ في المسيح يقول: «عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد تبرر في الروح»[5]، وأن اللاهوت بكليته تجسد بالناسوت حيث يقول: «الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائر في شبه الناس، وإذا وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض، وتحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب لمجد الله الأب»[6].

وينسب إليه أبوته للمسيح حيث يقول: «فإن الله أمين فقد دعاكم إلى الشركة مع ابنه يسوع ربنا»[7].

---

(١) ١ كورنثوس ١/ ٩، ٢ كورنثوس ١/ ٣، ٢، غلاطية، ١١/ ٣٠، غلاطية، ١/ ٤، أفسس، ١/ ١٦.

(٢) كورنثوس ٣/ ٢٥.

(٣) رومية ١٢/ ٢٢.

(٤) ١كورنثوس ٨/ ٦.

(٥) الثيموثاوس ٣/ ١٦.

(٦) فيلبي ٢/ ٥ ـ ١١.

(٧) ١ كورونثوس ١/ ٩.

وينسب بنوة المسيح له حيث يقول: «تبين بقوة أنه ابن الله بالقيامة من بين الأموات أنه يسوع المسيح ربنا»[١].

ويصفه بأنه الصورة الكاملة للإله غير المنظور حيث يقول في ذلك: «الذي هو ـ يعني المسيح ـ صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة، فإنه فيه خلق الكل، ما في السموات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى، سواء كان عروشاً أو سيادات أو رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خلق»[٢].

ويستخلص من جملة هذه النصوص أنّ بولس يرى أن هناك شركة بين الله والمسيح في الطبيعة الإلهية فهذا هو مقتضى الأبوة والبنوة بينهما ومقتضى الحلول والتجسد من الله في المسيح وكون المسيح صورة للإله.

بالإضافة إلى كونه رباً تقدم له العبادة وبه تكون جميع الأشياء. بل إن وظيفته كفادي ومخلص لا يقوم بها كائن عادي. وهذا يدل علىٰ أن بولس يرىٰ:

**أولاً**: أن المسيح ابن الله، وبهذا الاعتبار فهو إلٰه، الخالق بالوساطة، والخلق من أجله والعبادة له، وأنه تجسد إلهي. وهذا يدل علىٰ أنه يثبت الإثنينية: إله وابن هو إله أيضاً.

**ثانياً**: أن النصارىٰ خالفوا عقيدة بولس بادعاء التثليث، وأن الله هو المسيح.

**ثالثاً**: أن المسيح في مرتبة دون الله وهذا ظاهر لأنه جعله وسيطاً إليه.

**ورابعاً**: يدل علىٰ تناقض واضح، وعقيدة متقلبة مهتزة، وخاصة في دعواه بأن الله ظهر في الجسد، فهي تتناقض تماماً مع دعواه البنوة للمسيح.

وهذا هو ما نجده في تحليل قاموس الكتاب المقدس للمفردات التي ذكرت في وصف المسيح، قال: «المسيح بما أنه ابن الله فهو إله بكل الكمالات غير المحدودة التي للجوهر الإلهي». ويستشهدون بأقوال بولس.

«الذي كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله»[٣].

---

(١) رومية ١/٤.

(٢) كولوسي ١/١٦.

(٣) فيلبي ٢/٧.

«الذي إذا هو في صورة الله لم يكن يعتبر مساواته اختلاساً[1] ثم قال: والابن مساوٍ لله في الطبيعة»[2].

وهو يصفه أحياناً بأنه موضوع الإيمان[3]. وديان العالم[4] وواهب الحياة الأبدية[5]، وأنه المعبود الحقيقي[6].

وبهذا كله يصح لنا أن نقول أن بولس يقول بألوهية المسيح، أو على الأقل أنّه ذو طبيعة إلهية، بل إن هذا الحكم ليس مجرد استنتاج من استقراء النصوص على النحو الذي ذكرناه، ولكن جاء إطلاق وصف الألوهية عليه صراحة حيث يقول: «الكائن على الكل إلهاً مباركاً للأبد»[7].

كما يظهر في كلام بولس التناقض الشديد في موقفه من المسيح ﷺ فمرة يجعله ابناً ومرة يقول بالحلول والتجسد الإلٰهي فيه، ومرة يفصل بينه وبين الإله، وهذا لا شك حال الكذبة المفترين والمبتدعين.

أمّا قول الذين يبرؤون بولس من تأليه المسيح ـ من أنّ هذا النصّ لو صح مجيئه على هذا النحو من بولس لكان متناقضاً مع نفسه حيث أثبت تفرد الإله بالألوهيّة في النصوص الأخرى ـ فنقول هذا ليس هو أول تناقض عقائدي لبولس في رسائله، كما أن فيه دلالة على أن بولس لم يكن يقول بالتثليث كما ادعىٰ النصارىٰ ذلك فيما بعد.

وأما قولهم إن هذا النّص ربما قاله في حال الغيبوبة ـ كتلك التي أثبتها لنفسه أثناء صلاته، فهي ناتجة عن مرض، وهي علىٰ كل حال ليست حالة يمكن فيها تقرير عقيدة وبيان دين ـ لكن الغيبوبة في الصلاة لا تقتضي بالضرورة غيبوبته أثناء تقريره للعقيدة، فوضع الصلاة غير وضع الفكر والكتابة.

---

(١) فيلبي ٢/٧ طبعة الأرثوذكس.

(٢) راجع قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٨.

(٣) رومية ١٠/٩، ١٠.

(٤) رومية ٢/١٦.

(٥) رومية ٥/٢١، ٦/٢٣.

(٦) كورنثوس ١/٢، وانظر نصوص أخرى تؤكد هذه المعاني في اللاهوت النظامي، ص٣٤٢ـ٣٤٨.

(٧) رومية ٩/٥.

وأمّا الاحتجاج بوجود ترجمات أخرى لهذا النص في الترجمات المشار إليها تخلو من وصف المسيح بالألوهية ويقتصر هذا الوصف على الله وحده، فالواقع أنه ليس هناك مقياس يُرجع إليه في تقديم ترجمة على أخرى، لا سيّما مع وجود الكم الهائل من الترجمات لرسائل بولس وغيرها من الأسفار. كما أنه إذا أمكن ذلك القول في نص من تلك النصوص، فهناك النصوص العديدة التي لا يمكن ادعاء ما ادعوا فيها من الخطأ في الترجمة إلا بالتعسف.

وهكذا وضع بولس بذرة ألوهية المسيح، وصادفت البذرة أرضاً خصبة في عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التي سبقت النصرانية.

وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه النصارى الأوائل من الاضطهادات المدمرة التي التهمت كثيراً من مراجعهم وقضت على أتباع النصرانية الحقيقيين أو كادت، وفقدت النصرانية طابعها من كثرة ما تأثرت بالثقافات المختلفة بل بالخرافات المتعددة، وخرجت إلى الناس بعد هذه المدة وبعد تلك الأجيال وفيها تناقض ظاهر في كل معالمها، وأشد أنواع التناقض هو ما اتصل بالمسيح نفسه[1].

وعن مصدر بولس في قوله بالألوهية أو البنوة، فقد أشرنا إلى ما كان من تأثير البيئة التي نشأ فيها، وذهب بعض الباحثين أن الرومان أنفسهم أشاعوا هذا القول في حياة المسيح ﷺ، ومن بعده.

بل زعم بعضهم أن بولس هذا إلهاً متجسداً، فانتهز بولس هذه الفرصة السانحة ونادى بألوهية المسيح جهراً، وبدون خوف، اعتماداً على أن الرومان يألفون هذه العقيدة.

وفي الإنجيل المنسوب إلى برنابا: أشاع جنود الرومان الذين يحتلون أورشليم آنئذ أن يسوع هو الله قد جاء لينتقذهم، فحدثت بسبب ذلك فتنة كبرى... لأن فريقاً قال: إن يسوع هو الله قد جاء إلى العالم، وقال فريق آخر: كلا بل هو ابن الله، وقال آخرون: كلا لأنه ليس لله شبه بشري، بل إن يسوع الناصري نبي الله، ووقف عيسى خطيباً ليخمد هذه الفتنة. ويحكي برنابا أن كاهن اليهودية والوالي والملك قالوا لعيسى ﷺ: لا تزعج نفسك يا يسوع قدوس الله،

(١) المسيحية شلبي، ص١٤٧.

لأن هذه الفتنة لا تحدث في زمننا مرة أخرى، لأننا سنكتب إلى مجلس الشيوخ الروماني المقدس بإصدار أمر ملكي أن لا أحد يدعوك فيما بعد الله أو ابن الله.

وقد أشار إلى هذا المرسوم الملكي صاحب تاريخ الأقباط[١].

## ٥ ـ عقيدة بولس في الروح القدس ومدى صلته بعقيدة التثليث:

اختلفت أقوال الباحثين حول مفهوم الروح القدس عند بولس، فذهب بعضهم إلى أن بولس لم يعط عقيدة وافية عن الروح القدس كما فعل في كلامه عن المسيح، ومع ذلك فإن الروح يلعب دوراً هاماً وكبيراً في رأيه ويكون جزءاً كبيراً من تعاليمه.

وقد ظهر أن بولس استعمل كلمة الروح في معنيين:

**المعنى الأول**: هو المعنى البشري، أي الروح الإنسانية، ويوجد في فقرات كثيرة من أقواله منها: «نعمة ربنا يسوع مع روحكم أيها الأخوة»[٢].

**أما المعنى الثاني**: فيصف به تياراً قوياً غير طبيعي يؤثر في الناس، ويظهر ذلك في عبارات مثل «ثم بما أنكم أبناء الله أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الأب»[٣]. أما في غير هذين المعنيين فاستعمالاته نادرة[٤].

وهو عندما يتكلم عن الروح تارة يتكلم عنه كجوهر منفصل، وتارة أخرى يتكلم عنه عاملاً في الإنسان، حتى يصعب على الدارس أن يفصل بينه وبين روح الإنسان.

ولذلك فهو يقارن بين الاثنين وذلك في الفقرة التي ورد ذكرها في رسالته إلى أهل كورنثوس، حيث يقول: «لأن مَنْ مِنَ الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه، هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله»[٥]، ولكنه في نفس الوقت هو الروح الذي يسكن مع روح الإنسان، وفي هذا يقول: «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام يسوع من

---

(١) راجع برنابا، الفصول ٩٣ ـ ٩٦، ٩٧. وتاريخ الأقباط ١/٦٩ ـ ٧٠.

(٢) غلاطية ٦/١٨.

(٣) غلاطية ٤/٦.

(٤) راجع دعوة التوحيد، ص٢٧٣.

(٥) ٢/١١، ١٢.

الأموات سيحيي أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم»[١].

ويرى أصحاب هذا الرأي أن الحقيقة التي رسخت في ذهن بولس هي تميز الروح القدس وسموه عن روح الإنسان.

أما عن أقنومية الروح القدس فهذه القضية لم تواجه بولس مع أنه ذكر الأب والابن والروح القدس، ولكنه لم يترك في كتاباته عقيدة محددة عن التثليث، وما يؤخذ من كتاباته هو أن الأب يعمل في المسيح يسوع وبالروح القدس[٢]. والروح القدس في فكر بولس له كيان متميز عن الأب[٣].

وقد لاحظ الدارسون أن بولس يستخدم نفس اللغة عندما يتكلم عن عمل الابن وعمل الروح القدس، فعندما يذكر علاقة المؤمن بالمسيح فإنه يقول إنه في المسيح، كما في رسالته إلى أهل رومية[٤]، وكذلك الحال مع المؤمن والروح القدس فالمؤمن يعيش مع الروح كما يذكر في رومية[٥].

وهذه العلاقة يعبر عنها بطريقة أخرى أي أن المسيح يسكن في المؤمن نتيجة الموت مع المسيح[٦]، وعندما يموت الإنسان في المسيح ويقوم فيه فإن هذا العمل يتبع فيه موته عن الخطية[٧]، وهو يذكر دائماً أن الروح وكذلك المسيح هما حياة المؤمن[٨].

ومن هذه اللغة المتوازية عن الابن والروح القدس رأى أصحاب هذا الرأي أن المسيح والروح القدس في فكر بولس يتشابهان في عملهما ولكنهما يتميزان في شخصيتهما[٩].

---

(١) رومية ٨/ ١١.

(٢) ٢ كورنثوس ٥/ ١٩، رومية ٨/ ١١. وراجع الروح القدس، فهيم عزيز، ص٥٣، وما بعدها.

(٣) غلاطية ٤/ ٦، رومية ٨/ ٩، والفكر اللاهوتي في رسائل بولس، ص١٥٧، ودعوة التوحيد، ص٢٧٤.

(٤) ٨/ ١.

(٥) ٦/ ٤ ـ ٩.

(٦) رومية ٨/ ١.

(٧) رومية ٦/ ٢، ٣ و٨/ ١٠.

(٨) رومية ٨/ ٢.

(٩) راجع الفكر اللاهوتي في رسائل بولس، ص١٥٧، ودعوة التوحيد ٢٧٦.

أما الرأي الثاني فيرى أصحابه أن بولس نسب إلى الروح القدس ما يمكن أن ينسب إلى ذات الله، وهو ما ذهب إليه قاموس الكتاب المقدس في إثبات ألوهية الروح القدس إذ نسب إليه أسماء الله الحي وصفاته وأعماله وعبادته، مستدلاً بأقوال لبولس وردت في هذا المقام[1]. حيث يقول: «أما تعلمون أن هيكل الله وروح الله يسكن فيكم»[2]، وقوله: «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم»[3].

فمن هذه الأقوال على لسان بولس، وغيرها على لسان غيره قال النصارى بألوهية الروح القدس. بل إن أصحاب هذا الرأي ذهبوا إلى أن بولس كان يسعى إلى تأصيل الثالوث في نصرانيته البولسية أو لاهوته النصراني: الأب والابن والروح القدس، فيرى أن أقنومي الأب والابن أصلهما بولس في رسالته الأولى إلى أهل رومية، أما أقنوم الروح القدس فأصله في رسالته إلى أهل أفسس، حيث يقول: «مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام»[4]، وقد كتب بولس رسالته إلى أهل أفسس عام ٦٢م أي بعد خمس سنوات من رسالته إلى أهل رومية، تلك التي ادعىٰ فيها الإلٰهين الأولين، الإلٰه الأب، والإلٰه الابن.

ثم قالوا: ولا ندري تعليلاً لهذا الأمر الغريب، إلا أن تكون صورة الثالوث الإلهي المقدس لم تكتمل في مخيلة بولس إلا على مراحل، فكان أن جاء اكتشاف الأقنوم الثالث «الروح القدس» متأخراً خمس سنوات عن الأقنومين الأولين»[5].

وزاد بعضهم ـ ما أشرنا إليه من قبل ـ إلى أنه استعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف «فيلو» فكرة اتصال الإلٰه بالأرض عن طريق الكلمة، أو ابن الإلٰه أو الروح القدس[6]. ولعل هذا الرأي فيه من الصواب الكثير لا سيما

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس، ص٤١٤، إيماني، إلياس مقار، ص١٨٣.
(٢) ١ كورنثوس ٣/ ١٦.
(٣) رومية ٨/ ١١.
(٤) أفسس ٤/ ٢.
(٥) راجع الإسلام والمسيحية في الميزان، ص٢٣٣، ٢٣٤.
(٦) راجع المسيحية، لشلبي، ص٢٠٩، عن كتاب ديانات العالم، ص٧٠.

وفيلون يمكن اعتباره معاصراً لبولس، بل يقال إن فيلون أثناء زيارته لروما قابل بولس، فلا يستبعد هذا التأثر، لا سيما وأننا نجد من الشواهد الفلسفية الكثير في كلام بولس وعباراته[١].

ويستدل أصحاب هذا الرأي بما ورد على لسان بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم»[٢].

ومن مال إلى قول بولس بألوهية الروح القدس أضاف إليه ما ورد عنه من القول بالبنوة والتجسد والألوهية وبالتالي ذهب إلى أن بولس قال بالتثليث.

وزاد بعض الباحثين أن التأثيرات والثقافات التي عرفها بولس وعلى رأسها «لاهوتيات الإسكندرية» ومدرستها الفلسفية المسماة «الأفلوطينية الحديثة»، وعقيدتها الثالوثية هي التي نقل عنها بولس فكرة التثليث[٣].

أو بالأحرى - على حد تعبيرهم - فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة أو ابن الإله أو الروح القدس[٤].

وهو بعيد، فالأفلوطينية الحديثة ظهرت في القرن الثالث كما سنوضح[٥]، وبولس مات على أبعد تقدير بعد منتصف القرن الأول الميلادي.

أما الرأي الثاني فيرى أصحابه أن بولس لا يعلم شيئاً عن التثليث، وأنه مما استحدثه آباء الكنيسة فيما بعد على مراحل، حين قرروا في مجمع نيقية عام ٣٢٥م أن المسيح ابن الله المولود من الأب، وأنه مساو للأب في الجوهر، ولم يذكروا شيئاً عن الروح القدس في ذلك الحين، فلم يدخل ضمن الآلهة، ثم قرروا في مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م أن الروح القدس خالق غير مخلوق، وأنه إله من طبيعة الأب والابن، وأن الأب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم، وأن هؤلاء الثلاثة إله واحد[٦].

---

(١) History and thought of the early church. ص١٢، ١٣.

(٢) ٢ كورنثوس ١٣/ ١٤.

(٣) راجع العلمانية ٣٨، وعقيدتا التثليث والصلب، ص٢٤٦.

(٤) راجع النصرانية والإسلام، الطهطاوي، ص٢٧١.

(٥) انظر فصل الفلسفات، ص٣٨٧.

(٦) راجع الإسلام والأديان، مصطفى حلمي، ص١٥٢، حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة، ص١٥٣.

وأما ما ورد على لسان بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس فلا يدل على التساوي بين الله والمسيح والروح القدس، وإنما هو جمع بين المرسل ورسله، ولكل منهم حقيقته ودرجته الخاصة، كما يقول الشيخ رحمة الله الهندي[١].

ومن قال إن بولس قال بالتثليث لم يورد من النصوص ما يدل على قول بولس به، أو تشبعه بفكرة التثليث، ثم إن أول ما بدأ بولس الدعوة إليه هو القول ببنوة المسيح لله، فهل كانت فكرة الثالوث تشربت في ذهنه، وبدأ يدعو إلى بداياتها؟

إن التفصيل في مسألة الثالوث لا نجده إلا عند شارحي أقوال بولس أو كتاب النصرانية فيما بعد[٢] وما من شك في أن بولس وضع البذور التي نقل بها النصرانية من الوحدانية إلى التثليث، ووافقت فكرة التثليث الجماهير التي كانت قد نفرت من اليهودية لتعصبها، ومن الوثنية لبدائيتها، فوجدت في الدين الجديد ملجأ لها وبخاصة أنه أصبح غير بعيد عن معارفهم السابقة التي ألفوها وورثوها عن أجدادهم[٣].

وهكذا فإن بولس سواء قال بألوهية الروح القدس أو لم يقل، وسواء قال بالتثليث أو لم يقل فإنه يتحمل تلك المقولات المنحرفة التي آلت إليها النصرانية بما ورد في رسائله من عبارات، والإطلاقات التي اعتمد عليها النصارى في دعاويهم الباطلة، وكانت سبباً من أكبر الأسباب في نقل ديانة المسيح عليه السلام من التوحيد إلى الشرك.

كما يدلنا ما مضىٰ من كلامه عن المسيح وكذلك الروح القدس علىٰ مدىٰ ما في عقيدته وفكره من التزاحم والتناقض والاهتزاز، الذي يدل علىٰ أن الرجل لم يكن إلا ملفقاً بين المتناقضات، ومؤلفاً بين سائر العقائد المتوافرة في تلك المجتمعات ليحقق هدفاً ظاهراً من كلامه، وهو قبول الناس للمسيح علىٰ أي شكل كان، وتحت أي شعار، وبجميع الكيفيات الممكنة. وفي هذا مسخ وإبطال لديانة المسيح.

---

(١) راجع إظهار الحق ٢/ ٥٤٥، رسائل الرسل، ص٥٥٩، Adolf Harnak, History of Dogma ١/ ٧٩.

(٢) انظر: على سبيل المثال النقول التي أوردها د. أحمد شلبي عن كتاب النصرانية في بيان حقيقة الثالوث، ص١٣٩ ـ ١٤٦.

(٣) راجع النصرانية، شلبي، ص١٢٨.

وإذا قلنا بأن هدفه الباطن من وراء ذلك تدمير دين المسيح وتحريفه فذلك ليس ببعيد، لأن رجلاً مثل بولس ذا أصل يهودي يدرك تماماً قيمة الثبات على المبادئ الدينية، وأن الأديان الوثنية لا تلتقي مع الدين الحق، فأي محاولة للمزج والخلط بينها فذلك انحراف وتحريف وتغيير وتبديل للدين الحق، فهذه المعرفة تجعل من المؤكد أن الرجل كان قاصداً للتحريف ساعياً إليه بكل جهد ممكن، وصادف أرضاً خصبة وهم الشعوب الوثنية الجاهلة بالدين السماوي، فسرت فيهم دعوته، وانطلت عليهم حيلته، ثم صارت بعد الممثل الوحيد للدين النصراني.

## ثالثاً: شرائع بولس المحرفة ودوافعه إليها:

### ١ ـ القول بعموم الرسالة، أو بعالمية النصرانية:

يؤمن النصارى اليوم أن النصرانية دين عالمي لكل أنحاء الأرض وجميع الشعوب، رغم أن المسيح عليه السلام وحوارييه لم يقولوا بذلك، واقتصرت دعوتهم على شعب بني إسرائيل[١].

والأناجيل تحدثنا على لسان المسيح عليه السلام أنه قال: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»[٢] وهذا يفيد أن رسالة المسيح موجهة لليهود وحدهم، وقاصرة على تقويم الضالين من اليهود، كما قال عليه السلام: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل»[٣]. فرسالته حسب قوله هي استكمال لرسالة موسى عليه السلام، وموجهة لبني إسرائيل دون غيرهم.

ويرجع تأصيل دخول فكرة العالمية إلى النصرانية إلى بولس، ويعتمد في زعمه هذا على رؤية المسيح عليه السلام، وادعائه أنه أمره بتبليغ النصرانية إلى جميع الأمم، حيث يذكر أن المسيح قال له في رؤياه المزعومة: «.... منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا أرسلك إليهم...»[٤].

ولقد كان القول بعالمية الرسالة نقطة التحول في هذه الديانة، فليس هناك

---

(١) النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص٨٩.

(٢) متى ١٥: ٢٤.

(٣) متى ٥/١٧.

(٤) أعمال الرسل ٢٦/١٢ ـ ١٨، وقد ناقض نفسه حتى في هذا فتارة يقول إنه أمر من المسيح، انظر رسالة غلاطية ١/١٢، وتارة يقول إنه من قبل الله الذي أرسل ابنه المسيح. انظر رسالة غلاطية ١/١٦.

شك في أن بولس هو أول من قال بها[1]. يقول المستشار عزت الطهطاوي: «بولس هو المسؤول الأول عن تحويل الديانة النصرانية عن مجرد ملة لطائفة يهودية إلى ديانة كبرى»[2].

وموقف بولس من هذه المسألة واضح تماماً، ليس فيه أي تناقض حيث لم يتضح لدى دارسي الأديان أنه ناقض موقفه هذا في أي رسالة من رسائله[3].

بل إن جميع رسائله تتفق حول هذا الموضوع. ومن أقواله في ذلك: «لا فرق بعد الآن بين يهودي ويوناني أو عبد أو حر أو ذكر أو أنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع»[4].

وفي رسالته إلى أهل روما يقول: «أنا في غاية الشوق إليكم أن أبشر بالإنجيل أيضاً بينكم أنتم الذين في روما»[5] وفي رسالة كورنثوس الأولى يقول: «فإننا بالروح الواحد قد تعمدنا جميعاً لنصير جسداً واحداً سواء كنا يهوداً أو وثنيين»[6].

ولذلك سار في الدعوة إلى النصرانية وفق مبدأ اختطه لنفسه، وهو أن يكسب أكبر عدد من الأتباع بصرف النظر عن حقيقة قبولهم للعقيدة الجديدة وإيمانهم بها إيماناً خالياً من شوائب عقائدهم السابقة[7].

ولقد بحث العلماء في تعليل قول بولس بعموم الرسالة والتيارات التي أثرت فيه، فأرجع بعضهم القول إلى ما كان من تكوين قوميات مختلفة في كمنولث واحد[8]، حيث كانت فكرة الكمنولث شائعة في العالم الوثني في وقته، وكانت روما في تأثرها بالمثل العالية للرواقيين ـ الذين قدموا أيام بولس رئيساً لوزراء

---

(١) المسيحية، شلبي، ص١١٦، مع العقيدة والحركة والمنهج، ص٢٩٢.

(٢) الميزان في مقارنة الأديان، ص١٣١.

(٣) دراسات في الملل، ص٦٤، دراسات في الأديان، ص٢٢٣.

(٤) غلاطية ٣/ ٢٨.

(٥) ١/ ١٥.

(٦) ١٢/ ١٣.

(٧) الوحي والملائكة، ص٥٤.

(٨) الكمنولث: جماعة من الأشخاص أو الدول تشد بعض أفرادها إلى بعض مصلحة مشتركة. المورد، ص١٩٨.

الإمبراطورية، وفي القرن التالي له اعتلى أحدهم عرش الإمبراطورية - فحاول تأسيس ذلك الكمنولث.

وقد تأثر بولس كأحد المواطنين الرومان بهذه الفكرة في إنشاء كمنولث نصراني يضم قوميات وأقطاراً وطوائف شتى، يكفي ألا يربطها سوى اسم المسيح، بدعوته إلى عالمية الرسالة[1].

وهو يعترف في رسائله بأنه لم يتحرز عن استخدام كل الوسائل لكسب أكبر عدد من الأتباع فهو يقول: «إذ كنت حراً للجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الكثيرين، صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً...»[2].

وربما وجدنا في شخصية بولس بكل ما يتمثل فيها من عوامل نفسية أو فكرية ما يفسر لنا قوله بعالمية الرسالة النصرانية.

وقد كان تلمس هذه العوامل موضع اهتمام الباحثين، حيث يرى ديورانت أن قول بولس بعالمية الرسالة يتواءم مع فكرته التي أدخلها إلى النصرانية، وهي كون المسيح فادياً للبشرية من خطيئتها، فمن الطبيعي أن يكون الفادي للبشرية كلها رسولاً للبشرية كلها.

وفي ذلك يقول: «لقد عزل بولس المسيح من اليهود وجعله مسيحاً غير المسيح المنتظر الذي ينتظرونه لخلاصهم، وبذلك يستطيع أن يجعل منه الإله الذي تجسد ثم صلب من أجل خلاص العالم، لا من أجل خلاص اليهود وحدهم، وبهذا يضمن لدعوته مجالاً يتحرك بها في الإمبراطورية الرومانية بين الرومان والشعوب الخاضعة لدولتهم[3].

وربما أراد بولس أن يجرد النصرانية من عناصرها اليهودية فكان طريقه إلى ذلك كما يرى «جوستاف لوبون» أن يدعي لها صفة العالمية[4].

وقد يكون هذا القول منه تعبيراً أو محاولة لإظهار تحرره من سلطة تلاميذ المسيح ﷺ، فخالفهم فيما يذهبون إليه من كون النصرانية موجهة إلى اليهود

---

(١) مناظرة بين الإسلام والنصرانية نقلاً عن كتاب ماذا يعنيه بولس ١٥٤.

(٢) كورنثورس ٨/١٩ - ٢٣.

(٣) قصة الحضارة ١١/٢٦٥، عقيدتا التثليث والصلب، ص٢٤٧.

(٤) حياة الحقائق، ص٦٢.

بدعواه لعالميتها، باعتبار أن ذلك كان منه بتوجيه المسيح ﷺ نفسه ـ كما يدعي ـ حيث يقول: «واعلموا أيها الأخوة أن الإنجيل الذي بشرتكم به ليس إنجيلاً بشرياً فلا أنا تسلمته من إنسان ولا تلقيته، بل جاءني بإعلان من يسوع المسيح»[1]. وإلى هذا ذهب الدكتور محمد الشرقاوي[2].

وهناك احتمال آخر وهو أن بولس رأى انحسار ديانة اليهود وانحصارها فيهم، وكان لذلك أثر كبير في عدم انتشارها بين غيرهم واستمرار العداء من غيرهم لهم، فرأى الخروج بالديانة النصرانية عن ذلك الإطار التقليدي حتى يكسب لها أنصاراً وأتباعاً يمكن أن يدافعوا عنها.

ولكن تلك النظرة كانت قاصرة، لأن بولس لما خرج بالديانة إلى الوثنيين لم يستطع أن يحافظ على نقاوتها وأصالتها، بل بدأ يغير ويبدل فيها حتى تلقى القبول لدى الوثنيين، فصار الخروج بها إلى غير بني إسرائيل من أسباب التحريف والتبديل الذي أراد به بولس أن تجد الديانة رواجاً لدى الوثنيين. والله أعلم.

وأيا كانت التفسيرات المتعددة لدوافعه النفسية والفكرية التي جعلته يتجه بالنصرانية اتجاهاً عالمياً، فالذي يهمنا أن ننتهي إليه في هذا المقام هو ما قررناه آنفاً من أنه كان أول من جعل النصرانية رسالة عالمية خلافاً لتصريح المسيح ﷺ، وما نقلوه من أنه كان مبعوثاً ومرسلاً إلى بني إسرائيل وحدهم.

### ٢ ـ العشاء الرباني أو القربان المقدس:

سبق أن ذكرنا عند حديثنا عن الجماعة الأولى بعد رفع عيسى ﷺ، أنهم كانوا يجتمعون في دار أحدهم ويقتسمون الخبز جماعة، ويرددون بعض العبارات استرجاعاً لما كان من عشاء عيسى ﷺ الأخير معهم. ولكنهم وحتى ذلك الوقت لم يكونوا ليربطوا بصلة ما بين كسرة الخبز وبين موت المسيح ﷺ، ولم يحملوا التقليد في ذاته قيماً تبلغ به مستوى الشعائر القدسية[3].

أما عن صورة العشاء الرباني ومفهومه عند النصارى في الوقت الحاضر فهو

---

(١) غلاطية ١/ ١١.

(٢) دراسات في الملل، ص٦٣، ٦٤، وراجع History and thouhg of the early church، ص١٥، ١٦.

(٣) انظر: ص٩٤.

عبارة عن اجتماع عام يقدم فيه لكل واحد من المجتمعين قطعة من الخبز مع كأس من الخمر بتناولونه داخل الكنيسة. وعند الكاثوليك من النصارى أن من أكل هذا الخبز وشرب الخمر فقد أكل لحم المسيح وشرب دمه، لأنه يتحول عندهم حقيقة إلى لحم المسيح ودمه. بينما يرى غير الكاثوليك أن هذا رمز لما حل بالمسيح، أو أن المسيح يحضر روحياً هذا العشاء، وليس له وقت محدد، وإنما يرون ممارسته مرات عديدة في العام[1].

وقد كانت مسألة العشاء الرباني مما اختلفوا فيه وعقدوا من أجله عدة مجامع.

ويوضح «الياس مقار» معاني هذه الفريضة والتي يتم العشاء الرباني لتأكيدها في عقيدة النصارى وقلوبهم قائلاً: أن للعشاء الرباني ـ بالنسبة للمسيحيين ـ أكثر من معنى:

**المعنى الأول**: العشاء الرباني عهد بين المسيح وأتباعه وتلاميذه من المؤمنين، في كل جيل وعصر مكتوب بالدم، وهو أكثر عمقاً وامتداداً من العهد الذي قام بين الله وشعبه عندما أخذ موسى كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب، فقالوا: «كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له، وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال: هو ذا دم العهد الجديد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال»[2].

وقد حل العشاء الرباني محل الفصح اليهودي[3]، لأن الفصح القديم في

---

(١) راجع حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ص٢٥٠، المعمودية والإفخارستية والكهنوت، ص٤١ ـ ٥٨، النصرانية والإسلام، الخلف، ص٤٤٢، في العبادات النصرانية، دراسة نقدية، محمود حماية، ص١٠ ـ ١٥.

(٢) راجع إيماني، إلياس مقار، ص٥٠٢، ٥٠٣، وخروج ٢٤/ ٧، ٨.

(٣) الفصح هو عيد يهودي ويسمونه أيضاً عيد الفطير لأنهم يأكلون فيه الخبز فطيراً غير مختمر، وهو عندهم عيد الضحية حيث يضحون فيه بحمل أو جدي ونحوه. وأصل هذا العيد ذكرى لنجاة بني إسرائيل من فرعون مصر. وقد استبدل النصارى عيد الفصح اليهودي بالعشاء الرباني حيث يزعمون أن المسيح هو حمل فصحهم المذبوح، وأن الخبز والخمر الذي يأكلونه رمز لتلك الأضحية عندهم وهو المسيح عليه السلام. راجع الفكر الديني اليهودي، ص١٨٠ ـ ١٨٨، بتصرف، شرح أصول الإيمان للقس أندراوس واطسون، ص٥٠٠.

كل طقسيته لم يكن إلا رمزاً للمسيح عندهم، إذ يقول بولس: «إن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا، إذاً لنعيد ليس بخميرة عتيقة، ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق»[1].

**المعنى الثاني**: العشاء الرباني رمز للشركة الجسدية بين النصارى والمسيح، كما يقول بولس: «كأس البركة التي نباركها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟...»[2].

**المعنى الثالث**: العشاء الرباني شكر للنعمة، وقد أخذ هذا اللقب ـ حسب زعمهم ـ عندما أخذ يسوع وبارك وأخذ وشكر، وفي هذا يقول بولس: «... إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر...»[3].

**المعنى الرابع**: العشاء تذكار وإحياء لذكرى المسيح في ليلته الأخيرة، جاء في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس: «... هذا هو جسدي المكسور لأجلكم، اصنعوا هذا لذكري... اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري...»[4].

ويستند النصارى في مشروعية هذه الشعيرة إلى ما جاء في العهد الجديد، فقد ورد في كل من أناجيل «متى ولوقا ومرقس» أن المسيح نفسه هو الذي أسس هذه الفريضة.

يقول إنجيل متى: «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ، وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا...»[5].

ويقول إنجيل مرقس: «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسر وأعطاهم وقال: خذوا كلوا هذا من جسدي، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم وقال لهم: هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من

---

(١) راجع ١ كورنثوس ٥/٧، ٨.
(٢) راجع ١ كورنثوس ١٠/١٦.
(٣) راجع ١ كورنثوس ١١/٢٤.
(٤) راجع ١ كورنثوس ١١/٢٣ ـ ٢٩.
(٥) متى ٢٦/٢٦ ـ ٢٨.

أجل كثيرين...»[1].

أما إنجيل لوقا فقد ورد فيه: ... ثم تناول كأساً وشكر وقال: خذوا هذه واقتسموها بينكم، لأني أقول لكم: إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله، وأخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً: هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم اصنعوا هذا لذكري، وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً: هذا الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم...»[2].

أما إنجيل يوحنا فقد جاء فيه ما يلي: «... هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت، أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم، ... الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه...»[3].

وصيغة الرواية في إنجيل يوحنا كما هو ملاحظ تختلف تماماً عما ورد في الأناجيل الثلاثة أي مسألة: «تأسيس المسيح للقربان المقدس» فهو صريح في الأناجيل الثلاثة، بخلاف ما ورد في إنجيل يوحنا.

وكما عرفنا أن رسائل بولس كانت أقدم ما كتب في العهد الجديد، وبالتالي فهذه الأناجيل وما ورد فيها من شعيرة العشاء الرباني مسبوقة بما ذكره بولس عنها.

فقد قرر بولس هذه الفريضة في الإصحاحين العاشر والحادي عشر من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس حيث يقول في الإصحاح العاشر:

«كأس البركة التي نباركها أليست في شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد، لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد... أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المسيح؟»[4].

---

(١) مرقس ١٤/٢٢ ـ ٢٤.
(٢) لوقا ٢٢/١٧ ـ ٢٠.
(٣) يوحنا ٦/٥٠ ـ ٥٧.
(٤) ١ كورنثوس ١٠/١٦ ـ ١٨.

وفي الإصحاح الحادي عشر يقول بولس: «لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً، أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكري، كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء.. من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه، ولكن ليمتحن الإنسان نفسه، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب»(١).

وهكذا أدخل بولس إلى نصرانيته التي بدأ يدعو إليها ـ ولأول مرة ـ فكرة أكل لحم المسيح وشرب دمه ممثلاً في خبز وخمر قرباناً مقدساً يجلب الخلاص لمعتنقي هذه الفكرة(٢).

وهذا ما يؤكده هيام ماكوبي في كتابه «صانع الأسطورة» حيث يقول: «إن أول توكيد لهذا ـ فكرة أن عيسى عليه السلام سن طقس القربان المقدس كشعيرة دائمة في الكنيسة النصرانية ـ نجده في رسائل بولس، والتي نجد فيها أيضاً أول إشارة إلى فكرة القربان المقدس، أي الفكرة التي تقول بوجود قوة للخلاص في جسد المسيح ودمه. فمن أقواله يتضح تماماً أن بولس هو مخترع القربان المقدس كفكرة وسنة راسخة الجذور، فهو يقول بكل وضوح إن هذا القربان قد تأسس بناء على وحي تلقاه شخصياً، إذ يقول: «لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم»(٣).

وإلى مثل هذا يذهب جينيبير قائلاً: «إن النقد الحر يتجه أكثر فأكثر إلى الإجماع على أن العبارة التي يقال إن المسيح أقام عليها عقيدة التناول «خذوا كلوا هذا جسدي، خذوا واشربوا هذا دمي» ليست سوى تفسير من عند بولس غريبة كل الغرابة عن فكر المسيح»(٤).

ويقول تقي العثماني: «إن إنجيل متى ومرقس حينما ذكرا هذه القصة ـ قصة

---

(١) ١ كورنثوس ١١/٢٣ ـ ٢٩.
(٢) راجع الإسلام والأديان، ص١٤٠، ١٤١.
(٣) راجع الإسلام والأديان، ص١٤٠.
(٤) راجع تطور العقائد، ص١٦٩، والمسيحية نشأتها وتطورها، ص١٣٩

العشاء الرباني - لم يشفعا ذلك بأمر من عند عيسى عليه السلام يجعل هذا العمل طقساً دائماً، وهذا الحكم قد وضعه بولس لأول مرة، وبما أن لوقا تلميذ بولس فقلده.

وذلك ما يعترف به العلماء المسيحيون بدورهم، يقول «بوركت»: «إذا قرأت قصة العشاء الرباني في إنجيل مرقس لا تجد فيه أي أمر بالاستمرار على هذا العمل، لكن بولس عندما يذكر عمل يسوع هذا، يزيد الجملة الآتية ناحلاً إياها إليه «اصنعوا هذا لذكري»[(١)].

أما مصدر بولس في تقرير هذه الشعيرة فإنه يعود إلى البيئة التي نشأ وتربى فيها، حيث شاع في العالم اليوناني الروماني قبل العصر المسيحي بقليل، عدد من الأفكار الوثنية مثل ديانات الطقوس السرية التي تقوم على الاندماج في الإله من خلال الزعم بأكل لحمه وشرب دمه في احتفال طقسي تكتنفه الأسرار، ومن ثم يحصل العابد على الخلود الذي يتمتع به المعبود. وقد اقتبس بولس هذه الأفكار وتأثر بها وسجلها في رسائله، وعنه أخذ كتبة الأناجيل[(٢)].

وقد نقل «جوستين» وهو من كبار المدافعين عن النصرانية في القرن الثاني أن أسرار «ميثرا» اشتملت على نوع من الشعائر يفرض تقديم كأس من الشراب وقطعة خبز إلى المؤمنين به مع النطق ببعض العبارات المعروفة آنذاك[(٣)].

### ٣ - إلغاء الختان واستبدال المعمودية به:

يذكر النصارى أن الختان كان مقرراً في جميع الشرائع، منذ عهد إبراهيم عليه السلام كرمز وعلامة على أن المختتنين من أتباع هذه الشرائع شعب دخلوا مع الله في عهد مقدس وعلاقة خاصة[(٤)].

وفي التوراة أن سنة الختان تجددت لموسى عليه السلام[(٥)]، وكان اليهود يحافظون على هذه السنة، وكانوا يدعون أنفسهم «أهل الختان»، ويدعون من عداهم «أهل الغرلة»[(٦)].

---

(١) راجع ما هي النصرانية، ص١٦٨.
(٢) راجع الإسلام والأديان، ص١٤٠.
(٣) راجع المسيحية نشأتها وتطورها، ص٩٩.
(٤) راجع قاموس الكتاب المقدس، ص٣٣٧، وتكوين ١٧/ ٩ - ١٤، ٢٣ - ٢٧، ٢١/ ٤.
(٥) اللاويين ١٢/ ١ - ٣، وخروج ١٢/ ٤٨ - ٤٩.
(٦) راجع قاموس الكتاب المقدس، ص٣٣٧.

والأناجيل تثبت أن عيسى عليه السلام قد ختن، يقول لوقا: «ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع»[1].

وعند النصارى أن عيسى عليه السلام أقر ما كان في شريعة موسى من الاختتان، بل جعله في نفس اليوم المقدس عند اليهود الذي كانوا يختتنون فيه وهو يوم السبت. وفي هذا تروي الأناجيل عنه عليه السلام: «أن موسى أعطاكم الختان لا أنه من موسى بل من الآباء فتختتنون الإنسان في السبت فإن كان الإنسان يختن في السبت لئلا تنقض شريعة موسى أفتسخطون علي لأني أبرأت الإنسان كله في السبت»[2].

وقد بقيت مشروعية هذه الشعيرة طوال حياة المسيح عليه السلام وبعده ـ كما يفهم من مصادر النصارى ـ حتى دخل بولس في النصرانية، وكان هو نفسه مختتناً باعتبار نشأته اليهودية.

وفي هذا يقول: «من جهة الختان مختون في اليوم الثامن»[3].

وعندما قام بولس برحلته الدعوية الثانية إلى «أنطاكية» بعدما يقرب من عشر سنوات من دخوله في النصرانية واجهته مشكلة دخول الوثنيين في النصرانية، وعدم قبول النصارى ـ الذين كانوا من أصل يهودي ـ لهم حيث كانوا غير مختتنين، خلافاً لما هو معمول به في اليهودية والنصرانية، كما ذكرنا ذلك من قبل[4]. فظن بولس أن عملية الختان لا يرضى عنها الوثنيون، وبأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم، فعليه تصور أن تعاليم هذه الشريعة يجب أن تنسخ، بل أعلن أن المسيح إنما أتى خصيصاً ليبدل عهداً قديماً بعهد جديد[5].

ولتحقيق هذا الغرض أقيم مجمع في القدس، وفي هذا المجمع تقرر ـ لأول مرة ـ إعفاء الأمميين من الختان طبقاً لما رآه بولس رغم خلاف تلاميذ

---

(١) لوقا ٢/ ٢١.

(٢) يوحنا ٧/ ٢٢، ٢٣. طبعة الأرثوذكس.

(٣) فيلبي ٣/ ٥.

(٤) انظر: ص٨١.

(٥) راجع المسيحية نشأتها وتطورها، ص١٣٣.

المسيح عليه السلام، معه في ذلك[1].

وقد تضمنت رسائله بعد ذلك إلغاء شعيرة الختان، ومن أقواله في ذلك: «. . . لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة»[2].

وقد أكد بولس أن الختان هو ختان القلب والروح لا ختان الجسد قائلاً: «وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان»[3].

وفي موضع آخر أنكر بولس أهمية الختان، فيقول: «ما نفع الختان؟[4] . . لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان»[5].

ويؤخذ من هذه النصوص أن ما يراه بولس هو أن مدار الختان على الإيمان الكامل والطهارة القلبية، بغض النظر عن كون الشخص الداخل في النصرانية مختتناً أو ذا غرلة، لأنه لا دخل لهذه المظاهر الجسدية في تحقيق تلك المعاني الروحية.

ولهذا لم يوجب بولس على الوثنيين الاختتان، ولم يجعله شرطاً لدخول النصرانية[6]. بل إنه نهاهم عنه وحذرهم منه قائلاً: «. . . ها أنا بولس أقول لكم إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً. . . .»[7].

وهكذا ألغى بولس الختان الذي كان المسيح عليه السلام ولا شك ملتزماً به، لأنه من شريعة موسى عليه السلام، فألغاه من ضمن ما ألغى وادعى بأن المعمودية حلت محله، وهو ما لم يأت به عيسى عليه السلام ولا قال به حواريوه.

### ٤ ـ التعميد:

ألغى بولس الختان وهو شعيرة دينية وجعل بدلاً منه المعمودية.

---

(١) انظر: ص٨١.

(٢) غلاطية ٥/١ ـ ٦.

(٣) ٢ رومية ٢/٢٥ ـ ٢٩.

(٤) رومية ٣/١.

(٥) رومية ٣/٣٠.

(٦) راجع السلطة السياسية والتشريعية ٦٣.

(٧) غلاطية ٥/٢.

والتّعميد عند النصارى كما يقول قاموس الكتاب المقدس هو طقس الغسل بالماء رمزاً للنقاوة والانخراط في سلك طائفة ما، وقد عرف اليهود هذه العادة واستعملوها كما يفهم من الكتاب المقدس[١].

كان النبي يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) يعمّد الناس في نهر الأردن، وجاء في بعض المخطوطات القديمة أن يوحنا ما كان يعمد بل يوضئ[٢]، وفي الأناجيل ـ مع اختلاف رواياتها ـ أن يوحنّا قام بتعميد المسيح عليه السلام.

وينسب النصارى إلى المسيح عليه السلام أمره لهم بالتعميد وذلك بعد قيامته من الموت ـ حسب زعمهم ـ[٣].

وكانت معمودية يوحنّا تسمّى معموديّة التوبة لغفران الخطايا[٤]، وكان طالبوا المعمودية يعترفون بخطاياهم وندمهم، فمعموديته كانت تشير إلى التطهير الداخلي التابع للتوبة.

وكان تلاميذ المسيح يعمّدون الذين عمّدهم يوحنا ثانية[٥]، وإن كانت طريقة طقس المعموديّة عند يوحنا مجهولة عند النصارى. ولكن المعلوم بالنسبة لهم أن عيسى تعمد بدخوله نهر الأردن[٦].

وقد اختلفت وجهات نظر النصارى حول المعمودية، وكان الجدال الأكبر حول قضيتين: كيفية التعميد، وتعميد الصغار، فذهب بعضهم إلى أن المعموديّة لا تصح إلا بتغطيس الإنسان تغطيساً كاملاً أو بتغطيمه ثلاث مرات، وذهب البعض الآخر إلى الاكتفاء برش الماء إشارة إلى غسل الروح القدس.

وذهب بعضهم إلى أنه لا لزوم لتعميد الأطفال، وأن الاعتماد للكبار فقط، أي الذين تعدوا مرحلة الطفولة وبلغوا سن الرشد، بحيث يمكن لهم فهم الخلاص والاعتراف بالتوبة، إلا أن أغلبية النصارى ترى معمودية الصغار واجبة

---

(١) خروج ٢٩/ ٤ و٣٠/ ٢٠ و٤٠/ ١٢، عد ١٩/ ٨.

(٢) رسائل الرسل، ص٧٠٧.

(٣) متى ٢٨/ ١٩، مرقس ١٦/ ١٦.

(٤) متى ٣/ ١ ـ ٦، مرقس ١/ ٤.

(٥) ١ عمال الرسل ١/ ٩، ١٨/ ٢٥، ٢٦.

(٦) مرقس ١/ ٩، ١٠، وانظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٦٣٨.

ما داموا أطفالاً وذلك علامة على الميثاق بين الله وبينهم[١].

وهكذا أصبحت هذه الشعيرة فريضة مقدسة عندهم يغسل فيها المعمد بالماء يشار فيها بالغسل بالماء باسم الأب والابن والروح القدس ويشار ذلك إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح ـ في زعمهم ـ، والمعمودية تدل على اعترافهم العلني بإيمانهم وطاعتهم للأب والابن والروح القدس كإلههم ومعبودهم الوحيد. ولا يجوز أن يعمَّدوا إلا إذا اعترفوا بإيمانهم جهاراً أمام القس في الكنيسة[٢].

ذاك كان مفهوم المعموديّة وما آلت إليه في الوقت الحاضر عند النصارى.

وعن دور بولس في هذه الشعيرة، فالواضح أنّ لبولس مفهوماً آخر لهذه الشعيرة، فقد وردت كلمة المعمودية في رسائل بولس ثلاث مرات اثنتان منها بمعنى الدفن السري والثالثة بمعنى وحدة الكنيسة[٣].

وعن المعنى الأول يقول: «فدفنا معه بالمعمودية للموت»[٤]، وقوله: «مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه»[٥]. وعن المعنى الثالث قوله: «رب واحد وإيمان واحد ومعموديّة واحدة»[٦].

هذا بخلاف لفظة يعمّد والتي يكثر استعماله لها ويفهم النصارى منها الغطس في الماء مرات عديدة[٧].

والأصل والأساس في المعمودية عند بولس لا تمت إلى معمودية يحيى عليه السلام لا من قريب ولا من بعيد، بل مدارها على صلب المسيح وموته وقيامته من الموت ـ في زعمهم ـ فعندهم أن موت المسيح إنما كان فداء للبشر وليس موتاً خالياً من المعنى، فلذا يرون أن المعمودية التي يقصدون منها تطهير الإنسان من

---

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس، ص٦٣٧، ٦٣٨، رسائل الرسل ص٧٠٦، في العبادات النصرانية ص٥ ـ ٩.

(٢) المسيحية شلبي، ص١٧٢، ١٧٣.

(٣) بولس حياته، ص٣٩١.

(٤) رومية ٦/ ٤.

(٥) كورونثوس ٢/ ١٢.

(٦) أفسس ٤/ ٥.

(٧) راجع بولس وحياته لاهوته أعماله، ص٣٩١.

ذنوبه هي تقمص للحالة التي وقعت للمسيح، فيعمدون الإنسان الداخل في ديانتهم بتغطيته بالماء ثلاث مرات وهذا عندهم يعني الموت كما مات المسيح، وهو الذي يعبر عنه بولس «بالدفن مع المسيح»، فإذا أخرج بعد تغطيسه فهذا يرمز لقيامة المسيح من الموت، فإذا أعلن المعمَّد إيمانه بالأب والابن والروح القدس فقد تطهر من ذنوبه، واستفاد نفس الحالة التي تحققت للمسيح وهي تكفير ذنوبه، واستفاد نفس الحالة التي تحققت للمسيح وهي تكفير الخطايا، ولا يمكن لإنسان عندهم أن تكفر خطاياه وتغفر ذنوبه ما لم يعمد فالتعميد أساس وسبب لتكفير الخطايا[1].

تلك كانت المعموديّة التي يرى بولس أنها حلت محل الختان الذي كان موجوداً في العهد القديم والذي لم يعد له مكان في العهد الجديد، بل حلت محله المعموديّة، فيقول: «وبه أيضاً ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية، بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه، بإيمان عمل الذي أقامه من الأموات»[2].

يقول «وليم باركلي» في فلسفة هذا الاستبدال: «إن الختان ليس إجراء عملية في جسد الإنسان، وإنما حدوث تغير في قلبه وفي حياته كلها، وذلك استئصال أي شيء يتنافى مع إرادة الله من حياة الإنسان وهذا العمل ليس نظرياً فحسب بل واقعياً إذا تم بالمعمودية، كأني ببولس يقول: «أنتم تتحدثون عن الختان ولكن الختان الحقيقي الوحيد هو عندما يموت الإنسان ويقوم ثانية مع المسيح في المعمودية ليس بنزع جزء من جسده ولكن بانتزاع طبيعته الخاطئة كلها وبالامتلاء بجدة الحياة وبقداسة الله[3].

والمعمودية عند بولس تقوم مقام الأعمال الصالحة في تكفير الخطايا وجعل الإنسان باراً صالحاً[4]، فلهذا يقول: «لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس»[5].

---

(١) راجع بولس الرسول حياته ولاهوته، ص٣٩٢ ـ ٣٩٤.

(٢) كولوسي ٢/ ١١، ١٢، طبعة الأرثوذكس.

(٣) تفسير العهد الجديد، ص١٦٧، ١٦٨.

(٤) بولس، لاهوته، ص٣٩٤.

(٥) تيطس ٣/ ٥.

«وهكذا كان أناس منكم لكن اغتسلتم (المعمودية) بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا»[1].

ويفسر شارل جينيبير قول بولس بالمعمودية في المسيح بأنها الاتحاد مع المسيح ويرجعها إلى وجهة نظر نابعة من وجهة نظر وثنية فيقول: «إن قول بولس أما أنتم الذين عمدتم في المسيح فقد ارتديتم المسيح وهذا يعني أن المسيحي يتحد مع المسيح بواسطة التعميد ـ ونحن في قولنا هذا ـ قد نتجاوز حدود النص الحرفية فبولس لم يجرؤ قط على القول بأن التعميد يجعل من المسيحي مسيحياً مثلما تجعل طقوس التضحية بالثور في عبادة «سيبيل» من المؤمن بها إلهاً هو «أتيس»، إلا أن مفهوم التعميد نابع من نفس وجهة النظر التي نفسر بها مفهوم التضحية بالثور، فبالتعميد يرتدي المسيحي المسيح كما يرتدي اللباس المقدسي المنجي وهو ينزل رمزياً إلى عالم الأموات وبتغطيسه في النهر أو في إناء التعميد، فإذا ما خرج بعد غطسات ثلاث ـ تماماً كما خرج المسيح من القبر بعد أيام ثلاث ـ أيقن بأنه سوف يمجّد يوماً إن أراد الله له ذلك كما مجد المسيح[2].

ولا شك أن ما سبق بيانه يظهر فيه فلسفة بولس للتعميد وهي فلسفة غير مبنية على أي مصدر.

والسؤال المطروح هو من أين جاء بولس ـ على اعتبار أن رسائله أول ما دون وكتب ـ بفرضية هذه الشعيرة وأين النصوص المثبتة لوجوبها؟ ومن أين جاءهم هذا العدد ووضع اليد وغيره الشارحة لكيفيتها والمثبتة لأهدافها وغاياتها؟

ليس لهذا السؤال جواباً لأنه لا يوجد في الأناجيل شيء من ذلك البتة.

ويتضح من خلال النصوص السابقة أن المعمودية لم تستخدم فقط كمبرر للتحرير من الذنوب والخطايا، بل إنها اعتمدت كتبرير لما استحدثه بولس من عقائد كالصلب والفداء والاتحاد وما شابه، وبالتالي يمكن القول أنّ بولس ألغى التعميد بالمعنى الذي كان معروفاً عند النصارى وأحل محلّه ما استحدثه من عقائد مصاغة في صورة ما يسمّى التعميد.

والحقيقة أن التعميد طقس قديم موجود لدى الأمم السابقة للنصارىٰ ومن

---

(١) ١ كورونثوس ٦/١١.

(٢) المسيحية، جينيبير، ص١٤٠، ١٤١.

شعائر الديانات الوثنية القديمة[1].

ولقد عقدنا لبيان هذه التأثيرات على النصرانية مبحثاً خاصاً بذلك[2].

### ٥ ـ تحليل لحم الخنزير والخمر وسائر الأطعمة:

من ضمن الأمور التي اتّخذ قراراً بتحليلها في مجمع أورشليم المأكولات التي حرمتها التوراة سوى ثلاثة أشياء بقيت محرمة كما هي: الدم والمنخنقة وما ذبح للأوثان، ولما كان لحم الخنزير محرماً ونجساً عند اليهود بنصوص أسفارهم[3] لم ينصّ القرار على بقائه محرماً كما هو فقد كان ذلك إيذاناً بأنه صار حلالاً.

وقد ذكرنا ما يؤكد أنّ القرارات التي اتخذت في هذا المجمع لم توافق عليها الجماعة الأولى، وهو ما يجعلنا نقول إنّ ما صدر عن هذا المجمع هو مما أحدثه بولس في النصرانيّة مما لم يكن من أصولها.

وعن تحليله لما حرم في التوراة يقول: «ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون»[4].

بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك وحلّل ما حرّمه بالأمس، ولقد جمع ذلك في قوله إلى أهل رومية: «إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس»[5]. وقال في رسالته إلى تيطس «كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهر بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم»[6].

وجاء كذلك على لسانه: «كل الأشياء تحل لي، لكن ليس كل الأشياء توافق، كل الأشياء تحل لي، لكن لا يتسلط عليّ شيء، الأطعمة للجوف،

---

(١) حقيقة التبشير، ص١٢٠ ـ ١٢٢.

(٢) انظر: ص٣٧٧.

(٣) أمثال ١١/٢٢، لاويين ١١/٧، تثنية ١٤/٨، وانظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٣٥٠.

(٤) أعمال الرسل ١٥/٢٩.

(٥) ١٤/١٤.

(٦) ١/١٥.

والجوف للأطعمة، والله سيبيدها وتلك»[1]. ويقول أيضاً: «إن كل خليقة الله جيدة، ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشكر لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة»[2].

## ٦ ـ تفضيل التبتل وتحريم الطلاق:

إذا نظرنا إلى العهد القديم نجده حافلاً بالنصوص الداعية إلى الزواج والتي تحض عليه[3].

والشريعة اليهودية التي تمسك بها المسيح ﷺ وأوصى تلاميذه بأن لا يغير منها ترى في الزواج واجباً دينياً، بل إنه أول المطالب التي وجهها الله للإنسان، ولم يصرح أحد من الرسل أن العزوبة أفضل من الزواج حتى وإن لم يتزوج.

ولكننا إذا جئنا إلى رسائل بولس نجده يقر الزواج كشريعة ولكنه يفضل عليه التبتل.

وفي هذا يقول: «وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها، فحسن للرجل أن لا يمس امرأة، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته، وليكن لكل واحدة رجلها، ليوف الرجل المرأة حقها الواجب، وكذلك المرأة أيضاً الرجل، ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل، وكذلك الرجل ليس له تسلط على جسده، بل للمرأة، لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين، لكي تتفرغوا للصوم والصلاة، ثم تجتمعوا أيضاً معاً لكي لا يجربكم الشيطان، لسبب عدم نزاهتكم، ولكن أقول هذا على سبيل الإذن، لا على سبيل الأمر، لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا، لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله، الواحد هكذا والآخر هكذا، ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل، إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق»[4].

ويقول بولس: «أما العذراء فليس عندي أمر من الربّ فيهن، ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً، فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر،

---

(١) ١ كورنثوس ٦/١٢، ١٣.

(٢) اتيموثاوس ٤/٤، ٥.

(٣) تكوين ١/٢٧، ٢٨، تكوين ٢/١٨، تكوين ٩/١.

(٤) ١ كورنثوس ٧/١ ـ ٩.

أنه حسن للإنسان أن يكون هكذا، أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال، أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة، لكنك إن تزوجت لا تخطئ، وإن تزوجت العذراء لم تخطئ، ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد، وأما أنا فإني أشفق عليكم... فأريد أن تكونوا بلا هَمّ، غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرّب، وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته، إن بين الزوجة والعذراء فرقاً، غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسةً جسداً أو روحاً، وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم، كيف يرضى رجلها... وأما من أقام راسخاً في قلبه وليس له اضطرار بل له سلطان على إرادته، وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراءه فحسناً يفعل، إذاً من زوج فحسناً يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن. المرأة مرتبطة بالناموس، ما دام رجلها حياً، ولكن إن مات رجلها فهي حرة، لكي تتزوج بمن تريد ولكن في الرب فقط، ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي، وأظن أني أنا أيضاً عندي روح الله»[١].

وفي هذا النص نلحظ ترغيباً صريحاً في ترك الزواج، والزواج في نظره أكبر الهموم، والمفترض التركيز على إرضاء الرب بخلاف حال المتزوجين وانشغال كلا الطرفين بإرضاء الآخر.

وقد أثرت هذه التعاليم ـ بترك الزواج أو تفضيل تركه ـ في النصرانية كثيراً، وبالغت الكنيسة في النظرة الزاهدة للزواج حتى وصلت إلى حد التطرف، حتى إنه في القرن الرابع قرر أحد المجامع المحلية أن الزواج يمنع النصارى من الدخول في ملكوت الله[٢].

ثم غلوا في ذلك غلواً بعيداً حتى وصلت إلى أسوأ مستوى بعد ظهور الرهبنة، حيث جعلت الشريعة الكاثوليكية الترهب مانعاً من الزواج[٣].

ويلاحظ أن أكثر المؤرخين يرجحون أن بولس نفسه كان متزوجاً، لكنه لم يأخذها لتتجول معه لكي لا تعاق خدمته، وأكد مفسر العهد الجديد أن بولس كان في وقت ما متزوجاً لأن بولس كان حاخاماً أو حبراً من أحبار اليهود، وطبقاً لعقائد اليهود كان الزواج التزاماً حتمياً، وكان الرجل الذي لا يتزوج ولا ينجب

---

(١) ١ كورنثوس ٧/ ٢٥ ـ ٤٠.

(٢) نظام الزواج في الشرائع، ص٦٩.

(٣) نظام الزواج في الشرائع، ص٢١٤.

يقال عنه إنه يقلل من صورة الله في العالم، ثم إن عضوية بولس في السنهدريم وقانون العضوية يحتم زواج أعضائه[1].

وهذا التبتل كان له دور كبير في فساد الرهبان والراهبات وفساد الأديرة، وما ذلك إلا لأن هذا يتنافى مع الجبلة البشرية ولا شك أنه لا يمت إلى دين الله بصلة.

وفيما يتعلق بالطلاق أو فك رباط الزوجية، يذكر النصارى أن شريعة موسى عليه السلام أذنت به لأنه كان موجوداً من قبل إلا أنها قيدته[2] ونهت عنه في بعض الظروف[3].

وشاع في أيام اليهود الأخيرة، وفي نصوص العهد الجديد أنهم لما سألوا المسيح عليه السلام عن هذا الأمر ليجربوه بكلامهم وبّخهم ونهى عن الطلاق إلاّ لعلّة الزنا حسب زعمهم[4].

بل إنَّ النص الوارد عن عيسى عليه السلام ـ على فرض صحة نسبته إليه ـ لم يرد على سبيل التشريع، وإنما كان من مقام الوعظ، ولذا كان يحاول الدعوة إلى التخلق بأسمى الكلمات وهو ما يتضح في الإصحاح التاسع عشر في متى[5].

لكن بولس برسائله المتقدمة على الأناجيل يفهم من نصوصه منع الطلاق، وأتى بنصوص تفهم أنه لا يفارق زوجته، ولعلّ هذا مما كان، أو ما آل إليه الأمر فيما بعد عند الكاثوليك.

فقد جاء في رسالة كورنثوس: «وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها، وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأته»[6].

---

(١) تاريخ الكنيسة، ص١٦٠، تفسير العهد الجديد، ١٠١.
(٢) تثنية ٢٤/١ ـ ٤.
(٣) تثنية ٢٢/١٧ ـ ١٩ و٢٨، ٢٩.
(٤) متى ٥/٣١، ١٩/٩، مرقس ١٠/١١، لوقا ١٦/١٨، وانظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٥٧٧.
(٥) ١٩/١٦ ـ ٣٠.
(٦) ١ كورنثوس ٧/١٠ ـ ١١.

وفي رسالته لأهل رومية: «أم تجهلون أيها الأخوة لأني أكلم العارفين بالناموس أن الناموس يسود على الإنسان ما دام حياً فإن المرأة التي تحت الرجل هي مرتبطة بالناموس بالرجل الحي، ولكن إذا مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل فإذا ما دام الرجل حياً تدعى زانية إن صارت لرجل آخر ولكن إن مات الرجل فهي حرة من الناموس حتى أنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر[1].

فبناء على هذا حرم الكاثوليك تحريماً باتاً فصم الزواج لأي سبب مهما عظم شأنه، حتى في حال الزنا، وكل ما يبيحونه في حال الزنا الانفصال الجسماني بين شخص الزوجين مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما شرعاً، فلا يعقد لأحدهما على آخر. أما الأرثوذكس فأباحوا الطلاق في حالة الزنا مع تحريم الزواج على المطلق أو المطلقة بعد ذلك[2].

وفي ختام هذا الفصل: يتضح مدى الاختلاف والتضارب بين ما دعا إليه عيسى ﷺ، وما انتهى إليه بولس في دعوته، وأن المعتقدات والأحكام الأساسية للديانة النصرانية المعاصرة، ليست من تعاليم المسيح ﷺ، وإنما وضعها بولس، فهو المؤسس لكل ما ذكرنا.

وإلى بولس هذا ترجع شرائع الكنيسة وتقاليدها المتبعة حتى الآن، وهو الذي دعا الكنيسة إلى استخدام التراتيل، والترانيم والأناشيد والأغاني الروحية والمزامير[3]، وما إلى ذلك من تصورات ومعتقدات وطقوس ومراسيم[4].

وينقل صاحب ينابيع المسيحية قول رئيس الشمامسة «فورد»: «وإنه ليدهشني أن يسمحوا ليهودي من طرسوس «بولس الرسول» خبير بأساطير اليونان والرومان الأولين وفلسفة أفلاطون التي كانت تدرس بمدرسة الإسكندرية تلك الفلسفة التي صيغ بها دين عيسى السلس وشوهه بها، مع أنه لم تسبق له معرفة شخصية بعيسى ولا تعاليمه، ذلك الرجل الذي كان من ألد أعداء المسيح، يدهشني أن يسمحوا له بالتسيطر على النصرانية إلى هذا الحد والمدى، حتى غير معالمها

(١) رومية ٧/١ ـ ٣.
(٢) نظام الزواج، ص٢٠٨.
(٣) أفسس ٥/١٩.
(٤) راجع دراسات في النصرانية، مزروعة ص١٠١، المسيحية، شلبي، ص١٢٧.

وخواصها وقلبها رأساً على عقب»[1].

ويرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس للنصرانية هي التي دفعته ليتظاهر بالدخول فيها ليستمر في حربها بسلاح جديد، سلاح التهديم من الداخل بإفساد معالمها وطمس مظاهرها ومسخها. ومثل هذا كثير في تاريخ الأديان، وفي الإسلام كثيرون من هذا النوع من أشهرهم «عبد الله بن سبأ» اليهودي الذي تظاهر بالإسلام فأشعل الثورة ضد عثمان ﷺ، ونشر المبادئ الفاسدة التي لم يستطع عمل شيء منها لو ظل يعلن يهوديته، ولكن أفكار عبد الله بن سبأ لم تستطع أن تطمس دين الإسلام كما طمست أفكار بولس دين المسيح عليه السلام ذلك لأن الإسلام مستقر بكتابه ورجاله ودولته والله ﷻ فوق ذلك متكفل بحفظه.

أما إنجيل عيسى عليه السلام فضاع بين طيات الأحداث، ولم يكن لديانته عماد يحميها من هذه الصدمات العنيفة التي أنزلها بها أعداء من الداخل، وأعداء من الخارج، فخبت دعوة عيسى عليه السلام، وقامت على أنقاضها دعوة أو نصرانية بولس.

وهكذا نستنتج مما سبق أن بولس، بحكم نشأته الطرسوسية، وثقافته النابعة من الفكر اليوناني ـ علاوة على اعتماده على رصيد من المذاهب حول طبيعة الإنسان وفكرة الإثم والعلاقة بين الخطيئة والموت، ومهارته وذكائه وقدرته البارعة في أسلوب الجدل والمحاورة ـ استطاع أن يهدم الديانة النصرانية التي جاء بها المسيح عليه السلام، حيث أحدث فيها أحداثاً جساماً:

ـ أنه نادى ببنوة المسيح لله وألوهيته، ووضع البذور التي بها خرجت النصرانية من كونها ديانة توحيد وأصبحت ديانة تثليث.

ـ اخترع قصة الفداء لتكفير الخطايا، ونقل الديانة النصرانية من ديانة خاصة ببني إسرائيل إلى ديانة عالمية.

ـ ألغى التعاليم السماوية التي جاء بها المسيح عليه السلام كالختان وتحريم أكل لحم الخنزير.

ـ ألغى العمل بشريعة التوراة حتى فصل النصرانية عن اليهودية.

وهكذا نجده لعب دوراً خطيراً في الديانة النصرانية، بل أقام نصرانية تدين

---

(١) راجع ينابيع المسيحية، ص٥٩.

له أكثر مما تدين للمسيح ﷺ، ومن هنا ذهب من ذهب إلى القول أنه هو مؤسس الديانة النصرانية[١].

يقول «مايكل هارت»: «إن عدداً من الباحثين يرون أن مؤسس الديانة النصرانية هو بولس وليس المسيح، وليس من المنطق في شيء أن يكون المسيح نفسه مسؤولاً عما أضافه بولس وأتباعه فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه»[٢].

وهو ما اعترف به الكاتب النصراني «حبيب سعيد»: أن بولس صاحب الفضل الكبير في وضع أركان النصرانية الأولى[٣].

---

(١) راجع أقوال العلماء في ذلك: النصرانية، شلبي، ص١١١، منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى، عبد الراضى بن محمد عبد المحسن، ص٣٩٤، ٣٩٥، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، تحقيق فايز عزام ١٤٠٥هـ، رسالة دكتوراه ٢٥/٨٤٩.

(٢) الخالدون مائة، ص٢٥.

(٣) راجع تاريخ المسيحية ١/٤٥.

# الفصل الثاني

## فقدان النصوص الأصلية للنصرانية وأثره في الانحراف العقدي

يستمد النصارى عقائدهم وتشريعاتهم من مصدرين أساسيين هما: أولاً: الكتاب المقدس، ثانياً: قرارات المجامع المسكونية.

أمّا المجامع النصرانية فسوف نعقد لها فصلاً خاصاً للتعريف بها وما تقرر فيها من قرارات عقدية، وبيان مظاهر التحريف العقدي في هذه القرارات[1].

وأما الكتاب المقدس ففيما يلي التعريف به، وبيان أقسامه، وذلك قبل أن نتناوله بالدراسة التفصيلية لبيان مظاهر التحريف العقدي فيه.

ينقسم الكتاب المقدس عند النصارى إلى قسمين: القسم الأول هو «العهد القديم»، ويشمل ما يسمى بالتوراة، والكتب الملحقة بها[2]. وعددها تسعة وثلاثون.

أما القسم الثاني فيطلق عليه «العهد الجديد»، ويحوي سبعة وعشرين سفراً هي الأناجيل الأربعة: (إنجيل متى - إنجيل مرقس - إنجيل لوقا - إنجيل يوحنا) ورسائل الرسل، وتشمل رسائل بولس، وعددها أربع عشرة رسالة، وقد تكلمنا عنها. والرسالة إلى العبرانيين، ورسالة يعقوب، ورسالتا بطرس الأولى والثانية، وثلاث رسائل ليوحنا الأولى والثانية والثالثة، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا اللاهوتي.

وقبل أن نتناول أناجيل العهد الجديد، ورسائل الرسل بالدراسة، وبيان ما فيها من التحريف العقدي نتيجة لضياع النصوص الأصلية في النصرانية - قبل ذلك لا بد من الحديث أولاً عن إنجيل عيسى عليه السلام، باعتباره يمثل النصوص الأصلية

---

(١) انظر: فصل المجامع، ص٣١٥.

(٢) انظر: التعريف بها، ص١٤ الفكر الديني اليهودي، دراسات في الأديان، الخلف، ص٥١ - ٥٤.

في النصرانية، ويحتوي على العقيدة الصحيحة قبل فقدانه.

## أولاً: إنجيل عيسى عليه السلام:

كلمة إنجيل ترجع في أصلها إلى الكلمة اليونانية Evaghilion وهي مركبة من «إيوا» بمعنى مرحى، جيد، حقيقي، و«أنغليون» وهي عبارة عن بشارة أو التبشير بالفعل والمعنى «التبشير بالسعادة الحقيقة»(١).

وإنجيل عيسى عليه السلام كما يثبته القرآن الكريم، هو الكتاب الذي أنزله الله على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو وحي أوحاه الله إليه فيه هدى ونور، كما إنه لا يختلف في جوهره عن سائر الكتب السماوية كما ذكرنا سابقاً من الدعوة إلى توحيد الله، وهداية البشر كما أخبر القرآن الكريم في سورة آل عمران، حيث قال: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٤].

وقال عز وجل في سورة المائدة: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٦﴾ [المائدة: ٤٦].

هذا الإنجيل الحق «إنجيل عيسى عليه السلام» قد كان موجوداً في عصره وبعد رفعه، وقد دعا المسيح عليه السلام بني إسرائيل إلى الإيمان به. ولا يقتصر إثباتنا لإنجيل عيسى عليه السلام على ما جاء في القرآن الكريم، بل جاء إثباته في الكتابات النصرانية القديمة والحديثة؛ فقد جاء في إنجيل مرقس: «وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»(٢).

---

(١) راجع إبطال ألوهية عيسى، ٨٦، الإنجيل والصليب، ص٢٤، ٢٥، قاموس الكتاب المقدس، ص١٢٠.

(٢) ١/ ١٤ ـ ٢٠، ١٦/ ١٥ ـ ١٨، ٨/ ٢٥، غلاطية ١/ ٦، ٧، وغلاطية ٢/ ١٤، الديانات والعقائد، ص٤٣٦، دراسات في الأديان، الخلف، ص١١٢، و١ تسالونيكي ٢/ ٤، ٢/ ٨ ـ ٩، ٣/ ٢ دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٥، ٧٦، المناظرة الكبرى، حماية، ص٤٩، ٥٠، أضواء على المسيحية، ص٥١، دراسات في النصرانية، ص٧٤.

وذكره بولس أيضاً في رسائله، منها قوله في رسالته إلى أهل تسالونيكي: «جاهرنا في إلهنا أن نكلمكم بإنجيل الله في جهاد كثير لأن وعظنا ليس عن ضلال ولا عن دنس ولا بمكر بل كما استحسنا من الله أن نؤتمن على الإنجيل هكذا نتكلم... ثم يقول: فإنكم أيها الإخوة تذكرون تعبنا وكدنا إذ كنا نكرز لكم بإنجيل الله»(١).

إلا أن هذا الإنجيل الذي نزل على المسيح عليه السلام لا وجود له الآن بين يدي النصارى، وليس هو من ضمن الأناجيل المكتوبة التي يقدسونها(٢)، مع التصريح في أناجيلهم كما نقلنا آنفاً بوجوده وطلب الإيمان به، وفي هذا يقول سفر أعمال الرسل عن بطرس ويوحنا في دعوتهما للسامريين من اليهود: «وكما شهدا وتكلما بكلمة الرب رجعا إلى أورشليم وبشرا بالإنجيل في قرى كثيرة للسامريين»(٣).

والمطلع على الأناجيل الأربعة وغيرها يجد أن كتابها قد استفادوا كثيراً من الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام قبل ضياعه، فنقلوا عنه بعض الوقائع التي لا طريق للعلم بها إلا بوساطة الوحي، ثم أضافوا إليها من العقائد والآراء والتوجيهات ما ليس له أدنى صلة بالوحي المنزل، أو كلام النبي المرسل، بل كانت تحريفاً لحق بالعقيدة بعد فقدان الإنجيل الأصلي، كما سنوضح ذلك في هذا الفصل.

يقول أكهارت: «كان في بداية المسيحية رسالة مختصرة في بيان أحوال المسيح، ويجوز أن يقال: إنها الإنجيل الأصلي، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، ولم تكن الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب».

ويقول: «أتيين دينيه» ـ الرسام الفرنسي الذي أسلم بعد دراساته الواسعة في الأديان، وبحوثه القيمة فيها ـ: «أما أن الله سبحانه قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه فالذي لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر أو أنه أبيد»(٤).

---

(١) ٢/٢، وانظر رومية ١/١، ٩ ـ ١٦، ١ تيموثاوس ١/١١.

(٢) راجع الجواب الصحيح، ١/٣٦٨، الكتب السماوية، ص٣١٢.

(٣) هذا النص مأخوذ من نسخة الكتاب المقدس المطبوعة في لبنان عام ١٩٩٢م بعناية أغناطيوس زيادة/ دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، وهي النسخة الأرثوذكسية، ص٨/ ٢٥.

(٤) الأديان في القرآن، الشريف، ص١٧٤، وانظر محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٥٦.

وفيما يتعلق بلغة إنجيل عيسى عليه السلام فالواقع أنه لا يعلم بأي لغة بلغ المسيح رسالته على وجه التعيين أهي الآرامية أم العبرية أو اليونانية، ونحن نعلم أن كل رسول يرسل بلسان قومه، والنصارى يعتقدون ذلك أيضاً لكنهم يتحيرون في تطبيق القاعدة على ذلك العصر الذي بعث فيه المسيح، ذلك لأن جل يهود فلسطين وسائر بلاد الشام في ذلك الوقت كانوا ينطقون الآرامية، وأما العبرية وهي اللغة القديمة، فضاعت في عصر الأسر البابلي وأول الفترة الوسيطة المعقبة له.

أما اليونانية فقد كانت لغة أكثر يهود الجاليات خارج بلاد الشام وهم نسبة كبيرة جداً من يهود ذلك العصر إن لم يكن أكثرهم.

والأرجح عند الباحثين المعاصرين أن المسيح بلغ رسالته بالآرامية لكونها اللغة المستعملة في البلاد التي بعث فيها، ولوجود عدد من الألفاظ الآرامية في الأناجيل اليونانية الموجودة بأيدي الناس اليوم.

واعترض على هذا بأنه لا علاقة بين إنجيل عيسى الموحى به من الله، وبين أناجيل العهد الجديد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الكلمات الآرامية الموجودة في بعض أناجيل العهد الجديد كلمات نادرة، وليست في نفس الوقت كلمات قديمة، بل هي من النوع الدارج، ككلمة «بشيطا» فهي آرامية دارجة سهلة غير اللغة الآرامية القديمة.

وعلى كل فليس في شيء من ذلك دلالة على أن إنجيل عيسى كان مكتوباً بالآرامية، فليس للقائلين بأن لغة الإنجيل كانت الآرامية إلا ما يستندون إليه من أن هذه اللغة كانت هي اللغة المستعملة في البلاد التي بعث فيها المسيح كما ذكرنا آنفاً.

أما عن كون الإنجيل مكتوباً باللغة العبرية فهو فرض يورده قائله بأن يكون الإنجيل نزل بلغة علمائهم وكتبهم القديمة، وهي العبرية حتى يتم التوافق بينه وبينها.

أما عن فرض كتابة الإنجيل باللغة اليونانية، ففي الواقع أننا نجد في كتب النصارى القدماء ذكراً لإنجيل العبرانيين وذكراً لإنجيل كان بالسريانية وهي والآرامية لسان واحد، لكن هذين الإنجيلين ضاعا ضياعاً كاملاً إلى يومنا هذا،

ويستبعد أكثر الباحثين أن يكون الإنجيل الأصلي باليونانية[١].

وأيا كانت اللغة التي بلغ بها المسيح دعوته، فهل كتب هذا الإنجيل على عهد عيسى ﷺ، أم أنه نقل شفاهاً في أول الأمر، ثم كتب بعد فترة وجيزة؟

يقول بولس إلياس اليسوعي: «لا مشاحة أن الإنجيل انتشر أولاً شفاهاً ثم كتب بعد سنين[٢]، ذلك لأن المسيح لم يثبت كتابة هذه البشرى التي طلع بها على العالم[٣]. بل إن أصحاب عيسى لم يتمكنوا من كتابة شيء يقال له إنجيل غير فقرات قليلة كانت محفوظة في صدور الآحاد ولم يتفكروا إذ ذاك في تحرير شيء من أصل دينهم»[٤].

ومؤرخو النصرانية ورهبانها بل أساقفتها وبابواتها مجمعون على أن الرواية الشفوية للإنجيل في مستوى التدوين بل ترجح عليه، ومعتمدة أكثر منه، وكل ما رووه من أقوال الحواريين كان مقصوراً على الرواية الشفوية، وإذا دونوا منه شيئاً فذلك لزيادة الثبات والرسوخ[٥].

وينقل الشيخ أحمد عبد الغفور عطار عن عالمهم الشهير والمؤرخ الكبير أريناوس (١٤٠ ـ ٢٢٢م) أنه قال: «إنه أخذ بالرواية اللسانية من بوليكربوس، وبوليكربوس تلميذ يوحنا الحواري، ويقول: «لم أشهد حال أساقفة أورشليم مدوناً في كتاب، بل ثبت برواية اللسان ووصل إلينا بالرواية اللسانية أن أغناطيوس ـ عندما ساقوه إلى روما ليقتلوه بإلقائه بين الوحوش حتى تفترسه ـ كان يعظ في طريقه الكنائس ويحذرها من البدع المنتشرة ويوصيهم بالتزام الروايات اللسانية التزاماً شديداً، ولرغبته في المزيد من الحفظ نصح بتدوين تلك الروايات[٦].

---

(١) راجع محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٩ ـ ١٥٥، كشف الظنون، ١/١٧، أضواء على المسيحية، ص٥٢.

(٢) يقصد بهذا أناجيل العهد الجديد، وإلا فهم لا يقولون بأن إنجيل عيسى كتب بعد رفعه بسنين.

(٣) يسوع المسيح، ص١٤، ١٥.

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق، ص١١.

(٥) الديانات والعقائد، ص٤٣٩، ٤٤٠، محاضرت في النصرانية، أبو زهرة، ص٥٦، الأديان في القرآن، الشريف، ص١٧٤، أضواء على المسيحية، ص٥٢، دراسات في الأديان، الخلف، ص١١٤، دراسات في الكتاب المقدس، حماية ٧٤، ٧٥، ٧٦.

(٦) الديانات والعقائد، ص٤٤٠.

فمدار الأمر ـ عند النصارى ـ في أول النصرانية كان على الروايات الشفوية لأقوال عيسى على ألسنة الحواريين وتلاميذهم بصفة خاصة، والمؤمنين بالمسيح بصفة عامة، وذلك بعد فقدان إنجيل عيسى عليه السلام كما ذكرنا آنفاً.

ولا يمنع ذلك من وجود بعض الكتابات التي يسجلون فيها شيئاً من وصايا المسيح عليه السلام، وما يحفظونه في صدورهم مما كان يوحى إليه، وربما كان من هذه الكتابات القليلة تلك الرسالة التي تحدث عنها أكهارت، وقال: إنه يجوز أن تكون هي الإنجيل الأصلي.

والواقع أن فقدان إنجيل عيسى عليه السلام في أول عهود النصرانية يعتبر فقداناً للمصدر الصحيح الذي يرجع إليه النصارى فيما يعتقدونه من عقائد، وما يتناقلونه من أقوال مأثورة عن المسيح عليه السلام في تلك الفترة الأولى التي كان مدار الأمر فيها على النقل الشفوي لأقوال المسيح ووصاياه.

وقد امتدت هذه الفترة سنوات عديدة قبل أن تظهر أناجيل العهد الجديد، ورسائل الرسل، ومع وجود العوامل الثقافية والدينية والسياسية التي أدت إلى تحريف العقيدة النصرانية في عقول الناس وقلوبهم نتيجة لتأثيرها فيهم كما شرحنا في هذا البحث ـ مع وجود هذه العوامل فإن ضياع إنجيل عيسى عليه السلام قد جعل الناس يفقدون بضياعه المرجع الأساسي الذي يرجعون إليه في معرفة عقيدتهم الصحيحة، والذي يعصمهم من الوقوع في التحريف العقدي تحت تأثير هذه العوامل.

ومما يجدر ذكره هنا أن لفقدان النصوص الأصلية عوامل داخلية وخارجية، أما العوامل الداخلية هي عدم محافظة النصارى أنفسهم على كتابهم، فضاع منهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٤] والنسيان دليل على الإهمال.

ومن العوامل أيضاً تسلط أصحاب الفرق على كتب مخالفيهم بالإحراق والإبادة.

وهناك عوامل خارجية من أهمها استمرار الاضطهاد من قبل الرومان على النصارى فترة طويلة، وتعمدهم إحراق كتب النصارى وإتلافها، وهذا لا يعطي اليقين بكل ما ينقلونه من أقوال المسيح عليه السلام خلال هذه السنوات الطويلة، ومن

ثم تقع منهم التحريفات العقدية تحت تأثير نسيانهم وفقدانهم للنصوص المحفوظة خلال هذه السنوات.

وقد أدى فقدانهم لإنجيل المسيح عليه السلام إلى فقدان النصوص الأصلية التي يرجعون إليها لتصحيح أخطائهم أو تذكيرهم بما نسوه من نصوص الوحي الإلهي.

## ثانياً: أناجيل العهد الجديد، وأثر فقدان إنجيل عيسى عليه السلام في تحريفاتها العقدية:

**تمهيد:**

عرّفنا الإنجيل سابقاً، وقلنا: إنه يعني البشارة أو الخبر السار، ويعبر النصارى بالإنجيل عن ترجمة حياة المسيح عليه السلام كما كتبها كل من (متى) و(مرقس) و(لوقا) و(يوحنا) بمفرده، وما تضمنته كل ترجمة منها من أقوال المسيح ووصاياه، بالإضافة إلى ذكر معجزاته، أو عما كتبه هؤلاء الأربعة كجملة واحدة، أو عن كل أسفار العهد الجديد، أي ما كتب بعد رفع المسيح عليه السلام.

ولكن القس فهيم عزيز يؤكد في المدخل إلى العهد الجديد أن عيسى لم يترك شيئاً مكتوباً[(١)]، فالمسئول الأول عن كتابة العهد الجديد ليس يسوع بل النصرانيين سواء من الجيل الأول أو من الجيل الثاني من التلاميذ[(٢)].

وهو ليس كتاباً أزلياً كان في اللوح المحفوظ، ولكنه كتاب نشأ وسط الكنيسة وبواسطتها ومن أجلها، هيمن الروح القدس على كل من كتب فيه، ولكنه كتب بواسطة أناس الله الذين شاهدوا وشهدوا للمسيح. ولم يُكتب دفعة واحدة ولكنه كتب في حقبة طويلة نسبياً بواسطة أناس متعددي المواهب والتفكير والثقافة، ومن يرغب في دراسته فعليه أن يدرس تطور الأمور من بدء قيامة المسيح وصعوده إلى الوقت الذي كتب فيه الكتاب المقدس[(٣)].

والواقع أن هذه الأناجيل لا يعتبر كل واحد منها بمفرده البشارة التي بشر

---

(١) ص٧٦.

(٢) انظر: لوقا ١/٢، الرسالة إلى العبرانيين ٢/٣ و٤، ١يوحنا ١/١ ـ ٤.

(٣) انظر ص٧٦.

بها عيسى عليه السلام، لأنه مجرد تاريخ للمسيح وذكر لمعجزاته وبعض أقواله ووصاياه، وهو بذلك لا يمثل ما أوحاه الله إلى عيسى عليه السلام، وإنما هو عمل بشري كتبه صاحبه أو أصحابه رواية لتاريخ المسيح وذكراً لأقواله. فتسمية كل واحد من هذه الأسفار بالإنجيل تسمية خاطئة، وإلا فهي كتب تاريخية تروي حياة المسيح وسيرته الذاتية، قد يتضمن كل إنجيل من هذه الأناجيل شيئاً مما حفظ عن المسيح وأقواله ووصاياه الأخلاقية والدينية، لكنه لا يعبر عن الوحي الذي أوحي إلى عيسى عليه السلام لانقطاع السند بين عيسى عليه السلام وبين كتاب هذه الأناجيل.

وما نقوله هنا يصدق على كل واحد من هذه الأناجيل الأربعة، وبالتالي فإن هذه الأناجيل لا تشكل وحدة متكاملة تعبر عن المسيح ورسالته كما يزعم إبراهيم لوقا في كتابه «المسيحية في الإسلام»[1]، فكل إنجيل منها له كاتبه، وبين هذه الأناجيل من التناقض والتحريف ما لا يجعلها تمثل كتاباً واحداً ـ كما يزعمون ـ.

ومثل هذا يقال عن الرسائل المنسوبة لأصحابها فليست هذه الرسائل جزءاً من إنجيل المسيح الذي كان يبشر به بين الناس، فهذه الرسائل والأناجيل نتيجة جهد بشري، ومحاولة لحفظ تاريخ المسيح، قد تتضمن بعض أقواله ووصاياه، لكنها كما قلنا لا يمكن أن تكون الإنجيل الذي بشر به عيسى عليه السلام، ودعوى العصمة لكاتبيها وتأييد الروح القدس لهم فيما كتبوه كما يزعم فهيم عزيز كلها دعاوى عارية عن الدليل، كما أن هذه الأناجيل فيها مخالفات تاريخية، وتناقضات موضوعية، وتحريفات عقدية لا يمكن معها قبول أن تكون بوحي وإلهام.

## ١ ـ التعريف بأناجيل العهد الجديد:

تمثل الأناجيل الأربعة المعتمدة أهم مجموعات العهد الجديد، وتستأثر وحدها في هذا العهد بحيز كبير يقرب من نصفه وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.

---

(١) راجع ص٤٢، ٤٣، نقلاً عن دعوة الحق، ص٣٥٣ ـ ٣٥٥، وانظر المسيح في الأناجيل أو الكنيسة والنقد الكتابي الحديث، ص٣١ ـ ٣٤.

ومكان الأناجيل في النصرانية مكان القطب والعماد، وإذا كانت شخصية المسيح وما أحيطت به من تصورات تمثل عقائد النصرانية، فإن هذه الأناجيل هي المشتملة على أخبار تلك الشخصية، من وقت الحمل إلى وقت صلبه ـ في اعتقادهم ـ وقيامته من قبره، ثم رفعه، وهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم، والصلب والفداء، أي أنها تشتمل على لب النصرانية في نظرهم[1].

وفيما يلي نتكلم عن كل إنجيل على حدة:

## إنجيل متى:

يحتل إنجيل متى المكانة الأولى في نظام ترتيب أسفار العهد الجديد، وهي مكانة لها ما يبررها عند النصارى، حيث يعد امتداداً للعهد القديم بشكل ما، فقد كتب ليثبت أن المسيح يكمل تاريخ بني إسرائيل، يقول هذا المعلقون على الترجمة المسكونية، ولكي يحقق هذا فإنه يستشهد دائماً بفقرات من العهد القديم[2].

يذكر النصارى أن متى كان بحسب المولد يهوديّاً وبحسب العمل عشاراً أي من جباة الضرائب، حتى دعاه المسيح لاتباعه وعندئذ ترك الجباية وتبعه وصار من أتباعه الذين رافقوه[3] ويكاد يجمع النصارى على أن متى من الحواريين الاثني عشر[4]. ونقل في الفارق اتفاق النصارى على ذلك[5].

ويرى المحققون من العلماء أن متى ليس من حواريي المسيح. يقول موريس بوكاي: «لنقل صراحة أنه ـ أي متى ـ لم يعد مقبولاً اليوم القول أنّه أحد حواريي المسيح، وهو يخالف ما عليه أكثر النصارى اليوم.»[6].

---

(١) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٠، وانظر بين القرآن والعهدين، ص٤٠.

(٢) راجع دراسة في الكتب المقدسة، ص٧٩.

(٣) دعوة الحق، ص٣٣٦، عقيدتا التثليث والصلب، ص٧٠، قصة الحضارة ١١/٢٠٧.

(٤) قصة الحضارة ١١/٢٠٧، عقيدتا التثليث والصلب، ص٧٠.

(٥) الفارق بين المخلوق والخالق، ص١٩، قاموس الكتاب المقدس، ص٨٣٢، الأسفار المقدسة، وافي، ص٧٩، دراسات في النصرانية، مزروعة، ص١٢٤، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٢.

(٦) دراسة في الكتب المقدسة، موريس بوكاي، ص٨٠.

قال في تحفة الأريب: «فأما متى وهو الأول منهم فما أدرك عيسى ولا رآه قط إلا في العام الذي رفعه الله إلى سمائه»[(١)].

وقد اختلف كذلك في سنة وفاته مما يؤكد الشك فيه فبعد أن طاف البلاد يدعو إلى النصرانية استقر في الحبشة وقضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة، ومات بها سنة ٧٠، وقيل ٧٩ وقيل ٦٢ في رواية أخرى[(٢)].

ويُقال إنه كتب هذا الإنجيل ـ إنجيل متى ـ بطلب من المؤمنين بعد صعود المسيح فأجابهم إلى طلبهم[(٣)].

وقد اختلف في اللغة التي كتب بها متى إنجيله، وهو أمر له أهميته في بيان القيمة العلمية لهذا الإنجيل كما سنوضح.

ويقرر الكثيرون أنه كتبه باللغة العبرانية[(٤)] أو السريانية، ونقل ديورانت عن آرينيوس أنه كتبه في الأصل بالعبرية ـ أي الآرامية ـ لكنه لم يصل إلينا إلا باليونانية، أي أن أقدم نسخة عرفت شائعة رائجة كانت باليونانية[(٥)].

قال الدكتور محمود حماية: «إن القول بأنه ألف بالعبرية إنما هو خطأ»[(٦)].

وذهب ابن البطريق إلى أنه ألفه بالعبرية وترجمه يوحنا صاحب الإنجيل إلى اليونانية[(٧)]. لكن لم يؤيد ابن البطريق أحد من المؤرخين، بل إن أكثرهم يقر

---

(١) تحفة الأريب، ص١٠١.

(٢) الأسفار المقدسة، وافي، ص٨٠، المسيحية، شلبي، ص٢١١، وعليه فلو ادعى النصارى أن متى كتب إنجيله بالحبشية فهو أقرب من ادعائهم أنه كتبه باليونانية.

(٣) كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٤٨ ـ ١٥٠، بين القرآن الكريم والعهدين، ص٤٧.

(٤) ذكر ذلك جيروم وبيباس فيما ينقله ديورانت ٣/٢٠٧، وميشيل جرجس وابن البطريق، انظر: دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص٤٧، وقد ذكر صاحب الفارق بين المخلوق والخالق ص١٩، ٢٠ آراء المؤرخين القدامى من النصارى بأنهم يؤكدون كتابته بالعبرية مستنبطاً ذلك من المجلد الثاني من الكليات (الأرديز) الذي حوى آراء الكاتبين في ذلك بما يؤكد الإجماع، وانظر: دعوة الحق، ص٣٣٦، قاموس الكتاب المقدس، ص٨٣٣، إظهار الحق، ٢/ ٥٣٢ ـ ٥٣٧.

(٥) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٣.

(٦) دراسات في الكتاب المقدس، ص٤٧.

(٧) راجع يا أهل الكتاب، ص١٤٨ ـ ١٥٠، بين القرآن والعهدين، ص٤٧، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ص٢٧٥، المسيح، عبود، ص١١٧، الرد الجميل، ص١١٧.

بعدم معرفة المترجم، ولم يذكر ابن البطريق سنداً لقوله أو برهاناً[1].

قال الدكتور أبو الغيط الفرت: «لم يكن مؤكداً أن الترجمة اليونانية متطابقة مع الأصل العبري حيث فقد الأصل قبل ظهور الترجمة ولم يطلع أحد على الأصل العبري مقارناً بالترجمة اليونانية... كما لم يعلم أيضاً من قام بهذه الترجمة. قال جيروم: ـ وهو من علماء النصارى المتقدمين ـ في حق ترجمة إنجيل متى: لا يوجد أي إسناد لهذه الترجمة وحتى الآن لم يعلم باليقين اسم المترجم[2].

ويُقال إن متى نفسه قام بترجمته[3]. وقيل إن النسخة الأصلية وجدت في الهند ثم أرسلت إلى الإسكندرية ثم اختفت بعد ذلك ولم تظهر ترجمتها[4].

وذهب شنودة إلى أنه ألف بالآرامية، وهو ما رجحه د.علي وافي ثم ترجم إلى اليونانية[5].

ونقل أحمد شلبي اتفاق النصارى أنه أُلف بالآرامية[6]. ومن قال أو رجح أنه أُلف بالآرامية ذكر أن الأصل لم يصل إلينا وما وصل إلينا هو ترجمته باليونانية، ولا يظهر في هذه الترجمة إلا آثار ضئيلة للهجة الآرامية التي كتب بها الأصل وتتمثل في ست عشرة كلمة آرامية مدونة بحروف يونانية[7].

بينما رجح أكثر الكُتاب منهم بوست أنه كُتب باللغة اليونانية كسائر أسفار العهد الجديد، لأنه لم يشأ كتابته بتلك اللغة التي كانت محصورة في اليهود الذين كانت كنيستهم ومملكتهم على وشك الزوال[8].

---

(١) الأسفار المقدسة، وافي، ص٨٧.

(٢) عقيدتنا التثليث والصلب، ص٧١، الفارق، ص٢١.

(٣) الأسفار المقدسة، وافي، ص٨٧، إظهار الحق، ص١٦١.

(٤) معاول الهدم، ص٤٤.

(٥) دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص٤٧، الأسفار المقدسة، وافي، ص٨٦.

(٦) المسيحية، شلبي، ص٢١١.

(٧) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ص٣٧٥.

(٨) قاموس الكتاب المقدس، ص٨٣٣، دعوة التوحيد، ص٣٣٦، المسيح، وصفي، ص٤١، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٤، ٤٥.

قال د. عثمان عبد المنعم: لعل بوست رجع إلى ما كتبه عبد الله الترجمان بهذا الصدد(١).

وقال في دعوة الحق محاولاً التوفيق بين اختلاف الأقوال في لغة الكتابة: لعله وجدت النسخ باللغة العبرانية التي كتبها متى نفسه في ذات الوقت الذي كتب فيه النسخة اليونانية، لكي يرسل العبرانية إلى اليهود واليونانية إلى الأمم عندما ترك اليهودية للكرازة بين الأمم(٢).

وجاء في مقدمة تفسير العهد الجديد لإنجيل متى: «قال بعض الآباء القدماء إن متى كتب إنجيله باللغة العبرانية ووافقهم على ذلك كثير من المحققين المتأخرين بناء على أن هذا الإنجيل كتب لأجل فائدة سكان فلسطين، الذين عامّتهم كانوا يتكلمون حينئذٍ هذه اللغة، وقال آخرون: إنه مع أن اليهود يفضلون اللغة العبرانية، كانت اللغة اليونانية أوفق لكتاب فائدته عامة دائمة. . . وفضلاً عن ذلك لا يرى علامات الترجمة في نسخة إنجيل متى اليونانية، بل يظهر أنها تصنيف أصلي، وبما أنه لا يوجد الآن أصل عبراني لهذا الإنجيل يصعب التصديق أنه كان موجوداً في الزمن القديم وقد فُقد الآن، وقد حاول البعض أن يصلحوا بين القولين، بأن متى كتب قصة مختصرة في اللغة العبرانية، ثم ألّف الإنجيل في اللغة اليونانية، وليس لهذا القول إثبات، والأرجح أنه لا يوجد أصل عبراني»(٣).

وكما اختلفوا في اللغة التي كتب بها الإنجيل اختلفوا في السنة التي كُتبت فيها هذا الإنجيل. ونقلِ هورن سبعة تواريخ يُحتمل تأليف الإنجيل فيها(٤)، وهناك من ذهب إلى أنه أُلف قبل خراب أورشليم ولم يحدد تاريخاً معيناً(٥).

قال في الكنز الجليل في تفسير الإنجيل لوليم آدي: إنه ألفه بين عامي ٦٠ ـ ٧٠م

---

(١) راجع كلام محقق تحفة الأريب، ص١٠٣، ونقل في إظهار الحق ١/ ١٥١ عن دائرة المعارف: كتب هذا الإنجيل باللسان العبراني أو باللسان الذي ما بين الكلداني والسرياني لكن الموجود منه الترجمة اليونانية والذي يوجد الآن باللسان العبراني فهو ترجمة الترجمة اليونانية.

(٢) دعوة الحق، ص٣٣٦.

(٣) تفسير العهد الجديد في مجلد واحد. مقدمة إنجيل متى، ص١.

(٤) المسيح، عبود، ص١١٨.

(٥) بين القرآن، ص٤٧، كتاب يا أهل تعالوا، ص١٤٨.

ورجحه د. صابر طعيمة[١]. وهناك من رجح أنه بين عام ٨٠، ٩٠م وربما قبل ذلك بقليل، وذهب جون فنتون أنه كتب حوالي الفترة من ٨٥ ـ ١٠٥م[٢].

واختلفوا كذلك في صحة نسبة هذا الإنجيل إلى متى الحواري.

جاء في كتاب حياة المسيح للأب ديدون أن بعض الثقاة قال بأن الإنجيل الحالي المنسوب إلى متى ليس من كتابته، بل هو مقتطف من أصل مفقود كان يُنسب إلى متى الحواري[٣].

قال أحمد طاهر: اعتمد مؤلفه على وثيقتين مفقودتين واحدة من نوع جيرمان كويل[٤]، المكتوبة بالآرامية، والثانية من نوع وثائق مرقس الأولى، وقد أجمع المتخصصون في الأناجيل على إن إنجيل متى لم يكن من تأليف متى الحواري وإلا لاعتمد على وثائق من النوع الأول وحدها[٥].

ونقل أحمد طاهر عن دائرة المعارف البريطانية خطأ نسبة إنجيل متى إليه والتحليلات التي تؤيد ذلك[٦].

وذكر جون فنتون في تفسير إنجيل متى: أن متى كاتب الإنجيل لم يكن هو متى المذكور على أنه تلميذ عيسى، وإن ربط متى لشخصيته كمؤلف لهذا

---

(١) الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٥٦، الكنز الجليل ١/٣.

(٢) انظر: تفصيل اختلاف الأقوال، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص٢٧٥، دراسة في الكتب المقدسة، موريس بوكاي، ص٨١، الأسفار المقدسة، وافي، ص٧٦، ٨٦، حوار صريح، ص٩٩، الأناجيل دراسة مقارنة، طاهر، ص٢٣، الرد الجميل، ص٧٦، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص٨٣، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٥. ونقل محقق الشفاء قول الجويني أن متى صرح في إنجيله أنه ألفه بعد رفع المسيح بتسع سنين ثم قال: وهو خطأ فمتى لم يصرح بزمن تأليفه، انظر: الشفاء، ص٣٩.

(٣) المسيح، وصفي، ص٤٦، الأناجيل دراسة مقارنة، طاهر، ص٢٤، الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٥٦.

(٤) مصطلح يطلق على المصدر أو الأصل. انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص٤٦.

(٥) الأناجيل دراسة مقارنة، طاهرة، ص٢٣، دراسات في الأديان، الخلف، ص١٣٠.

(٦) الأناجيل دراسة مقارنة، طاهر، ص٢٤ ـ ٢٨، وإظهار الحق، ٢/٥٣١ الإسلام والأديان، حلمي، ص١٩٨، ١٤٥، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص٥٢، دراسات في الأديان، الخلف، ص١٢٩، ١٣٠.

الإنجيل نسب عمله إلى مؤسس الكنيسة التي كتب من أجلها هذا الإنجيل أو معلمها الذي كان اسمه متى[١].

وذكر صاحب تاريخ الإنجيل والكنيسة أن الجزء الذي ألفه متى الحواري ضاع في زمانه وأن ما بين أيدينا الآن لم يصرح مؤلفه فيه باسمه[٢].

بل إن إنجيل متى في نصه يثبت أنه (أي متى) لم يكن هو مؤلف الإنجيل: «واجتاز يسوع من هنا فرأى رجلاً عند مكان الجباية اسمه متى فقال يسوع له: اتبعني فقام متى وتبعه»[٣].

وواضح من هذا النص أن هذه الضمائر لا تعني أن يسوع أو متى هما مؤلفا هذه الرواية بل شخص ثالث كان يسجل الوقائع من الشائعات[٤].

والاعتراض الأول يتوجه إلى هذا الإنجيل من ناحية الإسناد حيث وصل إلينا بطريقة يشوبها اللبس والغموض، فعلماء النصارى يقفون حيارى أمام تحديد الزمن الذي كتب فيه هذا الإنجيل، وما قالوه عن تاريخ تدوينه لا يعدو الظن والتخمين والقول بالظن وعدم اليقين.

كما أننا لا نعرف شيئاً عن النسخة الأصلية أكانت بالآرامية أو بالعبرية، وإذا كانت النسخة التي وصلت إلينا باللغة اليونانية فمن الذي قام بالترجمة من اللغة الأصلية التي كُتب بها إلى اللغة اليونانية، كيف كان حاله، وهل كان عالماً بالدين واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم إليها؟! فهذا هو حال الإنجيل الأول؟!![٥]

كما اعترف به جيروم من أفاضل قدمائهم: فضلاً عن علم أحوال المترجم، نعم يقولون رجماً بالغيب: لعل فلاناً أو فلاناً ترجمه، ولا يتمّ هذا على المخالف، ولا يثبت استناد الكتاب إلى المصنف بالظّن والتخمين[٦].

بل إنّ قدماء النصارى كافة والمتأخرين منهم خاصة يذهبون إلى القول بأن

---

(١) حوار صريح، ص٩٩، الرد الجميل، ص٧٣.
(٢) الإسلام والأديان، حلمي، ص١٩٨.
(٣) متى ٩/ ٩.
(٤) راجع دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص٥٢.
(٥) دراسات في الكتاب المقدس، ص٤٩، ٥٠.
(٦) إظهار الحق، ٢/ ٥٣٢، دراسة تحليلية، ص٢٥٥.

إنجيل متّى كان باللسان العبراني، وأنه ضاع وفُقد بسبب الصراع بين الفرق المسيحية.

قال جامعو تفسير «هنري واسكات»: سبب فقدان النسخة العبرانية أن الفرقة الأبيونية التي كانت تنكر ألوهية المسيح حرفت هذه النسخة، وقال بعضهم: إن الناصريين أو اليهود الذين دخلوا في الملة النصرانية حرفوا الإنجيل العبراني، وأخرجت الفرقة الأبيونية فقرات كثيرة منه[(١)].

أمّا عن متن إنجيل متى فيقول الشيخ أبو زهرة: لقد اشتمل بعض هذه الكتب على أخبار لو صحت لكانت معلومة مشهورة في التاريخ يعرفها الخاص والعام ولدونتها كتب التاريخ... إن أمثال هذه الحكايات كانت في حاشية النسخة العبرية وأدخلها الكتاب في المتن، وهذا واقع في يد المترجم فترجمها كما وجدها[(٢)].

وقد عاب موريس بوكاي على متى أنه يتصرف بحرية خطيرة مع النصوص، وأنه ألحق بكتابه روايات يستحيل بالدقة تصديقها[(٣)].

ويرى ديورانت أن متى يحرص حرصاً يدعو إلى الريبة على أن يثبت أن كثيراً من نبوءات العهد القديم قد تحققت على يد المسيح، وتوقع نهاية العالم سريعاً[(٤)].

وهو يقتبس كثيراً من كتابات مرقس ـ الذي لم يكن من حواري المسيح ـ ففي إنجيل متى ستمائة آية من الستمائة والإحدى والستين التي يشتمل عليها النص المعتمد لإنجيل مرقس[(٥)].

ويتساءل ديدات: كيف يقوم شاهد عيان ـ مثل متى ـ وهو أحد حواريي عيسى بسرقة معلومات رآها بعينه ـ كما يدعون ـ من كتابات مرقس الذي كان لا

---

(١) راجع إظهار الحق ٢٧٩/١، الكتب السماوية، ص٣٦٠، ٣٦١.

(٢) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٥٣.

(٣) انظر: متى ٢٧/٦١ ـ ٥٣، وراجع دراسة في الكتب المقدسة، ص٨٢.

(٤) راجع قصة الحضارة ص١١/٢٠٩.

(٥) دراسة في الكتب المقدسة، موريس بوكاي، ص٧١، ٨٢، تحفة الأريب ص٩٦.

يزال في العاشرة من عمره حين كان عيسى يدعو بني إسرائيل[١].

ومعنى ذلك أن كاتب الإنجيل ليس هو متى الحواري، وإنما كان متأخراً عن حياة مرقس بوقت طويل.

وهو ما يؤكده «ج.ب فيلبس» - وهو موظف مرفوع الأمر في الكنيسة الإنجليكانية وهي وقف كاتدرائية شيجستر بإنكلترا - في تقديمه للإنجيل الترجمة الحديثة باللغة الإنجليزية -:

الأعراف القديمة نسبت هذا الإنجيل إلى الحواري متى ولكن علماء العصر الحديث تقريباً بالإجماع يرفضون هذا الرأي.

ثم يقول: لو أن متى كتبها - أي البشارة أو الإنجيل - في الفترة من ٨٥ إلى ٩٠م فقيمة هذا الإنجيل كوثيقة مسيحية لن تعدلها قيمة أنها - وهو ما يمكن قوله - آراء الجيل الثاني للمسيح عيسى. إن القديس متى لم يكتب الإنجيل الذي يحمل اسمه، هذا من اكتشاف العلماء المسيحيين من أرفع المراتب[٢].

ويحاول مؤلف هذا الإنجيل إظهار ألوهية عيسى بطرق مختلفة مثل قصة ولادته، أو أنه جاء تحقيقاً لنبوءة سابقة، (مثل الفقرة ٢٢ من الإصحاح الأول والفقرات ١٥، ١٧، ٢٣ من الإصحاح الثاني)، وقد طوّر مؤلف الإنجيل المنسوب إلى متى أساطير معجزات عيسى لإظهاره كإله، وليس كرسول، أو مسيح قوي، يظهر ذلك في الفقرات من ٨ إلى ٢٦ من الإصحاح التاسع لـ(متى) بالفقرات ٢١ إلى ٤٣ من إصحاح (مرقس) كذلك فقرتي ١٦، ١٧ إصحاح ٨ وفقرتي ٣٥، ٣٦ إصحاح ٩ والفقرات من ٢ إلى ١٦ إصحاح ١١ لـ(متى).

وقد أضفى صاحب هذا الإنجيل على عيسى ألقاباً مسيحية اعتبرها شاهداً على أن تنبؤات (العهد القديم) قد تحققت في شخصية عيسى المسيح «ابن داود»، «الرب»، «ملك إسرائيل»، «ابن الإنسان»، «ابن الله»، وهذه الألقاب أكثر من أن يلقب بها معلم، خاصة وأن تلاميذ عيسى لم يستخدموها عندما كانوا

---

(١) هل الكتاب المقدس كلام الله، ص٥٨ - ٦٠.

(٢) هل الكتاب المقدس كلام الله، ص٦٤.

يخاطبونه، بل كانوا ينادونه بمولانا أو سيدنا. (قارن متى فقرة ٢٥ إصحاح ٨ بمرقس إصحاح ٤ فقرة ٣٨)[١].

ومما اشتمل عليه كذلك ما جاء في خاتمته من ذكر التعميد باسم الرب والابن والروح القدس، إذ إن هذه الصيغة كما يقول الدكتور «أدولف هرنك» في كتابه «تاريخ العقيدة» غريب ذكرها على لسان المسيح ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل[٢].

وقال في معاول الهدم والتدمير: لعل أكبر دليل على التحريف ما تضمنه هذا الإنجيل من قصة الصلب وما حدث بعدها وهي زيادة معلومة بالضرورة لم يقل المسيح عنها شيئاً بعد رفعه[٣].

ونقل في إظهار الحق عن البروفسور الجرمني قال: إن هذا الإنجيل كله كاذب[٤].

قال د. صابر طعيمة: وليس من المستغرب أن يقوم بالدس والوضع لهذا الإنجيل أحد من اليهود بعد خراب أورشليم، واستشهد بما ذكره نورثن عن تفسيره للفقرة الثانية والخمسين: ٢٧ من متى وما حدث بعد صلب المسيح... وأنه لا يستبعد حدوث كتابات في الحواشي ـ حواشي النسخة العبرانية ـ وإدخالها في المتن ووقوع المتن في يد المترجم وترجمها على حسبه[٥].

ثم قال: فهذا مسيحي أنصف القول من نفسه، فإن عداوة اليهود للمسيحيين لا تخفى، على أن طائفة الفريسيين من اليهود كانت تعتقد أن التقليد والمأثور من تفسيرات الآباء وتعليقاتهم على الناموس... كل ذلك من الناموس، فإن ذلك هو طبيعة التلمود إذ هو قول من (التوراة) و(المشناة) التي هي تعليقات حاخامات اليهود وتفسيراتهم. فإذا ترجح أن المترجم من اليهود فقد نكتشف الحقيقة[٦].

هذا وقد وصف «نورثن» مترجم (متى): بأنه لا يميز بين الخبيث والطيب

(١) الأناجيل، طاهر، ص٢٦.
(٢) History of dogma، ص٧٩.
(٣) ص٤٤.
(٤) إظهار الحق، ٢/٥٣٨.
(٥) الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٥٧.
(٦) الأسفار المقدسة، ص٢٥٧، ٢٥٨.

لأن مترجم إنجيل (متى) كان حاطب ليل، لا يميز بين الرطب واليابس، فما في المتن من الصحيح والغلط ترجمه[1].

تلك كانت خلاصة أقوال العلماء حول قيمة هذا الإنجيل. وقد نقلنا الاختلاف والتضارب بين الأناجيل[2].

ولا شك أن جهل تأريخ التدوين، وجهل النسخة الأصلية العبرية، وجهل حال المترجم من صلاح وفساد، وعلم بالنصرانية، وباللغتين المترجم منها وإليها، كل ذلك يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلميّ مهمة.

فإذا أضفنا إلى ذلك الجهل التامّ بمؤلف الأصل من هو، إذن لضاعت القيمة العلمية لهذا الإنجيل، وأصبح ككتاب فقد غلافه فهو لا يوثق به في أمر من أمور الدنيا، ناهيك عن أن يكون قانون دين يعتمد عليه[3].

## إنجيل مرقس:

ترتيب هذا الإنجيل الثاني لدى النصارى وهو أقصرها إذ إنه يحوي ستة عشر إصحاحاً فقط[4].

وتذكر بعض المصادر النصرانية بأن مرقس الإنجيلي[5] كان يهودياً من بيت لاوي من التلاميذ السبعين، الذين أرسلهم المسيح ـ حسب زعمهم للدعوة ـ، حيث يظن أنه هو الشاب الذي تبع المسيح ليلة تسليمه[6]، وصاحب برنابا وبولس[7]، ثم فارقهما[8]، بعد أن تشاجر معهما، ثم صحب بطرس وتتلمذ عليه[9].

---

(١) الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٥٨، الفارق، ص٢٢.
(٢) انظر: الاختلاف والتضارب بين الأناجيل، ص٢٨٦، وما بعدها من هذا الفصل، وانظر ما ذكره بين القرآن والعهدين، ص٤٨، ٤٩.
(٣) راجع بين القرآن والعهدين، ص٤٨، معاول الهدم والتدمير، ص٤٤، الميزان، ص١١، ٧٢، أضواء على المسيحية، ص٩٦ ـ ١٩٨، المسيح، عبود، ص١١٨.
(٤) دراسات في الأديان، الخلف، ص١٣٠، الرد الجميل، ص٦٦.
(٥) وهو غير مرقس الذي أسس كنيسة بيت المقدس بعد التدمير سنة ١٣٥م، راجع ص٨٧.
(٦) مرقس ١٤/ ٥١، ٥٢.
(٧) كورنثوس ١٠/ ٤، أعمال الرسل ١٢/ ٢٥.
(٨) أعمال الرسل ١٣/ ١٣.
(٩) دراسة تحليلة لإنجيل مرقس، ص١٥٢، ١٥٣.

بينما رجح البعض أنه ليس من السبعين، وأنه لم ير المسيح، وأن دخوله في دين النصارى كان بعد رفع المسيح على يد بطرس الحواري[١].

وأكد موريس بوكاي أن مرقس لم يكن من الحواريين، بل كان تلميذاً لأحد الحواريين[٢].

ويعلق الأستاذ نينهام قائلاً: لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض أن جميع الأحداث التي ترتبط باسم فرد ورد ذكره في العهد الجديد، إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم!!

ولكن إذا تذكرنا أن اسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعاً في الإمبراطورية الرومانية. عندئذ نتحقق من مقدار الشك في تحديد الشخصية في هذه الحالة[٣].

ونقل في قاموس الكتاب المقدس أن مرقس كان أول من نادى برسالة الإنجيل في الإسكندرية في البلاد المصرية، وقتل فيها[٤].

وقد كتب مرقس إنجيله بناءً على طلب أهل رومية، وقيل إنه كتبه لنفع المؤمنين الذين رجعوا إلى المسيح بواسطة دعوته لهم[٥].

ونقل كثير من الكتاب اتفاق النقاد الثقاة على أسبقية إنجيل مرقس في الزمن على سائر الأناجيل[٦].

وهذا يخالف ما ورد في قاموس الكتاب المقدس حيث يقول: ويظن بعض العلماء أن مرقس هو أول الأناجيل التي دونت وأن متى ولوقا استخدما على وجه

---

(١) راجع الإسلام والأديان، حلمي، ص١٩٩، دراسات في الكتب المقدسة، ص٨٤، ٨٥، تحفة الأريب، ص٨٥، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٦.

(٢) دراسة في الكتب المقدسة، ص٨٤.

(٣) بين القرآن، ص٥١، الرد الجميل، ص٦٨.

(٤) انظر، ص٨٥٣.

(٥) الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٥٨، الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ١/ ٤، الميزان، الطهطاوي، ص١١٢، بين القرآن، ص٥٠، عقيدتنا التثليث والصلب، ص٧٢، دعوة الحق، ص٣٣٧.

(٦) دراسة تحليلية، ص٢٦١، الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٥٩ عن الفرت حيث رجح ذلك، المسيح، عبود، ص١١٧، المسيحية، شلبي، ص٢٠٤.

العموم نفس النقاط الرئيسية التي وضعها مرقس، ويظن فريق آخر أن إنجيل متى هو أول الأناجيل تدويناً[1].

وقد اختلف المؤرخون في الزمن الذي كتب فيه مرقس هذا الإنجيل، وذكر أرينيوس ـ أحد آباء الكنيسة الأولين ـ أن مرقس كتب إنجيله بعد أن نادى بطرس وبولس بالدعوة في روما، أي أنه كتبه بين عامي ٦٥ و٦٨م[2].

وجاء في قاموس الكتاب المقدس أنه ربما كتب هذا الإنجيل بين عامي ٦٥ و٦٨م[3].

وهناك من حدد تاريخه بين عامي ٦٥ و٧٠م[4]، وقيل إنه كتبه أثناء سنة ٦١م تحت مناظرة بطرس رفيقه الخاص[5].

وذهب ابن حزم إلى أنه كتبه بعد اثنين وعشرين عاماً من رفع المسيح عليه السلام[6]، أي في حدود سنة ٥٦م.

وفيما يتعلق بصحة نسبة الإنجيل إليه يعلق د. «أ. نينهام» ـ الأستاذ بمعهد اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة (بليكان) لتفسير الإنجيل ـ:

«لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وخاصة بيسوع، أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى، ومن غير المؤكد صحة القول المأثور، الذي يحدد مرقس كاتب الإنجيل، بأن يوحنا مرقس المذكور في أعمال الرسل ١٢: ١٢، ٢٥، أو في رسالة بطرس الأولى ٥: ١٣، أو في رسالة بولس إلى كولوسي ٤: ١٠، أو في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ٤: ١١.

وذهب ابن البطريق إلى أن كاتبه هو بطرس رئيس الحواريين عن مرقس في مدينة رومية ونسبه إلى مرقس[7]، ويؤكد هذا ما ذهب إليه صاحب مرشد

---

(١) دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص٥٥، الرد الجميل، ص٦٦.

(٢) راجع دراسة تحليلية لإنجيل مرقس، ص٢٦٥.

(٣) انظر: ص٨٥٥.

(٤) ابن حزم ومنهجه، حماية، ص٢٧٦، بين القرآن، ص٥٣، دراسة في الكتب المقدسة، موريس بوكاي، ص٨٥، الأسفار المقدسة، وافي، ص٨٧، The bible، ص٧١.

(٥) دعوة الحق، ص٣٣٧، The Gospels, their Origin and their growth Faber and faber، ص٧٤.

(٦) الفصل ٢/ ٣.

(٧) تاريخ ابن البطريق ١/ ٤٤٠، الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٥٨، محاضرات في =

الطالبين[1] من أنه كُتِبَ بتدبير من بطرس ليستخدمه بطرس تبشيراً بدينه الجديد[2].

قال د. صابر طعيمة: ولعل مما يرجح هذا الاتجاه ما ترجح لدى (بيباس) وجود نسخة أولى قديمة العهد (لمرقس) كانت مصدراً لكتابة هذا الإنجيل بطلب شيوخ الكنيسة، لأن النسخة الأولى وضعت غير مرتبة بل وضعت وفقاً لاحتياجات الحال والمقال والدواعي لأهل روما يوم كان وسيطاً للتبليغ عن لسان بطرس[3].

قال د. حلمي: وليس بين أيدينا ما نرجح به إحدى الروايتين عن الأخرى فمن الذي كتبه[3]؟ والذي عليه الأكثرون أن لغة هذا الإنجيل اليونانية[4].

وذهب ابن البطريق وبوست إلى أنه كتب باللاتينية[5]. ويذكر موريس بوكاي أن من عيوب هذا الإنجيل أنه حرر دون أي اهتمام بالتعاقب الزمني للأحداث[6].

أما مضمون الكتاب ومعلوماته، فقد تكلموا منه أيضاً، فيذكر «ف.س. جرانت» في كتابه «الأناجيل أصلها وتطورها»: في الواقع أن مرقس الذي كان ترجماناً لبطرس قد كتب بالقدر الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته ما قيل عن أعمال يسوع وأقواله دون مراعاة للنظام[7].

وفي هذا يقول الدكتور سعود الخلف معلقاً: «إن هذه أقدم شهادة عن الكتاب والكاتب، حيث ذكر أن الكاتب كتب ما تذكر ولم يفصل في المكتوب ما

---

= النصرانية، أبو زهرة، ص٤٧، الفصل ٢/٣، مقدمة ابن خلدون، ص٦٥٢، الإسلام والأديان، حلمي، ص١٩٩.

(١) ص١٧٠.

(٢) تحفة الأريب، الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٥٩.

(٣) الأسفار المقدسة ص٢٦٠.

(٤) الإسلام والأديان ص١٩٩.

(٥) بين القرآن، ص٥٣.

(٦) دراسة في الكتب المقدسة، ص٨٥.

(٧) ص ٧٣، ٧٤.

هو؟ فهل تكفي هذه الشهادة في إثبات كتاب يزعم أنه الوسيلة إلى رضوان الله[1].

ويذكر وليم باركلي أن مرقس كان يؤكد الجانب البشري في المسيح، حتى أن الكتاب الذي اتبعوه اضطروه إلى إدخال بعض التعديلات في كثير من عباراته، فبينما يذكر مرقس أن يسوع كان نجاراً، يتحرج متى فيذكر أنّه كان ابن نجار.

ويوضح مرقس الاحتياجات الجسدية في المسيح، وأنه أحس بالجوع[2]، وأحس بالتعب، واحتاج إلى الراحة[3]، وهي مما تفيد إنكاره لألوهية المسيح، فكيف يستقيم هذا مع ما ورد فيه من عبارات «يسوع المسيح ابن الله» في الإصحاح الأول منه، فلا يستبعد أن مثل هذه الكلمات إلحاقية[4].

قال عبد الوهاب طويلة: إن أي ذكر لألوهية المسيح في هذا الإنجيل ليس إلا تحريفاً أو دساً أدخله الكتاب المتأخرون[5].

ويذكر علماء النصارى أن في هذا الإنجيل ـ كغيره من الأناجيل ـ معضلات قادحة ليس من السهل التغلب عليها، منها: مثلاً التناقض الداخلي في أحداثه وفي رواياته، ومنها عدم اتفاق أي نسختين من النسخ المخطوطة منه على نص واحد، إذ إن كل واحدة تخالف الأخرى[6].

يقول نينهام مفسراً إنجيل مرقس: «من بين مئات المخطوطات لإنجيل مرقس والتي ما تزال باقية حتى اليوم، لا نجد نسختين اثنتين تتفقان تماماً، وهذه التغييرات حدثت بقصد أو بدون قصد»[7].

وتمثل خاتمة هذا الإنجيل مشكلةً، فهي غير متفق عليها في النسخ

---

(١) دراسات في الأديان، الخلف، ص١٣١.
(٢) ١١/ ١٢.
(٣) ٦/ ١٣.
(٤) الميزان، الطهطاوي، ص١١٢، ١١٣، وانظر هذه القصص في الإصحاح الثامن، ص١١، ١٢، وقارن بينه وبين إنجيل لوقا مثلاً في الإصحاح السابع، والإصحاح الحادي عشر.
(٥) الكتب السماوية، ص٣٨٠.
(٦) الأناجيل، طاهر، ص٢٩، دائرة المعارف البريطانية، ص٩٠٣، الرد الجميل، ص٦٩، ٧٠، بين القرآن والعهدين، ص٥٤، التزوير المقدس، ص٧٨.
(٧) راجع: بين القرآن ص٥٤ نقلاً عن تفسير إنجيل مرقس.

المختلفة، تلك الخاتمة التي تتحدث عن ظهور المسيح لمريم المجدلية، ثم للرسل الأحد عشر، وطلبه منهم أن يذهبوا إلى العالم كله، ويعلنوا البشارة إلى الناس جميعاً: «إن كل من يؤمن ويتعمد يخلص»، وفي الترجمات القديمة: «ويذكروا الناس بالأب والابن والروح القدس»، فإن الكتاب القدامى والمحدثين يرون أنها ملحقة بالإنجيل، وليست من صلبه، بل أضيفت إليه بعد تأليفه بحوالي عشر سنوات ومائة (١١٠)، ولم تظهر لأول مرة إلا في سنة ١٨٠م تقريباً، وإن مقدمة الترجمة المسكونية لتنص على هذا بشكل صريح[١].

وفي مقدمة طبعة كولنز تقول: لقد عرضت أمام اللجنة طلبات عديدة قدمها اثنان من الأفراد وطائفتان دينيتان وقد اهتمت هذه اللجنة بهذه الطلبات، ولقد أعيد جزءان إلى النص الأصلي، وهما نهاية إنجيل مرقس الفصل السادس عشر ٩:٢٠ وإنجيل لوقا ٢٤:٥١[٢].

وقد نقل صاحب كتاب الفارق عند الكلام عن مرقس عن بعض المحققين من النصارى ما يؤكد الشك في عدم إلهامية هذا الإنجيل[٣].

وترى دائرة المعارف البريطانية أن إنجيل مرقس في إطاره الرئيسي لم يحو غير معلومات قليلة للغاية ولا تصلح للاعتماد عليها تاريخياً، أما بقية المعلومات فمشكوك فيها، كما أن المراجع التاريخية وأسماء الأشخاص الواردة في هذا الإنجيل قد استقاها مؤلفها من روايات شفهية كانت تروى في ذلك العهد، والإطار الذي كتب فيه مرقس إنجيله إطار مصطنع لا يمت إلى الحقيقة بشيء، وأنه جمع بعض القصص المتفرقة ووصل بينها بترتيب زمني استحدثه لنفسه، ثم مزج هذه القصص بالمبادئ المسيحية[٤].

تلك كانت آراء العلماء حول هذا الإنجيل مؤلفه وتاريخ كتابته وتناقض المعلومات التي فيه.

---

(١) راجع دراسة في الكتب المقدسة، موريس بوكاي، ص٨٦، الرد الجميل، ص٧٠، ٧١، بين القرآن والعهدين، ص٥٥، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص٥٥ ـ ٥٧، الكتاب المقدس في الميزان، ص١٣٥، الكتب السماوية، ص٣٨١.

(٢) المناظرة، حماية، ص٤٨.

(٣) الفارق بين المخلوق والخالق، ص٣١٧.

(٤) انظر: أمثلة ذلك، ص٣١، الأناجيل، طاهر.

وأختم بما ذكره صاحب كتاب الأناجيل وتطورها:

«من ذلك يتضح أن أحداً من علماء النصرانية، لا يعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل، وإن كان الرأي الشائع من الموروثات الغريبة، وهو يشبه - في غرابته - استنتاج القديس أوغسطين الخاطئ بأن مرقس كان واحداً من الذين تبعوا متى واختصروا إنجيله»[1].

## إنجيل لوقا:

هذا هو الإنجيل الثالث في ترتيب النصارى لكتابهم ويحوي أربعة وعشرين إصحاحاً.

وتختلف آراء معظم الباحثين حول شخصية لوقا، وفي القوم الذين كتب لهم إنجيله، وفي تاريخ تأليفه. واتفقوا على أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه وأنه تلميذ لبولس وأنّه لم يكن من أصل يهودي، وذهب بوست إلى أنه كان رومانياً نشأ في إيطاليا[2]. وقيل: كان طبيباً، وقيل مصوراً..[3].

وذهب بعض الباحثين أن لوقا كاتب الإنجيل أحد الوثنيين الذين آمنوا بالمسيح بعد رفعه وكان رفيقاً لبولس بناءً على ما ذكر بولس[4].

---

(١) The Gospels their origin and their growth، ص٧٤.

(٢) كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٥٦، الأناجيل، طاهر، ص٣٣، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص٥٨، بين القرآن، ص٥٧ محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٧، ٤٨، ٥٨، الإسلام والأديان، حلمي، ص٢٠٠، دراسات في النصرانية، مزروعة، ص١٣١، ١٢٤، الفصل ٢/ ٢ - ٥٦، الأسفار المقدسة، وافي، ص٧٧، المسيحية، شلبي ٢١٥، الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٦١، المسيح، عبود ص١١٧، الجواب الفسيح، ص١٩٠.

(٣) الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٦١، المسيحية، شلبي، ص٧٥، الأناجيل، طاهر، ص٣٣.

(٤) كورنثوس ٤/ ١٤، تيموثاوس ٤/ ١١، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٧، ٤٨، دراسات في الأديان، الخلف ص١٣١، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٥٦، ٥٨، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، بين القرآن، ص٥٧، دراسة في الكتب المقدسة، موريس، ص٨٨، قاموس الكتاب المقدس، ص٨٢٢، عقيدتنا التثليث والصلب، ص٧٤، دعوة الحق، ص٣٣٨، الأناجيل، طاهر، ص٣٣، المسيح، عبود، ص١١٧، الإسلام والأديان، حلمي ص٢٠٠، ٢٠١، الجواب الفسيح، ص١٩٠.

وعن تاريخ كتابته ذهب البعض إلى أنه كتب بين عامي ٦٠ ـ ٧٠م على أشهر الأقوال وإن كان بعضهم يعزوه إلى العقد الأخير من القرن الأول[١].

وذكر بوست أنه كتب قبل خراب أورشليم وقبل أعمال الرسل ما بين ٥٨ إلى ٦٠م، ويرى هورن أنه أُلّف سنة ٥٣ أو ٦٣ أو ٦٤م[٢].

والثابت عن محققي النصارى كما يقول صابر طعيمة، أن لوقا كتب إنجيله بعد ما حرر مرقس إنجيله وذلك بعد موت بطرس وبولس[٣].

وذكر د. عبود أنه ألفه في عصر نيرون[٤]، أي سنة ٦٨م.

وذكر. د. فريدريك كلفتن جرانت أنه صدر إنجيله حوالي سنة ٨٠ أو ٨٥م، وبعد ذلك بحوالي عشر سنوات ذيل كتابه برسالة ثانية هي أعمال الرسل ونشره حوالي ٩٥م[٥].

وإن كان بعض العلماء يرجحون القول بأن مؤلف كل من الإنجيل وأعمال الرسل شخصان مختلفان[٦].

ومما هو مشهور عند النصارى أن كاتب الإنجيل الثالث هو لوقا الطبيب الذي ذكره بولس في رسائله. وقد وجد الكثيرون دليلاً على مهنة كاتب الإنجيل الثالث الطبية في دقة وصفه للأمراض، ولكن هذا الدليل ليس قاطعاً، فلا بد للبت في هذا الموضوع من البحث في شواهد كتاب أعمال الرسل[٧].

ولغة هذا الإنجيل اليونانية، وهو مما اتفق عليه معظم الباحثين، سوى ما

---

(١) عقيدتا التثليث والصلب، ص٧٤، الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٦١.

(٢) كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٥٦، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص٥٨، بين القرآن، ص٥٧، ٥٨، الأسفار المقدسة، وافي، ص٨٨، المسيح، وصفي، ص٣٤، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٨.

(٣) الأسفار المقدسة، طعمية، ص٢٦١، عقيدتا التثليث والصلب، ص٧٤.

(٤) المسيح، عبود، ص١١٧.

(٥) الرد الجميل، ص٨٦، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٥٧٥.

(٦) حوار صريح، ص٩٩، وانظر اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص٨٥، دعوة الحق، ص٣٣٨.

(٧) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص٨٦.

ذكره ابن خلدون أنه ألف باللاتينية وهو خطأ[1].

واختلف في تحديد القوم الذين كُتبَ لهم هذا الإنجيل، فذهب ابن البطريق إلى أنه وجهه إلى رجل من عظماء الروم، وكذا وجه إليه أعمال الرسل.

ويرى القس إبراهيم سعيد أنه كتبه لليونان، وهناك من يرى أنه كتبه للمصريين ولوقا يصرح في أول إنجيله أنه كتبه إلى رجل يدعى ثاوفيلس ولكنهم اختلفوا كذلك في هويته.

وقد وجه موريس بوكاي انتقاداته لشخصية مؤلف هذا الإنجيل فضلاً عن الإنجيل نفسه فقال: لوقا كاتب حوليات في رأي كولمان، وروائي حقيقي في نظر كاننجسر. وأن إنجيل لوقا عمل أدبي كتب بلغة يونانية كلاسيكية راقية لا تخلو من حوشي الكلام[2].

وعن الدافع الذي كتب من أجله إنجيله يذكر لوقا نفسه في ديباجته الموجهة لثاوفيلس إلى أنه بعد الآخرين الذين أنشأوا قصصاً عن المسيح، سينشئ بدوره حكاية عن نفس الأحداث مستخدماً تلك القصص ومعلومات الشهود المعاينين، وذلك يعني أنه ليس واحداً منهم، حيث يقول: «إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأحداث التي وقعت كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذا تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به»[3].

ويرى القارئ اعتراف لوقا الصريح بأن مصدره فيما يكتبه القصص التي يرويها الناس، مما يبعد تماماً القول بأنها وحي أو إلهام. وهذا ما جعل العلماء يختلفون في تقويم إنجيله.

من هذه المقدمة نستنتج عِدَّةَ ملاحظات:

---

(١) الأسفار المقدسة، وافي، ص٨٨، وانظر محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٥٨، دراسات في النصرانية، مزروعة، ص١٢٤، ١٣١، الفصل ٢/٢، بين القرآن ص٥٦، ١٥٦، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص٥٨، عقيدتنا التثليث والصلب، ص٧٤، الجواب الفسيح ص١٩١.

(٢) دراسة في الكتب المقدسة، موريس ص٨٧.

(٣) لوقا ١:١ ـ ٤.

١ ـ إن لوقا يكتبُ رسالة شخصية إلى ثاوفيلس، ولم يعرف ثاوفيلس هذا.

٢ ـ إن لوقا قام بهذا العمل بدافع شخصي بحت، تقليداً لغيره ممن يكتبون قصصاً. وهي ليست أربعة أو عشرة بل لعلها تناهز المائة، وأنها كتابات من قبيل التأريخ للأحداث ولم يكن الهدف منها تصوير عقيدة.

٣ ـ لم يَدَّعِ أنه كتبها بإلهام، أو مَسُوقاً من الروح المقدس!!

٤ ـ يقرر صراحة أنها جاءت نتيجة لاجتهاده الشخصي، حيث إنه قد تتبع كل شيء من الأول بتدقيق.

٥ ـ يقرر لوقا أن كثيرين أخذوا في تأليف قصص.

٦ ـ يعترف بأنه لم يأخذ المعلومات عن المسيح بل ممن عاينه أو خدمه.

٧ ـ لم يبين لنا لوقا عمن أخذ الإنجيل كما أن أحداً لا يستطيع أن يجزم أن لوقا أخذ عن أناس مخصوصين.

٨ ـ وهناك أمر آخر على درجة من الخطورة ذلك أن «لوقا» لم يكتب لصديقه التعاليم التي يجب أن يتبعها أو العقيدة التي عليه أن يؤمن بها، بل أرسلها إليه على التوالي، حيث يقول: «لتعرف صحة الكلام الذي علمت به».. فكتابات لوقا كانت تأكيداً فقط للكلام الذي علمه ثاوفيلس فما هو؟[١].

هذه هي أهم النقاط التي يمكن أن يستنتجها الباحث من مقدمة إنجيل لوقا.

وفيه من التناقضات في رواياته بينه وبين الأناجيل الأخرى الكثير، مثل: الاختلافات بينه وبين التسلسل الذي أورده متى في نسب المسيح[٢].

ـ وكذلك فإن ما يرويه لوقا عن طفولة المسيح، يختلف عما يرويه متى حول الموضوع نفسه.

ـ وهناك مسألة سر القربان المقدس، وهو حدث ذو أهمية رئيسية بالنسبة للنصارى، على حد تعبير موريس بوكاي..[٣].

---

(١) راجع: الاختلاف والاتفاق، عوض، ص٩٦، ٩٧.

(٢) راجع: الرد الجميل، ص٨٦.

(٣) دراسة في الكتب المقدسة، ص٨٩.

كما إنه حدد تاريخ صعود المسيح ـ في إنجيله ـ بيوم الفصح ويحدده في أعمال الرسل، بأربعين يوماً بعد الفصح!!

وهو ينقل ويقتبس من متى ومرقس إلى جانب مصادر مجهولة من الأساطير، وقد أورد بعض أشياء لم ترد في أي إنجيل من قبل[١].

والواقع أنه أورد أشياء تبلغ في عددها (٣٥) لم ترد في الأناجيل الأخرى، وقد اختلف العلماء النصارى في مصادر معلوماته اختلافاً كبيراً.

وصرح جيروم أن بعض القدماء كانوا يشكون في بعض الآيات من الباب الثاني والعشرين من إنجيل لوقا، وبعض آخر كان يشك في الباب الأول والباب الثاني منه أيضاً، ويصرحون أن هذين البابين لم يكونا في نسخة فرقة مارسيوني[٢].

وقد قرر «أشلاير ماخر» في كتابه «الأبحاث عن إنجيل لوقا»، إن إنجيل لوقا ما هو إلا كتب مختلفة كُتِبَتْ في أزمنة غير معينة بواسطة قوم مجهولين[٣].

يقول القس فهيم عزيز في كتابه «المدخل إلى العهد الجديد» في استدلاله على صحة نسبة الكتاب إلى لوقا ما يلي:

«هناك مقدمة كتبت لإنجيل لوقا فيما «بين» (١٦٠ ـ ١٨٠م) اسمها «ضد مارسيون» يقول الكاتب فيها عن لوقا: إنه من أنطاكية في سوريا مهنته طبيب وكان أعزباً بدون زوجة مات وهو في سن ٨٤ في بوتييه ممتلئاً بروح القدس، وقد كتب إنجيله كله في المناطق التي تحيط بأخائيه لكي يفسر للأمم القصة الصحيحة للعهد الجديد الإلهي..».

ثم يقول صاحب الكتاب «هذه مقتطفات عن الشهادة التي لا يعرف كاتبها وقد قبلها كثير من العلماء لأنهم لم يجدوا من أتباع مارسيون[٤] من يكذبها مما يدل على أنها تقليد كنسي قوي»[٥].

بمثل هذه الشهادة المجهولة يثبت النصارى صحة كتابهم إلى هذا الرجل

---

(١) انظر: الإصحاح ٧/١٧ ـ ١٠، ١١/١٧ ـ ١٩، الأناجيل، طاهر، ص٣٤.
(٢) الفارق، ص٣٢٧.
(٣) المسيح، وصفي، ص٤١.
(٤) مارسيون هو أحد الخارجين على الكنيسة.
(٥) المدخل إلى العهد الجديد، ص٢٧٢.

المجهول لوقا، وهي لا شك شهادة لا تغني ولا تسمن من جوع، ويدل استدلالهم بها على أنهم لا يملكون أدلة على صحة نسبة الكتاب، فيتبين لنا من هذا أن النصارى حين يزعمون أن إنجيل لوقا كتاب صحيح وصادق فإن ذلك مجرد دعوى عارية عن الدليل.

### إنجيل يوحنا:

هو رابع كتب العهد الجديد.

والكثرة الغالبة من أهل الفرق والطوائف النصرانية تذهب إلى أن يوحنا صاحب الإنجيل هو أحد الحواريين الاثني عشر.

وقد جاء في كتاب: «خلاصة تاريخ المسيحية في مصر» أن يوحنا البشير ولد في بيت صيدا من أعمال الجليل، وهو ابن زبدي الصياد وأخو يعقوب الكبير، وأن المسيح كان يحبه حتى إنه استودعه أمه مريم وهو فوق الصليب، وأن القيصر «دومتيان» نفاه في أيام الاضطهادات إلى جزيرة «بطمس» (من جزر بحر إيجة)، ثم عاد إلى «أفسس» ولبث بها يبشر حتى توفي شيخاً، على خلاف في تحديد سنة وفاته بين عامي ٩٨ و١٠٠م.

ومما يقولونه عنه إنه كان صياداً كأبيه، وبينما كان بالصيد هو وأخوه يعقوب على بحر الجليل إذ رأى من المسيح ما جعله وأخاه يتركان شباكهما وأباهما ويتبعانه[١].

وفيما يتعلق بتحديد هوية مؤلف إنجيل يوحنا، فإن موريس بوكاي يرى أن المسألة موضع نقاش طويل وقد طرحت آراء شديدة الاختلاف في هذا الشأن[٢].

وبينما يرى بعض الباحثين في النصرانية أن كاتب هذا الإنجيل كان يتكلم الآرامية وأن وطنه الأصلي فلسطين، يرى البعض الآخر أنه كان إغريقياً من اليونان وكان ينتمي إلى اليهودية ومن هؤلاء د.فريدريك كالفتن في كتابه الأناجيل أصلها وتطورها[٣].

---

(١) الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٦٢، دراسات في النصرانية، مزروعة، ص١٢٤، قاموس الكتاب المقدس، ١١٠٨، الأسفار المقدسة، وافي، ص٨٧، تحفة الأريب، ص٩٨.

(٢) دراسة في الكتب المقدسة ص٨٩.

(٣) ص١٧٤ ـ ١٧٨.

وللتوفيق بين هذين الرأيين ظهر رأي ثالث يقول إن كاتب هذا الإنجيل كان فلسطينياً هاجر إلى اليونان وعاش حيث كان يعيش اليهود فيها، ثم اكتسب معرفة باللغة وبالطقوس الدينية للمجتمع المحيط به[١].

ويُنسب إلىٰ يوحنا هذا الإنجيل الرابع من الأناجيل الأربعة المعتمدة وآخرها تأليفاً، وكذلك أربعة أسفار أخرى من أسفار العهد الجديد وهي ثلاثة رسائل من الرسائل الكاثوليكية والسفر النبوي أو رؤيا يوحنا. يقول الدكتور وافي: ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة[٢]، أي نسبة الأسفار إليه.

ولإنجيل يوحنا مكانة خاصة بخلاف الأناجيل الأخرى، وذكر القس إبراهيم سعيد أن إنجيل لوقا كُتب لليونان، ومتى كُتب لليهود، ومرقص كتب للرومان، وإنجيل يوحنا كُتب للكنيسة عامة[٣].

وقد كتب يوحنا إنجيله ورسائله باللغة اليونانية[٤].

ولعل الحكم في أنه كتب للكنيسة عامة يرجع إلى ما ذكره قاموس الكتاب المقدس من أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كتب لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا بشأنها[٥].

---

(١) الأناجيل، طاهر، ص٤١.

(٢) الأسفار المقدسة، وافي، ص٧٩، ٨٩.

(٣) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٧، دراسات في النصرانية، مزروعة، ص١١٢، الأناجيل، طاهر، ص٣٥، إبطال ألوهية عيسى، ص١٠٢.

(٤) دراسات في النصرانية، مزروعة، ص١٢٤، ١٦٠ ـ ١٦٥، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص٩٩، الفارق، ص٣٤١، الأسفار المقدسة، وافي، ص٨٨، الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٦٢، عقيدتنا التثليث والصلب، ص٧٥.

(٥) تحفة الأريب، ص٩٨، ٩٩، انظر آخر الإصحاح ٢١ من الإنجيل، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٦٠، الميزان، ص١١٤، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص١٣، ٦١، ٦٢، ٦٣، الفارق، ص٣٣١، المسيحية، شلبي، ص٢٩، يسوع المسيح، ص١٩، وانظر محاضرات في النصرانية، أبو زهرة حيث ذكر مصادر نصرانية عدة تبين السبب الذي من أجله كتب هذا الإنجيل، ص٥٣ ـ ٥٧ ـ ٦٣، الأسفار المقدسة، طعيمة ٢٦٣.

وفيه دليل على أن هذا القول لم يكن منتشراً بدليل عدم ذكره في الأناجيل الثلاثة وقد أكد هذا أكليمندس[(١)].

وهذا يلزم منه أحد أمرين:

**الأول**: أن الأناجيل الثلاثة بوضعها الحالي كانت موجودة أيام الصدر الأول من النصارى، وأنهم لم يجدوا فيها دليلاً يثبت لاهوت المسيح، وهذا يثبت أن تأكيد النصارى لاهوت المسيح من الأناجيل الثلاثة أمر لا تحتمله نصوصها ولم يفعله الأوائل، ولو فعلوه لاكتفوا بما فيها وهو كثير ـ باستشهاد المعاصرين منهم ـ ولم يطلبوا من يوحنا أن يكتب إنجيلاً لهذا الغرض بل ويلحون عليه في ذلك[(٢)].

**الثاني**: ما في الأناجيل الثلاثة من شواهد يستشهد بها النصارى كافية لإثبات ذلك ـ أي الألوهية ـ وهذا ملحوظ من كتاباتهم الكثيرة، وما دام الصدر الأول لم يجدوا فيها ذلك فيدل على أن هذه الشواهد والأدلة قد أضيفت إليها بعد كتابة يوحنا إنجيله، وهذا يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه الأناجيل الثلاثة قد دخلها التحريف المقصود، وبذلك تزول عصمتها ولا يصح الاحتجاج بها.

وكلا الأمرين لازم منه أن الأناجيل الثلاثة المتشابهة لا تثبت ألوهية المسيح بل تعارضها، وهنا نقول: أهي ثلاثة من الأناجيل أم إنجيل واحد يعارض بعضه بعضاً ويدور حوله شك كثير؟!!

وهناك أمر مهم جداً وهو أن رسائل بولس لم يكن معترفاً بها حتى كتب يوحنا إنجيله، بل لم يعترف بها إلا بعد ذلك بكثير، إذ لو كان معترفاً بها لاكتفى من يريد الاستدلال على ألوهية المسيح بما فيها، وما أكثر ما فيها مما يفيد ذلك، وهذا يفيد مع الأمرين السابقين أن ألوهية المسيح لم تعرف إلا على يد بولس، ووضع هذا الإنجيل، وادعيت نسبته لحواري معروف كي يكون حجة في هذا الصدد[(٣)].

---

(١) راجع: المسيحية، شلبي، ٢١٠، ٢١١، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٣٥.

(٢) دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص٦٢، عقيدتنا التثليث والصلب، ص٧٦.

(٣) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٥٤، الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٦٣، بين القرآن، ص٦٦.

وفعلاً قد استجاب صاحب الإنجيل الرابع لهذا الطلب ـ إن صح ـ فجاء إنجيله لا يبغي إلا أن يجعل المسيح إلهاً، فهو الكلمة وهو النور وهو الراعي والطريق والحياة. وقد ذكر صاحب هذا الإنجيل أموراً كثيرة مما تفيد ذلك وقد زاد في الأحداث وغلط فيها غلطاً يصعب بل يستحيل تأويله[1].

وعن تاريخ كتابة هذا الإنجيل فأمر غير محقق، قال صاحب مرشد الطالبين: إنه لا يوجد اتفاق بين العلماء بضبط السنة التي كتب فيها يوحنا إنجيله[2].

وقد أشار النصارى الأوائل إلى أنه كتب في القرن الثاني، لوجود قطعة من نبات البردي وجدوها تشير إلى هذا الإنجيل، وبالتالي ذهب كتاب النصارى في أواخر القرن الثاني إلى الزعم بأن هذا الإنجيل هو آخر الأناجيل المكتوبة[3].

وذهب «آرثر فندلاي» إلى أنه كتب سنة ١١٠م، وذهب «بوست» إلى أنه أُلف في الفترة ما بين ٩٥، ٩٦، ٩٨م، وذكر «هورن» تواريخاً أخرى[4].

وذكر «ابن حزم» أنه ألفه بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة[5]. وقيل إن كتابة هذا الإنجيل كانت في القرن الأول[6].

ولبيان قيمة هذا الإنجيل ينبغي مناقشة مسألة مهمة وهي مدى صحة نسبة هذا الإنجيل ليوحنا، بل إن الخلاف امتد كذلك إلى مدى صحة نسبة الرسائل المنسوبة إليه.

ونقل الشيخ أبو زهرة عن صاحب مرشد الطالبين القول بأن جمهور النصارى يقولون إن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري ابن زبدي الصياد الذي

---

(١) إبطال ألوهية عيسى، ص١٠٤.

(٢) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٦٢.

(٣) الأناجيل، طاهر، ص٣٧، ٣٨.

(٤) كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٦٠، الميزان، ص١١٤، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص١٣ ـ ٦١، ٦٢، الفارق، ص٣١١، الأسفار المقدسة، وافي، ص٨٨، بين القرآن، ص٦٧، الرد الجميل، ص٥٣، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٥٢، ٥٣.

(٥) الفصل، ص٢/٣.

(٦) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ص١٤٦، وانظر المسيح، عبود، ص١١٧.

كان يحبه المسيح، وهو ما رجحه الدكتور «أبو الغيط الفرت»، حيث قال: إنما نميل إلى أن واضعه هو يوحنا الحواري بعدما تعمق في آخر حياته في الفلسفة الهللينية، وتشبعه بالنزعة الميتافيزيقية، مع ترجيح نسيانه بعض ذكرياته عن المسيح لطول العهد(١).

ومن محققي النصارى من أنكر أن يكون كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري بل كتبه يوحنا آخر لا يمت إلى الأول بصلة(٢).

إن هذا الإنكار لم يكن من ثمرات هذه الأجيال بل ابتدأ في القرن الثاني الميلادي، منهم «آرينيوس» تلميذ «بوليكارب» تلميذ يوحنا الحواري. ولقد قال «استادلين» في العصور المتأخرة: إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية ولقد كانت فرقة «ألوجين» في القرن الثاني تنكر نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري وجميع ما أُسند إليه من رسائل(٣).

وجاء في دائرة المعارف البريطانية: أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً(٤).

---

(١) مثل هذا القول لا ينبغي أن يقال مع اعتقاد أن يوحنا حواري، فالحواريون كما قلنا قد شهد الله لهم بالإيمان، وهم أشهدوه تعالى على إيمانهم الصادق، فلا يمكن أن يقوم أحدهم بتأليف كتاب في تأسيس الكفر وترويجه. وانظر عقيدتنا التثليث والصلب، ص٧٧، ودعوة الحق حيث نقل ترجيح «جورج أيليتون» في كتاب شهادة إنجيل يوحنا أن هذا الإنجيل ليوحنا الحواري، ص٣٣٩، ٣٤٠، وقصة الحضارة ٣/٢٠٩، ٢١٠، والأسفار، طعيمة ص٢٦٥.

(٢) راجع الأناجيل، طاهر، ص٣٧.

(٣) راجع الميزان، الطهطاوي، ص٩٩، ابن حزم ومنهجه، حماية، ص٢٧٩، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص٦٥ ـ ٦٧، ٦٧ ـ ٧٠، الإسلام والأديان، حلمي، ص٢٠٢، ٢٠٣، الملل ١/ ٢٢٠، الفصل ٢/٣٨، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، دراسة في الكتب المقدسة، موريس بوكاي، ص٩٠، الأسفار المقدسة، وافي ٨٩، دراسات في النصرانية، مزروعة ١١٢، ١١٣، المسيح، وصفي، ص٤١، ٤٢، المسيحية، شلبي، ص٢١٦، ٢١٧، تحفة الأريب، ص٩٩، إنجيل يوحنا في الميزان، ص١٣٧.

(٤) راجع دراسات من الكتاب المقدس ص٦٥ نقلاً عن دائرة المعارف.

وكذا ما جاء في دائرة المعارف الفرنسية المعروفة باسم لاروس القرن العشرين[1]. وقد ناقش الشيخ أبو زهرة الدكتور بوست في إثباته الإنجيل ليوحنا بما يرد قوله[2].

ونقل موريس بوكاي عن الترجمة المسكونية للكتاب المقدس أن غالبية النقاد لا تأخذ بالفرض القائل بتحرير قام به يوحنا الحواري... ولكن كل شيء يدفع للاعتقاد بأن النص المنشور حالياً ينتمي إلى أكثر من كاتب واحد[3].

ولهذا فإن الكنيسة كانت بطيئة في قبولها لهذا الإنجيل[4].

ويرى محمد تقي العثماني بعد مراجعة مستفيضة لآراء العلماء ونتائج بحوثهم في مضمون هذا الإنجيل والملابسات الدائرة حوله، يرى أن المحرر هو أحد تلاميذ بولس، وزاد إليها من جاء بعده جملاً وعبارات تكشف عن كون المؤلف شاهد عيان لسيدنا المسيح عليه السلام[5].

بل وحتى طريقة تأليفه تختلف عن طريقة التأليف في القرون الأولى وهو مما يؤكد عدم صحة النسبة ليوحنا الحواري.

والشواهد الكثيرة تدل على ذلك ومنها:

١ ـ عدم تلقي المسيحيين لهذا الإنجيل بالقبول، فقد استمر الموحدون في كونهم الغالبية العظمى حتى مجمع نيقية، ولو كان يوحنا هو كاتبه لأذعنوا لما جاء به.

٢ ـ مخالفته للأناجيل الثلاثة الأخرى، ولا يجوز أن نقول إنه لا يعلم بها فإن الدوائر المسيحية قديماً وحديثاً صرحت أن يوحنا هو الذي جمع الأناجيل الثلاثة في كتاب واحد. وأنه هو الذي ترجم إنجيل متى[6].

---

(١) راجع الأديان في القرآن، الشريف، ص١٩٠ نقلاً عن الدائرة.
(٢) راجع محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٥١، ٥٢.
(٣) راجع دراسة في الكتب المقدسة، ص٩٠.
(٤) دراسات في الأديان، الخلف، ص١٣٤.
(٥) ما هي النصرانية، ص١٥٣.
(٦) راجع كيف وصل إلينا الكتاب المقدس محاضرة ألقيت بكنيسة ماري جرجس بمصر الجديدة في ١٠/٨/١٩٨٤م ديسمبر هندي ص٢٠ لجنة النشر للثقافة القبطية الأرثوذكسية، ومحاضرات في النصرانية، ص٥٠.

٣ ـ ما رواه من أحوال التلاميذ وموافقتهم رواه بصيغة الغيبة[١]. مما يدل على أنه ليس منهم ولو كان منهم لقال بصيغة المتكلم نحن أو أنا.

٤ ـ انتظاره حتى طلب منه، وهذا بعيد بالنسبة لحواري مثله، إذ كان يكفيه أن يرى نقصاً في الأناجيل الثلاثة وهو جامعها في كتاب واحد، فيعمد إلى تكميلها، أما وأنه لم يفعل ذلك إلا بطلب فإن ذلك يدل على أنه ليس يوحنا الحواري الحريص على مستقبل دينه والذود عنه بكل ما يملك.

٥ ـ أسلوب هذا الإنجيل أسلوب فلسفي لا يصدر من صياد مثل يوحنا الحواري.

٦ ـ اختلاف الأسلوب اختلافاً بيّناً بين هذا الإنجيل وبين سفر الرؤيا المنسوب ليوحنا الحواري، مما يوجب القطع باختلاف كاتبيهما[٢].

٧ ـ حديثه عن يوحنا الحواري بلفظ الحكاية إذ يقول: هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا. ويعلم أن شهادته حق[٣]. وهذا هو نفس الأسلوب الذي أوضحنا أنه يستعمله في كلامه عن التلاميذ، بينما يتكلم عن نفسه بصيغة المتكلم[٤]، فدل على أن يوحنا الحواري غيره لا محالة إلا أنه قد يكون وصله بعض كتابات بسيطة تنسب ليوحنا الحواري، أو يكون من باب النسبة المدعاة زوراً لترويج كتابه، وهذا هو الراجح.

٨ ـ موافقة «أرينيوس» تلميذ «بوليكارب» تلميذ يوحنا على إنكار نسبة هذا الإنجيل ليوحنا الحواري كما ذكرنا، مع تمسكه بمنقولات كثيرة تقل أهمية بكثير عن الإنجيل، ولو كان هذا الإنجيل صحيح النسبة ليوحنا لكان أدعى أن يحافظ عليه، ويظهر الصواب فيه عند دواعي ذلك بدل أن يوافق على إنكاره، وكيف لا يفعل ذلك وهو المحافظ على منقولات أخرى نقلت عن يوحنا الحواري[٥].

٩ ـ إنكار الكثيرين من الفرق والأشخاص النصارى نسبة هذا الإنجيل إلى

---

(١) إنجيل يوحنا ٤/ ٢١، وغيرها.

(٢) عبقرية المسيح، ص١٩١.

(٣) إنجيل يوحنا ٢١/ ٢٤.

(٤) إبطال ألوهية عيسى، ص١٠٦.

(٥) راجع إظهار الحق، ص٩٩.

يوحنا، ومن هنا فلا صلة مطلقاً لما يسمى إنجيل يوحنا بيوحنا الحواري، وإنما كاتبه لا يعدو أن يكون شخصاً سمحت له بيئته أن يدرس الفلسفات المعاصرة، فجاء إنجيله تجسيداً حياً لما تذهب إليه الفلسفة الرواقية، وفلسفة فيلون وما ذهب إليه أفلوطين من القول بالكلمة وجعلها واسطة الخلق، هذا المذهب الذي تبناه فلاسفة مدرسة الإسكندرية، ولذلك يقول «استادلين»: «إن كاتب إنجيل يوحنا طالب من طلبة المدرسة الإسكندرية بلا ريب»[١].

والذي يدل دلالة واضحة على أن كاتب هذا الإنجيل تلميذ من تلاميذ مدرسة الإسكندرية أن القول بألوهية المسيح نمى وترعرع هناك حتى سيطر على التوحيد الحق ومحى أصوله وجذوره، وذلك يتضح من سبب انعقاد مجمع نيقية كما سيتضح لنا ذلك عند دراسة المجامع[٢].

ولكون كاتب هذا الإنجيل دارساً للفلسفة ـ كما سبق أن ذكرنا ـ جاء إنجيله رؤية فلسفية غير واضحة بل ومتضاربة لشخص المسيح رسمتها ثقافات وفلسفات شتى لا تمت إلى الإلهام أو القدسية بأي صلة، وبهذا لا يستقيم أن يستقى من هذا الإنجيل أمر عقدي.

وقد كان المدافعون عن ألوهية المسيح يلجؤون دائماً إلى إنجيل يوحنا، حيث قصد وبعد مرور أكثر من مائة سنة على رفع المسيح أن يجعل منه إلهاً متقرباً بذلك إلى العقائد اليونانية السائدة حتى يتقبله الإغريق[٣].

ولقد كانت عقيدة التثليث التي تضمنها إنجيل يوحنا هي ما قبلته الكنيسة فيما بعد رغم مخالفتها للكثير مما في الأناجيل المتشابهة، بل رغم مخالفتها لعقيدة التوحيد التي تضمنها كذلك نفس هذا الإنجيل إنجيل يوحنا[٤].

وجاء في دائرة المعارف الأميركية:

«إن هناك مشكلة هامة وصعبة تنجم عن التناقض الذي يظهر في نواح كثيرة بين الإنجيل الرابع. والثلاثة المتشابهة!! إن الاختلاف بينها عظيم، بحيث أنه لو

---

(١) راجع إظهار الحق، ص٩٩، ١٠٠.

(٢) انظر: ص٣١٥.

(٣) راجع الأناجيل، طاهر، ص٤٣.

(٤) راجع المسيح في مصادر العقائد، ص٩٩، وانظر يوحنا ٨/٣، ٢١، ٢٢٤، ٥/٣٠، ٦/١١.

قبلت الأناجيل الثلاثة المتشابهة باعتبارها صحيحة وموثوقاً بها، فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا!![1].

يقول «كادو» حول هذا الإنجيل: «تختلف الأحاديث الواردة في الإنجيل الرابع اختلافاً كثيراً عن تلك الواردة في الأناجيل الثلاثة كذلك تختلف تعليقات كاتب الإنجيل الرابع عن سابقتها، وبالتالي لا يمكن أن نصدق أياً منها وبنفس القدر لا يمكن الاعتماد عليها كتسجيلات لأقوال المسيح، والتحقيقات الأدبية في الأيام القديمة لم تسمح كما هي لا تسمح الآن بإسناد أحاديث خيالية لا أصل لها إلى شخصيات تاريخية، وقد اعتاد المؤرخون القدامى أن يؤلفوا مثل هذه الأحاديث ثم ينسبوها إلى من يريدون»[2].

يقول موريس بوكاي: «إن الإنجيل الذي نملكه اليوم قد نشر بواسطة تلاميذ المؤلف الذين أضافوا الإصحاح ٢١ كما أضافوا ولا شك بعض الحواشي.

أما فيما يختص بالمرأة الزانية فقد ألحق فيما بعد، وإن انتمى برغم ذلك إلى الكتاب المقدس المعترف به كنسياً»[3].

ويعتقد أ. «كولمان» أن الإضافات اللاحقة واضحة في هذا الإنجيل: مثل الإصحاح ٢١، ويعتقد أنه من عمل أحد التلاميذ، وقد أضاف أيضاً بعض اللمسات إلى متن الإنجيل.

ونقل في إظهار الحق أن إحدى عشر آية من أول الباب الثامن ردها جمهور العلماء وهذه الآيات لا توجد في الترجمة السريانية[4].

يقول «موريس بوكاي»: «إننا لا يجب أن ندهش عندما لا نجد في إنجيل

---

(١) دائرة المعارف الأمريكية ١٣/ ٧٣. وانظر الأسفار المقدسة طعيمة، ص٢٦٢، وانظر: أمثلة على ذلك دعوة الحق، ص٣٤٠، ٣٤١، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ١٤٦، وانظر اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ٨٦ الاختلاف في ذكر الأحداث بين الأناجيل الثلاثة وإنجيل يوحنا.

(٢) الأناجيل، طاهر، ص٣٧، ٣٨، الميزان، الطهطاوي، ص٩٩.

(٣) دراسة في الكتب المقدسة، موريس، ص٩١.

(٤) إظهار الحق ١/ ١٥٦.

يوحنا كل ما تحتوي عليه الروايات الأخرى. والترجمة المسكونية تذكر عدداً معيناً من حالات من هذا النوع ولكن أكثر ما يثير الدهشة هو بعض الثغرات مثل إغفاله أحداثاً هامة، وروايات غير واردة في الأناجيل الأخرى والترجمة المسكونية تشير إليها[1].

ثم يقول: فمن يجب أن يصدّق أنصدق متى أم مرقس أم لوقا أم يوحنا»[2].

وكما كان الشك في نسبة الإنجيل ليوحنا كذلك كان التردد يرجع الشك في نسبة سفر الرؤيا إليه[3].

يقول «جون مارش» في مقدمته لتفسير إنجيل يوحنا تحت عنوان «استحالة التوكيد»: «حين نأتي لمناقشة المشاكل الهامة والمعقدة التي تتعلق بالإنجيليِّ الرابع (يوحنا) وإنجيله، نجد أنه من المناسب والمفيد أن تعرف مقدماً بأنه لا توجد مشكلة حول التعريف بـ(الإنجيل وكاتبه) يمكن إيجاد حل مؤكد لها، ومن كان هذا الـ(يوحنا) الذي قيل إنه المؤلف؟ أين عاش؟ لمن من الجمهور كتب إنجيله؟!! أي المصادر كان يعتمد عليها؟ متى كتب مصنفه؟ حول كل هذه الأسئلة وكثير غيرها توجد أحكام متباينة.

ويختتم جون مارش مقدمته بقوله: «نجد أنه من الصعب، إن لم يكن من المستحيل تحقيق أي شيء أكثر من الاحتمال حول مشاكل إنجيل يوحنا».

ويرى المؤلف نفسه «أنه ليس من المستحيل الاعتقاد بأنه: خلال السنوات العشرة الأخيرة من القرن الأول الميلادي، قام شخص يدعى يوحنا، من الممكن أن يكون يوحنا مرقس ـ خلافاً لما هو شائع من أنه يوحنا بن زبدي الصيّاد أحد التلاميذ الاثني عشر الحواريين ـ وقد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع، ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو بأكثر من الأناجيل المتشابهة (متى، ومرقس، ولوقا)، فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع، اختص بها

---

(١) دراسة في الكتب المقدسة، ص٢٨٢.

(٢) دراسة في الكتب المقدسة، ص٩٣، وانظر أمثلة من الاختلافات بين إنجيل يوحنا والأناجيل الأخرى: الأناجيل، طاهر، ص٣٩ ـ ٤٥..

(٣) عقيدتا التثليث والصلب، ص٧٧.

طائفته الخاصة التي كانت تعتبر نفسها عالمية كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان[١].

وقد أشار ببياس Papias إلى أن يوحنا قدم إنجيله إلى الكنيسة خلال حياته وهذه الإشارة تدل على أنه كان يوجد نزاع حول ما إذا كان هذا الإنجيل قد نشر بعد موت يوحنا أو في حياته[٢].

ووصف لوقا يوحنا بن زبدي صيّاد السمك مع بطرس بأنهما: إنسانان عديما العلم وعاميان[٣].

والباحثون يرون في إنجيله انعكاساً لآراء الفلسفة التي كانت سائدة في العالم الهلليني في هذه الفترة، كما يعبر عنها الفيلسوف اليهودي فيلون ونظرية الكلمة، وهي آراء حاول بها فيلون التوفيق بين الفلسفة الأفلاطونية والعقيدة اليهودية[٤].

بل إن أسلوبه أسلوب فلسفي يحاول أن يجعل المسيح إلهاً مستخدماً في ذلك تطبيقات لنظرية الفيض المعروفة عند فيلون[٥].

وهو يعرض في إنجيله للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية بوصفه كلمة الله وخالق العالم ومنقذ البشرية، وهذه النزعة القريبة من نزعة القائلين بأن الخلاص لا يكون بالإيمان بل بالمعرفة وما فيه من تأكيد للآراء الميتافيزيقية هي التي جعلت الكثير من الباحثين في الدين النصراني يشكون في أن واضعه هو يوحنا الحواري[٦].

يقول اللاهوتي المعاصر «جرانت» في كتابه «الأناجيل وتطورها»: أخطر الأنواع الفلسفية الغنوصية هي التي أثرت بعمق في التعاليم المسيحية في المنطقة التي جاء فيها الإنجيل الرابع[٧].

---

(١) بين القرآن، ص٦٣، ٦٤، الرد الجميل، ص٤٨، ٤٩، وانظر حوار صريح، ص٩٩.

(٢) انظر: الإصحاح ٢١/ ٢٣، ٢٤، الأناجيل، طاهر، ص٣٨.

(٣) انظر: أعمال الرسل، ص٤/ ١٣.

(٤) دراسات في الأديان، الخلف، ص١٣٣، وانظر اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص٨٦.

(٥) المسيح، وصفي، ص٤٢.

(٦) راجع محمد في التوراة، إبراهيم خليل أحمد، ص١٤٦.

(٧) The Gospels their origin، ص٢٢ ـ ١٦٠، ١٦١.

ويقول «تشارلز بوتر»: إن الجزء الأول وبعض أجزاء أخرى من إنجيل يوحنا مثل في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله أن هذا القول غنوصية محض[1].

ويرى العلماء أن مثل هذه التعبيرات هي مما أثر حتى فيما استحدث من تعبيرات فلسفية في الكتب المسيحية الأولى[2].

وقد حوى الإنجيل عناصر إغريقية قويّة في حين لم يستخدم المسيح عليه السلام هذه العناصر أو الكلمات الإغريقية.

فنجده مثلاً يستعمل لفظة الكلمة Logos وقد استخدمه الإغريقيون في وصفهم خلق الكون وترتيبه ونظامه، واستخدمه كتاب النصارىٰ الأوائل في تفسير ديانتهم وتقريبها إلى الشعب اليوناني وخاصة بالنسبة للوحي الذي أنزل على المسيح، و«اللوغوس» كلمة يونانية معناها نور البرق أو هي روح الإنسان لمجرد ولادته، ومع ذلك نص الإنجيل على أن الكلمة قد أصبحت إنساناً، وخلفية لفظ الكلمة نجدها في اليهودية الإغريقية[3].

وفي الواقع إن لهذا الإنجيل شأناً وخطراً أكثر من غيره، لأنه الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح، فهذه الألوهية يعتبر هو مصدر إثباتها، فهو الإنجيل المحبذ لدىٰ المثلثين[4].

وقد خالف هذا الإنجيل الأناجيل الثلاثة فيما يتعلق بهذه الناحية وغيرها، ويتضح ذلك من سبب تأليف هذا الإنجيل كما ذكرنا.

ومن بحثنا السابق نقول: إن الأناجيل عامة وإنجيل يوحنا خاصة ليس لها قيمة علمية كمصدر موثوق به في إثبات عقائد النصارى.

---

(١) الرد الجميل، ص٥٥، المسيح في مصادر العقائد، ص٩٩.

(٢) الرد الجميل، ص٥٤.

(٣) انظر: كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٦٠ ـ ١٦٥، الميزان، الطهطاوي، ص١١٣، ١١٤، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص١٣ ـ ٦١، ٦٢، ٦٣.
الأناجيل، طاهر، ص٤٠، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص٨٧.

(٤) الأناجيل، طاهر، ص٣٦، الرد الجميل، ص٦٤، بين القرآن، ص٥٢، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٩.

## بقية رسائل العهد الجديد:

إضافة إلى الأناجيل الأربعة التي اعتمدتها الكنيسة هناك ثلاثة وعشرون سفراً كما أسلفنا، ولا يكاد يشذ واحد من مؤرخي الكنيسة من الاتفاق على أن اللغة التي كتبت بها هذه الرسائل هي اليونانية[1].

وأول هذه الأسفار سفر الأعمال، وينسب تأليفه إلى لوقا صاحب أحد الأناجيل الأربعة[2].

وأسلوبه فيه يشبه أسلوب بولس في رسائله، مما جعل بعض الثقات ينسبون ما ينسب للوقا إلى بولس، فقد رأوا أن بولس هو مؤلف إنجيل لوقا وسفر الأعمال.

ولغة هذا السفر اليونانية واختلف في سنة تأليفه.[3]

قال «هوارد مارشال» عن أعمال الرسل: «إننا لا نملك أسساً حقيقية للثقة بموثوقية المعلومات التي تضمنها حتى ولو كان الكاتب محترساً وحسن القصد»[4].

ثم رسائل بولس وترجع أهميتها إلى أنها أقدم الأسفار النصرانية التي قبلتها الكنائس الأولى. وقد كتبها بين سنة ٥٥م وسنة ٦٣م بيد أن الإنجيليين لم يبدأوا كتابة أناجيلهم إلا في سنة ٦٣م كما ذكرنا.

ويقال إن أقدم رسائله تاريخياً كتبت سنة ٤٥م ويبدأ تاريخ كتابة هذه الرسائل من سنة ٥٤ إلى سنة ٦٥م[5].

وكما طعن في سند الأناجيل الأربعة طعنت هذه الرسائل جميعها من قبل معظم النصارى، ويؤيد الطعن أن مئات السنين مضت حتى تم انتخابها والحكم

---

(١) كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٨٨.

(٢) الأناجيل، طاهر، ص٤٤، الديانات والعقائد، ص٤٤٣، الأسفار المقدسة، وافي، ص١١٣.

(٣) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص٨٨، الأناجيل، طاهر، ص٤٤، الديانات والعقائد، ص٤٤٤.

(٤) أعمال الرسل، ص٣٣، ٣٤، وانظر الدراسة التي قام بها عبد الوهاب طويلة عن هذا السفر: الكتب السماوية، ص٥١٠، ٥١١.

(٥) انظر: ص١٦٠، للاستزادة.

لها بالقداسة والقبول، ولم يكن الاعتراف بها جملة بل جاء على فترات وفي محافل مختلفة[1].

و«أوريجن» من أكبر فلاسفة النصرانية في العصر القديم وتلميذ القديس «كليمان» الإسكندري ومن أعظم من تستشهد به الكنيسة على صحة الأناجيل ينكر كل ما ينسب إلى بولس من هذه الرسائل، وولد أوريجن سنة ١٨٥م وتوفي سنة ٢٥٤م وكلامه ثقة بحسب قرار الكنيسة واعتمادها التام على شهادته للأناجيل.

يقول «أوريجن» في المجلد الخامس من شرح إنجيل يوحنا: «إن بولس لم يكتب شيئاً إلى جميع الكنائس، وما كتبه إلى بعضها لا يعدو سطرين أو أربعة سطور»[2].

أما السبع رسائل التي تسمى الرسائل الكاثوليكية، فتاريخ كتابتها مختلف فيه، ولكنها كتبت خلال النصف الثاني من القرن الأول، وتاريخ أقدمها حوالي سنة ٥٠ وأحدثها ما بعد سنة ٩٠م.

وهذه الرسائل السبعة هي: رسالة الحواري يعقوب الصغير، واثنتان لبطرس كبير الحواريين، وثلاث ليوحنا الحواري الإنجيليّ، والسابعة ليهوذا الحواري أخو يعقوب الصغير.

وهذه الرسائل مع رسائل بولس الأربع عشرة يطلق عليها اسم «الأسفار التعليمية» لأنها تتضمن طائفة من التعاليم وبعض المعتقدات النصرانية، وتحوي بعض الطقوس والعبادات والآداب.

وكان الشك والإنكار يحومان حول هذا الرسائل، بل كانت مردودة مرذولة، ولم يصدر قرار الرضا عنها إلا سنة ٣٦٤م وبعد ذلك أصبحت موضع التسليم.

ولكن لم تتفق الكنائس كلها على الرضا بها والتسليم لها، فجميع الكنائس الشرقية ترد الرسالة الثانية لبطرس، ورسالتين ليوحنا هما الثانية والثالثة ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا، وكذلك الكنيسة السريانية تردها من البدء حتى اليوم[3].

---

(١) الديانات والعقائد، ص٤٤٣، ٤٤٨.

(٢) الديانات والعقائد، ص٤٥٠، إظهار الحق، ص١٦٢، ١٦٤.

(٣) الديانات والعقائد، ص٤٥٢، الأسفار المقدسة، وافي، ص١١٧، ١١٨.

وجمهور المحققين يردون بعض فقرات هذه الرسائل ويغلطونها إلى الآن[1]. فرسالة يعقوب قد أنكرها النصارىٰ، ولم تدخل في حيز القبول إلا سنة ٣٦٤م لأن مجمع نيقية المسكوني المنعقد سنة ٣٢٥م استبعدها ورذلها، حتى إذا اجتمع مجلس لوديسيا ٣٦٤م رفع الحظر عنها وجعلها واجبة التسليم[2].

أما رسالتا بطرس كبير الحواريين فكان شأن الثانية منهما شأن رسالة يعقوب، ولم ترض عنها الكنيسة إلا سنة ٣٦٤م، وقد وصفت من قبل المحققين بأنها كاذبة، فقد ذكر «هورن» في تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢م: «ليس في الترجمة السريانية (لأسفار العهد الجديد) الرسالة الثانية لبطرس، ورسالة يهوذا، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ورؤيا يوحنا، ومن الفقرة الثانية إلى الفقرة الحادية عشرة من الإصحاح الثامن من إنجيل يوحنا، والفقرة السابعة من الإصحاح الخامس من الرسالة الأولى ليوحنا»[3].

وقال وارد الكاثوليكي في كتابه المطبوع سنة ١٨٤١م: «ذكر «روجرس» ـ وهو من أعلم علماء البروتستانت ـ أسماء كثير من علماء فرقته الذين عزلوا من الكتب المقدسة الكتب المفصلة التي هي الرسالة العبرانية، ورسالة يعقوب، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا باعتبارها كاذبة. وقال الدكتور «بلسن» العالم البروتستاني: إن جميع الكتب لم تكن واجبة التسليم إلى عهد يوسيبيوس، وأصر على أن رسالة يعقوب، ورسالة يهوذا، والرسالة الثانية لبطرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، لم تكن من تواليف الحواريين، وكانت الرسالة العبرانية لبولس مردودة إلى مدة، وإن الكنائس السريانية وكذلك الكنائس الغربية نفت وجوب التسليم في الرسالة الثانية لبطرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يهوذا، وسفر الرؤيا.

وما قيل في رسالة يعقوب ورسالة بطرس الثانية يقال في رسالة يوحنا الثانية والثالثة، ورسالة يهوذا.

وأما رسالة يوحنا الأولى فقد سبق الشاهد في تفسير «هورن» الذي قرر أن الفقرة السابعة من الإصحاح الخامس من هذه الرسالة ساقطة من الترجمة

---

(١) الديانات والعقائد، ص٤٥٣.

(٢) أضواء على المسيحية، ص٨٨، ٨٩.

(٣) الديانات والعقائد، ص٤٥٦.

السريانية، وها هي ذي الفقرة الساقطة: «إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد». وأقحموا هذه الفقرة ليثبتوا به التثليث الذي لم يقله المسيح.

وآخر الأسفار المقدسة لدىٰ النصارى: «سفر رؤيا يوحنا» أو «سفر النبوة» أو «الأبوكاليبس» وهي كلمة يونانية بمعنى الرؤيا أو الوحي، وينسب تأليفه إلى يوحنا بن زبدي صاحب الإنجيل الرابع.

ولا يعرف بالدقة تاريخ كتابته، ولكنه كتبه بعد إنجيله الذي تحدثنا عنه سابقاً، وإذا كان يوحنا ألف إنجيله سنة ٩٥ أو ٩٦م فإن تأليفه هذا السفر يكون في هذا التاريخ، ويتكون من اثنين وعشرين إصحاحاً مجموع فقراته ٤٠١، وألفه باللغة اليونانية[١].

ويقرر المحقق «ألبرت شنيدر» أن كل رسائل يوحنا ليست إلهامية[٢]، كما سبق قبل قليل ذكر من أنكر نسبة هذا السفر ليوحنا.

ونخلص مما كتبناه في الأربعة الأناجيل وسائر أسفار العهد الجديد إلى أنها جميعاً غير موثوق بها[٣]، فأكثرها مختلق، وما دامت تحوي عقائد وثنية فهي مردودة، ولا يمكن قبولها، لأنها نقيض التوحيد الذي جاء به عيسى عليه السلام، والأنبياء والمرسلون من قبله.

ومن الثابت أنه كان لدى النصارى في العصور الغابرة **أناجيل أخرى**، قد أخذت بها فرق قديمة، وراجت عندها، ولم تعتنق كل فرقة إلا إنجيلها، فعند كل من أصحاب «مرقيون»، وأصحاب «ديصان» إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل، ولأصحاب «ماني» إنجيل يخالف هذه الأربعة، وهو الصحيح في زعمهم، وهناك إنجيل يقال له إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس، والنصارى ينكرونه، وهناك إنجيل اشتهر باسم التذكرة، وإنجيل سرن تهس.

ولقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة[٤] وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية،

---

(١) الديانات والعقائد، ص٤٥٧، ٤٥٨.

(٢) راجع الديانات والعقائد، ص٤٦٣، ٤٦٤.

(٣) Orthodoxy and heresy in earliest christianits ص١٥٥.

(٤) يذكر صاحب المنار رأياً لبعض مؤرخي الكنيسة بأن عدد الأناجيل الكاذبة خمسة =

ثم أرادت الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي، أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأناجيل الصادقة ـ في اعتقادها ـ فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة إبان ذلك.

ولقد وصلت الكتب المنسوبة إلى المسيح عليه السلام إلى أكثر من سبعين كتاباً أو إنجيلاً وعدها البعض إلى مائة كتاب، وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت إلى جانب الفرق التي تدين بالتوحيد الفرق المثنية والمثلثة[١].

يقول «آدم كلارك» أحد شارحي الأناجيل: محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون المسيحية وكثرة هذه الأحوال الغير صحيحة هيّجت لوقا على تحرير الإنجيل ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية وكان «فابري سيوس» جمع الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاث مجلدات.

ويذكر قدماء النصارى في فهارس كتبهم المقدسة أنه نسبت إلى المسيح عليه السلام أو التلاميذ (٧٤) إنجيلاً، (٧) منسوبة إلى عيسى عليه السلام، (٨) منسوبة إلى مريم، (١١) لبطرس الحواري، (٩) ليوحنا، (٢) لأندريا الحواري، (٢) لفيليب الحواري، (١) لبرتلماوس الحواري، (٥) لتوما الحواري، (٣) ليعقوب، (٣) لمتياس، (٣) لمرقس، (٢) لبرنابا، (١) لتهيودوشن، (١٥) لبولس[٢]، وقد

---

= وثلاثون. كما ذكر رأياً آخر لصاحب كتاب ذخيرة الألباب الماروني ينكر القول بكثرة الأناجيل ويزعم أن سبب القول بكثرتها تسمية الإنجيل الواحد بعدة أسماء ويؤكد أن الخمسة والثلاثين إنجيلاً لا تكاد تبلغ العشرين.. وأحصاها كلها ذاكراً بينها إنجيل القديس برنابا.

قال الغزالي: «ولنفرض جدلاً أنها عشرون إنجيلاً فقط فأين ما فوق الأربعة المعتمدة؟ ولو فرضنا جدلاً أن بها جبراً فليست هي يقيناً إنجيل عيسى والذي ورد تسميته تارة بأنه إنجيل الله وتارة إنجيل المسيح. وانظر العلمانية، ص٥٠، صيحة تحذير، ص١٠٨.

(١) انظر: هذه الفرق وآراءها الفصل الخاص بذلك ص٢٩٥، وانظرها في: الميزان، الطهطاوي، ص١٠٤، ١٠٥، الفارق، ص١١١، الأناجيل، طاهر، ص٥٠، دراسات في الكتاب المقدس، ص٧٣.

(٢) راجع دراسة في الكتب المقدسة، موريس بوكاي، ص٧٢، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٤٥، أضواء على المسيحية، ص٦٣، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص٧٩، ٨٠، الأسفار المقدسة، وافي، ص١٠٦، ١١٣، المسيح في مصادر العقائد، ص٣٦ ـ ٣٨.

وجدت هذه الأناجيل في زمن مبكر للمسيحية[١].

وقد حصر أحمد عبد الغفور عطار الأناجيل غير المعتبرة في (٥١) إنجيلاً[٢]، ثم قال: وهذه الأناجيل وغيرها مما رذلته الكنيسة وحاربته حتى قضى عليه من التداول من قبل المسيحيين، ولكن من هذه الأناجيل ما بقي بنصوصه الصحيحة تامة كاملة، مثل إنجيل يعقوب، وإنجيل الطفولة، وإنجيل نيقوديموس، وإنجيل برنابا، ويلحق هذه الأناجيل رسائل أخرى مردودة تصل إلى (٥٤) رسالة[٣].

ثم قال: وهذه الرسائل رذلتها الكنيسة وردتها مدعية أنها مزيفة ولا صحة لها كما ردت الأناجيل الكثيرة. وإن رد كل هذه الأسفار واختيار أربعة أناجيل وبضعة وعشرين سفراً موضع نظر، لأن الأناجيل المختارة لم يكن اختيارها قائماً على أساس البحث والدراسة والنقد، ولم يكن بوحي من السماء، أو أمر من المسيح، بل اختيرت بالاقتراع أي بكثرة الأصوات من قبل آباء الكنيسة، ويجوز أن لو نجح غيرها وسقطت الأربعة المختارة أن ترد كما ردت التي لم تنجح، وهذه العملية نفسها تدل على إبعاد العقل والدين في الاختيار.

وعلى أي حال فعملية الاقتراع برهان على أن الاختيار لم يكن مبنياً على أساس صحيح، لأنه فرض في جميعها عندما دخلت حلبة الاقتراع الصلاح حتى فازت الأربعة بالاقتراع[٤].

وهكذا تحققت وجود أناجيل أخرى غير الأربعة المعتمدة وكانت هذه الأناجيل تعبر عن عقائد الفرق التابعة لها ولعل إحداها كان إنجيل المسيح الصحيح.

وتقرر الدراسات أن الكنيسة اعتمدت نسخاً معينة من الأناجيل وأعدمت كافة النسخ المخالفة، وظهرت حتى الآن مسائل في برديات البحر الميت بل ونسخة من الوصايا العشر ترجع إلى القرن الثاني ب.م مخالفة للوصايا الحالية

---

(١) الديانات والعقائد، ص٤٧٠، ٤٧٧.

(٢) الديانات والعقائد، ص٤٧٠ ـ ٤٧٧ ـ ٤٩٥ ـ ٤٩٨.

(٣) الديانات، والعقائد، ص٤٩٩.

(٤) الديانات، والعقائد، ص٤٩٩، ٥٠٠.

وذلك في بقايا أوراق القرن الخامس عشر التي عثر عليها قرب القاهرة[١].

## ٢ ـ تأخر كتابة الأناجيل، وأسباب ذلك:

لقد تأخرت كتابة الإنجيل أو الأناجيل، بدليل أن الكتاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادي لا ينقلون شيئاً عن العهد الجديد بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم ولا توجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠م إلا في كتابات ببياس[٢].

وقد جد العلماء في البحث عن الأسباب التي أدت إلى تأخير كتابة هذه الأناجيل وذكروا أسباباً من بينها:

أن الغالبية العظمى من النصارى الأوائل لم يكونوا متعلمين، والأولوية التي كانت تحظى بالقبول هي الأخبار الشفوية[٣]، وهو ما ثبت عندهم بالنسبة لأقوال المسيح ومعجزاته والقصص عن موته عندهم وقيامته فقد كانت كلها أقوالاً شفهية متناقلة[٤].

بالإضافة إلى الاضطراب والاضطهاد الذي اتسمت به الكنيسة في عهدها الأول، فوقوع المصائب والفتن عليهم لمدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة أدى إلى فقدان السّند، وقد اشتد اليهود في عداوتهم ومطاردتهم فلم تكن لهم هيئة اجتماعية ذات قوة وعلم تدون ما حفظوه من إنجيل المسيح وتحفظه، بل إنهم أرغموا على تدوين ما كتبوه في سرية تامة حتى لا يفضح أمرهم.

وقد كانت هذه الاضطهادات سبباً في فقدان الكثير من كتب ومراجع النصرانية خصوصاً إنجيل المسيح، كما قضى على أتباع النصرانية الحقيقيين مما جعل عملية التدوين لا تخلو من المخاطرة بالإضافة إلى تشتت المعلومات وتباعد الحقائق.

مع ملاحظة أمر آخر أن الكتب كانت تكتب على أوراق البردي القابل

---

(١) دراسات في الكتاب المقدس، حماية ص٧٣.

(٢) قصة الحضارة، ١١/٢٠٧.

(٣) راجع الفكر الإسلامي، ص٦٣.

(٤) راجع دعوة الحق، ص٣٣٣، المسيح في الأناجيل أو الكنيسة والنقد الكتابي الحديث، ص٥٥.

للانكسار، فاندثرت كتب تلك المدة سواء كانت نصرانية أو علمية ولم يبق منها إلا بقايا صغيرة، ولم يدخل استعمال جلود الرق إلا في أوائل القرن الرابع، وفي فترة الاضطهاد كانوا يتحاشون الاحتفاظ بالكتب درءاً للخطر[1].

## ٣ ـ تاريخ قانونية أناجيل العهد الجديد عند النصارى:

إن قانونية الأسفار المقدسة لدى النصارى (العهد الجديد) لم تتم في مجمع، وليس لدى النصارى تاريخ محدد بالضبط يعزى إليه قانونيتها، وعلى العموم كان هناك شبه اتفاق على قانونيتها نما بقوة خلال القرن الرابع الميلادي وما بعده.

وقد استقر رأيهم في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفراً من أسفارهم، وأنها هي وحدها الأسفار المقدسة، أي الموحى بها، ويقصدون أنه موحى لأصحابها من الرب بمعانيها لا بألفاظها، وأطلقوا عليها اسم «العهد الجديد»[2] Nouveau Testament للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها اسم «العهد القديم» Ancien Testament.

فتسمية هاتين المجموعتين من الأسفار بهذين الاسمين هي تسمية متأخرة لاحقة لظهور النصرانية. ويقصد بكلمة «العهد» في هاتين التسميتين ما يرادف معنى الميثاق، أي أن كلتي المجموعتين تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس،

(١) المسيح، عبود، ص١١٩، ٩٩، ١٠٠، حوار صريح، ص٩٨ ـ ١٠١ نصرانية عيسى، ص١٣٢ الميزان الطهطاوي، ص٧٣، دراسة تحليلية، ص٥٥، إظهار الحق ١/ ٨٣، الفارق، ص١٦.

(٢) فما هي هذه الكلمة (العهد الجديد) التي تقابلها كلمة (العهد القديم)؟ هذان مصطلحان نصرانيان صرف لا يستخدمها اليهودي إطلاقاً، فاليهودي لا يميز بين عهد قديم وعهد جديد بل إن اليهودي يعتقد أن عهده القديم لا زال قائماً فالقول بأن هناك عهداً جديداً وعهداً قديماً هو قول النصارى، الذين يعتقدون أن الله ألغى عهده القديم مع بني إسرائيل بمبعث المسيح، وأن من آمن بالمسيح المصلوب عندهم فقد أخذ العهد الجديد وحصل بذلك على غفران ربه فـ (كتب العهد الجديد) هي تلك المكتوبات التي يجمعها النصارى ويدونونها في كتابهم المقدس بعد أسفار العهد القديم، وأسفار العهد القديم هي تلك الأسفار التي أخذوها عن اليهود، ثم يسمون هذه الكتب بـ (العهد القديم) ويريدون بذلك أن مفعوليتها انتهت يعني أنها آثار تاريخية مفيدة قديمة ولكن العهد والوعد الذي فيها قد تمّ وانتقل من بني إسرائيل إلى الكنيسة.

فأولهما تمثل ميثاقاً قديماً يرجع إلى عصر موسى، والآخر يمثل ميثاقاً جديداً بدأ بظهور عيسى[1].

وفي هذا يقول الدكتور القس «فهيم عزيز» الأستاذ بكلية اللاهوت الإنجيلية: «لكن قانونية[2] أسفار العهد الجديد لم تتم في وقت واحد ولم يكفها جيل أو جيلان بل استمرت مدة طويلة، ولم تقف الكنائس المختلفة موقفاً موحداً من الأسفار المختلفة، بل اختلفت آراؤها من جهة بعض الأسفار واستمرت في ذلك حقبة طويلة، فلهذا يلزم تتبع هذا التاريخ الطويل لقانونية أسفار العهد الجديد.

ومن المعلوم جيداً أنه لم تكن في تلك الفترة كتب مقدسة تسمى العهد الجديد[3]، ولكن الكنيسة لم تمكث بدون مصادر إلهية تستند عليها في كل شيء من وعظ وتعاليم وسلوك ومعاملات، وقد كان لها في هذا المجال ثلاثة مصادر»[4].

ثم ذكر أن هذه المصادر الثلاثة هي: العهد القديم، المسيح، الرسل، ثم قال:

«ثانياً: ١٠٠ ـ ١٧٠م ظهور الكتب القانونية في العهد الجديد:

كانت أول مجموعة عرفتها الكنيسة من العهد الجديد هي مجموعة رسائل بولس. فهي أول ما جمع من كل كتب العهد الجديد، ولقد كتب بولس رسائله إلى كنائس وأفراد لظروف خاصة ومواقف محددة... ثم يقول:

أما المجموعة الثانية: فهي مجموعة الأناجيل الأربعة، وقد ظهرت هذه المجموعة متأخرة بعض الوقت عن مجموعة كتابات بولس.

ومع أن تاريخ اعتبارها كتباً قانونية مقدسة متساوية في ذلك مع كتب العهد

---

(١) الأسفار المقدسة، وافي ٨٥، معاول الهدم والتدمير، ص٤٣.

(٢) ذكر الدكتور القس فهيم عزيز أن المراد بكلمة القانون هي الكتاب الذي اعترفت به الكنيسة، فقانونية العهد الجديد أي اعتراف الكنيسة بالعهد بالجديد.

(٣) مراده أنه إلى نهاية عام ١٠٠م ليس هناك ما يعرف بالعهد الجديد، أي أن الأناجيل والكتب الأخرى غير معروفة في ذلك الزمن، ويعني ذلك أنه لم تكتب وتدون إلا بعد ذلك.

(٤) دراسات في الأديان، الخلف، ص١١٧.

القديم لا يزال مجهولاً، لكن الاقتباسات العديدة التي وجدت في كتابات آباء الكنيسة الرسوليين وشهاداتهم تلقي بعض الضوء على هذه الحقيقة الجوهرية في العصر المسيحي».

ويلاحظ الدارس الأمور الآتية:

أن بولس لم يشر في كتاباته إلى أي من الأناجيل المكتوبة، ولا إلى أي كتاب عن حياة المسيح أو أقواله، ثم يذكر المصنف سبع نقاط أخرى يذكر في بعضها اقتباسات لمتقدمين من النصارى تتوافق في بعضها مع ما ورد في بعض الأناجيل بدون النص على ذكر الأناجيل[1].

وأهم ما ذكره من الملاحظات هي قوله في الملاحظة السابعة والثامنة ما يلي:

٧ ـ أما جاستين الشهيد الذي كان سامرياً يونانياً وتحول إلى المسيحية ودرس في روما واستشهد حوالي ١٦٥م فيؤخذ من كتاباته أنه عرف الأناجيل الأربعة مرتبطة معاً، مع أنه لم يكشف النقاب عمن جمعها ولا في أي مكان جمعت، وهو يصفها عندما يذكرها في دفاعه ضد الوثنيين بأنها الذكريات، ولكنه عندما كان يكتب للمسيحيين كان يقول عن الرسل[2]:

«هم أولئك الذين كتبوا ذكرياتهم عن كل الأشياء التي تختص بيسوع المسيح المخلص. ثم يقول مرة أخرى الذكريات التي عملها الرسل التي تسمى الأناجيل»[3].

---

(١) المراد بالاقتباسات هي ذكر بعض الجمل مما يتفق مع ما يوجد في الأناجيل، إلا أن هذا ليس فيه دلالة على وجود تلك الأناجيل في تلك الفترة واطلاع هؤلاء الذين اقتبسوا تلك الجمل عليها إلا باحتمال ضعيف، والاحتمال الأقوى هو أن الجميع كانوا يأخذون من مصدر واحد كان متوفراً ومثبوتاً في كتب عديدة أو أن الروايات الشفوية كانت منتشرة يحفظ هذا منها قليلاً، وذاك منها قليلاً، وهذا أمر آخر غير ما يدعى في الأناجيل. دراسات في الأديان، الخلف ١١٨.

(٢) يلاحظ هنا أن النصارى يستخدمون كلمة الرسل يعبرون بها عن دعاة النصارى الأوائل باعتبار أنهم رسل ربهم المسيح أو رسل الروح القدس، فليلاحظ هذا ولا يختلط الأمر بالرسل من قبل الله ﷻ.

(٣) هذا الشاهد في الواقع لا قيمة له لأن جاستين لم ينص على اسم شيء من تلك الكتب منسوبة لأصحابها وهي الأناجيل، كما أن تلك الفترة التي يتحدث عنها كان يوجد لدى النصارى عشرات الأناجيل التي تنسب إلى الحواريين وهم رفضوها فيما بعد ما عدا هذه الأناجيل الأربعة، فإذاً احتمال أنه يشير إلى غير هذه الأربعة المعروفة وارد وهو وارد قوي.

٨ ـ أما الشاهد الأخير فهو «الدياطسرن» الذي كتبه تاتيان في الفترة من (١٦٦ ـ ١٧٠م)، وأراد أن يجمع فيه الأناجيل الأربعة معاً، في إنجيل واحد، وقد أضاف تاتيان هذا بضعة كلمات للمسيح لم توجد في هذه الأناجيل، ولكنها أخذت من كتب (أبوكريفيه)[١] أخرى، وهو بذلك يشهد أن الأربعة الأناجيل وجدت معاً، ولكن إضافاته مجرد اقتباسات لا تدل على أنه كان يعتبر أن هناك كتباً أخرى تضارعها في سلطانها وقداستها[٢]»[٣].

وبعد هذا النقل المطول عن أحد القسس المتعمقين والمتخصصين في دراسات العهد الجديد، ننقل كلام مجموعة من المتخصصين النصارى عن أناجيلهم وذلك في المدخل إلى العهد الجديد، حيث قالوا في التعريف بقانونية العهد الجديد ما يلي:

«إن كلمة قانون اليونانية مثل كلمة قاعدة في العربية قابلة لمعنى مجازي يراد به قاعدة للسلوك أو قاعدة للإيمان، وقد استعملت هنا للدلالة على جدول رسمي للأسفار التي تعدها الكنيسة ملزمة للحياة والإيمان».

ولم تندرج هذه الكلمة بهذا المعنى[٤] في الأدب المسيحي إلا منذ القرن الرابع، وكانت السلطة العليا في أمور الدين تتمثل عند مسيحيي الجيل الأول في مرجعين:

**أولهما**: العهد القديم، وكان الكتبة المسيحيون الأولون يستشهدون بجميع أجزائه على وجه التقريب استشهادهم بوحي الله. وأما المرجع الآخر الذي نما نمواً سريعاً، فقد أجمعوا على تسميته: الرب[٥].

---

(١) أبوكريفيه: أي غير قانونية ولا معترف بها. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٨.

(٢) هنا تناقض القسيس في كلامه فهو قبل زعم أنه لا يعرف تاريخ اعتبار هذه الكتب قانونية، وهو هنا يزعم أن تاتيان يرى قداسة هذه الأناجيل الأربعة وأن غيرها لا يضارعها في ذلك. وهنا تناقض واضح.

(٣) المدخل إلى العهد الجديد، فهيم عزيز، ص١٤٦ ـ ١٥٢.

(٤) أي أن الأناجيل الأربعة لم يكن معترفاً بها إلا في القرن الرابع الميلادي.

(٥) مرادهم بالرب هنا هو المسيح عليه السلام.

ولكن العهد القديم كان يتألف وحده من نصوص مكتوبة، وأما أقوال الرسل وما كانوا يبشرون به، فقد تناقلتها ألسنة الحفاظ[١] مدة طويلة، ولم يشعر المسيحيون الأولون إلا بعد وفاة آخر الرسل بضرورة كل من: تدوين أهم ما عمله الرسل، وتولي حفظ ما كتبوه.

ويبدو أن النصارى حتى ما يقرب من سنة ١٥٠م تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر إلا قليلاً جداً إلى الشروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة، وأغلب الظن أنهم جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس واستعملوها في حياتهم الكنسية ولم تكن غايتهم قط أن يؤلفوا ملحقاً بالكتاب المقدس، بل كانوا يَدَعون الأحداث توجههم، فقد كانت الوثائق البولسية مكتوبة، في حين أن التقليد الإنجيلي كان لا يزال في معظمه متناقلاً على ألسنة الحفاظ.

ولا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدة ظهوراً واضحاً كما يظهر شأن رسائل بولس[٢]. أجل لم تخل مؤلفات الكَتَبة المسيحيين الأقدمين من شواهد مأخوذة من الأناجيل أو تلمح إليها، ولكنه يكاد أن يكون من العسير في كل مرة الجزم: هل الشواهد مأخوذة من نصوص مكتوبة كانت بين أيدي هؤلاء الكَتَبَة، أم اكتفوا باستذكار أجزاء من التقليد الشفهي؟

ومهما يكن من أمر، فليس هناك قبل سنة ١٤٠م أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة، ولا يذكر أن لمؤلف من تلك المؤلفات صفة ما يلزم، فلم يظهر إلا في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحاً على مر الزمن بأن هناك مجموعة من الأناجيل وأن بها صفة ما يلزم، وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحو تدريجي. فيمكن القول إن الأناجيل الأربعة حظيت نحو سنة ١٧٠م بمقام الأدب القانوني وإن لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين.

يقول «عبد الأحد داود»: كما أنه لا يدعي أحد أن بعض هذه الكتب الأربعة المذكورة هو الإنجيل الشريف فإنهم لا يبينون من هم مؤلفوها، وأن

---

(١) قولهم الحفاظ هنا كلمة فيها تجوّز شديد يتبين هذا من خلال النظر فيما دوّن وأنه مليء بالأخطاء والاختلافات.

(٢) دراسات في الأديان، الخلف، ص١٢١، واختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص٧٩، ٨٠.

النسخ الموجودة باللسان اليوناني تحمل اسم «إنجيل» بصورة العنوان فقط. أما نسختها المكتوبة باللسان السرياني ـ وهي المعتبرة جداً لدى كل عالم النصرانية ـ المسماة «بشيطتا» (البسيطة) فقد وضع فيها اسم (كاروزوتا) أي (موعظة) محل كلمة إنجيل[1].

وبطبيعة الحال كان لكتاب الأناجيل المصادر التي اعتمدوا عليها في كتاباتهم ولكن هذه المصادر كان القليل منها ذا صلة مباشرة بإنجيل المسيح الحقيقي الذي ضاع كما أسلفنا في زحمة جهل النصارى أو عدم علمهم أو أميتهم وقلة ثقافتهم وفقرهم وما أحاط بهم من اضطرابات[2]. ويعترف القس إلياس مقار بذلك فيذكر أن «المسيحية تأسست على يد جماعة من الصيادين الفقراء المعوزين الذين لا حظ لهم من مال أو جاه أو علم أو قوة»[3].

كما كان لهم مصادر أخرى اختلف فيها الباحثون بين مكثر ومقل[4] فقد رجح البعض اعتماد الأناجيل على ثلاث وثائق رمزوا لها بالحروف «ص»، «م»، «ل» ولجهل الباحثين بها لا يستطيعون تحديد قيمتها[5]. ولكن أدق بحث هو ما وصل إليه الأب «بومار» وتوصل فيه إلى وجود أربع وثائق اعتمدت الأناجيل عليها:

الوثيقة (أ): ونبعت من أوساط يهودية مسيحية وألهمت كاتب إنجيل متى ومرقس.

الوثيقة (ب): وهي إعادة تفسير للوثيقة (أ) استخدمتها الكنائس الوثنية المسيحية وقد ألهمت كل كتاب الأناجيل ما عدا كاتب إنجيل متى.

الوثيقة (ج): وألهمت كاتب إنجيل مرقس ولوقا ويوحنا.

الوثيقة (د): وتكون معظم المصادر الشائعة بين كاتب إنجيل متى ولوقا.

ولم تؤد أية وثيقة من هذه الوثائق إلى تحرير النصوص النهائية، إذ يوجد

---

(١) راجع الإنجيل والصلب ص١٣.
(٢) إبطال ألوهية عيسى، ص٩٦.
(٣) إيماني، ص١٣٩.
(٤) راجع عبقرية المسيح، ص١٩٠.
(٥) راجع المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص٤٦، ٤٧.

بينها وبين التحرير النهائي تأليف وسيطة خاصة بكل إنجيل وتلك الوثائق الوسيطة هي التي أدت إلى الصيغ النهائية للأناجيل، وفي نفس الوقت أثرت كل الوثائق السابقة الذكر على الصيغ النهائية للأناجيل[١].

ووفقاً لما جاء في دائرة المعارف البريطانية لا يملك العلماء إلا أن يقولوا: ليس لدينا أي معرفة محددة بالكيفية التي تشكلت بموجبها قانونية الأناجيل الأربعة ولا بالمكان الذي تقرر فيه ذلك، وما يجب ملاحظته أن «كليمنت» الرومي عام ٩٧م و«بوليكارب» عام ١١٢م قد استشهد كل منهما بأقوال للمسيح في صيغ مستقلة في الأناجيل التي صارت قانونية فيما بعد[٢].

وأما فيما يتعلق بقانونية العهد الجديد ككل فمن الملاحظ أن عملية بنائه وتقرير شرعية كتبه قد استغرقت حوالي ٣٥٠ عاماً وإلى بداية القرن الرابع كان يوجد كثير من البلبلة.

ويصف يوسيبيوس هذا الوضع فيُقسِّم الكتب إلى ثلاث طبقات:

ـ كتب قبلت بوجه عام.

ـ وكتب لا تزال موضع الجدل لكن اعترف بها على نطاق واسع.

ـ كتب مرفوضة.

قال في علم اللاهوت النظامي: ومع كل ما تقدم من الاتفاق العام والأدلة علىٰ قانونية أسفار العهد الجديد المجمع الآن علىٰ قانونيتها، لا يمكن تعيين الوقت الذي جمعت فيه معاً، ولا الأشخاص الذين جمعوها، ولا لنا دليل ولا إشارة أن هذه المسألة جرىٰ عليها بحث قانوني في مجمع[٣].

## ٤ ـ أخطاء نساخ ومترجمي الأناجيل:

لم ينكر أحد من علماء النصرانية المحققين أن الأناجيل الأربعة الموجودة صورتها اليوم ـ أي الأصول الموجودة في الكنائس ـ ليست إلا تراجم لنسخ أو لرسائل ألفت من زمن بعيد، وذلك أن من يقرأها يتبين له في الحال أنها ليست

(١) راجع دراسة في الكتب المقدسة. ص٩٤ ـ ٩٦.

(٢) دائرة المعارف البريطانية ١٧/ ٥١٤.

(٣) راجع ص٣١٥.

من إنشاء مؤلفيها، وأكبر دليل على ذلك وجود الجمل التي لا بد وأن تكون من كلام المترجمين[١].

ومثال ذلك ما جاء في (متى)[٢]: «متى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس ـ ليفهم القارئ ـ فحينئذ ليهرب الذين في اليهود إلى الجبال»، وواضح أن الجملة «ليفهم القارئ» الاعتراضية هي تنبيه من المترجم.

وكذلك حكم الجملة «الذي تفسيره مرسل» الموجودة ضمن كلام (يوحنا)[٣] وقال له: «اذهب اغتسل في بركة سلوام «الذي تفسيره مرسل»، ومثله ما جاء في (لوقا)[٤]: «ثم قال الرب: «فيم إذن أشبه هذا الجيل أو ما الذي يشابهونه؟» فإن «ثم قال الرب» هي كذلك توضيح من المترجم وهي من كلام الناقل.

وأوضح من ذلك ما جاء في آخر يوحنا «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم شهادته حق»، ومثله ما جاء في (يوحنا)[٥] قوله: «لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه». وظاهر تماماً أن الجملة «والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم» ليست من إنشاء نفس الكاتب الذي كتب الباقي.

هؤلاء المترجمون لا تعرف الكنيسة عنهم شيئاً، ولا يعلم علماء النصرانية التواريخ التي ترجمت فيها كتبهم، أو الزمان الذي نسخت فيه، ولا يعلم أحد هل المترجمون ذو إلهام أم غير ملهمين، ولا يدري أحد أنصارى هم، أو يهود، أو صابئون، أم مشركون، ولا نعرف عن أمانتهم، أو دقة معرفتهم باللغات شيئاً، فلا يبعد أنهم هم الذين شوهوا الأصول، وبدلوا المعاني، وحرفوا الألفاظ، وأتوا بالعجب العجاب[٦].

---

(١) المسيح، وصفي، ص٣٩.

(٢) ١٥/٢٤

(٣) ٣١/٧.

(٤) ٣١/٧.

(٥) ٣٤/١٩، ٣٥، ٣٦.

(٦) عد «ميل» التحريفات التي في الإنجيل فوجدها ثلاثين ألفاً، ووجدها كريسباخ خمسين =

هذا هو ما يتعلق بالمترجمين وحالهم.

يقول جينيبير: إن المصادر الأولى لإنجيلنا.. لم تكن سوى عناصر شتى مشوشة من حياة عيسى كما تصورها المسيحيون عندما أوشك جيل أصحابه على الانقراض... وقد حاول المحررون المتابعون لتلك الأناجيل خلال الثلث الأخير من القرن الأول المسيحي أن ينسقوا رواياتهم ويدخلوا عليها شيئاً من الانسجام، ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام مادة يصعب مراسها فضلاً عن شبه استحالة تحقيق الواقع وتخليصه من الإضافات الخيالية التي كانت في طيات الروايات...[١].

وقال «علي بن ربّن الطبري» مخاطباً النصارى: «على أن من أدى تلك الأخبار إليكم لم يكن فيهم أحد ادعى أنه أخذها من شاهد المسيح أو موسى ﷺ من آبائه وأجداده، كما تدعي العرب عن آبائها وأجدادها الذين شاهدوا النبي ﷺ، فإن الرجل منهم يحدثه عن جده أو جد جده أو بعض بما رأى.

ويستطرد قائلاً: فأما أخباركم فإنها أداها إليكم عراقي عن جزري عن شامي وشامي عن عبراني عن رومي ومشرقي عن مغربي، بأسباب مظلمة متفاوتة»[٢].

وتقول الترجمة الفرنسية المسكونية فيما يتعلق بنصوص أسفار العهد الجديد: «إن نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت مهما بذل فيها من الجهد وبالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه.

يضاف إلى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أحياناً عن حسن نية أن يصوبوا ما جاء في نياتهم، وبدا لهم أنه يحتوي أخطاء واضحة أو قلة دقة في التعبير اللاهوتي، وهكذا أدخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ، ولا يرجى في حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه»[٣].

---

= ومائة ألفاً وقررت دائرة المعارف البريطانية في المجلد التاسع عشر أن التشويهات بلغت ألف ألف، هكذا قالوا.

(١) المسيحية، ص٢١١.

(٢) الدين والدولة ٣٦.

(٣) العهد الجديد، ص٧ ـ ١٠، الإسلام والأديان، حلمي، ص٧٠، ٧١.

ويقول فريدريك جرانت:

«إن نصوص جميع المخطوطات الأصلية للعهد الجديد تختلف اختلافاً كبيراً لا يمكننا الاعتقاد بأن أياً منها قد نجا من الخطأ، ومهما كان الناسخ حي الضمير فإنه ارتكب أخطاء، وهذه الأخطاء بقيت في كل النسخ التي نقلت عن نسخته الأصلية. إن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدي المصححين الذين لم يكن عملهم دائماً إعادة القراءة الصحيحة»[1].

ويرى «شيشرون وسالست وتاستس» أن ما تنقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرضت لما تتعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو تصحيح[2].

وقد قال بطرس في آخر رسالته الثانية من رسائل بولس أن فيها أشياء عسرة الفهم، يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم[3].

وفي مجلة «استيقظوا» لجماعة يهوه في عددها الصادر في ٨ سبتمبر ١٩٥٧م، نجد العنوان: «خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس»[4].

ومن العجيب أن المحرفين قد يضيفون بعض عبارات من عند أنفسهم، وينسبونها للمسيح كذباً، وإن أوقعهم ذلك في إشكال عظيم ما دام في عملهم هذا تطبيق لنبوءات قديمة على المسيح[5].

وتقول دائرة المعارف الأمريكية: «لدينا شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد غيروا بقصد أو بدون قصد في الأسفار والوثائق، التي كان عملهم الأصلي كتابتها أو نقلها، وقد حدث التغيير بدون قصد حين أخطأوا في قراءة بعض الكلمات أو سماعها أو هجائها، أو أخطأوا في التفريق بين ما يجب فصله من الكلمات وما يجب أن يكون تركيباً واحداً. . . وكانوا أحياناً ينسخون الكلمة أو السطر مرتين،

---

(١) حوار صريح، ص٩٨، محاضرات في الأديان، إبراهيم خليل، ص٤٨.

(٢) قصة الحضارة، ص١١/ ٢١٠.

(٣) رسالة بطرس الثانية ١٦/ ٣، وانظر الفارق بين المخلوق والخالق، ص٥١.

(٤) هل الكتاب المقدس كلام الله، ص١٢٧.

(٥) راجع تفصيل هذه الادعاءات وما وقعوا فيه، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص١٠٠.

وأحياناً ينسون كتابة الكلمة أصلاً، بل كانوا ينسون نقل فقرات بأكملها، بل يحدث أنهم كانوا يغيرون في النص الأصلي عن قصد إذا تصوروا أنها مكتوبة خطأً في النص الذي بين أيديهم. وعلى هذا فليس هناك ما يؤكد أن وثائق العهد القديم أو العهد الجديد لم تتعرض لعوامل الفساد في النسخ على الأقل في الفترة التي سبقت اعتبارها أسفاراً مقدسة»[١].

وإذا كان النصارى قد غيروا في القديم في بعض النصوص، فلماذا لم يصلحوا الجميع حتى يستريحوا من النقد والاعتراض؟!

والإجابة على هذا السؤال، أن الذي منع النصارى اشتهار هذه الغلطات ومعرفة خصومهم لها من قديم الزمان وتعييرهم بها، فلا يمكن والحالة هذه إصلاحها، ثم شيوع الجهل في الأزمنة القديمة وقلة عدد نسخ كتبهم وعدم ضم بعضها إلى بعض، وقلة المطلعين عليها حينئذ، فلم يتنبهوا لهذه الغلطات إلا بعد أن وقف عليها الناس وعرفوها وحفظوها عليهم في كتبهم فلا يصح جعل هذه الغلطات دليلاً على أمانتهم في النقل، فكم من غلطات وغيرها حاولوا إصلاحها فعلاً لعدم شهرتها وعرف ذلك أخيراً[٢].

## ٥ ـ ضياع النسخ الأصلية للأناجيل، وأثره فيما وقع فيها من تحريف:

إن جميع أسفار العهد الجديد وصلت إلىٰ النصارىٰ باليونانية، ولم يكن من بينها سفر واحد كتب بخط مؤلفه[٣]. بل إنهم كما ذكرنا يجهلون اللغة التي نزلت بها الرسالة.

أما عن سبب كتابتها باليونانية فيرجع إلى المتنصرين من غير اليهود والذين كرهوا كل ما له علاقة باليهود، بل رفضوا حتى اللغات التي كانوا يتكلمون بها، وهذا ما يفسر وجود المخطوطات باليونانية لأن هؤلاء كانوا يتكلمون اليونانية واكتفوا بها.

كما أنه ليس هناك نص يوناني متفق عليه أو يعتمد عليه لأي كتاب من هذه الكتب السبعة والعشرين.

---

(١) راجع نصرانية عيسى، العجماوي، ص٢٢، ٢٣، الميزان، الطهطاوي، ص١١٧.
(٢) راجع دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص١٠٠.
(٣) راجع الميزان في مقارنة الأديان، ص٧٢، ١١١، ١١٧، الأناجيل، طاهر، ص٥١، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص١٦.

وقد ثبت بجهود الباحثين الغربيين الكثيرة أن إثبات النص اليوناني الأصلي مستحيل لكثرة الاختلافات التي في المخطوطات الموجودة.

كما ثبت أن يونانية هذه الكتب عامة دارجة في الغالب وغير مهذبة.

تقول دائرة المعارف البريطانية: «إن النسخ الأصلية لكتب العهد الجديد أفنيت منذ مدة طويلة وفيما عدا بقايا من صعيد مصر فإن كل النسخ التي سبقت مجمع نيقية قد غشيها نفس المصير، وما يجب ذكره أنه حتى اختراع الطباعة لم يكن قد تم الوصول إلى اتفاق كامل من نصوص العهد الجديد الإغريقية أو اللاتينية[١].

وهو ما صرح به قاموس الكتاب المقدس بضياع النسخ الأصلية[٢].

يقول د. عمر الفاروق أستاذ الأديان: «إن الغربيين في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة وغيرها من بلاد الغرب درسوا هذه المخطوطات التي تعدّ بالآلاف بل عشرات الآلاف دراسات جبارة خلال هذا القرن، ولكنهم انتهوا بإثبات الحُجّة على أنفسهم، فإنهم أجمعوا في هذا القرن على أنه من المستحيل التوصل بهذه المخطوطات الرديئة إلى نص يوناني واحد متفق عليه يعتبر الترجمة الأولى، فالنص الأصلي ضاع ولكن وجدوا أن الاختلافات التي بين هذه المخطوطات الرديئة تبلغ درجة تمنع الباحثين عن أن يثبتوا صفحة واحدة من الترجمة القديمة الأولى التي اعتمدها النصارى في أول عهدهم.

وأشار كثير من المؤرخين إلى أن نسخ الأناجيل الأصلية وقتها ـ في القرن الأول للنصرانية ـ كانت مفقودة لا أثر لها، لأنها كانت قد أحرقت مع كتب النصارى في عهد «دقلديانوس» وأن الأناجيل الحاضرة مجموعة روايات مختلفة ببعض آيات مأخوذة من كتب يختلف بعضها عن بعض، كما يقول «أورنيموس»، الذي اعترف بأنه أضاف وغير ونقح ما شاء وبدل منها ما عن له، وما ظن أنه يوافق مذهب البابا وينصره على مخالفيه[٣].

ولا شك أن الحلقة الأولى التي اعتمد عليها في كتابة الأناجيل فيما بعد

---

(١) محاضرات في الأديان، إبراهيم خليل، ص٤٧، ٩٨ حوار صريح، ص٩٨.
(٢) دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص١٥، ١٦.
(٣) راجع الإسلام والفلسفات القديمة، الجندي، ص١٩٥.

كان القليل منها ذا صلة مباشرة بإنجيل المسيح الحقيقي الذي ضاع كما أسلفنا في زحمة جهل النصارى وفقرهم، وما أحاط بهم من اضطرابات.

وقد أسست الأناجيل الرسمية على وثائق أو مخطوطات لا وجود لها اليوم، وقد تعرف أساتذة الأناجيل على بعض هذه الوثائق القديمة التي أسست عليها الأناجيل.

وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث، أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي ١٦٠، ٢٢٠م، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل، ولعلها تعرضت أيضاً لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ[١].

والنسخ الأصلية للأناجيل الأربعة لم توجد ولم يعثر عليها، بل عثر على نسخ محرفة لا يعرف حال مترجمها كما أنها مقطوعة السند[٢].

أما أقدم مخطوطتين من الرق فهما مخطوطتان يونانيتان من القرن الرابع، وهما ما يعرفان بالـ Codex Vaticanus، ومكان اكتشافهما مجهول، وهما محفوظتان بمكتبة الفاتيكان، وتحوي العهد الجديد ما عدا الرسالة إلى العبرانيين، والرسالتين الأولى والثانية إلى تيموثاوس، والرسالة إلى تيطس، والرسالة إلى فيلمون.

وبالـ Codex sinaiticus وقد اكتشفت بجبل سيناء وهي محفوظة بالمتحف البريطاني، وهو كامل في هذه المخطوطة، وتحتوي الوثيقة على مؤلفين مزورين، ـ يقصد الرسالة إلى برنابا، وجزء من الراعي لهرمس ـ[٣].

## ٦ ـ تعدد طبعات وترجمات الكتاب المقدس، وأثره في التحريف:

كتبت الأناجيل بلغات غير التي ظهرت بها بعد ضياع الأصول، وكانت الترجمة من اللغة الآرامية إلى اللغة اليونانية فاللغة اللاتينية الغربية.

---

(١) توحيد وأنبياء، ص٧١٩،الأناجيل، طاهر، ص٥١، دراسات في الكتاب المقدس، حماية، ص١٦، عبقرية المسيح، ص١٤٧.

(٢) دراسة تحليلية، ٢٥٥.

(٣) راجع اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص٢٤، دراسات في الكتب المقدسة، موريس، ص١٠٠.

وقد تعرضت اللغة اللاتينية لتغيرات ضخمة في مدى قرنين ونصف قرن، وهي المدة الواقعة بين «تاكتيوس» ١٣٠م و«أغسطينوس» ٤٣٠م، ذلك أن انتشار النصرانية في الغرب لم ينشأ عنه إدخال ألفاظ جديدة من أصل يوناني فحسب، بل أدى إلى استحداث كلمات جديدة وتعبيرات لم تكن معروفة من قبل، لتلائم الآراء والمعتقدات والطقوس الدينية التي أتت بها النصرانية، وقد نجم عن هذا تغيير جسيم في اللغة اللاتينية، بالإضافة إلى تدهور مستوى الخط والكتابة(١).

وقد حدثت أخطاء كثيرة إذ أن الكلمة الآرامية الواحدة قد يكون لها ستة أو سبعة معان مختلفة. وإذا كان كتاب الأناجيل قد دار الحديث حول أشخاصهم، ونسبة الأناجيل إليهم، فإن المترجمين مجهولون جهلاً تاماً، ودور المترجم لا يقل أهمية عن دور الكاتب، ويزداد أهمية ذلك بفقد النسخ الأصلية إذ لو كانت موجودة لروجعت النسخ عليها وصححت أخطاؤها، وأعيدت ترجمتها، ولكن لا سبيل إلى ذلك(٢).

ولا يقتصر الأمر على مدى علم المترجم باللغة المترجم منها، واللغة المترجم إليها، بل معرفة هويته، واتجاهه، خاصة أننا أوضحنا سابقاً مدى العداء بين النصرانية واليهودية، والنصرانية والوثنية، مما جعل الأناجيل نفسها كتابات خصامية تؤيد وجهات نظر خاصة، وليت الأمر اقتصر عند دور الترجمة وأصحابها بل تبعه دور النساخ الذين نسخوا نسخاً مختلفة من الأناجيل، ومن هنا ابتدأ التحريف في الأناجيل يأخذ شكلاً أوسع مما كان عليه من قبل.

تقول الترجمة القياسية المراجعة: «إن الترجمة القياسية المراجعة للكتاب المقدس إنما هي عملية تنقيح مرخص بها للترجمة القياسية الأمريكية التي نشرت عام ١٩٠١م، والتي كانت هي الأخرى تنقيحاً لترجمة الملك جيمس التي نشرت عام ١٦١١م(٣).

---

(١) راجع أهل الكتاب، العجماوي، ص٧١، ٧٢، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ص١٤١، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل، ص١٥٤.

(٢) راجع إبطال ألوهية عيسى، ص٩٨، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص٨٠.

(٣) نسخة الملك جيمس هي التي أهداها البطريرك كيرلس لوكا بطريرك القسطنطينية إلى الملك جيمس الأول ١٦٠٣م/ ١٦٢٥م. انظر هل الكتاب المقدس كلام الله، ديدات، ص٢٥..

إن أول ترجمة إنجليزية للكتاب المقدس عملت بصورة مباشرة عن الأصل العبري والإغريقي، وكانت أول ترجمة مطبوعة إنما كانت من عمل «وليام تندال». لقد واجه معارضة مريرة، واتهم بتعمد إفساد معنى الكتاب المقدس، وأمر بإحراق تراجمه للعهد الجديد باعتبارها تراجم زائفة، وأخيراً سلم غدراً ليد أعدائه، حيث تم إعدامه على رؤوس الأشهاد حرقاً عام ١٥٣٦.

ومع ذلك فقد أصبح عمل «تندال» هو الأساس للتراجم الإنجليزية اللاحقة، وخاصة «كوفردال» في عام ١٥٣٥م، و«توماس متى» في عام ١٥٣٧م، و«جنيف» في عام ١٥٦٠م.. إلخ.

إن المترجمين الذين عملوا نسخة الملك جيمس قد أخذوا في حسابهم كل التراجم السابقة. ولقد أصبحت ترجمة الملك جيمس هي النسخة المعتمدة للشعوب الناطقة بالإنجليزية.

وعلى الرغم من ذلك فإن نسخة الملك جيمس بها أخطاء كثيرة، ففي منتصف القرن التاسع عشر، أظهرت بوضوح دراسات الكتاب المقدس واكتشاف كثير من المخطوطات الأكثر قدماً من تلك التي اعتمدت عليها ترجمة الملك جيمس، أن تلك الأخطاء من الكثرة والخطورة مما يستدعي تنقيحاً للترجمة الإنجليزية. ولقد كانت نتيجة ذلك العمل هو إصدار الترجمة الإنجليزية المراجعة في الأعوام ١٨٨١ ـ ١٨٨٥م، ونظيرتها الترجمة القياسية الأمريكية في عام ١٩٠١م.

واستمرت عملية تنقيح التراجم ومراجعتها ـ ولا تزال ـ إلى أن صدرت الترجمة القياسية المراجعة للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد في عام ١٩٥٢م[١].

بل إن اختيار الأناجيل الأربعة كان اختياراً من بين أربعة آلاف مخطوطة[٢]، وعلى الصفحة الخامسة من مقدمة الكتاب ـ نسخة الملك جيمس ـ يعترفون أثناء نسخ الأصول المهمة باليد أنها تأثرت بعامل الضعف البشري، لذلك فإنه لا توجد ولا حتى نسخة واحدة من بين آلاف النسخ السالمة إلى اليوم بلغتها

---

(١) راجع اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، أحمد عبد الوهاب، ص٣، ٤، وهل الكتاب المقدس كلام الله، ديدات، ص١٩ ـ ٢٥.

(٢) هل الكتاب المقدس كلام الله، ص٥٤.

الأصلية متطابقة تماماً، فالنتيجة أنه لا يوجد نسختان متشابهتان بالضبط[1].

وذكر «عبد الأحد داود» أثناء ملاحظته على أناجيل النصارىٰ أنّ الطبعات الأولى لكل من كتب متى ومرقس ولوقا صورت المسيح بصورته الحقيقية لكنه تغير في الطبعة الثانية والثالثة وما بعدها فقلبوا المعلم وجعلوه رباً وإلهاً نازلاً من السماء إلى الأرض[2].

ولا توجد ولا كلمة واحدة في المخطوطات الأربعة آلاف الباقية إلى يومنا هذا تحمل توقيع أي من مؤلفيها، ومن هنا جاء الافتراض القائل أنها استناداً إلى، حتى من لب نص إنجيل متى يثبت لنا أن متى لم يحرر أول الأناجيل التي تحمل اسمه[3].

ومنذ عام ١٧٢٠م أعلنت الهيئات البريطانية أنه يوجد علىٰ الأقل عشرون ألف خطأ في الطبعتين الموجودتين بالأسواق آنذاك من الإنجيل الذي يقرأه البروتستانت والكاثوليك، ويقول الدارسون المحدثون أنه يحتمل وجود خمسين ألف خطأ[4].

## نماذج من التحريف:

## صعود المسيح إلى السماء:

من الأمثلة على التحريف والخطأ حتى في النصوص المنقحة مسألة (صعود المسيح إلى السماء)[5] حيث توجد إشارتان فقط في بشارات متى ومرقس ولوقا ويوحنا لأهم حدث في التاريخ النصراني وهاتان الإشارتان كانتا موجودتين في كل كتاب مقدس في كل لغة قبل عام ١٩٥٢م.

ولكن النصوص المنقحة التي طبعت سنة ١٩٥٢ جعلت الفصل السادس عشر من إنجيل مرقس ينتهي عند السطر الثامن، وبعد فراغ واسع تظهر السطور المفقودة التي يوجد فيها قصة الصعود مكتوبة في نهاية الصفحة في الهامش؟! أما

---

(١) هل الكتاب المقدس كلام الله، ص٥٣، ٥٤، وانظر الأناجيل، طاهر، ص٥١.

(٢) الإنجيل والصليب ص٥٧.

(٣) هل الكتاب المقدس كلام الله، ص٦٤.

(٤) انظر: المناظرة، الجوهري، ص١٢٤.

(٥) مرقس ١٩/١٦، لوقا، ص٢٤، ٥١.

لماذا وضعت في الهامش فالجواب ذكره د. محمود حماية حيث يقول: إن أقدم المخطوطات ترجع إلى ثلاث أو أربع مائة سنة بعد المسيح، هذه المخطوطة التي تستحق التصديق والإجلال لقربها من زمن المسيح ليس فيها كلمة واحدة عن: «ارتفع أو صعد إلى السماء»، ومن ثم قام العلماء بتطهير النصوص من هذه الكلمات عام ١٩٥٢م(١).

## البشارة بالنبي ﷺ:

من أمثلة التحريف بناءً على اختلاف الترجمات ما ذكره «عبد الأحد داود» الذي كان من رجال الدين النصراني المتخصصين في اللاهوت وعلم اللغات ثم أسلم.

فقد ذكر أن البشارة بالنبي ﷺ جاءت واضحة وصريحة في مواضع متعددة، منها: ما ذكره على سبيل المثال في إنجيل لوقا أنه في الليلة التي ولد فيها المسيح ظهر جمهور من الجند السماوي مسبحين لله وقائلين: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.

ويذهب عبد الأحد أن العبارة التي أنشأها ملائكة السماء هي بشارة بمجيء محمد ﷺ بالإسلام(٢).

ومثال ذلك أيضاً: الكلمة الإغريقية «الباراقليط» وقد ورد معناها في قاموس اللغة اليونانية على هذا النحو: المعزي - المحامي - الشفيع - المحمد - المحمود.

قال يسوع: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق»(٣). وكان يصلي ليرسل الله معزياً آخر وحسب النص اليوناني (Ho Parakletos allon).

فإذا قال (آخر) فإنه يعني أن هناك مسيّاً أول فكيف نستدل على المسيا الأول؟ يجيب يوحنا في رسالته الأولى: «وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار»(٤).

---

(١) المناظرة الكبرى، حماية، ص٤٦.

(٢) الإنجيل والصليب، ص٤٥ - ٥٣.

(٣) يوحنا ١٤/ ١٥ - ١٧.

(٤) يوحنا ٢/ ١.

وحسب النص اليوناني: وإن أخطأ أحد فلنا Parakletos، بل إن كلمة (allon) تعطي حقيقة يقينية وهي تعني آخر مماثل، ولم ترد الكلمة Heteros التي تعني آخر مغاير[١].

وكنموذج توضيحي أكثر ما ورد في إنجيل يوحنا من نبوءة أخرى «بهذا كلمتكم وأنا عندكم وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته»[٢].

فالفعلان اليونانيان (Laleo - Akouo) يعنيان فعلين ماديين لا يمكن أن يخصا إلا كائناً يتمتع بجهاز للسمع وآخر للكلام، وبالتالي فتطبيق هذين الفعلين على الروح القدس أمر غير ممكن.

إن نص هذه الفقرة من إنجيل يوحنا كما تسلمه لنا المخطوطات اليونانية غير مفهوم بالمرة إذا ما قبلناه في تمامه مع كلمتي الروح القدس في الآية ٢٦ من الإصحاح الرابع عشر وهي (Paraclet) الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي، «إنها الجملة الوحيدة في إنجيل يوحنا التي لا تثبت تطابقاً بين الـ(Paraclet) والروح القدس.

ولكن إذا حذفنا كلمتي الروح القدس (to pneuma to agion) من هذه الجملة فإن نص يوحنا كله يقدم عندئذ دلالة شديدة الوضوح، ويضاف إلى ذلك أن هذه الدلالة تتخذ شكلاً مادياً وذلك من خلال نص آخر ليوحنا، وهو نص الرسالة الأولى حيث يستخدم هذه الكلمة (Paraclet) للإشارة ببساطة إلى المسيح باعتباره الوسيط لدى الله.

وعندما يقول المسيح ـ حسب إنجيل يوحنا[٣] ـ «سأصلي لله سيرسل لكم (Paraclet) آخر» فهو يريد أن يقول: سيرسل إلى البشر وسيطاً آخر، كما هو وسيط لدى الله وفي صالح البشر في أثناء حياته على الأرض.

وذلك يقودنا بمنتهى المنطق إلى أن نرى في الـ (Paraclet) عند يوحنا كائناً بشرياً مثل المسيح يتمتع بحاستي السمع والكلام، وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع.

---

(١) محاضرات، إبراهيم خليل، ص١١٨، ١٢١.
(٢) يوحنا ١٤/ ٢٥، ٢٦.
(٣) يوحنا ١٤/١٦.

إذاً: فالمسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائناً بشرياً على هذه الأرض ليؤدي الدور الذي عرفه يوحنا، ولنقل باختصار إنه دور نبي يسمع صوت الله ويكرر على مسامع البشر رسالته.

إن وجود كلمتي (الروح القدس) في النص الذي نملك اليوم قد يكون نابعاً من إضافة لاحقة إرادية تماماً تهدف إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض - بإعلانها بمجيء نبي بعد المسيح - مع تعاليم الكنائس المسيحية التي أرادت أن يكون المسيح هو خاتم الأنبياء[١].

## صيغة التثليث:

من العوامل التي أدت إلى القول بالتثليث وفساد العقيدة النصرانية كثرة اللغات التي كتبت بها الأناجيل واللغات التي ترجمت إليها، فقد قام دعاة التثليث بتغيير بعض الشكل أو النطق للتدليل على صدق دعواهم التي يدعون الناس إليها.

ومن هذه الكلمات كلمتان كان لهما تأثيرهما القوي في إظهار ألوهية المسيح وبنوته لله، وهما: (آب) و(ربي) فقد استغلت الكلمة الأولى وهي عبرية معناها (الله) فلما نقلت بنطقها إلى العربية أصبح معناها (أب) بمعنى الوالد ومن هنا قالوا: إن الله أب المسيح والمسيح ابن الله.

والثانية قد استغل نطقها الأرامي (رِبي) بكسر الراء معناها معلم فأصبحت معناها (رَبي) بفتح الراء أي إلهي، وكما اختيرت الكلمتان وجعلتا بمعنى الربوبية اختيرت عدة مصطلحات وأقانيم ورموز أخفت تحتها الحقائق.

وقد ورد في إنجيل يوحنا الإصحاح الأول[٢] ما نصه: «فسمعه التلميذان يتكلم فتبعا يسوع فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال: ماذا تطلبان؟ فقال: ربي - الذي تفسيره يا معلم - أين تمكث».

ومن هنا يتبين أن بعض الكلمات كانت عاملاً من العوامل المهمة التي توضح استغلالها للوصول فيما هدف إليه أصحاب هذا القول[٣].

---

(١) دراسة في الكتب المقدسة، ص١٢٦، ١٢٧.
(٢) يوحنا، ص٣٧، ٣٨.
(٣) التثليث، حماية، ص٦٩.

أما صيغة التثليث فقد وردت في رسالة يوحنا الأولى - الإصحاح الخامس: العدد (٧) - وكانت تعتبر النص الوحيد - في الكتاب المقدس - الذي يعطي الأساس لعقيدة التثليث التي تقول بأن الثلاثة: الأب والكلمة والروح القدس هم واحد!

لكن التراجم الحديثة للكتاب المقدس حذفتها باعتبارها نصاً دخيلاً أقحمه كاتب مجهول منذ قرون.

يقول كتاب: «هل الكتاب المقدس حقاً كلمة الله؟» الذي طبع في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٩م، ثم في بيروت، بالعربية، عام ١٩٧١م ويوزع كرسالة تبشيرية، في صفحة (١٦٠) - وهو يتحدث عن الترجمات المختلفة المتلاحقة التي من شأنها تنقية الكتاب المقدس مما يكون قد علق به من أخطاء نتيجة لقصور الترجمات السابقة - ما يلي: «بمقارنة أعداد كبيرة من المخطوطات القديمة باعتناء، يتمكن العلماء من اقتلاع أية أخطاء ربما تسللت إليها».

مثالاً على ذلك: الإدخال الزائف في يوحنا الأولى، الإصحاح الخامس، فالجزء الأخير من العدد (٧) والجزء الأول من العدد (٨) يقول حسب الترجمة البروتستنتية العربية، طبع الأمريكان في بيروت (ونقرأ في الترجمة اليسوعية العربية شيئاً مماثلاً): «في السماء.. الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة».

ولكن، طوال القرون الثلاثة عشر الأولى للميلاد، لم تشتمل أية مخطوطة يونانية على هذه الكلمات. وترجمة «حريصا» العربية تحذف هذه الكلمات كلياً من المتن. والترجمة «البروتستنتية» العربية ذات الشواهد تضعها بين هلالين، موضحة في المقدمة أنه (ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها). وهكذا تساعدنا الترجمات العصرية للكتاب المقدس على الوصول إلى المعنى الصحيح لما نقرأه»[1].

تقول ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك: «لأن الشهود في السماء ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والشهود في الأرض

---

(١) International Bible Students Association, New York U.S.A.

ثلاثة الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة هم في واحد»[1].

وتقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: «فإن الذين يشهدون (في السماء) هم ثلاثة (الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة) الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد».

إذا رجعنا إلى التنبيه الذي وضعته هذه الترجمة في مطلعها نجده يقول في الكلمات التي توضع بين هلالين أو قوسين ما يلي:

«والهلالان ( ) يدلان على أن الكلمات التي بينهما ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها».

أي أن صيغة التثليث هذه فقرة مزيفة من عمل كاتب مجهول.

وتقول ترجمة العهد الجديد للكاثوليك: «والذين يشهدون ثلاثة: الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون».

ثم تقول في الحاشية السفلى تعليقاً على العدد (٧): «في بعض الأصول: الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. لم يرد ذلك في الأصول اليونانية المعول عليها، والأرجح أنه شرح أدخل إلى المتن في بعض النسخ».

وهذا هو ما تقوله أيضاً ترجمة العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية، سواء بالنسبة للمتن أو للحاشية.

وتظهر صيغة التثليث هذه في ترجمة الملك جيمس الإنجليزية فقط، لكنها اختفت من كل من: الترجمة القياسية الإنجليزية، والترجمة الفرنسية المسكونية، وترجمة لوي سيجو الفرنسية.

ومن الملاحظ أن صيغة التثليث قد اختفت من التراجم الكاثوليكية الفرنسية الحديثة التي ظهرت منذ أكثر من ٧٥ عاماً، كما أنها اختفت من التراجم البروتستنتية الحديثة التي ظهرت منذ أكثر من ٤٠ عاماً، بينما هي لا تزال في الترجمة العربية للكتاب المقدس للبروتستانت، ولو أنها وضعت بين هلالين علامة على عدم أصالتها.

---

(١) يوحنا ٥/٧، ٨.

كذلك اختفت صيغة التثليث من التراجم الكاثوليكية العربية الحديثة مثل: العهد الجديد للكاثوليك، والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية.

والسؤال الآن: من المسؤول عن مصير الملايين من النصارىٰ الذين هلكوا وهم يعتقدون أن عقيدة التثليث التي تعلموها تقوم على نص صريح في كتبهم المقدسة، بينما هو نص دخيل أقحمته يد كاتب مجهول؟!

إن الإجابة: أن المسؤولية لتقع أولاً وأخيراً على عاتق الذين اؤتمنوا على الكتاب المقدس وكانوا عليه حفاظاً ومترجمين[1].

## المسيح ليس الله:

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله»[2]. وهو ما تقوله ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك، وتقوله أيضاً التراجم الإنجليزية والفرنسية التي دُرج على استخدامها.

إلا أن ترجمة العهد الجديد للكاثوليك، والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية تقول: «والكلمة هو الله».

إن هذه الترجمة الثانية تختلف عن الترجمة الأولى بصرف النظر عما يبدو بينهما من تشابه، وكلاهما يختلف عن تراجم أخرى سنذكرها بعد قليل. ولما كنا أمام أخطر صيغة كتبت في العهد الجديد، كان من اللازم التدقيق في اختيار كل واحدة من مكوناتها.

إن (الكلمة) هنا وضعت في صيغة المذكر، لأنها ـ حسب حاشية ترجمة العهد الجديد للكاثوليك: «مؤنث لفظي، مذكر معنوي: هو ابن الله».

وتبرز هنا نقطتان:

**الأولى**: هذه الصيغة الأخيرة التي تقول: «والكلمة هو الله» ـ وما دامت الكلمة هو ابن الله ـ فمن المنطق والمعلوم أن يتم تبادلهما دون إخلال بالمعنى، وعلى هذا نقرأ تلك الصيغة الأخيرة كالآتي: «وابن الله هو الله»!

---

(١) راجع اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص٣٩ ـ ٤١.

(٢) يوحنا ١/١.

ويظهر هنا تناقض واضح وهو أن ما يكون عند الشيء ليس هو ذلك الشيء ولا جزءاً منه، إذ لا يقال مثلاً: يد زيد عند زيد، ويقال: كتاب زيد عند زيد، لأن اليد جزء من زيد، والكتاب ليس جزءاً منه. فإذا كانت الكلمة عند الله فكيف جاز أن تكون الكلمة الله أو هو الله؟ ومن جهة أخرى لا يقول عاقل إن ابن زيد هو زيد، فالأب غير الابن، كما أن الابن غير الأب.

وكيف يتفق هذا وما يقوله المسيح في حديثه عن: اثنين هما: الله، والمسيح، في أقوال كثيرة جاءت في إنجيل يوحنا منها:

«في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق أنا هو الشاهد لنفسي، ويشهد لي الأب الذي أرسلني»[1].

«لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضي إلى الأب. لأن أبي أعظم مني»[2].

«أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم»[3].

«لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني»[4].

«أيها الأب: أشكرك، لأنك قد سمعت لي»[5].

«تعليمي ليس لي، بل للذي أرسلني، إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم: هل هو من الله، أم أتكلم أنا من نفسي. من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه، وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم»[6].

«لم أتكلم من نفسي، لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم»[7].

---

(١) يوحنا ٨/١٧، ١٨.
(٢) يوحنا ١٤/٢٨.
(٣) يوحنا ٢٠/١٧.
(٤) يوحنا ٥/٣٠.
(٥) يوحنا ١١/٤١.
(٦) يوحنا ٧/١٤ ـ ١٨.
(٧) يوحنا ١٢/٤٩.

«وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته»[1].

**الثانية**: هناك تراجم أخرى لافتتاحية إنجيل يوحنا تقول غير هذا، وتعامل الكلمة باعتبارها لفظة يحل محلها كضمير في الإنجليزية (it) التي تستخدم لضمير الغائب المفرد لجماد أو حيوان أو نحوه.

ففي ترجمة إنجليزية حديثة صدرت عام ١٩٨٥م بعنوان: «العهد الجديد الأصلي» نقرأ أن مقدمة إنجيل يوحنا كانت عبارة عن ترنيمة تجاوبية، بمعنى أن يقرأ شخص المقطع الفردي، ويرد عليه الآخرون بالمقاطع الزوجية، ثم إنها تخالف التراجم الشائعة بالنسبة لمعنى الكلمة، إذ تستخدم معها ضمير المفرد الغائب الذي يستخدم للجماد ونحوه.

واستند الدكتور «جون روبنسون» في إثبات خطأ القول «وكان الكلمة الله والكلمة هو الله» على ترجمة الكتاب المقدس الإنجليزية الحديثة ثم يقول: علينا أن نتنبه تماماً للترجمة فما يسمى بالترجمة المعتمدة، يوحي بوجهة النظر التي تقول بأن كلمتي (يسوع والله) كانتا متماثلتين، ويمكن أن تحل إحداهما محل الأخرى، بخلاف التعبير الإغريقي الذي يسير بحذر بين هذين المعنيين[2].

## المسيح عبد الله:

نقرأ في إنجيل متى بالعربية حسب ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: «لكي يتم ما قيل باشعياء النبي القائل هو ذا فتاي الذي اخترته حبيبي الذي سرت به نفسي أضع روحي عليه»[3].

كذلك وقد استبدلت بقية التراجم العربية الأخرى وهي: الكتاب المقدس للكاثوليك، والعهد الجديد للكاثوليك، والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية - استبدلت جميعها كلمة (فتاي) بكلمة (عبدي).

فمن المعلوم لغة أن: العبودية تعني الخضوع والذل. وأن العبادة تعني الانقياد والخضوع، والعبد ضد الحر.

---

(١) يوحنا ١٧/٣.

(٢) راجع اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص٤٣ - ٤٦.

(٣) متى ١٢/١٧، ١٨.

كذلك يقال للشاب الحدث: فتى، ثم استعير للعبد. ويقال: الفتى، أي الشاب، والفتاة: أي الشابة. والفتى أيضاً: السخي الكريم.

من ذلك يتبين أن كلمة: فتى لا تعنى بالضرورة عبداً، بل إن المعنى الذي يتوارد لأول وهلة هو الشاب، أو ذو الخصال الحميدة.

فمن الواجب أن يقرأ متى هكذا: «هو ذا عبدي الذي اخترته».

وتكرر نفس الشيء في سفر أعمال الرسل عدة مرات، وضعت فيها كلمة: (فتى)، في موضع كان يجب أن تستخدم فيه كلمة: (عبد)، وذلك اعتماداً على مقارنة التراجم المختلفة.

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت:

«فلما رأى بطرس ذلك أجاب الشعب.. أن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إله آبائنا مجد فتاه يسوع.. أقام الله فتاه (يسوع)...»[١].

«رفعوا بنفس واحدة صوتاً إلى الله وقالوا: أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. القائل بفم داود فتاك... لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته هيرودوس وبيلاطس... لتجر آيات وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع»[٢].

وقد استخدمت ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك نفس الكلمة: (فتى)، سواء في المواضع الأربعة الخاصة بالمسيح، أو في الموضع الخامس الخاص بداود والمذكور في أعمال: ٤: ٢٥.

كذلك استخدمت الترجمتان الفرنسيتان كلمة: (Serviteur) في المواضع الخمسة التي استخدمت فيها كلمة: (فتى) العربية.

واستخدمت النسخة القياسية الإنجليزية كلمة: (Servant) في تلك المواضع الخمسة.

أما نسخة الملك جيمس الإنجليزية فقد استخدمت كلمة: (Child) في المواضع الأربعة الخاصة بالمسيح، بينما استخدمت كلمة (Servant) في الموضع الخاص بداود.

---

(١) أعمال الرسل ٣/ ١٣ ـ ٢٦.

(٢) أعمال الرسل ٤/ ٢٥ ـ ٢٧ ـ ٣٠.

وقياساً على ما سبق، ومقارنة بالترجمات الفرنسية والإنجليزية وخاصة الحديثة منها، يجب أن تحل كلمة: (عبد) محل كلمة: (فتى)، المستخدمة في هذه الفقرات، وما شابهها في مختلف المواضع من أسفار العهد الجديد.

إن داود هو عبد الله ونبيه، وكذلك المسيح هو عبد الله ونبيه، هكذا تقول النصوص بكل صراحة وقوة ووضوح. ولن يجدي شيئاً أمام تلك الحقيقة ـ وهي أن المسيح عبد الله، ونبيه، ورسوله ـ أن تستخدم لفظة مثل: (فتى)، قد يكون لها أكثر من مدلول، لتحل محل كلمة لا بديل عنها ههنا، وهي كلمة: (عبد)[١].

## قيامة المسيح من الأموات:

قال «نورتن» ـ محامي الإنجيل، ومن أشد النصارى حماسة للأناجيل، وأولها إنجيل متى، تعليقاً على ما ورد في إنجيل متى ٢٧: ٥ ـ ٣ من قيام يسوع من قبره والخوارق التي حدثت في ذلك الوقت ـ «هذه الحكاية كاذبة والغالب أن هذه الحكايات كانت رائجة لدى اليهود بعد خراب أورشليم، فلعل أحد كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى ثم أدخلها النساخ في المتن، ودفع هذا المتن في يد المترجم فترجمها».

وساق نورتن البراهين على بطلان هذه الحكاية الباطلة الكاذبة[٢].

## ٧ ـ فقدان إنجيل عيسى وأثره في تحريفات الأناجيل وتناقضاتها:

نتيجة لضياع الإنجيل الصحيح، والذي أدى بالنصارى إلى تأليف أناجيل عديدة زعم فيها نسبتها إلى الوحي الإلهي، وحقيقتها أنها كتابات بشرية تنصبغ بصبغة النقص التي لدى البشر، كما أن عملية النسخ وأخطاء النساخ والتي سبق الإشارة إليها، وكذلك الترجمات لتلك الكتب مع فقدان الأصول أدى ذلك كله إلى وجود كثير من التناقضات والاختلافات والتحريفات التي أقر بها النصارى أنفسهم.

يقول حبيب سعيد في أديان العالم: «يجب التسليم في غير مواربة أن هناك

---

(١) راجع اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص٤٧ ـ ٤٩.

(٢) راجع الديانات والعقائد، ص٤٣٤.

بعض الفارق أو التناقض أو الاختلاف في قليل من الروايات[1] وقد لوحظت هذه الحالات منذ القرن الثاني وكان النقد في الزمن البعيد محصوراً في الفوارق بين سلسلة نسب يسوع كما رواها كل من متى ولوقا، وبين الترتيب التاريخي الزمني لبعض الحوادث في رواية يوحنا عند مقارنتها بروايات المبشرين الثلاثة الآخرين[2].

ولو بقي إنجيل عيسى عليه السلام لبقي ببقائه المصدر الصحيح للعقيدة النصرانية الصحيحة، ولكان هو المرجع الأساسي الذي يمكن الرجوع إليه لتصحيح ما وقع فيه النصارى من تحريفات عقدية بعد رفع المسيح عليه السلام. بل لو بقي هذا الإنجيل محفوظاً لما احتاج النصارى إلى كتابة هذه الأسفار متضمنة حياة المسيح، وما ينسبونه إليه من أقوال، ولما سموا تلك الأسفار ـ تسمية خادعة ـ بالأناجيل، رغم ما فيها من تحريفات للعقيدة التي جاء بها عيسى عليه السلام.

ففقدان إنجيل عيسى عليه السلام فتح الباب لاعتقاد النصارى بعقائد شتى محرفة، وخضوعهم في ذلك للعوامل المؤثرة في انحرافهم عن الدين الصحيح، وفتح الباب كذلك للكتابات العقدية المنحرفة عن عقيدة التوحيد والتنزيه التي جاء بها المسيح عليه السلام بما تضمنته من الكلام عن ألوهية المسيح، وألوهية الروح القدس، والثالوث المقدس.

وكذلك العقائد المنحرفة عن عقيدة التنزيه لله تعالى بما تضمنته عن بنوة المسيح لله ـ تعالى الله عن ذلك ـ وعن حلول الله فيه، واتحاده به إلى غير ذلك من العقائد المتصلة بالخطيئة البشرية، وصلب المسيح تكفيراً لخطايا البشر، والعقائد التي تخالف مخالفة جوهرية دين الله الموحى إلى عيسى عليه السلام، وإلى إخوانه من الأنبياء السابقين عليه، والتي جاءوا جميعاً مبلغين بها وداعين إليها.

وقد بين كثير من العلماء غير المسلمين أن أسفار التوراة والأناجيل المعتمدة لدى طوائف النصرانية محرفة ومتناقضة منهم على سبيل المثال العالمان اليهوديان:

ـ إبراهيم بن عزرا الذي عاش من سنة ١٠٩٣ ـ ١١٦٧م.

---

(١) انظر: ص٢٨٧، ٢٨٨ من هذا البحث.

(٢) أديان العالم، ص٢٧٧.

ـ باروخ سبينوزا الذي عاش خلال المدة من ١٦٣٢ ـ ١٦٧٧م[1].

وقد أحصى العلامة الشيخ «رحمة الله الهندي» (ت١٣٠٨) من هذه الاختلافات.

أ ـ ١٢٤ اختلافاً في التوراة والأناجيل المتداولة الآن.

ب ـ ٣٧ غلطاً في التوراة.

جـ ـ ١١٠ غلطاً في الأناجيل.

وأورد مائة اختلاف بين الأناجيل، منها (٢٥) شاهداً أثبت فيها التبديل اللفظي، و(٣٥) شاهداً أثبت فيها النقص، و(٤٥) شاهداً أثبت فيها الزيادة، وهذه الاختلافات دونها في كتابه إظهار الحق.

وقال بعد هذا الإحصاء العلمي الدقيق «... لا مجال لأهل الكتاب أن يدعوا أن كل سفر من أسفار العهد العتيق والجديد كتب بإلهام» (أي إلهام الرسل بهذه الكتب) وذلك لوجوه:

**أولاً**: أنه يجد فيها الاختلافات المعنوية الكثيرة، وقد اضطرب محققوهم ومفسروهم في هذه الاختلافات فقالوا في بعضها: إن إحدى العبارتين صادقة، والأخرى كاذبة، إما بسبب التحريف القصدي أو بسبب سهو الكاتب، ووجهوا بعضها بتوجيهات ركيكة لا يقبلها الذهن السليم.

**ثانياً**: أنه يوجد فيها أغلاط كثيرة بلغت أكثر من مائة غلط. والكلام الإلهامي بعيد بمراحل عن وقوع الغلط والاختلاف المعنوي.

**ثالثاً**: أنه وقع فيها التحريفات القصدية في مواضع غير محصورة لا يستطيع المسيحيون إنكارها، وظاهر أن المواضيع المحرفة ليست بإلهامية عندهم يقيناً[2].

والقول باختلاف الأناجيل أو عدم أصالتها ليس وقفاً على الباحثين المسلمين، بل هو قول ردده الكتاب الغربيون المنصفون ـ ومنهم نصارى ـ أكثر

---

(١) الميزان، الطهطاوي، ص٧٢، ٧٣.

(٢) راجع إظهار الحق، ٢/٣٥٣ وانظر الأديان في القرآن، الشريف، ص١٧٦، ١٧٧.

من مرة، وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية عن هذه الأناجيل، ودائرة المعارف هذه ـ كما هو معلوم للجميع ـ مصدر موثوق به في الثقافة الغربية في شتى نواحيها.

حيث تقول: «إن فلسفة الإغريق والقانون الروماني جعلا الإنجيل لا يمثل حقيقته، كما أثرا في تدوينه، والباحث المنصف في تاريخ الكنيسة لا يستطيع ولو لحظة واحدة أن ينكر آراء مزيفة، وأغراضاً غير كريمة، واعتقادات خاطئة كانت أسباباً مسيطرة ـ أحياناً ـ دفعت إلى هذا التبديل الذي حدث في الأناجيل»(١).

وفي دائرة المعارف الفرنسية: «إن الناس قد تكلموا في كون الكتب المقدسة إلهامية وقالوا: إنه يوجد في أفعال مؤلفي هذه الكتب وأقوالهم أغلاط واختلافات»(٢).

ومن الشهادات القديمة قول «سلسوس» في القرن الثاني الميلادي، بأن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات، بل أزيد من هذا تبديلاً كأن مضامينها بدلت(٣).

ونشرت مجلة «التايمز» في عددها الصادر منتصف أكتوبر ١٩٨٩م مقالاً عن ندوة دولية حضرها أكثر من ١٢٠ باحثاً من علماء النصرانية وذلك لتقرير أمرين مهمين:

**أولهما:** مدى صحة الأقوال المنسوبة إلى المسيح عليه السلام في الأناجيل الأربعة المعروفة.

**ثانيهما:** عن المسيح وهل هو إله كامل أم نصف إله ونصف إنسان(٤).

وقد اتفق المشتركون في هذه الندوة أنه من بين (٧٥٨) قولاً منسوبة إلى المسيح في هذه الأناجيل لم يصح منها سوى (١٤٨) قولاً(٥).

---

(١) الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٣٧، نقلاً عن دائرة المعارف.

(٢) كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٦٨، ١٦٩، نصرانية عيسى، ص٩٨، ٩٩، الميزان، الطهطاوي، ص١٩٢.

(٣) راجع المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص٤١.

(٤) كان الأولىٰ بهم أن ينظروا في القسمة الثالثة التي هي الحق وهو أنه إنسان كامل.

(٥) حوار صريح ص١٠٧، ١٠٨.

يقول «أميل لودفيغ»: «فالأناجيل الأربعة التي هي كل ما لدينا متباينة ويدحضها كل ما هو غير نصراني من المصادر القليلة، ونحن إذا حذفنا الأقوال المتكررة، لم يبق لدينا من ذلك سوى خمسين صفحة تحتاج إلى تمحيص جديد، أضف إلى ذلك ما تراه في تاريخ حوادث يسوع من خلط آثار أسف الباحثين في كل قرن»[1].

ومن الكتب التي أُلفت لإزالة التناقضات في الكتاب المقدس ولم يوفقوا: كتاب «أصالة الكتاب المقدس» تأليف د. أدوارد يونج ونقله إلى العربية القس إلياس مقار، وقامت بطبعه ونشره دار الثقافة وهو كتاب يقع في ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط.

وكتاب «شبهات وهمية حول الكتاب المقدس» إعداد الدكتور القس منيس عبد النور، وقامت بطبعه ونشره كنيسة قصر الدوبارة شارع الشيخ ريحانة بجاردن سيتي بمصر ورقم الإيداع ٣٦٥٣/ ١٩٩٢ في ٤٧٨ صفحة، من القطع المتوسط[2].

وقال صاحب الكتاب المقدس في الميزان: «ولا عبرة بالقول إن هذه الأخطاء جاءت في أمور صغيرة ويسيرة، لأن الخطأ خطأ سواء كان في الأمور الصغيرة أو الكبيرة، ونحن لا نستطيع الثقة البتة في أي شخص يسترسل في إعطائنا الأخطاء مهما كان الزعم أنها يسيرة أو بسيطة.

وقال أيضاً: واختلاف الأناجيل اللفظي الدال على الخلاف المعنوي أمر شائع في الأناجيل، بحيث لم يصبح استثناءً وإنما أصبح القاعدة المضطردة[3].

جاء في مقدمة كتاب «اعتراضات علىٰ العقيدة المسيحية»: «لقد أصبحت أساسيات العقيدة المسيحية موضع ارتياب، وأن الاعتراضات التي تقوم ضد المسيحية في هذا العصر لم يعد من الممكن مواجهتها بتكرار الحجج القديمة أو بتلك التبريرات الواهية»[4].

---

(١) دراسة تحليلية ص٢٨٣.

(٢) المناظرة الأولى، الجوهري، ص١٢٥.

(٣) راجع الكتاب المقدس في الميزان، ص٩٣، ٩٤.

(٤) ألف هذا الكتاب أربعة أساتذة في كلية اللاهوت بجامعة كمبردج، وهو عبارة عن أربع محاضرات ألقاها هؤلاء الأساتذة، وقد نشر هذا الكتاب عام ١٩٦٣م وصدرت منه ثلاث طبعات في شهر واحد.

وقد أثبت دارسو النصرانية ـ المسلمون وغيرهم ـ الاختلاف والتناقض في هذه الأناجيل والرسائل، وأثبتوا التحريف فيها بالزيادة أو النقصان بشواهد من نصوصهم[(١)].

يقول الدكتور سعود الخلف بعد أن ذكر بعض الاختلافات والأغلاط الموجودة في الأناجيل: وأننا نعجب بعد ذلك من زعم النصارىٰ أن هذه الكتب حقيقية وصادقة، وتنقل بأمانة وإخلاص كلام المسيح وتروي أخباره[(٢)].

وبعد هذه الاعترافات التي أحلنا إليها ننقل ما ذكره الكاتب النصراني حبيب سعيد حيث يقول: «لم يدع أحد العصمة اللفظية الحرفية...[(٣)]» فهل التناقضات التي تمتلئ بها الأناجيل من هذا القبيل؟! وهل الاختلافات في نسب المسيح بين متى ولوقا اختلافات لفظية؟!

ومع ما مر من عدم ادعاء أصحاب الأناجيل النبوة، وعدم إتيانهم بمعجزات يوثق بنقلها، ومع تناقض الكتب التي كتبوها، فإن هذه الأناجيل قد فقدت سندها مما يجعل ادعاء النسبة أمراً خاطئاً، ومما يجعل المتن ذاته لا يقبل بحال من أحواله، لأنه إنما يقبل ـ لو كان صحيحاً في بدايته ـ بعدالة ناقليه، وللجهل بهم يفقد الكتاب أو أي كلام منسوب لأحد ما له من قيمة[(٤)].

يقول الأب: «بينوا» الأستاذ بمعهد الكتاب المقدس: إن أشكال الأقوال أو الروايات الناتجة عن تطور طويل للتراث لا تتمتع بنفس صحة الأقوال والروايات الموجودة أصلاً، وقد يدهش بعض قراء هذا الكتاب أو قد يشعر بالحرج عندما

---

(١) راجع الجواب الصحيح، ابن تيمة ٢/ ٢٢٣، إظهار الحق ٢/ ٤٣١ ـ ٤٦١، ٤٦٧ ـ ٥١٢، ٥١٣ ـ ٥٣٩، الفارق بين المخلوق والخالق، ص١٢، ١٣، ٢٣، ٣٠، ٤١ ـ ٤٣، ٤٩، ٥٠، ٥٦، ٦٦، ٧١ ـ ٧٣، ٧٥، ٩٥، ٩٩ ـ ١٠٢، ١١٥، ١٢٠، ١٥٥، ١٨١، ٢٢٢ ـ ٢٢٥، ٢٩١ ـ ٢٩٧، وشفاء الغليل، ص٤١ ـ ٤٥، ٤٨ ـ ٥٧، المنتخب الجليل، ص٩٩ ـ ١٢٢، مسالك النظر، ص٦٢، المغني ٥/ ١١، الفصل ١/ ١٢٨، ٢/ ٤٦، ٧٠، تحفة الأريب، ص١٥٥، هداية الحيارى، ص١٠٦، ٢١٨ ـ ٢٢٤، الأجوبة الجلية، ص٢٧، ٢٨، دعوة الحق، ص٣٢٤ ـ ٣٣٣، دراسات في الأديان، سعود الخلف، ص١٣٥ وما بعدها، منحة القريب، ص٥٨، ٥٩، الإعلام، ٢٠٥، دراسة في الكتب المقدسة، موريس بوكاي، ص٦٥.

(٢) دراسات في الأديان ص١٢٥.

(٣) أديان العالم ص٢٧٧.

(٤) إبطال ألوهية عيسى، ص٩٤.

يعلم أن هذا القول للمسيح أو هذا المثل أو ذاك التصريح لم يقل به، وأن هؤلاء الذين نقلوا هذا الميثاق أجروا عليه لمسات وتعديلات.

وقد علق علىٰ هذا النص موريس موكاي بقوله: «ونتيجة كل هذا هو أننا لم نعد متأكدين مطلقاً من أننا نتلقىٰ كلمة المسيح بقراءة الإنجيل»[1].

وهكذا يلاحظ الدارس المتتبع أن هذه الملاحظات الانتقادية، القديمة والحديثة، التي يوجهها علماء النصارى للنصرانية، وغيرهم للكتب المقدسة عندهم، تمتد ـ كما ظهر لنا ـ إلى جانبين رئيسيين، هما:

ـ جانب السند ونقده نقداً علمياً، والتحقق من انقطاعه وعدم اتصاله بصاحب الشرع[2].

ـ وجانب النص أو المتن، ونقده نقداً علمياً كذلك، وإظهار تناقضه وتحريفه.

وكما رأينا فيما نقلناه عنهم، أن السند والمتن كليهما لا يثبتان أمام النقد والتمحيص العلمي المنهجي.

وهذا التحريف الذي ظهر في الأناجيل المعتمدة عندهم منذ بداياتها، اعترف به المنصفون من علماء النصارى في القرن العشرين.

ومما تقدم يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

**أولاً**: إن الثابت أن المسيح ﷺ أنزل عليه الإنجيل، وقد ذكره المسيح كما ذكره حواريوه وكذلك بولس، وهذا الإنجيل فقد من النصارىٰ ولا يعرفون له طريقاً.

**ثانياً**: أن النصارى لما فقدوا الإنجيل الصحيح كتبوا كتباً تقرب أو تبعد عنه، وكانت هذه الكتب من العصور الأولىٰ تعد بالعشرات.

**ثالثاً**: أن الكنيسة اختارت منها ـ أي من تلك الأناجيل المتداولة ـ أربعة وقبلتها جملة، على الرغم مما فيها من متناقضات لا يستقيم معها القول بصحتها جميعاً، وقبلتها وأقرتها وألزمت النصارى بها، ولم تكتف بذلك بل طاردت الباقي

---

(١) راجع دراسات في الكتاب المقدس ص٧٨.

(٢) راجع في ذلك: شروط الكتاب المقدس، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٧٧، ٧٨.

وأحرقتها، مع أنها لا تختلف في قيمتها عن هذه الأناجيل المتداولة، ومهما قيل من أسباب لاختيار الأناجيل المتداولة بالذات، ومهما قيل في شرعيتها أو قانونيتها أو غير ذلك من العبارات التي نطالعها، فإن ذلك أبداً لن يعطي هذه الأناجيل المختارة أي ميزة تمتاز بها على غيرها مما طورد وأحرق، غير اختيار الكنيسة لها، وكذلك الحال بالنسبة لباقي أسفار العهد الجديد.

**رابعاً**: إن المتقدمين من النصارى لم يشيروا إلى الأناجيل الأربعة ولم يذكروها ألبتة، فبولس على كثرة رسائله لم يذكرها في رسائله أبداً، وكذلك سفر أعمال الرسل الذي ذكره دعاة النصارى الأوائل لم يذكرها، وهذا يدل على أن هذه الكتب لم تكن موجودة في ذلك الزمن وأنها ألفت وكتبت بعد ذلك[1].

**خامساً**: إن هذه الأناجيل تنسب صراحة إلى أصحابها، وليس إلى عيسى عليه السلام، وكتابها بشر عاديون، اختلف في هوياتهم، وليس من بينها من عرف عيسى شخصياً، أو سمعه وهو يتحدث، أو صحبة أثناء دعوته.

**سادساً**: أن النصارى لا يعرفون بالضبط تاريخ إعطاء هذه الكتب صفة الإلزام والقداسة، وإنما يرون أنه في خلال القرن الرابع أخذت هذه الكتب والرسائل الملحقة بها صفة القداسة بشكل تدريجي.

**سابعاً**: أن النصارى لا يملكون السند لكتبهم، ولا يعرفون مصدرها الحقيقي، ولا تعدو أن تكون كتباً وجدوها منحولة إلى أولئك الناس الذين نسبت إليهم فنسبوها إليهم، واعتقدوا ذلك بدون دليل.

**ثامناً**: لا يوجد يقين كامل باللغات التي كتبت بها هذه الأناجيل والأسفار، كما أننا نجهل المترجمين وأحوالهم، ومدى علمهم باللغات المترجم منها وإليها.

**تاسعاً**: تناقض ما وصلنا من نسخ خطية، وامتلاؤها بالأخطاء والأغلاط الكثيرة، بل والشك في بعض الأسفار نتيجة ما لحق بالأناجيل من أنواع التحريف المختلفة.

**عاشراً**: إن فقدان الإنجيل الصحيح الذي أنزل علىٰ عيسىٰ عليه السلام فتح الباب علىٰ مصراعيه للتحريف العقدي المبين علىٰ الكتب المحرفة والفهوم الفاسدة.

---

(١) راجع دراسات في الأديان، الخلف، ص١٢٤.

وبعد أن أثبتنا أن الله أنزل على عيسى ﷺ كتاباً هو الإنجيل، نسأل النصارى: إذا كان هناك إنجيل لعيسى ﷺ، وهذا الإنجيل مذكور في صلب كتبكم التي هي في اعتقادكم كتبت بالإلهام، وإذا كان هذا الإنجيل ليس واحداً من هذه التي بين أيديكم الآن، فأين ذهب ذلك الإنجيل؟ وكيف اختفى؟ وماذا كان فيه؟ وهل هو متفق مع الأناجيل التي بين أيديكم أو مغاير لها؟ وإذا كان متفقاً معها فلماذا اختفى إذن ولم يعثر له على أثر؟ ألا يدل اختفاؤه ـ وهو الأصل والأهم ـ مع بقاء هذه الأناجيل التي هي دونه في الأهمية على أنه لا يتفق معها، ولا يسير في اتجاهها؟ ثم ألا يوحي ذلك بأنه اختفى عمداً؟

# الفصل الثالث

# الفرق النصرانية وأثرها في تحريف النصرانية

**تمهيد:**

لقد بدأت العوامل المؤثرة في ظهور الفرق في النصرانيّة منذ النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، وكان كل منها يرى في العقيدة رأياً يخالف الأخرى، وكانت شخصية المسيح نفسها هي موضوع الخلاف ومحوره.

فقد ظل الكثيرون بعد رفع عيسى عليه السلام على إيمانهم بطبيعة المسيح كما عرفوه من قبل بشراً رسولاً، لم يرفعوه عن هذا المقام، وكان من هؤلاء «الجماعة الأولى» التي تحدثنا عنها، وأتباع آريوس وغيره من الداعين إلى التوحيد.

ويذكر بعض الباحثين أنه قد وجد في حياة المسيح من حاول أن يرفعه عن هذا المقام ـ مقام الرسالة البشريّة ـ، بالنظر إلى الخوارق والمعجزات التي جاء بها.

وكأن المسيح عليه السلام ساوره الشك في بعض الأتباع من غير الحواريين في فهمهم لحقيقته وحقيقة دعوته فقال لهم يوماً: «وأنتم من تعرفون أني هو؟ أجاب بطرس: أنت المسيح»[1].

وقد ورد في أعمال الرسل ما يؤكد وجود هذه النزعة المغالية من تأليه الأفراد لما يجري على يديهم من خوارق المعجزات: «فالجموع لما رأوا ما صنع بولس رفعوا أصواتهم قائلين إن الإلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما ووثبا نحو الجمع صارخين وقائلين: أيها

---

(١) متى ٨/٢٩، طبعة الأرثوذكس.

الرجال لماذا تصنعون هذا نحن بشر نقبل الآلام مثلكم ونحن نبشركم بأن ترتدوا عن هذه الأباطيل إلى الله الحي الذي صنع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها»[١].

وهكذا ذهب بعض الكتاب إلى أنه قد شاعت بعد رفع المسيح عليه السلام فكرة تأليهه عند بعض الفرق، ووضعت البذور الأولى لهذه الفكرة في حياة المسيح، وإذا كانت قد وجدت البذور الأولى في حياة المسيح عليه السلام وواجهها، فإنها ـ وبعد رفعه ـ وجدت ما ينميها ويبرزها[٢]، فظهرت إلى الوجود، بدءاً بما نادى به بولس من ألوهية المسيح وبنوته لله، وما تبع ذلك من العقائد المختلطة بالوثنية في البلاد التي دعا فيها إلى النصرانية مما يتواءم مع ديانتها.

ومهما يكن فإن ديورانت يقرر أن النصرانية مضى عليها نصف قرن من الزمان لاح فيها أنها ستؤمن بالتوحيد، وتتخلى عن عقيدة ألوهية المسيح[٣]. يقصد بذلك أيام آريوس ودعوته.

وكان لتمسك هؤلاء الموحدين الأثر الأكبر في شدة الاختلاف بين طوائف النصرانية الأولى، حيث تباعدت شقة الاختلاف بينهم وبين غيرهم من غير الموحدين تباعداً شديداً.

وكان الخلاف يدور حول هوية المسيح:

أهو رسول من عند الله فقط من غير أن تكون له منزلة أكبر من شرف السفارة بين الله وخلقه؟ أم له بالله صلة خاصة يكون فيها أكبر من مجرد رسول، بحيث يكون فيها من الله بمنزلة الابن لأنه خلق من غير أب؟ أو يكون ابناً لله له صفة القدم كما لله تلك الصفة؟ وكل يزعم أن نحلته هي النصرانية الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام ودعا إليها تلاميذه من بعده[٤].

ونتيجة لهذه الاختلافات وتباين تلك العقائد والمذاهب التي استمدها كل

---

(١) أعمال الرسل ١٤/ ١١ ـ ١٥، طبعة الأرثوذكس.

(٢) راجع إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية، ص٨٩، دعوة التوحيد، ص٣٣٨.

(٣) راجع قصة الحضارة، ١٢/ ٢٠.

(٤) راجع محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٢٢، باختصار، دعوة التوحيد، ص٣٣٢.

مذهب من بيئته انتشر الشقاق بين النصارى وتشعبت وجهات نظرهم منذ العصور الأولى[1].

وقد سبق ذكر[2] ما كان من أمر الخلاف بين بولس والجماعة الأولى بعد مجمع أورشليم، واستمرت الخلافات وتطورت وإن كانت بقيت في أكثر الفترات كامنة لا تظهر إلا في حالات فردية في فترات الاضطرابات والكوارث التي نزلت بهم، ولا ننسى في هذا المقام ما كان من بولس وأتباعه فيما بعد من إعراض عن الجماعة الأولى ومبادئها، وبالتالي إعراض عن النصوص التي بين أيديهم شفوية كانت أم مكتوبة.

وما لاح القرن الثاني حتى كانت قد فشت في النصرانية آراء ملتوية ومذاهب شاذة حادت عن الرسالة المسيحية الأولى وجوهر الإنجيل[3].

ولم توجد الكتب التي تعين على تقويم هذه المقالات، وكل نحلة تروج بين الناس بقوة الداعي وحجته، لا سيّما أنه كان قد رسخ في أذهان الناس تعظيم المسيح عليه السلام ثم انتقلوا من التعظيم المعقول إلى الغلو المرذول[4].

وهكذا كثرت الفرق والمذاهب في القرون الثلاثة الأولى بعد رفع المسيح عليه السلام، فتكونت نتيجة لهذه الاختلافات والفرق المجامع المسكونية ـ التي بدأها قسطنطين بمجمع نيقية سنة ٣٢٥م وما تلاه ـ وأصبحت تمثل ركناً من أركان التنظيم الكنسي[5].

وإن كان د.رؤوف شلبي يرى أن المجامع وما نتج عنها كان سبباً في تأصيل ظهور الفرق المسيحية وتبلورها[6].

أما القضايا العقدية التي دارت حولها اختلافات الفرق ـ وكانت من أهم العوامل في تكوين تلك الفرق والتي لعبت بها الأهواء والفلسفات المختلفة دوراً كبيراً ـ فتتركز فيما يأتي:

---

(١) راجع الاضطهاد الديني، ص٤٩، دعوة التوحيد، ص٣٣٢.
(٢) انظر: ص٨٠.
(٣) في موكب التاريخ عشرون قرناً. حبيب سعيد، ص١٩، دعوة التوحيد، ص٣٣٣.
(٤) راجع محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٥٤، ١٥٥.
(٥) راجع دعوة التوحيد، ص٣٣٤.
(٦) راجع أضواء على المسيحية، ص١٢١.

١ ـ ظهور فكرة الإله المثلث الأقانيم ومحاولة تأصيل مفردات الثالوث الأقنومي عند بعض الفرق.

٢ ـ النزاع حول هوية المسيح من حيث ولادته ووفاته.

٣ ـ النزاع حول ألوهية الروح القدس.

٤ ـ النزاع في طبيعة المسيح ﷺ، ودعوى الناسوت واللاهوت.

٥ ـ النزاع حول انبثاق الروح القدس.

٧ ـ قضية الصلب وأنها من صميم العقيدة النصرانية.

## عصور ظهور الفرق في النصرانية:

ويمكن أن نقسم عصور النّصرانية إلى ثلاثة عصور من حيث ظهور الفرق ونشوؤها:

١ ـ **عصر التوحيد**: والدعوة إلى التوحيد ظاهرة في بدء دعوة المسيح ﷺ إلى رفعه، ثم بدأ ظهور الخلاف والانحراف بعد رفعه ﷺ ابتداءً من دخول بولس في النصرانية حتى انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. وقد كان للتوحيد في هذه المرحلة ظهور واضح، كما أن بذور الفرق والانحرافات قد انغرست في ذلك العصر.

٢ ـ **عصر التثليث**: وبدايته من إقرار مجمع نيقية لألوهية المسيح ﷺ، ثم ما تلا ذلك بفترة وجيزة من إقرار ألوهية الروح القدس في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م، وما تلاه من المجامع التي أقرت وثبتت التثليث في قراراتها.

٣ ـ **العصر الأخير**: (عصر الانقسام) ويبدأ بانعقاد المجمع الثامن:

ـ المجمع الثامن الغربي اللاتيني المنعقد سنة ٨٦٩م.

ـ المجمع الثامن الشرقي اليوناني المنعقد سنة ٨٧٩م واللذان تولد عنهما انقسام الكنائس إلى كنيسة شرقية وأخرى غربية[١]، وأصبح لكل كنيسة طائفة تابعة لها تنادي بآراء معينة تخالف بها الطائفة الأخرىٰ كما سنوضح في هذا الفصل:

---

(١) راجع أضواء على المسيحية، ص١٢١، ومحاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٤٩.

## أولاً: عصر التوحيد:

لقد نشأ الصراع في هذا العصر حول قضية ألوهية المسيح، وانقسم النصارى بين معارض لهذه الفكرة وهم الموحدون وبين مؤيد لها وهم المنحرفون[1].

ويشمل كل من الفريقين جملة من الطوائف، وذلك على النحو التالي:

### الموحدون:

كان التوحيد هو الطابع العام للنصرانية في أول أمرها كما ذكرنا آنفاً، فقد كان هو عقيدة الجماعة النصرانية الأولى. وتشير المصادر النصرانيّة إلى أسماء أشخاص موحدين عرفوا بإنكارهم لألوهية المسيح عليه السلام وقولهم بالتوحيد، وإن ورد في معتقداتهم بعض الأقوال المختلفة لكن يجمعهم إنكار ألوهية المسيح ومنهم: كورنثوس، أمونيوس السقاص، كربوكراتس، بلاجيوس. حيث وردت أسماؤهم في الرسائل[2].

أما بالنسبة للفرق الموحدة فقد ظهرت في العقود الأولى بعض الفرق القائلة بالتوحيد المجرد وإن لم يبلغوا حد الشهرة، وقوة النفوذ ونقاء المعتقد، فعندها جانب من الانحرافات التي شاعت أو كانت شائعة بالنسبة لقصورهم عن فهم دعوة المسيح عليه السلام، ولكنهم رغم ذلك يجمعهم القول بالتوحيد ونفي تأليه المسيح[3]. وقد كانت هذه الفرق امتداداً للجماعة الأولى ـ كنيسة بيت المقدس ـ.

---

(١) راجع دائرة معارف القرن العشرين، ص١٠/٢٠٣، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص١٦٦، الدين والدولة لابن ربن الطبري، ص١٩٩، ٢٠٠، الرد على النصارى للجعفري، ص٧١، ٧٢، الفكر الإسلامي منابعه آثاره، ص٣٩ ـ ٤١، كشاف اصطلاحات الفنون ٣/ ١٣٨٥، المغني ٥/ ٨١ ـ ٨٥، تاريخ الفلسفة في الإسلام ص٢٠، البدء والتاريخ ٤/ ٤٢ ـ ٤٦.

(٢) راجع تفصيل أقوالهم في دعوة التوحيد، ص٤٢٨ ـ ٤٣٥، تاريخ الكنيسة يوسيبيوس ٣/ ١٥٧، تاريخ الاقباط ١/ ١٤٣.

(٣) يجب ملاحظة أن المعتمد في الحديث عن هذه الفرق من حكاية خصومهم عنهم واحتمال الكذب والافتراء وارد هنا.

**ومن أهم هذه الفرق:**

**١ ـ الأبيونيون:**

وقد عرفوا بهذه التسمية العبرانية الأصل «أبيونيم» والتي ربما تعني الأغمار لأنهم كانوا من نكرات اليهود، وقيل إن هذا الاسم هم الذين أطلقوه على أنفسهم بمعنى أنهم الفقراء إلى الله[١].

وزعم صاحب كتاب «تاريخ الكنيسة» أنهم سموا بالأبيونيين لأنهم اعتقدوا في المسيح اعتقادات فقيرة، فهذا الاسم يعبر عن فقرهم في التفكير[٢]، وليس «أبيون» اسم زعيم هذه الفرقة فتنسب إليه كما ذهب د. وافي[٣]. فإن زعيمها يدعى «سيرنيش الفريسي»[٤].

ورث الأبيونيون الجماعة الأولى في الشام والعراق، وهناك تشابه كبير بين هذه الجماعة وجماعة وادي قمران كما تدل عليه مخطوطات البحر الميت، وقد استدل بهذا كثير من الباحثين على أن جماعة الفقراء هذه قد مثلت الحق وهي البقية الصالحة مما كان عليه النصارى في أول أمرهم[٥].

وقد ظهرت هذه الفرقة بعد خراب أورشليم سنة ٧٠م، وقيل ظهرت في أواخر القرن الثاني الميلادي[٦]. وقد رفضوا القول بألوهية المسيح وقالوا: إن المسيح ليس سوى نبي.

وأطلق على هذه الجماعة أتباع كنيسة الختان لرأيهم في وجوبه، وقد أخذت هذه الفرقة على عاتقها محاربة بولس، وقد أقروا جميع شرائع موسى، واعتبروا عيسى المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم.

وقد انتشرت أفكارهم في فلسطين والأقطار المجاورة ومراكز الشتات بل

---

(١) راجع الموسوعة النقدية، ص٤٣.

(٢) تاريخ الكنيسة، يوسيبيوس، ص١٥٥.

(٣) الاسفار المقدسة، وافي، ص١٢٤.

(٤) الموسوعة النقدية، ص٤٣.

(٥) مذكرات الأديان.

(٦) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، ص٢٦٦ نقلاً عن رسائل الرسل.

وبلغت روما، ثم انقرضت في أواخر القرن الرابع الميلادي - أي بعد مجمع نيقية - بقوة الحكم والسلطان.

وتعتمد هذه الجماعة إنجيلاً غير الأناجيل الأربعة التي اعتمدت في هذا المجمع يقال له: «إنجيل العبرانيين» أو «إنجيل الأبيونيين»[1].

## ٢ - جماعة «الموحدين لله».

وهم جماعة موحدة، والفرق بينهم وبين الجماعة السابقة أنهم كانوا يستخدمون اليونانية، وكانوا يواجهون النصارى المبتدعين الذين تأثروا بالديانة والثقافة اليونانية، ولذلك كانت هذه الجماعة أكثر انتشاراً في بلاد الشام وما جاورها.

ظهرت هذه الجماعة في أواخر القرن الثاني وبدايات القرن الثالث، وقالوا بأن الملك لله تعالى الواحد وليس معه ثان. وقد سماهم مخالفوهم برافضي الكلمة لأنهم رفضوا أن يكون الكلمة أي المسيح ﷺ إلهاً، لكنهم أقروا بأنه ﷺ كلمة من الله ولدته البتول، ورفضوا دعوى المؤلهين بأن الكلمة والروح القدس إلهان، وأكدوا وحدانية الخالق.

وأهم ممثليها أرتَيْمون (ت ٢٣٠م) في روما وثيودوتس (ت٢٢٠). وقد ذكر أرتيمون أن عقيدة النصرانية الأصيلة الإقرار بعقيدة التوحيد الذي أنكره المبتدعون. وذكر أن جميع الأساقفة كانوا على القول بالوحدانية إلى أيام فكتور (١٨٩ - ١٩٩م)[2].

أما أهم الفرق الموحدة والتي كان لها الأثر الكبير في تاريخ النصرانية منهم:

## ٣ - الشمشاطيون:

وهم أتباع بولس الشمشاطي، كان أسقفاً لأنطاكية سنة ٢٦٥م[3]، من أتباع

---

(١) راجع محمد في التوراة، الطهطاوي، ص٨٦، اليهودية والمسيحية، الأعظمي، ص٣٩٧، المسيحية بين التوحيد والتثليث، ص٨٦، ٨٧، الأسفار المقدسة، وافي، ص١٠٨، ١٢٤، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص٣٧.

(٢) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص١٠٥.

(٣) راجع محمد في التوراة، الطهطاوي، ص٨٦، اليهودية والمسيحية، الأعظمي، ص٣٩٨، الملة والنحلة، ص١١٢، ١١٣، الأسفار المقدسة، وافي، ص١٢٤.

أرتيمون، وكانت عقيدتهم التوحيد الخالص، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وأنه إنسان لا إلهية فيه ألبتة[١]. ويضيف النشار في عقيدة بولس الشمشاطي، أنه كان يرى أن الله كرمه وسماه ابنه على التبني لا على الولادة والاتحاد[٢]. وأن الله جوهر واحد وأقنوم واحد، وهو وأتباعه لا يؤمنون بألوهية الكلمة ولا بألوهية الروح القدس.

ويسمون عند بعض المؤرخين بالبوليقانيين. وابن البطريق عندما يشرح مذهب بولس الشمشاطي يؤول كلامه بما يوحي أنه من المثلثين[٣]. وإن كان كلام الشمشاطي لا يوافق عقيدة المثلثين بحال. وقد تعرض في تاريخ الكنيسة للاتهام بأنه من أكبر هراطقة الكنيسة في العصور الأولى[٤].

وقد عقد في أنطاكية ثلاثة مجامع في الفترة من سنة ٢٦٤م إلى سنة ٢٦٩م للنظر في أمره، وقررت هذه المجامع حرمانه وطرده، لكن بقي مذهبه وأتباعه حتى انقرضوا في القرن السابع الميلادي[٥]. بعد أنْ أصبحت عقيدة التثليث عقيدة النصارى بصفة عامة. كما سنرى فيما بعد.

### ٤ ـ الأريوسيون:

وهم أتباع أريوس (٢٥٠م ـ ٣٣٦م) المشهور بالموحد، كان قسيساً في الإسكندرية في بداية القرن الرابع الميلادي، وعرف بنشاطه الديني، واعترف به الأسقف الجديد «إسكندر» الذي تولى ـ رئاسة كنيسة الإسكندرية ـ عام ٣١٣م.

وكان اعتقاده بأن المسيح مجرد بشر وليس إلهاً وابناً لله[٦]. ونقل أحمد عبد الوهاب: أن أريوس قد حاول أن يثبت أن المسيح هو الكلمة ـ كلمة الله ـ وبناء عليه فإنه لا يشارك الله في وجوده الحقيقي، إنه من جوهر مختلف عن

---

(١) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٥١، الفصل، ص١٠٩، ١١٠.

(٢) نشاة الفكر الفلسفي في الإسلام، النشار، ص٩٧، نشأة الطوائف المسيحية، ص٤٢.

(٣) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٥١.

(٤) تاريخ الكنيسة، ص٣٧٩.

(٥) راجع محمد في التوراة، ص٨٦.

(٦) راجع مختصر تاريخ الكنيسة ١/٢٧٦ ـ ٢٨١، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ٢/ ٢٨٧.

جوهر الله الأب، فهو ليس أزلياً مع الأب، وهو مخلوق رغم أنه أول المخلوقات وأرقاها، وقد كان هناك زمن لم يكن الابن فيه موجوداً.

وينقل عنهم مخالفوهم أن الأريوسية ترى أن المسيح أرقى المخلوقات، به خلق كل شيء، وله علاقة خاصة مع الله فهو مخلوق رباني، ولكن العلاقة بينه وبين المخلوقات تتوقف على العطاء الإلهي، والروح يقف بجانب الابن كجوهر ثان مستقل[١].

وقد خلف «اثناسيوس» «إسكندر» في رئاسة كنيسة الإسكندرية، وقد خالف أريوس في عقيدته حيث ذهب إلى أن المسيح إله غير مخلوق يشارك الله في أزليته، وكذلك الروح القدس فالأب إله والابن إله والروح القدس إله، فمن أراد أن يخلص نفسه ـ حسب زعمه ـ فعليه أن يعتقد بالثالوث[٢].

وقد تشيع لأريوس الكثيرون في الإسكندرية وفلسطين ومقدونية والقسطنطينية وحصلت افتراقات عدة داخل كنيسة الإسكندرية في تلك الفترة، وفي سنة ٣٢٥م حكم مجمع نيقية بطرد أريوس من الكنيسة وكفره وأصدر قراره بألوهية المسيح، فبدأت فرقته في الانقراض[٣].

ولم يكن أريوس أول من دعا إلى هذه العقيدة، فبعض المصادر النصرانية تذكر أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح[٤].

وبعد أريوس كان ملتوس قسيس كنيسة أسيوط، ذهب مذهب أريوس في عقيدة التوحيد، وقد انقرضت الفرقة الأريوسية ومن تبعها بعد مجمع نيقية[٥].

## ثانياً: المنحرفون:

في هذا العصر وبجوار الموحدين وجدت آراء من دخلوا في النصرانية

---

(١) راجع طائفة الموحدين، ص١٠، ١١، ١٦، فلسفة الفكر الديني ٢/٢٨٧، تاريخ الأقباط، ص١٥٠ بتصرف، المسيحية بين التوحيد والتثليث، ص٨٨، رسائل الرسل، ص١٦٢ ـ ١٦٧، History of dogma P8 - 20.

(٢) راجع نشأة الطوائف المسيحية، ص٤٢، ٤٣.

(٣) راجع محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، الطهطاوي، ص٨٧، أضواء على المسيحية، ص١٢٢، طائفة الموحدين، ص١٢، ١٣.

(٤) نشأة الطوائف المسيحية، ص٢٩، ٣٠.

(٥) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، الطهطاوي، ص٨٧.

وفيهم بقايا وثنية، ففهموا النصرانية على ضوء ما عرفوه وما استقر في نفوسهم من آراء ومعتقدات سابقة، وهذه الفرق هي:

### ١ ـ البولسية:

نسبة إلى بولس (شاؤول اليهودي) ويعتبر هو وأتباعه أول طائفة ظهرت في مقابل الجماعة الموحدة الأولى.

وقد عقدنا فصلاً خاصاً للحديث عن انحرافات بولس وتحريفاته التي أدخلها على عقيدة التوحيد في النصرانية وأشاعها بين أتباعه[١]. وتعتبر الفرق الخارجة عن التوحيد في هذا العصر من ذيول جماعة بولس الأولى، وهي التي سنعرض لها فيما يلي:

### ٢ ـ الغنوصية الباطنية:

ظهرت في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الميلادي، ويذكر الباحثون أنها مهدت السبيل للنصرانية الهللينية، وكان ظهورها في الإسكندرية، ويرجع الباحثون أصلها إلى يهود حادوا عن الطريق الصحيح. وتنسب إلى سيمون الساحر السامري الذي واجهه يعقوب وبطرس وقد زادت فتنتهم بعد سنة ١٣٥م وكانت تهدف إلى فصل النصرانية عن اليهودية وإلباسها ثوباً هللينياً، فأدخلوا الفلسفة الهللينية عليها، واشتهروا بطقوس الإباحية والفحشاء، ورفض التشريع.

وقد قالوا بإلهين إله الخير ويقابله إله الشر خالق المادة والشر. وتدعي العالمية وترفض حصر الدعوة في بني إسرائيل، وقد اندثرت هذه الطائفة ومن ينتسب إليها، ولكنها مهدت قبل اندثارها لتحريف النصرانية الحقة وظهور النصرانية المثلثة[٢].

ومن العلماء من ذهب إلى أن المذهب الغنوصي ظهر أو يعود إلى «ساتورينيوس» الذي كان يعلم في أنطاكية زمن تراجان، وقد ذهب إلى أن العلم نشأ بواسطة سبعة ملائكة أحدهم كان إله اليهود، وهذا العالم يحتوي على شعلة الحياة من الأب، ولقد نزل المخلص الذي لم تكن له ولادة بشرية ولا جسماً

---

(١) انظر: ص١٦٣.

(٢) راجع A study of early christianity، ص٣١٦، ٣١٧، نشأة الطوائف، ص٤٠، History and thought of the early church، ص٤٥.

بشرياً لمساعدة الطيبين الذين لم يكونوا يملكون هذه الشعلة، ويكون الخلاص من خلال الزهد والتنسك ونجحت هذه التعاليم بصورة محلية في سوريا، ثم انتقلت إلى أبعد من ذلك.

ومن الغنوصيين في الإسكندرية «باسيليديس» وكان يدرس في الإسكندرية ١٣٠م، اعتمد على مذهب الرواقية، فعنده أن الله الأعلى هو عدم الوجود، وأسفل منه توجد ٣١٥ سماء، والتي نشأت منه والتي لا نرى منها إلا أدنى سماء وآخرها، وهذا هو موطن الملائكة الخالقة التي منها يعتبر إله اليهود هو الرئيسي، وهذا الهبوط من عدم الوجود إلى العالم المادي لم يكتمل دون عوائق، ودخلت الفوضى. والهدف إعادة الانسجام ومع هذا الهدف نزل الإنجيل المتطابق مع الأعلى وحل في يسوع ابن مريم وهكذا، ثم أخذ يسوع الذي أوحي إليه دون معاناة لأنه عند الصليب كان سيمون السرياني هو الذي مات في الحقيقة.

وقد ألف باسيليديس أربعة كتب من التفاسير حول الكتاب المقدس، وكان أول نصراني يسجل اسماً في شرح فلسفة الدين المرتكز على النصرانية والمستمد من مصادر يهودية وثنية[١].

وأعظم شخصيات المذهب الغنوصي «فالنتينوس» والذي كان يعلم لروما أثناء حكم أنطونيو، أي زمن كتابة راعي هيرمس[٢]. كان فالنتينوس: أكثر تأثيراً من «باسيليديس» (ت١٦٥م) وكان يرى مثل «باسيليديس» أن الله كائن فردي متعال لا يمكن معرفته، لكنه لم ينشأ من العدم التام، وقد احتفظ هو وأتباعه بإطار يهودي إلى حد كبير في أسطورتهم في الخلق[٣].

## ٣ ـ المرقيونية:

وتنسب إلى مرقيون (٨٥ ـ ١٦٠م)، وكان من أهم زعماء الغنوصية الباطنية التي تحدثنا عنها آنفاً، وكان مرقيون قسيساً من رجال القرن الثاني الميلادي، اعتقد بوجود إلهين: أحدهما عادل اتخذ من بني إسرائيل شعباً مختاراً له وأنزل عليهم التوراة، والإله الآخر إله الخير ظهر متمثلاً في المسيح وخلص الإنسان من

---

(١) The rise of christianity، ص٢٠٥.

(٢) History and Thought of the early church، ص٤٨، ٤٩.

(٣) The rise Of christianity، ص٢٠٧، ٢٠٨.

الخطايا وأبطل أعمال الإله الأول، وذهب د.أحمد شلبي والشيخ أبو زهرة إلى أنه كان يقول إن الآلهة ثلاثة صالح وطالح وعدل بينهما[١].

وبناء على هذا فإن هذه الطائفة لم تكن ترى قدسية لكتب العهد القديم بل ترفضها جميعاً، ولا تعتمد إلا على إنجيل خاص بها وهو إنجيل (مرقيون) وقد اقتربت هذه الطائفة من ديانة زرادشت بقولها بوجود إلهين وانقرضت في القرن العاشر الميلادي[٢].

وذكر صاحب كتاب نشأة الطوائف المسيحية أن مارسيون أو مرقيون صنف أول قائمة بالكتب وأعطاها لقبها الرسمي قائمة رسمية للأسفار المقدسة (Canon)، التي اعتبرت بأن لها سلطان الرسل، وفي نهاية القرن الثاني ظهرت قائمة (Canon) تتضمن معظم كتب العهد الجديد كما هي اليوم[٣].

## ٤ ـ البربرانية:

وهي فرقة كانت تعتقد أن المسيح وأمه إلهان من دون الله، أطلقوا على أنفسهم المريميين، وقد ظلت حتى القرن السابع الميلادي[٤].

## ٥ ـ فرقة إليان:

ذهبت إلى القول بأن المسيح إله وأنه ابن إله مر في البطن كما يمر الماء في الميزاب، لأن الكلمة الابن دخلت من إذنها وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد، وإن ما ظهر في شخص المسيح وقتله وصلبه في أعين الناس هو خيال شبيه بالصورة التي تظهر في المرآة، وقد انقرضت هذه الفرقة بعد القرن الثالث عشر الميلادي وكان لها أتباع في اليمن والشام[٥].

---

(١) أضواء على المسيحية، ص١٢٣، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٥٢، ١٥٣.

(٢) الميزان في مقارنة الأديان، ص١٠٤، الفهرست، ص٤٨٤، اليهودية والمسيحية، الأعظمي ص٣٩٦، نشأة الفكر الفلسفي، ص١٨٩، وافي، ص١٢٢، وقد ذكر أنها انقرضت في القرن العشرين.

(٣) نشأة الطوائف المسيحية، ص٤٠، ٤١، وانظر المسيحية بين التوحيد والتثليث، ص٨٤، History and Thought of the early church ص٥١.

(٤) اليهودية والمسيحية، الأعظمي، ص٣٩٦، الميزان في مقارنة الأديان، ص١٠٤، أضواء على المسيحية، ص١٢٣، الفصل ٢/٤٨، والمسيحية بين التوحيد والتثليث، ص٨٣، ٨٤.

(٥) اليهودية والمسيحية، الأعظمي، ص٣٩٦، الميزان في مقارنة الأديان، ص١٠٤، المسيحية بين التوحيد والتثليث، ص٨٢، ٨٣، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٥٣.

تلك كانت أهم الفرق التي حادت عن طريق التوحيد - وإن ظهرت في عصره -، وخرجت بالنصرانية عن طابعها الأصيل فجاءت في صورة فكر مشتت لا يستقر على مبدأ.

والناظر في تاريخ ذلك العصر يجد أنه أفرز فرقاً كثيرة وخطيرة جداً على ديانة المسيح عليه السلام، حيث غيرت ديانته وظهرت المذاهب والأقوال العديدة في المسيح وتعاليمه[١].

وفي هذا يقول «سلسس» ساخراً: إن المسيحيين تفرقوا شيعاً كثيرة حتى أصبح هم كل فرد منهم أن يكون لنفسه حزباً[٢].

واستطاع إيرينيوس أن يحصي عام ١٨٧م عشرين شيعة مختلفة من النصارى. وأحصى إيفانيوس في عام ٣٨٤م ثمانين[٣].

وقد كان ظهور الفرق المنحرفة في أواخر هذا العصر إرهاصاً لظهور الفرق في عصر التثليث.

## ثانياً: عصر التثليث:

بعد مجمع نيقية أبعد التوحيد رسمياً من الديانة النصرانية، إلا أن الحكومة الرومانية لم تستطع أن تقضي على التوحيد بذلك المجمع، ولكنها أخذت تبعد الموحدين عن مكان الرئاسة في الكنائس، وبكل الوسائل حتى حيل بين العامة وبين صوت التوحيد، وعندئذ كانت الفرق التي تظهر بعد ذلك كما يقول الشيخ أبو زهرة في ظل ألوهية المسيح في الجملة إن استثنينا مقدونيوس وفرقته[٤].

ومن أهم هذه الفرق:

### ١ - الأبوليناريون:

وهم أتباع مقدونيوس. وكانوا أول فرقة ظهرت في ذلك العصر، أنكرت أن

---

(١) راجع تاريخ الفكر المسيحي ١/٣٩٦، تاريخ الكنيسة جون لوريمر ١/١٢٠، ١/١٠٢ - ١٢٣، ١/٤٩٠ - ٤٩٧، ٥٩٢ - ٦٢٠.

(٢) قصة الحضارة ١١/٣١٤.

(٣) قصة الحضارة ١١/٣١٤.

(٤) راجع محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٥٦، ١٥٧.

يكون روح القدس إلهاً وقاومت فرض الألوهية، ويذكر ابن حزم عن مقدونيوس أنه كان يقول بالتوحيد المجرد، وأن عيسى ﷺ عبد مخلوق إنسان نبي رسول الله كسائر الأنبياء عليهم السلام، وأن عيسى هو روح القدس وكلمة الله، وأن روح القدس والكلمة مخلوقان، والله خلق كل ذلك[1].

يقول الشيخ «أبو زهرة»: ولعل مقدونيوس كان من الموحدين فهاله أن يبدأ الأساقفة بتأليه المسيح، ويثنون بتأليه روح القدس فجاهر بإنكار الثاني.

قال «واند»: ارتبط اسمه بمذهب خاص بالروح القدس على الرغم أنه لا علاقة له بذلك، وكان الرأي الذي نسب إليه امتداد للعقيدة الأريوسية فيما يتعلق بالكلمة لكي يجعله يشمل قضية الروح، ووفقاً لذلك لا يمكن الاعتقاد بأن الروح من نفس الجوهر مع الإله الأعلى لأنه مخلوق، وأفضل شيء اعتقده المقدونيون عن الروح أنه ملك أعلى، ولهذا فإن كثيراً ما يطلق عليهم اسم مقاتلون ضد الروح[2].

وفي الوقت الذي أنكر فيه مقدونيوس ألوهية روح القدس لم تكن عقيدة التثليث قد أعلنت في مجمع عام، ولعلّه كان موضع حديث البطاركة كون روح القدس إلهاً فتصدى لإنكار ذلك، وتلقى الناس كلامه بالقبول، ولذا لم ينعقد المجمع للرد عليه إلا بعد أن مات بعدة سنوات[3].

## ٢ ـ النسطورية:

نسبة إلى نسطور الذي كان بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨م[4]، أي أنه ما بين القرن الرابع والخامس كما ذهب إليه أكثر المؤرخين خلافاً لما ذهب إليه الشهرستاني أنّه ظهر في أيام المأمون[5]، وما ذهب إليه النشار أنه ظهر في أوائل القرن الثاني الميلادي[6].

---

(١) راجع الفصل في الملل ١/ ١١٠.

(٢) History and Thought of the early church، ص١٨٧، وذكر واند أن الأبولينارية هم أتباع أبوليناريوس والذي ركز على الطبيعة البشرية للابن، ص١٨٨ ـ ٣٦٥.

(٣) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٥٦، ١٥٧، أضواء على المسيحية، ص١٢٣.

(٤) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٣٥، المنجد في الإعلام، ص٧٠٨.

(٥) الملل والنحل ١/ ٢٢٤.

(٦) نشأة الفكر الفلسفي ١/٩٦.

ويصور الشيخ أبو زهرة مذهب نسطور بأنه ذهب إلى القول بأن عيسى لم يكن إلهاً في حد ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة أو هو ملهم من الله وأنه فوق الناس[1].

وعنده أن الأقنوم الثاني وهو الابن لم يكن إلهاً تجسد ولدته مريم ـ كما يرى ذلك من يراه من المثلثين ـ بل كان يرى أن مريم ولدت الإنسان ثم اتحد الأقنوم الثاني به بعد ولادته وليس ذلك الاتحاد اتحاد مزج وجعلهما شيئاً واحداً، فليس اتحاداً حقيقياً بل اتحاداً مجازياً، لأن الإله منحه المحبة فصار بمنزلة الابن، ومعنى ذلك أن المسيح لم يكن فيه عنصر إلهي قط فليس إلهاً ولا ابن إله، وهذا ما تقرره صاحبة كتاب «تاريخ الأمة القبطية» وهو أن كلام نسطور يلزم منه إنكار ألوهية المسيح[2]. وهو ما يؤكده أحمد شلبي أيضاً حيث أكد أن مذهب نسطور كان محاولة للعودة إلى التوحيد[3].

ويصور النشار مذهبه أنه ناقش فكرة الجوهر والأقانيم نقاشاً عقلياً، وانتهى إلى أن المسيح إنسان وولد إنساناً، ثم حدثت النعمة الإلهية التي نزلت على الرسل من قبل فاتصل اللاهوت بهذا الإنسان ولكن صلته بالمسيح أكثر دواماً واستقراراً فيه ولذلك سمي الابن الوحيد. وقد تمّ هذا الاتحاد كإشراق الشمس في الكوة أو على بلور أو كظهور النقش في الخاتم، وإشراق الشمس في الكوة لم يجعل الكوة شمساً ولا ظهور النقش في الخاتم جعل الخاتم نقشاً، إنّما هو اتصال معنوي فحسب، ولكن ما صدر عن المسيح بعد اتصاله باللاهوت إنّما هو صدور عن المشيئة الإلهيّة، وهو يرى أنّ القتل فيما يزعمه النصارى وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته[4].

ونقل في فلسفة الفكر الديني أنه كان يقول بأقنومين لا بأقنوم واحد وأن

---

(١) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٣٥.

(٢) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٣٥ ـ ١٥٧، وراجع أضواء على المسيحية، ص١٢٣، النصرانية من التوحيد، ص٢٠٢، تاريخ الأقباط ١/ ١٧٧، مختصر تاريخ الكنيسة ١/ ٣٣٨، ٣٣٩، فلسفة الفكر الديني ٢/ ٢٩٠ ـ ٣٠٢، نشأة الطوائف المسيحية، ص٤٧، ٤٨.

(٣) المسيحية، شلبي، ص١٨٩.

(٤) نشأة الفكر الفلسفي ١/ ٩٦.

المسيح يقوم بهما، وينسب إليه القول جهراً بالإثنينية الأقنومية في المسيح وتبادل العمل بين طبيعتي اللاهوت والناسوت وكأنه يقول بالاتحاد بين الطبيعتين[١].

ولعلَّ لويس جرديه يصور مذهب نسطور بما آل إليه أمر النساطرة من بعده كما سنوضح.

وللقضاء على مذهب نسطور[٢] لأنّه كان يقول بأقنومين لا بثلاثة، عقد مجمع لأجل محاكمته في أفسس سنة ٤٣١م، فقرروا فيه إبعاد نسطور عن منصبه ونفيه إلى مصر، واتفقوا على لعنه ولعن أتباعه. ويرىٰ د.عمر الفاروق أستاذ الأديان أنَّ هذا كان أول افتراق بين الثالوثيين والكنيسة النسطورية، لكن النسطوريين الذين جاءوا من بعده انحرفوا عن مبادئه، وقالوا بامتزاج اللاهوت بالناسوت امتزاجاً حقيقياً لا مجازيًّا[٣].

### ٣ ـ اليعقوبيون أو اليعاقبة:

نسبة إلى يعقوب البراذعي الذي انتحل مذهب القائلين بأن للمسيح طبيعة واحدة وهي التقاء اللاهوت والناسوت في المسيح، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت.

ونسبة هذه الفرقة إلى يعقوب البراذعي لأنه أنشط الدعاة إلى هذا المذهب لا لأنه مبتدعه ومنشؤه، فإن هذا المذهب أسبق من يعقوب وأول من أعلنه بطريرك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي، أما يعقوب فقد وجد في القرن السابع الميلادي.

وكان أن عقد النصارى مجمعاً في أفسس سنة ٤٣١م وقرروا فيه القول بالطبيعة الواحدة، ثم رفض ذلك القرار في مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م، وتسبب ذلك في تمسك الكنيسة المصرية برأي بطريركها والانفصال عن الكنيسة الرومانية[٤]، وهو مذهب الأقباط في مصر.

---

(١) راجع فلسفة الفكر الديني ٢/٣٠٢ ـ ٣٠٥.

(٢) الأسفار المقدسة، وافي، ص١٣٣.

(٣) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٥٧ ـ ١٥٩، الأسفار المقدسة، وافي، ص١٣٤.

(٤) راجع أضواء على المسيحية، ص١٢٣، نشأة الفكر الفلسفي ١/٩٧، ٩٨، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٥٩، ١٦٠ ـ ١٧٥، النصرانية من التوحيد، ص٢٠٣، نشأة الطوائف، ص٤٩ حيث أشار إلى طوائف أخرى ذهبت إلى هذا القول بالاتحاد بين الطبيعتين.

### ٤ ـ الملكانيون:

نسبة إلى الملك والملك بالآرامية «ملكا» أي قيصر الروم[1] لا على أنه نسبة إلى شخص اسمه ملكا الذي ظهر بأرض الروم كما ذكر الشهرستاني[2].

والملكانيّة مذهب من وافق القيصر في مجمع خلقدونية الرابع، حيث قالوا: إن الكلمة اتّحدت بجسد المسيح وتذرعت بناسوته، فهو عندهم له طبيعتان لاهوتية وناسوتية[3]، وأنّ الله عبارة عن ثلاثة أقانيم الأب والابن وروح القدس[4]، وهم جل النصارىٰ، وقد انقسموا إلى طوائف منهم:

## ثالثاً: عصر الانقسام[5]:

### ١ ـ المارونية:

أتباع يوحنا مارون الذي قال بالمشيئة الواحدة لله مع القول بالطبيعتين، وكان قوله هو السبب في انعقاد المجمع السادس عام ٦٨٠م، والذي قرر نفي يوحنا ولعنه وإقرار مشيئتين لله[6]. ولكنه استمر على قوله والتزم قوله أتباعه، وكونوا بذلك الكنيسة المارونية.

### ٢ ـ الكاثوليك:

وكنيستهم تسمّى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية، ومعنى الكاثوليكية أي العامة، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلىٰ الغرب اللاتين خاصة، كما ذكرنا وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان، وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس كبير الحواريين، والبابوات في روما خلفاؤه.

---

(١) ذكر ابن كثير أن الملكية نسبة إلى دين الملك وهو قسطنطين. انظر البداية والنهاية، ٢/ ١٥٤.

(٢) الملل والنحل ١/ ٢٢٢.

(٣) انظر: ص٣٢٥.

(٤) راجع نشأة الفكر الفلسفي ١/ ٩٥، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص٢٠١، ٢٠٢، الميزان، ص١٠٤، ١٠٥.

(٥) انظر: تفاصيل هذا الانقسام في هذا العصر فصل المجامع ص٣٢٧ وما بعدها.

(٦) الأسفار المقدسة، وافي، ص١٣٤، أضواء على المسيحية، ص١٢٣، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٦٠.

والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي، ويرأسه البابا والكرادلة، وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة[1].

وأهم ما يتميزون به:

١ ـ قولهم بأن الروح القدس انبثق من الأب والابن معاً.

٢ ـ يبيحون أكل الدم والمخنوق.

٣ ـ أن البابا في الفاتيكان هو الرئيس العام علىٰ جميع الكنائس الكاثوليكية.

٤ ـ تحريم الطلاق بتاتاً حتىٰ في حالة الزنا[2].

### ٣ ـ الأرثوذكس:

وتسمّى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية، لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية علىٰ العموم كروسيا، والبلقان واليونان. كان مقرها الأصلي القسطنطينية. وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية عام ١٠٥٤م، وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة.

وأهم ما يتميزون به:

١ ـ أن الروح القدس انبثق عندهم من الأب فقط.

٢ ـ تحريم الطلاق إلا في حالة الزنا فإنه يجوز عندهم.

٣ ـ لا يجتمعون تحت لواء رئيس واحد بل كل كنيسة مستقلة بنفسها[3].

وقد أشرنا عند حديثنا في الباب الأول إلى الأسباب السياسية والدينية لهذا الانقسام[4].

### ٤ ـ البروتستانت:

وهم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي

---

(١) المسيحية، شلبي، ص٢٣٩.

(٢) راجع المسيحية، شلبي، ص٢٤٠، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٦٥.

(٣) دراسات في الأديان، الخلف، ص٢٣٨.

(٤) انظر ص١١٤ وما بعدها.

في ألمانيا كما ذكرنا[1]، وكان ينادي بإصلاح الكنيسة وتخليصها من الفساد الذي صار صبغة لها.

وأهم ما يتميز به أتباع هذه الطائفة:

١ ـ أن صكوك الغفران دجل وكذب، وأن الخطايا والذنوب لا تغفر إلا بالندم والتوبة.

٢ ـ أن لكل أحد الحق في فهم الإنجيل وقراءته، وليس وقفاً على الكنيسة.

٣ ـ تحريم الصور والتماثيل في الكنائس باعتبارها مظهراً من مظاهر الوثنية.

٤ ـ منع الرهبنة.

٥ ـ أن العشاء الرباني تذكار لما حل بالمسيح من الصلب في زعمهم، وأنكروا أن يتحول الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح عليه السلام.

٦ ـ ليس لكنائسهم رئيس عام يتبعون قوله.

وقد انتشرت هذه الطائفة في ألمانيا كما ذكرنا وبريطانيا وكثير من بلاد أوربا وأمريكا الشمالية[2].

تلك كانت أهم الفرق التي ظهرت في تاريخ النصرانية والتي كان لها دور بارز في تحريف عقائدها.

ويمكن إبراز أهم نتائج ظهور الفرق فيما يأتي:

**أولاً**: لقد أدى ظهور الفرق إلى تحريف النصرانية وعقائدها، وذلك بترك عقيدة التوحيد التي بنيت عليها النصرانية، والتي بقيت عدة قرون يدعو إليها المخلصون من النصارى، ويدافعون عنها سواء كانوا أفراداً أو جماعات.

ويتضح تحريف هذه الفرق لعقيدة التوحيد فيما تبنته من عقائد وثنية أو مثلثة، وما اختلفت فيه من الآراء في شأن طبيعة المسيح ومشيئته، حيث ذهب بعضها إلى القول بوحدة هذه الطبيعة أو المشيئة أو بتعددها، وحيث اختلفوا في

---

(١) انظر ص١٢١.

(٢) راجع محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٦١ ـ ١٦٤ ـ ١٨٠، دراسات في الأديان، الخلف، ص٢٣٩.

طبيعة العلاقة بينه وبين الله على نحو ما ذكرنا عن أصحاب وأتباع الفرق السابقة، متأثرين في تحريفهم للعقيدة النصرانية بالوثنيات والثقافات التي كانوا عليها قبل تنصرهم، والتي كانت لا تزال محيطة بهم في مواطن النصرانية.

**ثانياً**: قام أرباب هذه الفرق بتحريف الأناجيل الكثيرة التي كانت شائعة في ذلك العصر، بحيث تتفق نصوصها مع عقيدة تلك الفرق.

**ثالثاً**: أدى ظهور الفرق النصرانية إلى انعقاد المجامع لحسم الخلاف الناتج عن تعدد العقائد المحرفة فيما بينها، مما نتج عنه أحياناً انفصال بعض الكنائس عن بعضها، وإقرار العقائد المنحرفة واستبعاد النزعات التوحيدية.

**رابعاً**: لقد أدى افتراق الطوائف النصرانية في عقائدها كما رأينا، وما تبعه من الصراع الطائفي فيما بينها - لقد أدى كل ذلك إلى ظهور اضطهاد الطوائف النصرانية بعضها لبعض، سواء كان ذلك الاضطهاد بين الأفراد أو الجماعات.

وهكذا كان ظهور الفرق النصرانية والاختلاف فيما بينها عاملاً مهماً من عوامل تحريف العقيدة بكل ما ترتب على هذا التحريف من نتائج.

# الفصل الرابع

# المجامع النصرانية وأثرها في تحريف العقيدة

**تمهيد:**

المجامع في النصرانية هي كما يقول علماؤهم جماعات شورية[1] في الكنيسة تبحث في الأمور المتعلقة بالديانة النصرانية وأحوال الكنائس.

ويرى النصارى أن تلاميذ المسيح هم الذين رسموا نظام هذه المجامع في حياتهم، حيث عقدوا المجمع بأورشليم بعد ترك المسيح لهم باثنتين وعشرين سنة، وقرر هذا المجمع كما رأينا[2]، عدم التمسك بالختان، بل زاد على ذلك عدم التمسك بمحرمات التوراة، إلا تحريم الزنا وأكل المخنوق وأكل الدم وأكل ذبائح الأوثان، ويقرر علماؤهم أن التلاميذ بهذا المجمع الذي بيّنه سفر الأعمال في إصحاحه الخامس عشر قد سنوا للنصارى سنة جمع المجامع لدراسة ما يتعلق بالعقيدة والشريعة.

والمجامع عندهم قسمان: مجامع عامة أو على - حد تعبيرهم - مجامع مسكونية: أي تجمع رجال الكنائس النصرانية من كل أنحاء المعمورة المسكونة. ومجامع محلية أو مكانية - على حد تعبيرهم - وهي التي تعقدها كنائس مذهب أو أمة في دوائرها الخاصة من أساقفتها وقساوستها إما لإقرار عقيدة أو لرفض عقائد أخرى[3]. إلى غير ذلك من الشئون المحلية للكنائس.

---

(١) يقول الدكتور سعود الخلف معلقاً: هكذا يزعم النصارى أنها هيئات شورية والناظر في تلك المجامع خاصة التي بحثت في العقيدة يجد أنها تنتهي ولم يتفق المجتمعون على الأمور التي بحثت فيكون هناك جبر وموافقة قسرية على قول من تلك الأقوال، وإن لم يكن جبر يحدث الانقسام بأن تذهب كل مجموعة بقولها الذي جاءت به وهو ما يتنافى مع كونها شورية إلا أن يقال أنها هيئات شورية إلزامية. دراسات في الأديان، ص١٥٢.

(٢) انظر: ص٨١.

(٣) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٢٠، ١٢١، النصرانية والإسلام، الخلف، =

وفيما يتعلق بالمجامع المسكونية ـ وهي موضوع حديثنا في هذا الفصل ـ يقول د. عمر أستاذ الأديان: «لم يتحقق في المجامع شرط المسكونية أبداً، وإنما يقال لها مسكونية على فرض حضور جميع أساقفة العالم، ولعل القول إنها عامة أقرب إلى الصواب».

وكلامنا هنا سيقتصر على المجامع المسكونية ـ كما يسمونها ـ سواء وافق على قراراتها جميع الحاضرين فيها، أو لم يوافق عليها بعضهم. وذلك في حدود الدراسة لهذه المجامع، من مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، إلى مجمع القسطنطينية الخامس سنة ٨٧٩م، والذي انقسمت بعده الكنائس إلى شرقية وغربية.

وقد كانت تلك الفترة وما عقد فيها من مجامع هي التي تقررت فيها العقائد النصرانية عند معتنقيها، وهي التي رسمت التقاليد الكنسية القائمة في الكنائس إلى الآن، وأقرت كل ما طرأ على النصرانية من تحريفات عقدية وتشريعية.

ونبدأ بأول هذه المجامع وأعظمها أثراً في تاريخ العقيدة النصرانية ـ وهو مجمع نيقية سنة ٣٢٥م[١].

## ١ ـ مجمع نيقية سنة ٣٢٥م:

وقد انعقد هذا المجمع بسبب التعارض والاختلاف العقدي الموجود في الكنيسة في تلك الأزمان، وذلك أنه ما إن توقف الاضطهاد الواقع على النصارى من قبل الرومان بمرسوم ميلان[٢]. حتى ظهر على السطح ذلك الخلاف العقدي الكبير بين طوائف النصارى، والذي كان يخفيه من قبل الاضطهاد الواقع على طوائف النصارى والذي كان من أسباب رسوخ هذه الانحرافات العقدية كما سيتبين.

= ص١٩١، المسيحية، شلبي، ص١٩٧، وأضواء على المسيحية، ص٩٤، ٩٥، وراجع دائرة المعارف البريطانية ٦/ ٥٨٧، ٥٨٨، دائرة معارف الدين والأخلاق حيث تقسم المجامع إلى عشرة أنواع نقلاً عن دراسات في النصرانية، مزروعة، ص١٣٨، ١٣٩.

(١) نيقية مدينة في تركيا تسمى الآن «أرنك». نشأة الطوائف المسيحية، ص٤٤.

(٢) مرسوم ميلان أصدره الإمبراطور قسطنطين ليسينيوس سنة ٣١٣م، ويقضي بإعطاء النصارى الحرية في الديانة وإرجاع أملاكهم المغتصبة وإقرار حرية الأديان عموماً. انظر نص المرسوم في كتاب تاريخ أوروبا للعصور الوسطى، ص٥٠، تأليف، د. الباز العريني، وانظر، ص١٠١، من البحث.

وكان أبرز وجوه الاختلاف: ذلك الخلاف والتعارض بين دعوة كنيسة الإسكندرية التي تنادي بألوهية المسيح على مذهب بولس، وبين دعوة الأسقف الليبي «آريوس» في الإسكندرية أيضاً. الذي وُصفَ بأنه عالم مثقف، وواعظ مفوه، وزاهد متقشف، وعالم بالتفسير، حيث أخذ ينادي بأن الله إله واحد غير مولود أزلي، أما الابن فهو ليس أزلياً وغير مولود من الأب وأن هذا الابن خرج من العدم مثل كل الخلائق حسب مشيئة الله وقصده[١].

وشايع أريوس في دعوته العديد من الأساقفة، منهم أسقف نيقوميدية المسمى أوسابيوس وغيره.

وكان الإمبراطور «قسطنطين» في ذلك الوقت قد أبدى تعاطفاً قوياً تجاه النصارى ورفع عنهم الاضطهاد واهتم بشئونهم[٢]، فهاله ما رأى من انقسام النصارى، وأدرك خطورة تلك الانقسامات على دولته، والتي كان أخطرها ما كان بين أسقف كنيسة الإسكندرية الكسندروس وآريوس وأتباعه.

وكان الخلاف قد تطور بينهما وذلك بأن طلب أسقف الإسكندرية عقد مجمع - محلي - في الإسكندرية للنظر في قضية آريوس ودعوته، فقرر ذلك المجمع طرد آريوس من الخدمة، وقد أدى هذا إلى خروج «آريوس» من كنيسة الإسكندرية وتوجهه إلى آسيا حيث عقد في «بثينية» بآسيا الصغرى مشايعوه من الأساقفة مجمعاً - محلياً - قُرِرَ فيه قبول آريوس وأتباعه وكتابة طلب إلى أسقف الإسكندرية برفع الحرمان الذي قرروه عليه[٣].

فهذا ما جعل الإمبراطور «قسطنطين» يدعو إلى مجمع عام في نيقية سنة ٣٢٥م لبحث هذه القضية.

---

(١) راجع كتاب تاريخ الفكر المسيحي ٦١٩/١.

(٢) يرى المؤرخ هـ. فيشر: أن أهداف قسطنطين في ذلك التقريب للنصارى كانت أهدافاً سياسية حيث رأى أن الديانة النصرانية تنتشر على حساب الأديان الأخرى، كما أنه أراد أن يكونوا عوناً له في القضاء على إمبراطور بيزنطه ليسينيوس. وهذا ما تحقق له فيما بعد وكان قسطنطين يعتبر نفسه الكاهن الأعظم للديانة النصرانية وهو في نفس الوقت يجمع بين عبادة الشمس والانتساب للنصرانية، ولم يسمح بتعميده إلا وهو على فراش الموت على مذهب آريوس وذلك سنة ٣٣٧م. راجع، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى تأليف هـ. فيشر ترجمة محمد زيادة، ص٦، ٧.

(٣) انظر: تاريخ الفكر المسيحي (١/ ٦٢١، ٦٢٢).

ومما نوقش في هذا المجمع مسألة الكتب المشكوك في قداستها سواء تلك التي زادت بها الترجمة السبعينية لأسفار التوراة على الأصل العبري، أو غيرها من أسفار النصارى أنفسهم[١].

وقد اختلف كلام النصارى في ذكر عدد المجتمعين في هذا المجمع فالبعض يرى أن عدد المجتمعين كان ٣١٨ أسقفاً فقط، وبعضهم يرى أنهم ما بين ٣٠٠ ـ ٥٢٠[٢]. ويذكر ماري سليمان في كتاب «المجدل» وكذلك ابن البطريق أن عددهم كان (٢٠٤٨) أسقفاً[٣].

أما مذاهب الحاضرين فكانت متباينة تبايناً شديداً ـ كما يقول ابن البطريق ـ لأنهم كانوا مختلفين في الآراء والمعتقدات:

ـ فمنهم من كان يقول: إن المسيح وأمه إلهان من دون الله وهم البربرانية.

ـ ومنهم من كان يقول: إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها وهي مقالة سابليوس.

ـ ومنهم من كان يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب.

ـ ومنهم من كان يقول: إن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وأن الابن من مريم، ويرون أن الله جوهر قديم واحد وأقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية.

ـ ومنهم من كان يقول: إنهم ثلاثة آلهة لم تزل: صالح، طالح، وعدم بينهما. وهي مقالة مرقيون وأصحابه.

ـ ومنهم من كان يقول: بألوهية المسيح، وهي مقالة بولس ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً[٤].

---

(١) في مقارنة الأديان، الشرقاوي، ص٣٢. وانظر هامش، ص١٣٨، من البحث.

(٢) راجع تاريخ الفكر المسيحي (١/ ٦٢١، ٦٢٢) وتاريخ الكنيسة ـ لجون لوريمر (٣/ ٤٢).

(٣) راجع كتاب أخبار بطاركة المشرق من كتاب المجدل، ص١٥، وكتاب يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ص٢١٢، وينقل هذا عن ابن البطريق زكي شنودة في تاريخ الأقباط.

(٤) كتاب محاضرات في النصرانية، ص١٢٤، حيث ينقل عن ابن البطريق، وكذلك نقلها زكي شنودة في كتابه «تاريخ الأقباط» ونقلها عنه، د. رؤوف شلبي في كتابه يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ص٢١٢.

وبعد أن تداول المجتمعون الآراء في ذلك المجمع خرجوا بتقرير ألوهية المسيح عليه السلام وبنوته لله - حسب زعمهم -[1] وأنه مساوٍ لله جل وعلا[2]، وأنه مولود منه غير مخلوق - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً -.

كما قرروا أن هذا الإله تجسد بصورة البشر لخلاص الناس، ثم ارتفع إلى السماء بعد قيامته من الموت، وهذا ما تضمنه قانون الإيمان النيقوي، حيث جاء فيه: «نؤمن بإله واحد الله الأب كلي القدرة، خالق كل شيء، ما يرى وما لا يرى، ونؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله، المولود من الأب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، من ذات الجوهر مثل الأب، به خلق الكل، ما في السموات وما على الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وعاش بين الناس، الذي تألم وفي اليوم الثالث قام، وصعد إلى السموات، ويأتي ليدين الأحياء والأموات»[3].

كما تقرر في هذا المجمع لعن آريوس ومشايعيه، وحرق كتبه، وقد قرر هذا المجمع كذلك أن تعاليم الدين لا يمكن تلقيها من الكتب رأساً، بل من أفواه العلماء ورجال الكهنوت وأن أقوالهم حجة[4].

وقد وقع كثير من المجتمعين على هذه القرارات لمناصرة قسطنطين لها،

---

(١) يلاحظ هنا أن نص قانون الإيمان الذي قرروه في ذلك المجمع هو النص الذي قدمه أسقف الإسكندرية القائل بألوهية المسيح، والبعض يذكر أن كلمة «أن الابن من نفس جوهر الأب»، وهي التي كان يدور حولها الخلاف الكبير بين أولئك المجتمعين كانت من اقتراح الإمبراطور قسطنطين. راجع تاريخ الكنيسة (١/٤٨) ومن المعلوم أن قسطنطين كان في ذلك الوقت لا يزال وثنياً، لم يعلن دخوله في النصرانية، وهذا يدلنا على مستوى تلك الموافقة الظاهرية التي وقعت في ذلك المجمع وأنها إنما كانت ترؤس الإمبراطور ذلك المجمع وتدخله المباشر فيه. وخطورة تلك الإضافة التي ركز عليها في ذلك المجمع أنها نقلت المسيح من أن يكون بشراً مخلوقاً إلى إله خالق، وأورثت النصرانية كل الانحرافات التي حدثت بعد ذلك والجدل الطويل حول المسيح والمجمعات الكثيرة التي انعقدت حول ما تفرع عن الكلام حول المسيح وطبيعته، كما جعل النصرانية تنقل من صف الدين السماوي الموحد إلى صف الأديان الوضعية التي تقوم على تعدد الآلهة وعبادة غير الله. راجع النصرانية والإسلام، الخلف، ص١٩٦، ١٩٧.

(٢) قال في البحث الصريح: الاعتقاد بأن سيدنا عيسى مساو لله في الجوهر هو بدعة حديثة مستجده في الديانة النصرانية سنة ٣٦٠م انظر مخطوطة البحث الصريح. لوحة: ٤.

(٣) تاريخ المسيحية ١/٤٨.

(٤) راجع الكتب السماوية، ص٣٤، قصة الحضارة ١١/٣٨٧.

ويرى ابن البطريق أن (٣١٨) أسقفاً فقط هم الذي أظهروا هذا القول ووقعوا عليه وخالفهم بقية الأساقفة[١]، والبعض الآخر يرى أن الجميع وقعوا عليها ما عدا «يوسابيوس» أسقف «نيقوميدية» في قول بعضهم وشخص آخر، فقد رفضا التوقيع على ذلك النص[٢].

وهكذا انتصر القائلون بألوهية المسيح بمساندة وتأييد الإمبراطور، حيث ينص المؤرخون على ترأسه لذلك المجمع[٣].

ومما يدل على أن القول بألوهية المسيح لم يكن مجمعاً عليه ما يذكره القس «حنا الخضري» ـ بعد ذكر الانتصار الذي حققه مشايعو مقولة بولس ـ قال: «ولكن للأسف الشديد كانت الحقيقة الواقعة تختلف الاختلاف كله عن القرارات المجمعية، فقد رجع الأساقفة بعد مجمع نيقية إلى أبرشياتهم والقسوس إلى كنائسهم وبدأ كل منهم يعلم ما كان يعلم به قبلًا. بل إن البعض تطرف في الهرطقة التي فاقت هرطقة «آريوس» نفسه. فمع أن آريوس وبعض أتباعه نفوا، إلا أن الأريوسية بنت عشها في حدائق كثيرين من الأساقفة والرعاة[٤]».

ومن الجدير بالذكر أن الأناجيل التي اختارتها الكنيسة كانت مجهولة لدى النصارى ولم تعرف إلا في عصر متأخر حتى قيل: إنه لم يكن معترفاً بها قبل إقرار

---

(١) راجع محاضرات في النصرانية، ص١٢٤.

(٢) راجع مجموعة الشرع الكنسي، ص٤٣، تاريخ الكنيسة، ص٤٩.

(٣) راجع النصرانية والإسلام، الخلف، ص١٩٧، ١٩٨، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، فيشر، ص٨، تاريخ أوروبا للعصور الوسطى، الباز العريني، ص٧٤، وانظر مجمع نيقية مجموعة الشرع الكنسي، ص٤١ وما بعدها، نشأة الطوائف المسيحية، ص٤٤، ٤٥، المسيحية بين التوحيد والتثليث، عبد المنعم عثمان، ص٩٦ ـ ١٠٦، المجامع، ص١٠٢ ـ ١٠٦، أضواء على المسيحية، ص٩٦ ـ ١٠٠، عقيدتنا التثليث والصلب، ص٢٨ ـ ٣٨، أهم عوامل انحراف النصرانية، ص١٨٤ ـ ١٨٩، مختصر تاريخ الكنيسة، ص٢٨٢ ـ ٢٨٤، الأسفار المقدسة، ص١٢٥، ١٢٦، المسيحية، شلبي، ص١٤٦ ـ ١٤٩ ـ ١٩٨، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص١٥٧ ـ ١٨٣، لمحة تاريخية عن الانقسام الكنسى إبراهيم خليل أحمد، المنهل، عدد ٥، جمادى الأولى، سنة ١٣٩٨، إبريل، مايو ١٩٧٨م، مجلة الأزهر، جـ٤، السنة ٥٧، ربيع الآخرة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، محمد الحديدي الطير، الأزهر، جـ٢، سنة ٣٨، صفر ١٣٨٦، مايو ١٩٦٦، دين الله ودين القوة، أحمد حسن الزيات، والله واحد أم ثالوث، ص٢٥.

(٤) راجع تاريخ الفكر المسيحي، ص٦٤٣. وانظر مقالة «بورمانس موريس»، ص٥، مجلة إسلاميات مسيحيات، روما، ١٩٧٦م، المعهد البابوي للدراسات الإسلامية.

الكنيسة. ويذكر بعض المؤرخين أنه لا توجد إشارة إلى إنجيل متى ومرقس ولوقا قبل آخر القرن الثاني أو ابتداء القرن الثالث، وأول من ذكرها أرينيوس عام ٢٠٩م وأورد بعض الدلائل على عددها، ثم قرر أنها مجرد صور لإنجيل واحد، ثم جاء أكليمندس الإسكندري ٢١٦م فاجتهد وقرر أن الأربعة واجبة التسليم واعترف بصحتها[١].

ويعزو ابن البطريق إلى هذا المجمع اعتماد الأناجيل الأربعة وإلغاء ما عداها[٢].

قرر هذا المجمع (نيقية) وجوب تسليم سفر (يهوديت) فقط ويظهر ذلك من المقدمة التي كتبها جيروم على هذا السفر، فظلت الأسفار الأخرى المشكوك فيها كما هي غير مسلمة من علماء مجمع نيقية[٣].

ولما كان قرار مجمع نيقية بألوهية المسيح فرض بقوة السلطان فإن السلطان وهو الإمبراطور رجع فيما بعد عنه وأمر بعقد مجمع صور سنة ٣٣٤م وقرر فيه إعادة «آريوس» إلى الكنيسة، وخلع «أيناسيوس» أسقف الإسكندرية، أحد أكبر المدافعين عن عقيدة ألوهية المسيح[٤].

---

(١) راجع: الإنجيل والصليب، ص١٤ ـ ١٩.

(٢) راجع: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، عبد القادر شيبة الحمد، ص٤٢.

(٣) ثم انعقد مجمع لوديسيا سنة ٣٦٤م فأقر حكم المجلس الأول وزاد عليه وجوب تسليم سبعة أسفار: سفر أستير، رسالة يعقوب، رسالة بطرس الثانية، رسالة يوحنا الثانية، رسالة يهوذا، رسالة بولس إلى العبرانيين. وقرر هذا المجمع إبقاء سفر رؤيا يوحنا مشكوكاً فيه وغير مسلم من الكنيسة. ثم انعقد مجمع قرطاج سنة ٣٩٧ وأعيد انعقاده عام ٤١٩م، برئاسة أوغسطس وأقر حكم المجالس السابقة بشأن الأسفار المقدسة المعتمدة والشكوك فيها وزاد عليها وجوب تسليم سبعة أسفار أخرى: الحكمة، طوبيا، باروخ، إيكليزيا ستيكس، المقابين الأول، المقابين الثاني، رؤيا يوحنا.
وقد عد سفر باروخ جزءاً من سفر أرمياء لأن باروخ كان بمنزلة نائب أرمياء وخليفته فلم يكتب اسم سفر باروخ على حده في فهرست أسماء الأسفار. راجع مقارنة الأديان، الشرقاوي، ص٣٢، ٣٤، محاضرات في الأديان إبراهيم خليل، ص١٣ ـ ١٧.
قال في علم اللاهوت النظامي: وأما زعم البعض أن مجمع لاودكية ٣٦٤م عين قانونيا الأسفار القانونية فغير صحيح والصواب هو أن ذلك المجمع إنما ذكر فهرس الأسفار التي كانت مقبولة. ولا ريب أنه لما كانت أسفار العهد الجديد قد كتبت وأرسلت في أول الأمر إلى أفراد وكنائس متفرقة في أقطار العالم خلافاً لأسفار العهد القديم اقتضى وقت طويل لإذاعتها ولمعرفتها أنها قانونية. ص٩٧.

(٤) راجع تاريخ الفكر المسيحي ١/ ٦٥٠، تاريخ الكنيسة ٣/ ٥٩، دراسات في الأديان، الخلف، ص٩٩.

ويذكر ابن البطريق هذا المجمع بقوله أن أوسابيوس أسقف نيقوميديا كان موحداً من أنصار آريوس، تقرب إلى قسطنطين لتزال عنه اللعنة، وجعله بطريرك القسطنطينية، وما إن ولي هذه الولاية حتى صار يعمل للوحدانية في الخفاء فكان المجمع الإقليمي في صور، وهو مجمع لا يذكره النصارى تصريحاً، وإن كانت كتاباتهم لا تستطيع إغفاله[1].

وهكذا يتبين أن هذا المجمع الذي يعد من أخطر المجامع كان ألعوبة بيد الإمبراطور الذي كان وثنياً ولم يكن من أهل تلك الملّة وقت ترأسه ذلك المجمع، كما أن المجتمعين لم يكونوا يعتمدون على نصوص متفق عليها مقبولة لدى الجميع وإلا لتم الإذعان لمدلولها، وإنما كانوا يعتمدون على تصوراتهم أو تصورات أمثالهم من الناس فلهذا وقع الإعراض عنها بعد عودتهم إلى كنائسهم[2].

وقد استمر نشاط الموحدين بعد هذا المجمع ونفوذهم وعقدت مجامع عدة كان للموحدين فيها أصوات مرتفعة، وقد دلت المصادر على أنهم لم يكونوا قلة بل كانوا هم الأكثرية[3].

## ٢ ـ مجمع القسطنطينية ٣٨١م:

دعا الإمبراطور «ثيودوسيوس» سنة ٣٨١م إلى عقد مجمع القسطنطينية لمواجهة دعوات كانت منتشرة بين الكنائس، منها:

ـ دعوة «مقدونيوس» الذي كان أسقفاً للقسطنطينية، الذي نادى بأن الروح القدس مخلوق وليس إلهاً.

ـ ودعوة «سابيليوس» الذي كان ينكر وجود ثلاثة أقانيم.

ـ دعوة «أبوليناريوس» الذي كان أسقفاً على اللاذقية والشام والذي أنكر وجود نفس بشرية في المسيح.

---

(١) راجع دراسات في الأديان، الخلف، ص١٩٨، محاضرات في النصرانية، ص١٢٩، كتاب يا أهل الكتاب، ص٢١٧، ٢١٨، المسيحية بين التوحيد والتثليث، ص١٠٨، ١٠٩.

(٢) راجع دراسات في الأديان، الخلف، ص١٩٩.

(٣) راجع المسيحية بن التوحيد والتثليث، ص١٠٩ ـ ١١٥، طائفة الموحدين، ص٢٥، قصة الحضارة ٢٠/ ٤٥.

فحضر ذلك المجمع مائة وخمسون أسقفاً. قرروا فيه ألوهية الروح القدس، ولعن وطرد من خالف ذلك مع إثباته لعقيدة نيقية[1]، فاكتمل بذلك ثالوث النصارى بهذا المجمع الأب والابن والروح القدس ووضع المجمع تكملة قانون الإيمان النيقوي حيث زادوا الإيمان بألوهية الروح القدس[2].

وكما هو ظاهر فإن هذا المجمع عقد بدعوة من الإمبراطور «ثيودسيوس» الذي أمر بانعقاده لمصلحة القائلين بألوهية المسيح والمثلثين من النصارى[3].

وقد عقد عام ٣٨٢ في روما[4] مجمع آخر زعم البعض أنه مسكوني، وفي الواقع أنه لم يكن كذلك، ولم يرد ضمن مجموعة الشرع الكنسي أنه من ضمن المجامع المسكونية، وكان انعقاده لترتيب الأسفار، والذي قرر أن تكون أسفار العهد الجديد على الترتيب التالي: الأناجيل الأربعة، رسائل بولس الأربعة عشر، رؤيا يوحنا وأعمال الرسل، الرسائل الكاثوليكية أو الجامعية وعددها سبعة رسائل.

## ٣ ـ مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م:

وقد انعقد هذا المجمع لمواجهة قول «نسطور» أسقف القسطنطينية، بأن المسيح له طبيعتان إلهية وإنسانية بشرية[5] وأن مريم والدة الإنسان وليست والدة الإله.

---

(١) راجع مجموعة الشرع الكنسي، ص٢٤١ وما بعدها، تاريخ الكنيسة (٣/ ١٠٤ ـ ١١١)، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص١٨٣، تاريخ المسيحية حبيب سعيد، ص١٥٣، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٣٢، نشأة الطوائف المسيحية، ص٤٥، ٤٦، الأسفار المقدسة، وافي، ص١٢٦، ١٢٧ المسيحية، شلبي، ص١٥٦، ١٥٧، ١٩٩، عقيدتا التثليث والصلب، ص٤٠، ٤١، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص٢١٨ ـ ٢٢٢، أضواء على المسيحية، ص١٠٠، ١٠١، المجامع النصرانية، ص١٠٧، المسيحية بين التوحيد والتثليث، ص١١٦ ـ ١١٨.

(٢) المجامع النصرانية، ص١٠٨.

(٣) راجع النصرانية والإسلام، ص٢٠٠، ومعاول الهدم والتدمير، ص٥١.

(٤) ذكر الطهطاوي أنه تمّ اعتماد الأناجيل الأربعة سنة ٣٢٥م، راجع محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص٩٥. وهو أمر ليس له ما يؤيده.

(٥) راجع كتاب تاريخ الفكر المسيحي، ٢/ ١٧٠، تاريخ الكنيسة جون لوريمر، ٣/ ٢١٥، ويذكر البعض أن نسطوراً كان يرى أن المسيح لم يكن إلهاً وإنما هو إنسان مملوء من البركة والنعمة. راجع كتاب النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص١٨٤.

فعقد المجمع في أفسس سنة ٤٣١م بحضور مائة وستين أسقفاً، وقرر فيه أن المسيح إله وإنسان ذو طبيعة واحدة وأقنوم واحد، وأن مريم أم الإله وحكم على «نسطور» بالطرد من الكنيسة[١].

وبعد مجمع أفسس عُقدت مجامع عديدة[٢] كلها تبحث عن طبيعة المسيح عليه السلام منها:

## ٤ ـ مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م:

وفي هذا المجمع عادوا للبحث في طبيعة المسيح وقرر المجتمعون فيه: أن المسيح له طبيعتان إلهية وبشرية. وقد قال ابن البطريق في بيان قرار هذا المجمع قالوا: إن مريم العذراء ولدت إلهنا ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبقة الإلهية ومع الناس في الطبقة الإنسانية وشهدوا أن المسيح له طبيعتان وأقنوم واحد ووجه واحد ولعنوا نسطوريوس ومن يقول مقالته[٣].

وكان المناصرون لهذا القول هم الأساقفة الغربيون (الكاثوليك) الذين لعنوا وطردوا من لا يقول بهذا القول. ولم توافقهم الكنائس الشرقية على هذا وقد أصروا على قرارهم السابق في مجمع «أفسس» بأن المسيح له طبيعة واحدة إلهية وبشرية[٤]، وهذا من أهم الفوارق بين الكاثوليك القائلين بالطبيعتين، والأقباط

---

(١) راجع، مجموعة الشرع الكنسي، ص٢٨٨، تاريخ الكنيسة جون لوريمر (٣/٢١٩)، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص١٨٥، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٣٥، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص٢٢٣ ـ ٢٢٦، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص٩٠، ٩١، المسيح، عبود، ص٩٠، الأسفار المقدسة، وافي، ص١٣٣، نشأة الطوائف المسيحية ٤٨، مختصر تاريخ الكنيسة ص٣٤٦، المسيحية، شلبي، ص١٩٩، أضواء على المسيحية، ص١٠٢ ـ ١٠٤، عقيدتا التثليث والصلب، ص٤٤ ـ ٤٦، المجامع النصرانية، ص١١٠ ـ ١١٤، دراسات في الأديان، ص١٦١.

(٢) انظر: كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص٢٢٦، عقيدتا التثليث والصلب، ص٤٧، نشأة الطوائف المسيحية، ص٤٩، ومن هذه المجامع مجمع اللصوص، سنة ٤٤٩. والذي سمي بذلك لطبيعة إجراءاته، وأفسس الثاني. المسيحية، شلبي، ١٩٩، النصرانية من التوحيد، ص١٨٥، قصة الحضارة، ١٤/١٠٢.

(٣) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٣٨.

(٤) مجموعة الشرع الكنسي، ص٣٦٤، وما بعدها، المجامع النصرانية، ص١١٤ ـ ١١٧، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص٢٢٧ ـ ٢٩٩، المسيح، عبود، ص٩٠، المسيحية بين التوحيد =

والأرمن والسريان القائلين بالطبيعة الواحدة[1].

وهنا نرى انشقاقاً بين النصرانية المثلثة، واختلافاً سيكون بعيد المدى في الأجيال المقبلة، وهو أساس اختلاف الكنائس إلى يومنا الحاضر، فهذا المجمع يرى أن المسيح له طبيعتان أحدهما إنسانية يشارك فيها الناس والأخرى لاهوتية، وأقنوم الابن مكون من الطبيعتين، وهو بذلك يخالف النسطوريين القائلين أن أقنوم الابن لم يكن من العنصرين، بل من العنصر الإنساني وحده، ويخالف قرار أفسس الثاني الذي يقول إن المسيح له طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتي من الروح القدس ومن مريم العذراء، مصيّراً هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشيئة واحدة.

وقد بدت آثار ذلك المجمع سريعة واضحة. فقد اشتد النزاع بسبب هذا بين المصريين والرومان، فثار المصريون وغضبوا عندما رأوا بطريركاً يعين على غير مذهبهم، وعلى غير رغبتهم، فصاروا يتحينون الفرص، كلما لاحت لهم.

وظهر للمذهب المصري داعية قوي الشكيمة قوي العارضة، بليغ الأثر، اسمه يعقوب البراذعي، وقد أخذ يدعو الناس إلى اعتناق مذهب الكنيسة المصرية، ومن ذلك الحين أطلقت كلمة يعقوبيين على جميع الذين يذهبون إلى أن للمسيح طبيعة واحدة اشتقاقاً من اسم يعقوب البراذعي زعيم هذا الحزب.

ولكن من الخلط الكبير عزو هذا المذهب إلىٰ يعقوب لأن هذا المذهب نشأ قبله وهو أخذ به ودعا إليه[2].

---

= والتثليث، ص١٨٥، ١٨٦، عقيدتنا التثليث والصلب، ٤٧، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص١٨٦، المسيحية، شلبي، ص١٩٤، نشأة الطوائف المسيحية، ص٥٠، ٥١، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٣٧، الأسفار المقدسة، وافي، ص١٣٣، أضواء على المسيحية، ١٠ ـ ١٦٠، دراسات في الأديان، ص١٦٢.

(١) يلاحظ أن لازم ذلك هو أن المسيح ـ تعالى الله عن قولهم ـ كان إلهاً وهو في بطن أمه، وأمه مريم حملت بالإله، فهي بهذا عندهم والدة الإله ـ تعالى عن قولهم وقاتلهم الله أنى يؤفكون ـ وهذا الكلام كما أنه لا دليل شرعي عليه، فهو مرفوض عقلاً، ولا يمكن بحال تصوره، كما أنهم لا يستطيعون أن يقيموا على هذا أدنى دليل، وإن دل ذلك فإنما يدل على فساد عقولهم وعظيم انحرافهم وتغلغل الوثنية فيهم.

(٢) راجع المسيحية بين التوحيد والتثليث، ص١٨٦، ١٨٧.

وعلىٰ هذا استقرت عقائد كل من مصر والحبشة وأثيوبيا ومعظم مناطق أفريقيا علىٰ أن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، والعذراء تدعىٰ والدة الإلٰه.

ومذهب الكاثوليك: يقضي بأن للمسيح طبيعتين فالمسيح أقنوم إلهي بحت له طبيعة إلهية وطبيعة بشرية. ومن الملاحظ في هذا المذهب أنه بني في شكله على مذهب نسطور الذي قال بطبيعتين في المسيح، إلا أن روح هذا المذهب الكاثوليكي تختلف عن مذهب نسطور، ووجه الاختلاف في أن نسطور كان يرى بأن المسيح إنسان قد اتصل به اللاهوت بعد ولادته وأفاض عليه، ولذلك فإن مريم لم تكن إلا إنساناً.

أما الكاثوليك فيرون أن مريم ولدت الاثنين جميعاً فهي قد ولدت يسوع الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ومع الناس في الطبيعة الإنسانية، فهو طبيعتان ومشيئتان وأقنوم واحد.

ويبدو أن الانقسام حول طبيعة المسيح الغير مفهومة في العقيدة الجديدة لم تتوقف عند هذا الحد فحسب، بل بدأ يتجول داخل أصحاب المذهب الواحد، ولذلك تراجعت بعض الصفوف في الكنيسة الأرثوذكسية عن مذهبها في المسيح، منها كنيسة أورشليم، وهي من الكنائس الشرقية التابعة للأرثوذكس، والتي ارتضت قرارات خلقدونية ـ القائلة بالطبيعتين ـ التي رفضتها الكنيسة المصرية القبطية[1].

وهكذا كانت هذه المجامع الأربعة السابقة هي التي أقرت بها العقيدة النصرانية الحاضرة. فأولها قرر ألوهية المسيح، وثانيها قرر ألوهية الروح القدس، وثالثها قرر أن المسيح اجتمع فيه الإنسان والإله لا الإنسان فقط وإن مريم ولدت الاثنين، ورابعها قرر أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين لا طبيعة واحدة محددة.

والمجامع الثلاثة الأولى اتفقوا على أنها مجامع عامة ـ وإن كانت لم تتحقق فيها صفة العموميّة، أما المجمع الرابع فهو ليس مجمعاً عاماً في نظر المصريين والكنائس التي تنهج نهج كنيستهم.

والمجامع التالية بعد ذلك ليس فيها مجمع قد أجمع عليه النصارى بأنه

---

(١) راجع المسيحية، بين التوحيد والتثليث، ص١٨٧ ـ ١٩٠، المجامع، ص١٢٤، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص٢٤٢.

مجمع مسكوني كما يعبرون، فكل هذه المجامع لم تمثل فيها الكنيسة المصرية بعد انشقاقها عن كنيسة روما أو انشقاق كنيسة روما عنها.

### ٥ ـ مجمع القسطنطينية الثاني سنة ٥٥٣م:

وقد حضره مائة وأربعون أسقفاً وكان سبب انعقاده كما يقول ابن البطريق أن بعض الأساقفة اعتنق فكرة تناسخ الأرواح حتى قال بعضهم إنه ليس هناك قيامة، وزعم بعضهم أن شخص المسيح لم يكن حقيقياً بل كان خيالياً[١]. وقرر هذا المجمع فساد هذه العقيدة وبطلانها وأكدوا أن القيامة حق والبعث حق والحساب حق والجزاء حق كما قرروا حرمان أولئك الذين نادوا بتناسخ الأرواح[٢].

بينما ترى دائرة معارف الدين والأخلاق أن عقده كان للدفاع عن النسطورية وتأكيداً للقول بالطبيعة الواحدة للمسيح[٣].

ويرفض د. رؤوف شلبي الرأي الذي يقول إنه عقد لإقرار ما توصل له مجمع خلقدونية، ويرى أن المجتمعين قد أيدوا مذهب الطبيعة الواحدة ولعنوا أصحاب فكرة تناسخ الأرواح وطردوهم وأثبتوا أن عيسى كان شخصية حقيقية ولعنوا كل من قال إنه خيال[٤].

### مجامع بعد بعثة النبي ﷺ عام ٦١٠م:

### ٦ ـ مجمع القسطنطينية الثالث ٦٨٠م:

نادى يوحنا مارون بسوريا أن يسوع ذو طبيعتين طبيعة إلهية وطبيعة ناسوتية وهو ذو مشيئة إلهية واحدة، فانعقد المجمع بمدينة القسطنطينية لبحث هذا القول وقرر أن يسوع ذو طبيعتين طبيعة إلهية وطبيعة ناسوتية وذو مشيئتين مشيئة إلهية

---

(١) راجع المجامع النصرانية، ص١١٧.
(٢) راجع محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٤٢، ١٤٣، المسيحية، شلبي، ١٩٩، أضواء على المسيحية، ص١١٠، عقيدتا التثليث والصلب، ص٥٢، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ٢٣١ ـ ٢٣٤، المجامع النصرانية، ١١٧ ـ ١١٨.
(٣) ١٩١/٤، ١٩٢.
(٤) راجع كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص٢٣٣، المجامع النصرانية، ١١٨، ومجموعة الشرع الكنسي، ص٤٤٦، وما بعدها.

ومشيئة ناسوتية، إلا أن السوريين تشبثوا بقول يوحنا مارون السابق وخرجوا منفصلين عن الكنيسة الأم منشئين كنيسة الموارنة بالشام على أساس المشيئة الإلهية الواحدة[1].

وهو ما يعني انقسام الكنيسة الملكانية أو الكاثوليكية القائلة بالطبيعتين، حيث فارقت الكنيسة المارونية ـ بعد هذا المجمع ـ الكنيسة الأم وقالت بالمشيئة الواحدة لطبيعتي المسيح، خلافاً لمن قال بالطبيعتين والمشيئتين[2].

## ٧ ـ مجمع نيقية الثاني ٧٨٧م:

دعا الإمبراطور قسطنطين الخامس سنة ٧٥٤م إلى عقد مجمع بمدينة القسطنطينية، دعا فيه إلى تحريم اتخاذ الصور والتماثيل، وحرم طلب الشفاعة من العذراء، وقد اعتذر عن حضور هذا المجمع بطاركة أنطاكية، وبيت المقدس، والإسكندرية، ولم يحضره سوى ٣٤٠ أسقفاً، برئاسة بطريرك القسطنطينية، ولهذا لم يعتبر هذا المجمع مسكونياً على الحقيقة.

ولأجل هذا انعقد مجمع نيقية الثاني سنة ٧٨٧م، وكان مجمعاً مسكونياً حضره ٣٧٧ أسقفاً، وأصدروا القرار بتقديس صور المسيح والقديسين وعبادتها.

وقد وافق عليه عدد كبير من الكنائس فاعتبروه عاماً، وخالفته أخرى فلم تعتبره كذلك[3].

## ٨ ـ مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٦٩م:

وقد انعقد بسبب الخلاف بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما في الروح

---

(١) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٤٣، ١٤٤، الأسفار المقدسة، وافي ١٣٤، المسيحية، شلبي، ١٩٥، ٢٠٠، أضواء على المسيحية، ص١١١، عقيدتنا التثليث والصلب، ص٥٣، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥، المجامع النصرانية ١١٨ ـ ١٢٠، مجموعة الشرع الكنسي، ص٤٨٦، وما بعدها.

(٢) المجامع، ص١٢٤.

(٣) راجع محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٤٤، ١٤٥، مختصر تاريخ الكنيسة، ٣٩٥، ٣٩٦، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ٢٣٥ ـ ٢٣٩، أضواء على المسيحية، ص١١١، قصة الحضارة، ١٢/ ١٤، وقد ذكر في قصة الحضارة أن عدد الأساقفة فيه ٣٥٠، المجامع النصرانية ١٢٠ ـ ١٢١، مجموعة الشرع الكنسي، ٧٦١، وما بعدها.

القدس هل انبثق من الأب فقط وهو زعم كنيسة القسطنطينية، أم من الأب والابن معاً كما هو زعم كنيسة روما؟

حيث نادى الأسقف «فوسيوس» أسقف القسطنطينية بأن الروح القدس منبثق عن الأب فقط، وقد قرر هذا المجمع أن الروح القدس منبثق عن الأب والابن وهو قول كنيسة روما. كما قرر حرمان فوسيوس ونفيه من البلاد[(١)].

## ٩ ـ مجمع القسطنطينية الخامس سنة ٨٧٩ م:

لم تكد تمضي عشر سنوات على المجمع الأخير حتى استعاد الأسقف فوسيوس مكانته وانعقد هذا المجمع وأصدر قراراته ببطلان قرارات المجمع السابق المنعقد عام ٨٦٩م، وأكد أن الروح القدس منبثق من الأب فقط، ونجم عن هذا انشطار الكنيسة إلى الروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك فظهرت كنيسة الروم الأرثوذكس بالقسطنطينية في الشرق، وكنيسة الروم الكاثوليك في الغرب، ونشأ كرسي البابوية في الشرق نظير كرسي البابوية في الغرب، ونجم عن ذلك عدم الاعتراف ببابا روما على الإطلاق مع اختلافات جوهرية عقدية بينهما[(٢)].

وهكذا كان هذان المجمعان هما السبب في انقسام الكنيسة إلى شرقية يونانية وغربية لاتينية، وتسمّى البطرسيّة لكون مشايعيها يعتقدون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول في زعمهم وأنه كبير الحواريين ورئيسهم، وتسمّى الغربية لكون سلطانها في بلاد الغرب كما ذكرنا.

وأما الكنيسة اليونانية ويقال لها أيضاً كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية فأكثر مشايعيها في الشرق وسلطانها منه، وهي تشترك مع الكنيسة الكاثوليكية في كثير من التقاليد النصرانية، ولكنها تخالفها في انبثاق الروح القدس فتقول إنه من الأب فقط كما بينا، ولا تعترف إلا بالمجامع السابقة على المجمع

---

(١) راجع، النصرانية والإسلام، الخلف، ص٢٠٢، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٤٥، الأسفار المقدسة، وافي، ص١٣٥، المسيحية، شلبي، ٢٠٠، مجموعة الشرع الكنسي ٧٦١، وما بعدها.

(٢) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ١٤٦، الأسفار المقدسة، وافي، ص١٣٥، المسيحية، شلبي، ص٢٠٠، أضواء على المسيحية، ص١١٣، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص٢٤٠ ـ ٢٤٢، مجموعة الشرع الكنسي، ٨٤٦، وما بعدها.

الذي أوجد الانفصال ـ السبعة التي سبقت مجمع القسطنطينية الأخير ـ كما لا تعترف لبابا رومية بالسيادة أو الرئاسة.

ولكن لمرور الزمن وما أحيط به من تقديس بين مشايعيه وعند الملوك ولكثرة معتنقي مذهبه تتساهل الكنيسة الشرقية فتعترف له بالتقدم بالسلطان، ويليه في الرتبة بطريرك القسطنطينية والمشايعون لها في بلاد روسيا واليونان والعرب وكثير من جزر البحر الأبيض وغير هؤلاء[1].

وهكذا تقرر الانفصال بين الكنائس على النحو التالي:

١ ـ الكنيسة المصرية بالإسكندرية وحدها، ومقر رئاستها القاهرة، وقد انشقت عام ٤٥١م حيث لم توافق على قرارات مجمع خلقدونية.

٢ ـ الكنيسة المارونية في سوريا وانشقت عام ٦٨٠م، حيث لم توافق على قرارات مجمع القسطنطينية الثالث.

٣ ـ الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية وحدها، ومقر رئاستها القسطنطينية.

٤ ـ الكنيسة الغربية البطرسية البابوية وحدها، ومقر رئاستها روما.

وقد تلا هذا المجمع عدة مجامع أخرىٰ ساهمت في تقرير بعض العقائد لدىٰ النصارى من أهمها:

## ١٠ ـ المجمع التاسع (مجمع لاتران[2] الأول) عام ١١٢٣م.

وقد انعقد في روما. ومن أهم قراراته أن تعيين الأساقفة من شأن البابا لا من شأن الحكام.

## ١١ ـ المجمع العاشر عام ١١٣٩م.

وقد انعقد في روما كذلك لإزالة الخلافات بين الكنيسة، لكنه فشل في التوصل إلى حل الخلافات بين الكنيستين الشرقية اليونانية والغربية اللاتينية.

---

(١) راجع محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٤٦، ١٤٧.

(٢) لاتران: قصر في روما كان مقاماً للباباوات مدة عشرة قرون تقريباً. انظر المنجد، ص٦٠٦.

## ١٢ ـ المجمع الحادي عشر (مجمع لاتران الثالث) عام ١١٧٩م.

وفيه توصلوا إلىٰ انتخاب البابا بثلثي عدد الكرادلة، والسكوت عما شاع من استحالة الخبز والخمر في العشاء الرباني إلىٰ جسد ودم المسيح.

## ١٣ ـ المجمع الثاني عشر (مجمع لاتران الرابع) عام ١٢١٠م.

وقد انعقد في روما. وتقرر فيه أن العشاء الرباني يتحول إلىٰ جسد ودم المسيح، وأن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء، وهو ما تطور فيما بعد إلىٰ وثائق تباع عرفت باسم صكوك الغفران كما ذكرنا[١].

ثم توالت المجامع علىٰ شكل هذه المجتعات إلىٰ أن احتدت المنازعات بسبب ظهور البروتستانت، فكان أهم المجامع بعد ذلك المجمعين التاسع عشر والعشرين.

## ١٤ ـ التاسع عشر: من عام ١٥٤٢ إلىٰ عام ١٥٦٣م:

تم انعقاد هذا المؤتمر المتواصل انعقاده من عام ١٥٤٢ إلى عام ١٥٦٣م للرد على الأفكار التي نادىٰ بها البروتستانت، وكان مكان الانعقاد في مدينة (ترانتو) شمال إيطاليا.

## ١٥ ـ العشرون «الفاتيكان المسكوني الأول» عام ١٨٦٩م.

وقد انعقد في روما. ويسمّى «مجمع الفاتيكان المسكوني الأول». وقد انعقد لمواجهة العصر الحديث وعلومه، والاكتشافات العلمية التي تقطع بعدم مصداقية الأناجيل من الناحية التاريخية أو العلمية، وأهم ما جاء في قراراته أن البابا معصوم، الأمر الذي أدىٰ إلى انقسامات وخلافات جديدة بين الكنائس[٢].

## ١٦ ـ مجمع الفاتيكان المسكوني الثاني ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م:

والذي يعده الباحثون أول مجمع يتخذ خطاً هجومياً علىٰ كافة المستويات باتخاذه قرارات لا سابقة لها في التاريخ تتلخص أهمها في:

---

(١) انظر ص١١٩ من هذا البحث.

(٢) راجع أضواء علىٰ المسيحية، ص١١٦، المسيحية، شلبي، ٢٠٠، تنصير العالم، ص٧٥.

- فرض العقيدة الكاثوليكية على العالم أجمع.

- الإجهاز على النظام الشيوعي بزعم إلحاده.

- تبرئة اليهود من دم المسيح رغم كل النصوص وكل أقوال المسيح التي تدين ذلك.

- الإجهاز على الإسلام والمسلمين تحت ستار إقرار مبدأ الحوار مع الديانات غير المسيحية.

كما قام هذا المجمع بمناقشة القضايا التالية والبتّ فيها:

- مفهوم الله والإنسان المسيحي الحالي.

- البنية الداخلية للكنيسة وبخاصة دور البابا الرئاسي المتسلط فيها وعليها.

- الأحداث السياسية لهذا العصر.

- التوترات القائمة في قلب الفاتيكان.

- تكوين القساوسة ووحدة رجال اللاهوت.

- الاستعانة بالعلمانيين كأدوات استشعار لرجال الكهنوت والمبشرين.

- دور العذراء في الكنيسة.

- النشاط التبشيري لغير المسيحيين.

وإن ظل أخطر قراراته هو تنصير العالم. لذلك قام بإنشاء «المجلس الدائم لأساقفة الكنيسة العالمية»، الذي تتلخص مهمته في إعلام وإرشاد مقر العمليات العالمي الخاضع للبابا.

أما عبارة تحديث الكنيسة التي ابتدعها المجمع فتعني إعادة صياغة العقيدة بكل ما فيها من لا معقول وتقديمها بعبارات ومفاهيم يقبلها العصر الحديث أو تتمشىٰ مع عقليته، أي أن الكنيسة ناقضت موقفها السابق من العصر الحديث وبدأت تتحايل لتتمشىٰ معه. ويمكن القول أن كل ما يتخذ من خطوات يتواكب من أجل تنفيذ مخطط تنصير العالم[١].

- والواقع أنه من خلال دراستنا للمجامع المسكونية وما تقرر فيها يتبين لنا

---

(١) تنصير العالم، ص٧٥، ٧٦.

أن النصارى لا يملكون أدلة صحيحة صريحة يستندون إليها في عقائدهم، لهذا اختلفوا تلك الاختلافات الخطيرة التي تمس جميع جوانب العقيدة لديهم على نحو ما هو واضح فيما قدمناه.

ـ وما يستند إليه النصارى ويتحمسون له لا يعدو أن يكون فهما خاصاً يسعى أصحابه لتثبيته عن طريق تلك المجامع، ولا يخلو الأمر من الأهواء والأغراض الخاصة من حب الرئاسة وفرض السيطرة.

ـ ولم تكن هذه المجامع في يوم من الأيام هيئات شورية يتبادل فيها القساوسة الآراء تبادلاً حراً، ويتوصلون فيها إلى الحق بأدلته، بل كانت تعقد في أغلب الأحيان لفرض رأي أو تصور معين، وبقوة السلطان أو قوة الكنيسة.

ولقد كانت تلك المجامع أداة بيد الأباطرة الرومان يسخرونها لرغباتهم في التوسع والسيطرة أو تحقيق أغراض سياسية.

ـ ولقد رأينا فيما سبق كيف أن المجامع قررت قرارات عقدية معينة، ولعنت وحرمت من لم يقل بها، وقررت أن سبيل النجاة هو اعتقاد تلك العقائد، وهنا سؤال يطرح نفسه: ما هو حال حواريي المسيح وأوائل النصارى الذين لم يكونوا يعتقدون تلك العقائد، ولم يتكلموا فيها بكلمة واحدة كالتثليث وطبيعة المسيح وانبثاق الروح القدس من الأب أو الأب والابن معاً؟ إلى غير ذلك.

ـ لقد صاغت المجامع العقائد بكل تفاصيلها، دون أن يكون لها أصول نصية شرعية، مما يجعلنا نقرر أنها ليست إلا عملاً بشرياً.

ونبرز فيما يلي أهم ما كان لهذه المجامع من آثار في تحريف العقيدة النصرانية:

**أولاً**: نمت البذرة التي وضعها بولس في الانحراف بالنصرانية عن عقيدة التوحيد، فقررت هذه المجامع ألوهية المسيح، مع ما وقع بين هذه المجامع المتتابعة من تضارب فيما قررته بشأن طبيعة المسيح، وهل هو ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، أو ذو طبيعتين ومشيئتين.

**ثانياً**: تقررت في هذه المجامع عقيدة التثليث بعد أن تقرر تأليه روح القدس، بالإضافة إلى الأب والابن منحرفة بذلك عن مسار التوحيد، وقد غلبت هذه العقيدة على الديانة النصرانية منذ بداية القرن الرابع، متأثرة فيما قررته

بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة، والتي تزعمها أفلوطين في القرن الثالث الميلادي وإليه تنسب الأفلوطينية الحديثة وكانت آراء هذه المدرسة تتلخص في الآتي:

- أن الله منشئ الأشياء ولا يحتاج إلى موجد.

- أن العقل هو أول شيء صدر عنه كأنه يتولد منه.

- ومن العقل انبثقت الروح التي هي وحدة الأرواح.

فمن هذا الثالوث يصدر كل شيء ومنه تولد كل شيء. وقد نشأ بطريرك الإسكندرية الذي كان له الدور الأكبر في مجمع نيقية في هذه البيئة التي انتعش فيها مذهب أفلوطين، لذلك لم يكن عجباً منه عند تواجده في مجمع نيقية أن يكون من المدافعين بشدة عن عقيدة التثليث وتكرر منه ذلك في المجمع القسطنطيني الأول، حتى صارت عقيدة وقراراً لكل من المجتمعين سرت بعد ذلك إلى جميع الكنائس النصرانية.

أما عن السر في ميل أباطرة الرومان إلى عقيدة ألوهية المسيح والموت والقيامة فيوضحه ما جاء في كتاب «مصادر المسيحية» نقلاً عن تاريخ سوريا للمطران «يوسف الدبس»: أن القديس يوستنيوس قال في عريضته للقيصر أدريان أنطونيوس:

«إننا إذ نقول إن الله خلق ونظم العالم لا نقول إلا ما قاله أفلاطون، وإن قلنا بعد الموت حياة أخرى يعاقب فيها الأشرار ويثاب الأبرار فلا نقول إلا ما قاله شعراؤكم وفلاسفتكم، وإن قلنا إنه لا يلزم أن نسجد لعمل اليدين فذلك قول شعراؤكم، وإن قلنا إن الكلمة أو ابن الله البكر قد تجسد بنوع خارق للطبيعة وعلق على الصليب ثم قام وصعد إلى السماء فلا يحق لكم أن تستغربوا هذا المقال لأنكم تعزون هذه الأمور إلى من تدعون أنهم أبناء المشتري وإلى بعض ملوككم»[١].

ونستخلص من كل ذلك أن الوثنية وقد كانت غالبة على أهل الأرض دفعت المتأثرين بها والذين اعتنقوا النصرانية إلى أن يستمدوا مما رسخ في أذهانهم واستقر في خيالهم من أمور الشرك ما طمسوا به الحق السماوي الذي

---

(١) تاريخ سورية، ٢/ ٤٣.

جاء به المسيح عليه السلام من عقيدة نقية في التوحيد المجرد لله وحده، وأنه إنسان مرسل بالحق طبقاً لما ورد في الإصحاح الثامن من العدد ٤٠ من إنجيل يوحنا مخاطباً اليهود قال: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله» فمسخوا ذلك بعقيدتهم الحالية التي ترتكز على التثليث كما قدمنا سالفاً.

**ثالثاً**: فتحت هذه المجامع الباب على مصراعيه للخصوم والشقاق بين النصارى في البلاد المختلفة، وتحول الانحراف عند الطوائف إلى عقائد ثابتة تأكدت في وثائق مجمعة تعتبر ملزمة ومعترف بها.

**رابعاً**: تتحمل المجامع ـ ولا سيما مجمع نيقية ـ مسؤولية ضياع النسخة الأصلية للإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، وذلك بما قررته ودعت إليه مما هو خلاف العقيدة المنزلة علىٰ عيسىٰ عليه السلام. وإذا أخذنا بكلام ابن البطريق وكذلك عبد الأحد داود بعده، ثابت من قرارات مجمع نيقية اعتماد الأناجيل الأربعة المعروفة وحرق جميع ما سواها، فيترتب علىٰ ذلك أن المجمع كان سبباً مباشراً في ضياع الإنجيل الصحيح وفقدانه للأبد.

**خامساً**: لقد كانت المجامع من أعظم أسباب الفرقة والاختلاف بين الكنائس النصرانية، ذلك أن المجتمعين في تلك المجامع لم يخرجوا في واحد منها متفقين على عقيدة واحدة، بل كلما اجتمعوا في مجمع يزداد اختلافهم، وبالتالي انقسامهم، وبذلك انقسمت الكنائس فيما بينها بسبب اختلاف موقفها فيما تقرره أو ترفضه المجامع من العقائد.

**سادساً**: لما كانت المجامع تتكون من أساقفة الكنائس، وكانت تجتمع إما تلبية لأمر الإمبراطور ليفرض عن طريقهم ما يريد من عقائد ترتبط بحاجاته السياسية، أو استجابة من الإمبراطور لرغبتهم، وانعقاد هذه المجامع ليفرضوا عن طريقها من العقائد ما يريدون، بغض النظر عن مدى صحتها، ومدى مطابقتها للنصوص العقدية ـ لما كانت المجامع بهذه المثابة فإنها كانت في الواقع تمثل سلطة مطلقة تفرض على النصارى ما تشاء من العقائد، ولا تدع لأي نصراني حرية استقاء العقائد من النصوص المقدسة على الوجه الصحيح، فإذا أضفنا إلى ذلك ما قرره أحد المجامع من عصمة البابا، فإن ذلك يعني تقرير سلطانه المطلق في أمر العقيدة.

وقد ساعد كل ذلك على فرض ما يريده الأساقفة والبابوات من عقائد محرفة ليس بينها وبين العقيدة التوحيدية الأولى أدنى صلة.

ولعل هذا يوضحه ما قرره مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥م، والذي قرر أن تعاليم الدين لا يمكن تلقيها من الكتب رأساً، بل من أفواه العلماء ورجال الكهنوت، وأن أقوالهم حجة.

ومن قبله ما كتبه الأسقف «أجناسيوس» أسقف أنطاكية سنة ١٠٧م إلى النصارى في «سميرنا»:

«عليكم جميعاً أن تطيعوا آباء السماء كما أطاع عيسى أباه، أطيعوا أئمتكم الروحانيين كما تطيعون الرسل، ولا يباشر أحد منكم شأناً من الشئون التي تقوم بها الكنيسة كالتعميد والزواج وحضور الموت والصلاة بدون حضور آباء الكنيسة، وأنّى يوجد الأسقف فإن حضوره يُعَدّ حضوراً للمسيح نفسه تبعاً لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية».

«الأب والأئمة الروحانيون لهم سلطان لقيادتنا وإرشادنا باسم المسيح، فمن أيديهم نتلقى حياة الطهر عن طريق التعميد، وهم الذين يعطوننا الخبز المقدس في العشاء الرباني، وهم الذين يربوننا لنصبح أبناء الله، وهم عوض عيسى وآباؤنا الروحانيون، فعلينا أن نتعمق في احترامهم وحبهم وطاعتهم».

«وكل رجال الكنيسة العظام من الأب المقدس إلى الأساقفة يصدرون الأوامر لتنظيم الكنيسة ولسلامة المسيحيين من الذنوب والهموم النفسية وتشجيعهم على فهم الحياة الكنسية».

«والمسيحيون أعضاء يتكون منهم جسد عيسى المقدس فعليهم أن يمتثلوا لأوامر الأسقافة وأن يسلموا أنفسهم للآباء الروحانيين»[١].

وهكذا فإن المجامع النصرانية هي المصدر الحقيقي للديانة النصرانية المحرفة، لأن تلك الفهوم التي كانت تقرر وتصدر وفقها القرارات لم تكن تعتمد على نصوص قطعية واضحة، بل أحياناً كانت تعتمد على نصوص متشابهة وكلام محتمل لأكثر من معنى ويكون من أقلها احتمالاً المفهوم الذي تدعيه الكنيسة.

---

(١) راجع المسيحية، شلبي، ص١٥١.

**سابعاً**: كان تقرير المجامع لعقيدة التثليث، أو العقائد المحرفة عموماً يقترن دائماً بلعن دعاة التوحيد أو المخالفين عموماً لقرارات الأغلبية في المجامع واضطهادهم وإعلان طردهم من الكنيسة، وقد أدى هذا الموقف إلى تثبيت العقائد المحرفة على حساب عقيدة التوحيد الصحيحة في عقول النصارى وقلوبهم.

**ثامناً**: كان نتيجة لانقسام الكنائس ـ على نحو ما فصلنا فيه القول سابقاً ـ أن فسدت الكنيسة بشقيها الشرقي والغربي، وامتد فسادها إلى خارج حدودها داخل المجتمع النصراني، ودخلت الخرافات والأساطير والتقاليد الوثنية في صلب عقائدها وتعاليمها وطقوسها، وامتزج كل ذلك بالتفسيرات المتناقضة لنصوص الأناجيل، وقد ظهر هذا في مجامع لاحقة عقدت فيما بعد بشأن الطقوس الدينية، وهو مما اختلفت فيه الكنائس أيضاً.

ومن أمثلة ذلك:

مسألة الاستحالة أو العشاء الرباني:

وقد ذكرنا[١] عقيدة النصارى في ذلك ولكن الجديد هنا أنها أصبحت شعيرة لها سماتها، حيث يعتقد النصارى بتحول الخمر إلى دم ويستحيل الخبز إلى لحم، لحم شخص معروف، بل إله معبود لدى القوم.

وقد ثبت من نصوص العهد القديم والجديد ما يدل على بطلان هذه الحادثة من أساسها. ومن ثم فالنص المعتمد عليه في مسألة الاستحالة نص باطل وكاذب، وكان على الكنيسة أن تفكر قبل أن تشرع ولكنها كما يقول الشيخ أبو زهرة: «فرضت على الناس قبوله ومنعتهم من مناقشته وإلا عرضوا للطرد والحرمان. . .»[٢].

أما المسألة الثانية:

فهي مسألة امتلاك الكنيسة حق الغفران للمسيء في الدنيا، وهي من المسائل التي أبرزتها الكنيسة إلى حيز الوجود بدون دليل أو برهان حتى تعطي لنفسها قوة تفوق قوة أي سلطان، ومن ثم تكون باسم الثالوث صاحبة الأمر

---

(١) ص١٩٣، وانظر ص٣٧٩ من هذا البحث.

(٢) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص١٧١.

والنهي، وعقدت لهذه المسألة المجمع الثاني عشر، والذي ضرب بسيف الحرمان على كل من كان له اعتراض على هذا القرار.

ثم تبع ذلك الاعتراف بالذنب أمام القساوسة وما كان يحدث في خلوات الاعتراف من فضائح. تلا ذلك ما روجته الكنيسة من عصمة البابا وذلك في بيان عام لتابعيها، وجعل طاعة آباء الكنيسة كطاعة عيسى عليه السلام.

وهكذا بعدت النصرانية بعداً تاماً عن تعاليم المسيح عليه السلام وظهرت على السطح باسم الثالوث نصرانية جديدة فاسدة تسمى نصرانية القساوسة.

ويصدق عليهم فيما يدعونه من عقيدة ويشرعونه للناس أنهم جعلوا أنفسهم أرباباً من دون الله يحلون ويحرمون فينطبق عليهم قول الله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣٠ ـ ٣١].




# الباب الثالث

## العوامل الخارجية وأثرها في تحريف رسالة المسيح عليه السلام

**وفيه ثلاثة فصول**

**الفصل الأول: أثر الاضطهاد في تحريف النصرانية.**

**الفصل الثاني: أثر الوثنيات القديمة في تحريف النصرانية.**

**الفصل الثالث: أثر الفلسفة في تحريف العقيدة النصرانية.**




# الفصل الأول

## أثر الاضطهاد في تحريف النصرانية

ظلت النصرانية دعوة خاصة ببني إسرائيل طوال حياة المسيح عليه السلام على الأرض، وذلك لتصحيح ما طرأ على اليهودية بعد موسى عليه السلام.

ولكن الموقف العدائي من اليهود لهذه الدعوة والذي كانت خاتمته المؤامرة التي دبروها للخلاص من المسيح عليه السلام كما تحدثنا جعلت حوارييه المخلصين يهربون للنجاة بعيداً عن ظلم اليهود ووحشيتهم، ومثل هؤلاء اليهود الجبهة الأولى للعداء والاضطهاد.

وعندما خرجت الدعوة إلى التعاليم النصرانية عن نطاقهم وجدت إقبالاً من الشعوب الوثنية، وانتشر الدين الجديد في المناطق الخاضعة للحكم الروماني، مما عرض أتباعه الجدد لاضطهاد حكام الرومان.

وعلى مدى ثلاثمائة عام امتدت يد التعذيب والاضطهاد للنصارىٰ حتى استطاعت النصرانية بعد ذلك أن تحقق نصراً جزئياً في مطلع القرن الرابع باعتناق قسطنطين النصرانية، ثم كانت الاضطهادات فيما بعد بين أتباع المذاهب النصرانية المختلفة بعضهم لبعض كما ذكرنا.

وهكذا واجه النصارى أنواعاً عدة من الاضطهاد على أيدي اليهود فالرومان فالنصارى أنفسهم[1].

وقد كان لهذه الاضطهادات الأثر الأكبر في تحريف دين المسيح عليه السلام، وضياع نصوصه المقدسة.

وقبل أن نعرض تأثيرات هذا الاضطهاد تجدر الإشارة إلى تساؤلات عدة

---

(١) سبق ذكر الاضطهادات التي وقعت على النصارىٰ في الباب الأول. انظر: ص٧٧ وما بعدها.

طرحها د. شلبي في هذا المقام تعتبر مقدمة لما سنثبته من نتائج. حيث قال بعد حديثه عن الاضطهادات: هل يمكن إثبات سند متصل لشيء كتب في هذه العصور؟ وهل وجدت ملة عيسى عليه السلام نصيباً من الوجود حين حياته أو في حين آخر غير حياته؟ وهل الرسائل والأناجيل التي دونت في عهد الاضطهاد تحمل صفة الكتاب المقدس المنزل من عند الله؟ ثم هل يمكن لكاتبي الإنجيل وفي ظل ذلك الاضطهاد الديني أن يتحلوا بصفة الحيدة العلمية؟ وأخيراً ما مدى الثقة التي يعطيها التاريخ لما كتب في تلك العهود من الأناجيل في جو تتعسر فيه النظرة المحايدة[١].

وفيما يلي عرض لهذه التأثيرات، ونبدأ بالنزاع الذي حصل بين ما يسمى النصرانية البولسية، والنصرانية اليهودية ـ جماعة التلاميذ التي انفصلت عن بولس وتصادمت معه في مجمع أورشليم حول قضية الختان ـ هذا النزاع كان له أثره في توجيه بولس وأتباعه إلى دعوة غير اليهود. والنصوص التي بين أيدينا اليوم بدأت بعد كثير من التعديلات لكتابات النصارى الأولى حوالي سنة ٧٠م في العصر الذي كانت فيه الخصومة بين الطائفتين المتنافستين على أشدها. ولما كان النصارى من أصل يهودي هم المسيطرون تقريباً حتى سنة ٧٠م، ثم ضعفوا بعد ذلك، فهذا يفسر لنا كيفية ظهور الأناجيل فيما بين هذا العام وقبيل عام ١١٠م.

ويرى بعض الباحثين أن هذا يعد نوعاً من الاضطهاد، حيث إنه لو لم يكن جو الخصومة المثار من انقسام الفكر البولسي لما وصلت إلينا هذه الكتابات التي بين أيدينا.

ويؤكد هذا بما ذكره د. شلبي: «إن حركة الاضطهاد والتي كانت موجهة ضد المسيحيين الأصليين خرجت من هذا ظافرة مسيحية بولس، ومسيحية الفلسفة الإغريقية، ولما كانت هذه المسيحية قد ابتدعت أشياء لا يرضى بها المسيحيون الأصليون كألوهية عيسى، والقول ببنوته وتجسده، ففقدت النصرانية طابعها البسيط السّهل، لا سيّما بعد أن فقدت مركزها بعد تدمير الهيكل سنة ٧٠م، وامتلأت بكثير من الخرافات ممزوجة بالثقافات الوثنية التي كانت تسود الشعوب التي دخلت في النصرانية[٢].

---

(١) راجع، أضواء على المسيحية، ص٢٧، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٣٤.

(٢) راجع الإسلام والأديان، حلمي، ص١٩٤، ١٩٥، الميزان الطهطاوي، ص١٤٦.

هذا عن الوضع والانقسام في بداية النصرانية، وما تعرضت له من اضطهاد فكري إن صحّ التعبير.

أما عن الاضطهاد الفعلي على يد الرومان فقد نتج عنه الكثير من النتائج، فقد كانت الأساليب القضائية لدى الرومان تتصف بالقسوة كما ذكرنا، وكان للاضطهاد آثاره التي تجلت في كثرة القتلى، والذي نتجت عنه أحياناً ضروب من الردّة المؤقتة كما حدث في عهد ديسيوس.

ونقل بلليني عام ١١٢م أن بعض النصارى نبذوا دينهم من عشرين سنة مضت، وكان هذا الاضطهاد ينتهي أحياناً إلى حماس ديني ينتشر بين الناس مع المغالاة فيه(١).

وقد مرت على النصرانية في تاريخها المبكر هذه الاضطهادات والتي جعلت هذه الديانة تعيش مرحلة التذبذب في العقائد، لا سيّما بعد أن فقدت التلاميذ المخلصين ورجال الدين الأصليين ـ الجيل الأول الذي عاصر المسيح عليه السلام ونزول تعاليمه ـ فأصبحت في مهب الريح تذهب بها الأفكار والفلسفات من نقيض إلى نقيض آخر(٢).

بل إن الاضطهاد نتج عنه دخول عدد من النصارى في الوثنية، وهو ما أدى إلى ضعف عام في التدين(٣)، فكان أن تشربت النصرانية بعض التيارات التي عاصرتها كالمانوية وغيرها نتيجة المخاطر الحقيقية الناتجة عن اضطهاد السلطات الإمبراطورية(٤).

وتميز النصف الثاني من القرن الثالث بفوضى عقدية سائدة في الأوساط المثقفة، إلى جانب بساطة الإيمان في الأوساط الشعبية، وعمت الفوضى بسبب التأويلات التي نشرها المفكرون النصارى منذ أواسط القرن الثاني بحثاً عن تعبير يلائم بين ما في أيديهم من نصوص مقدسة وبين الثقافات الموجودة في البلاد

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها، ص٢١٥، والتسامح والتعصب، ١٠٦، ١٠٧، إظهار الحق ٢/٦١٣، قصة الحضارة، ١١/ ٣٨٠، The rise of christianity ص١٢٦.

(٢) تاريخ المسيحية ١/٤٦، الأسفار المقدسة، طعيمة، ص٢٤٣، ٢٤٤، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل، هاشم جودة، ١٢٢.

(٣) النصرانية من التوحيد إلى التثلث، ص١١٦.

(٤) الفكر الإسلامي، ص٨٠.

التي هم فيها. ودانت البلاد المضطَّهدَة بما يراد فرضه عليها من المذاهب والتصورات[1].

وفي فترة الاضطهادات أبيح ما حُرم في التشريع النصراني مجاراة للرومان الحاكمين ولاستمالتهم للدخول في الدين الجديد[2].

وهذه الاضطهادات جعلت كل عمل يقومون به في شئونهم الدينية وخاصة ما كان متصلاً ببيان الشريعة يقومون به سراً لا جهراً، وفي خفية عن الأعداء المترقبين، والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل النفس لا تطمئن إلى ما يحكى عما حدث فيها، ولا مانع من أن يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها، ويتسامع الجمهور أموراً ما حدثت في تلك الاجتماعات[2].

ورافق هذه السرية صور كثيرة من الانحراف السلوكي والأخلاقي، بالإضافة إلى الرهبنة التي ظهرت مع تزايد انتشار النصرانية في اليونان وبلاد الشرق، مما أدى إلى انحطاط المستوى الديني والأخلاقي كما ذكرنا آنفاً، فكانت الرهبنة بمثابة رد فعل على هذا الانحطاط، حيث كان الرهبان ـ وبتأثير الاضطهاد ـ يفرون بدينهم إلى حيث لا تنالهم يد البطش، فيبالغون في هذه الرهبنة وما تتسم به من السرية[3].

وقد حاول بعض الكتّاب[4] أن يرد حياة الرهبنة إلى حياة المسيح عليه السلام ولكن هذا رده غالبية الكتاب حيث قالوا: إن المسيح عليه السلام أشار إلى الرهبنة، إلا أنه لم يفرضها ولكن الاضطهادات كانت هي السبب في الانعزال، ثمّ تطورت إلى الرهبنة إلى أن أصبحت مدارس منظمة[5] تؤكد هذا التأثير البيئي[6].

ولم يبدأ القرن الرابع إلا وقد تباينت عقائد الطوائف النصرانية، واختلفوا في ذلك اختلافاً شديداً، وحدثت صدامات بين تلك الطوائف، حيث تنازعوا في

---

(١) الفكر الإسلامي، ص٨٠، التعصب والتسامح، ص١٠٦.

(٢) The rise of christianity، ص١٢٦.

(٣) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ٣٢، ٣٣.

(٤) الفكر الإسلامي، ص٨١، ٨٢، ٨٥، قصة الديانات ص٤٤١.

(٥) أسد رستم في كتابه الروم نقلاً عن دعوة التوحيد، ص٣٢٥.

(٦) راجع دعوة التوحيد، ص٣٢٥.

حقيقة المسيح وتوسعوا في ذلك، وظهرت أقوال كثيرة مبتدعة[١].

وهذه البدع التي ظهرت بين النصارى كانت سبباً في انعقاد المجامع للفصل في هذه الأقوال، وكذلك كانت السبب في انقسام الكنائس، والتي مثلت المذاهب النصرانية فيما بعد.

ولا يستبعد أن يكون الاضطهاد أثر على ما ثبت من أحداث تاريخية عند النصارى، مثل ولادة عيسى الخارقة التي آمنوا بها فكانت مثاراً لانطلاق الأخيلة في ظلمات الاضطهاد المنتشر في كل مكان[٢]. ولا يستبعد أن يكون قبولهم لما ظهر من عقائد الصلب والفداء والقيامة والحساب من هذه التأثيرات.

وكان من نتائج الاضطهادات الدينية سواء تلك التي وقعت من الرومان أو من اليهود على النصارى، أو من بعض الطوائف النصرانية على الطوائف الأخرى، كانت سبباً في انقطاع السند، وضياع الأناجيل، فقد أعدمت كتبهم بالإحراق، حتى انعدمت أو كادت تنعدم الصلة بالمسيح عليه السلام وما جاء به[٣].

وقد اعترف علماء النصرانية في المناظرات التي كانت بينهم وبين مخالفيهم بأن تلك الاضطهادات والكوارث كانت سبباً في فقد سندها المتصل بصاحب الشريعة، إذ ضاع الإنجيل الأصلي، وتعددت الأناجيل التي دونت على الظن والتخمين[٤].

وحتى الأناجيل عندما فكر كاتبوها في كتابتها كتبوها في الظلام[٥]، حيث تحولت الدعوة النصرانية إلى دعوة سرية، بل إن الأناجيل كتبت تحت الاضطهاد؛ كتبها كاتبوها بلغاتهم الخاصة، وظلوا يتناقلون نسخها سراً، وكان الداخل الجديد في النصرانية يأخذ عنهم التعاليم مشافهة بعد ترجمتها إلى لغته الدارجة، ثم يبثها في بني قومه سراً، ولم يكن الدعاة يسمحون للأتباع بتملك النسخ أو يطلعونهم عليها خشية على أنفسهم وعلى الكتب أيضاً.

---

(١) راجع: المسيحية نشأتها وتطورها، ص٣٠، ما هي النصرانية، ص١٠٦، ١٤٦.

(٢) التعصب والتسامح، ص٩٦.

(٣) الفصل ٢/ ٢١.

(٤) راجع: إظهار الحق ٢/ ٦١٣، دعوة التوحيد، ص٣٢١، عقيدتا التثليث والصلب، موقف الإسلام منهما، يونس ثوري، ١٤٠٢هـ ماجستير، جامعة أم القرى.

(٥) راجع نصرانية عيسى، ص١٣٩.

كل ذلك أدى إلى انحصار المصادر الدينية للنصرانية في أيدي فئة قليلة من الناس، واقتصار شرحها وتأويلها عليهم وحدهم[١].

ورسالتا يوحنا الثانية والثالثة القصيرتان تشير إلى احتراز الأوساط النصرانية الآسيوية في التبشير وخشيتها من ردود الفعل الوثنية في هذه المقاطعة التي انتشرت فيها عبادة الإمبراطور.

بل إن هذه الاضطهادات ساعدت على صرف الطائفة النصرانية الجديدة عن الاهتمام بالكتابة والتدوين، فاكتفت بمعتقداتها في عودة المسيح، وانتظار الخلاص الوشيك على يديه[٢].

وقد ذكرنا أن بعض الأساقفة لجأوا ـ تحت نيران الاضطهاد ـ إلى تسليم الكتب المقدسة إلى السلطات الرومانية كما حدث في قرطاج[٣].

وهكذا يكاد يجمع الجميع أن الفترات العصيبة التي مرت بها النصرانية كانت من أهم الأسباب في فقدان الإنجيل.

يقول شارل جينيبير: «وأول الصعاب التي تعترضها ـ أي المسيحية ـ نجدها في النصوص نفسها التي تمتاز عن سائر النصوص الأخرى بضعف السند والاضطراب وعسر التحقيق. وأقدم هذه النصوص وأهمها هي تلك التي احتواها العهد الجديد[٤].

ونقل صاحب الفارق بين المخلوق والخالق عن علماء النصارى بأن الاضطهادات هي سبب ضياع الإنجيل الصحيح، وصرحوا في كتبهم أن فساد النصرانية من جراء تلك الاضطهادات التي ظهرت سنة ٦٤م، وتكرر وقوعها في سنة ٦٥م، ٩٥م، ١٠٧م، ١١٨م، ٢١٢م، ٢٢٥م، ٢٥٠م، ٢٥٧م، ٢٧٤م، ٣٠٣م إلى سنة ٣١١م حتى استقر الحال على هذه الأناجيل الموجودة حالياً لدى النصارى[٥].

---

(١) راجع العلمانية، ص١٢٥، ١٢٦.

(٢) جذور البلاء ٩، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص٥١.

(٣) انظر ص٩٩.

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها، جينيبير، ص٢٣.

(٥) الفارق بين المخلوق والخالق، ص١٥ بتصرف يسير، وممن نقل عنهم المعلم مروان بولدن والحكيم كوسون والمعلم قبويس لادوك والمعلم لادوك والمعلم ستروس والمعلم جالوليون والمعلم بيار.

ويتحدث القاضي عبد الجبار عن ذلك فيقول: «إن دين المسيح وديانات الرسل لم تتغير وتتبدل جملة واحدة، ولكن على مر الأيام تدريجياً حتى يتكامل هذا التغير، وما زال أهل الحق يقلون وأهل الباطل يكثرون حتى غلبوا ومات بهم الحق[١].

(١) تثبيت دلائل النبوة ١/ ١٥٢.

# الفصل الثاني

## أثر الوثنيات القديمة في تحريف النصرانية

سبق أن ذكرنا أن النصرانية انتشرت في أمم وثنية شرقية وغربية[1]. وقد كان لهذه الأمم تراثها الضخم من الديانات الوثنية، وقد اشتركت هذه الديانات الوثنية في عقائد كثيرة مشتركة تجمع بينها ظواهر عامة.

وقبل الحديث عن تأثير هذه الديانات الوثنية في الديانة النصرانية، يجدر بنا توضيح هذه الظواهر العامة التي تخضع لها تلك الديانات، في اتصالها بعضها ببعض، وفي تأثرها بالأوضاع الاجتماعية والسياسية للأمم التي انتشرت فيها هذه الديانات.

### الظواهر العامة التي خضعت لها الوثنيات القديمة:

#### ١ ـ ضياع الأصول العقدية الصحيحة (الأولى للديانة):

إن الله سبحانه وتعالى لم يترك خلقه منذ أوجدهم يعيشون بلا دين يتعبدون به لخالقهم ينظمون به أمور حياتهم قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[2] [فاطر: ٢٤].

لكن البشر اعتادوا النكوص عن الحق وتشويهه ومسخه، فجعلوا الدين الواحد ديانات شتى محرفة، وذلك عن طريق تغيير أصول هذا الدين الصحيح إلى تلك الديانات المتعددة المحرفة، إلا أن الديانات المحرفة ـ إن جاز هذا التعبير ـ يبقى بها ما يدل على انحرافها عن هذا الدين الصحيح، فمهما تحرى المحرفون الدقة في تحريفهم، ومهما تأول المتأولون والمفسرون فإنه يظل بهذه الديانات المحرفة ما يدل على أصلها الحق.

---

(١) راجع ص٢٥ ـ ٣٠.

(٢) راجع الفصل الأول والثاني من كتاب الإنسان في ظل الأديان. د. عمارة نجيب محمد.

ولا نرى أكثر دلالة على ذلك من وجود التعدد بجانب التوحيد وهذا شائع في كل الأمم.

فبعد أن يتحدث كتاب «دروس في تاريخ الفلسفة» عن التعدد عند البابليين والأشوريين وتقسيمهم الآلهة إلى طبقات متفاوتة يقول: هذا الاعتقاد وترتيب الآلهة إلى إله أعلى وآلهة أدنين يدلان على أن البابليين والأشوريين عرفوا التوحيد في الأصل، وأن الآلهة الأدنين ما هم إلا أسماء للصفات الإلهية أو لمظاهر القدرة الإلهية في الطبيعة شخصوها فأفسدوا التوحيد كما حدث عند سائر الشعوب القديمة[1].

وإذا كان هذا بالنسبة للبابليين والأشوريين فإنه يظهر أكثر وضوحاً في دين قدماء المصريين، حيث نجد إلى جانب كثرة الآلهة تميزاً للإله الأعلى بالقدرة والجبروت يعادل القول بالتوحيد، والنصوص كثيرة في هذا المعنى منها ما يذكرونه على لسان كبير الآلهة عندهم: «أنا الذي صنع السماء والأرض ورفع الجبال وأوجد ما عليها، أنا الذي صنع الفلك ووضع فيه نفوس الآلهة، أنا الذي يأمر فيجري ماء النيل، أنا الذي لا يعلم الآلهة اسمه»[2].

وهذا كلام فيه أشياء من الحق إذ يبرز وجود الخالق الأوحد وأنه صانع كل شيء، وأن ما يسمى آلهة غيره هي مخلوقة مربوبة له.

### ٢ ـ ملاءمتها لأهواء البشر:

إن الإنسان يميل إلى ما يلائم فكره ومزاجه، بل بالأحرى ما يحقق له مصلحته، ونظر الإنسان للمصلحة يختلف تبعاً لاختلاف معتقده واختلاف ظروفه.

وفي المجتمع البعيد عن الحق المنطمس الفطرة يتقبل الناس أي شيء ما دام يحقق لهم في نظرهم شيئاً، وقد كانت العقائد الوثنية مع ضلالها موافقة لهوى الحكام والمحكومين، فقد كان تأليه الملوك في عقيدة النحل القديمة موافقاً للقياصرة وموافقاً للرعايا في وقت واحد، فقد كان القياصرة يرضيهم ما يخلعه عليهم الناس من صفات الربوبية، وكانوا يسمعون أن كهان المعبد يعلنون حلول الآلهة في أجسام الملوك ويرشحونهم للعبادة[3].

---

(١) دروس في تاريخ الفلسفة، إبراهيم مدكور ويوسف كرم، ص٩، ١٠.

(٢) دروس في تاريخ الفلسفة، ص٩، ١٠، والشرق الأدنى القديم ص٣٢٩.

(٣) عبقرية المسيح، ص٥١.

والرعايا كانوا ينظرون إلى حكامهم نظرة القداسة والحماية لهم وما هذه إلا صفات الآلهة، وكون إلههم ملكاً أو إمبراطوراً أفضل في نظر البشر من أن يكون حجراً، ولذا رأينا على مدى التاريخ القديم أن تأليه الملوك أمر شائع في كثير من الشعوب، وهذا ناتج عن الضلال الذي كان البشر يعيشونه في أحلك فتراته[١].

### ٣ ـ سرعة الانتشار «بين الأمم»:

إذا كانت هذه العقائد ملائمة للحكام والمحكومين، وإذا كانت سياسة الدولة تجاه الديانات والأفكار أن تترك لها الزمام طالما لا تتعرض لسلطان الدولة خارجياً أو داخلياً، فإن ذلك قد سمح للديانات الوثنية بأن تجد طريقها للانتشار فتصبح ديانات عالمية.

ولقد كانت العقائد الوثنية تنتشر في العالم الروماني ـ وتعرف بديانات الطقوس السرية ـ حيث تنبع الواحدة منها محلية، ثم لا تلبث أن تنتشر مع ما يصاحب ذلك الانتشار من خرافات[٢].

### ٤ ـ تداخل الديانات:

إذا كانت هذه الديانات كثيرة، وإذا كانت تنتشر بسرعة، وإذا كان مجال انتشارها واحداً، فلا بد أن يحدث التلاقي والتداخل بين هذه الديانات مع كثرتها.

وهذا ينتج واحداً من أمرين: إما تنازل إحدى الديانتين عن مكانها للديانة الأخرى، أو اندماجهما معاً.

وكان هذا التنازل يتم حتى بمجرد الرضا بالاسم الجديد للديانة، مع عدم تغيير مضمون العبادة وجوهرها، أو يتم بتغيير الجوهر وبقاء الاسم كما هو، وتارة يأخذ التنازل صورة الشمول، فإذا غزت دولة غيرها كان معنى هذا تغير الأرباب، أو تغيير أسمائهم على الأقل ولكن شكل العبادة وروحها يظلان سليمين كما هما[٣].

---

(١) إبطال ألوهية عيسى، ص٢٦.

(٢) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ص٦٩.

(٣) موجز تاريخ العالم، ص١٦٧.

ولا يقتصر الأمر بالنسبة لذلك على حالة الحروب وما ينتج عنها من الاتصال التام بين الأمم ودياناتها، بل إن التأثير ليقع بسبب تجاور الديانتين دونما لقاء حربي بين معتنقيهما، إذ عندما تزدهر الديانات إحداها إلى جوار الأخرى تنزع إلى التقاط طقوس بعضها من بعض، إلى غير ذلك من الخواص الخارجية، مثال ذلك: أن البوذية في بلاد الصين تملك اليوم نفس نوع المعابد بكهانها وأعرافها التي للتاوية التي تتبع تعاليم «لاهوتس»، ومع ذلك فإن التعاليم الأصلية للبوذية والتاوية متضادة تماماً[1].

أما الاتحاد أو المزج بين الدينين وآلهتهما فيتم إذا كانا متشابهين لينشأ دين جديد مؤلف من دينين سابقين، وهذا ما كان يقع أحياناً عند لقاء دين بآخر فقد «اقترنت نحلة «أيزيس» المصرية بنحلة «مترا» الفارسية، فسماها اليونان «ديمتر» ونحلوها صفتها المصرية وهي صفة الأمومة الكبرى أو صفة الطبيعة الأم»، كما أشرنا إلى ذلك من قبل[2].

## ثانياً: خضوع النصرانية للظواهر العامة التي خضعت لها الوثنيات القديمة:

سبق أن ذكرنا أن النصرانية انتشرت وسط هذه الديانات الوثنية التي عرضنا لها آنفاً، حيث نشأت في ولاية من ولايات الدولة الرومانية بداية، ثم انتشرت في الإمبراطورية كلها، بكل ما يسودها من ديانات وثنية.

ولقد ساعدت الظروف الدينية والسياسة التي عرضنا لها في الباب الأول على انتشار النصرانية كبقية الديانات الشرقية في تلك البلاد، فقد ترك الحكام الديانات وشأنها وحافظوا على حرية المعتنقين لها، حتى إن الباحث لا يجد فارقاً يذكر بين النصرانية بعد انتشارها في الدولة الرومانية وغيرها من الديانات إلا ما يدعيه معتنقو النصرانية من صلة عقائدهم بوحي السماء والنصوص المقدسة.

فقد دعا المسيح عليه السلام إلى التوحيد كما ذكرنا، ثم حرفت ديانته من التوحيد إلى التعدد والشرك، إلا أنها كغيرها من الديانات يوجد ضمن كتبها المحرفة أدلة على التوحيد الخالص.

---

(١) موجز تاريخ العالم، ص١٧٨.

(٢) راجع، ص٣١.

يقول: «شارل جينيبير»: إن المسيحية لم تكن تستطيع مدافعة أمام هذه النزعات والشعائر السائدة، وإذا كانت ـ أي المسيحية ـ قد انتصرت في القرن الثالث على سائر ألوان «التأليف» الديني الوثني، فذلك لأنها كانت قد تطورت هي الأخرى إلى تأليف دينى تجتمع فيه سائر العقائد الخصبة والشعائر الجوهرية النابعة من العاطفة الدينية الوثنية، قامت هي ـ أي المسيحية ـ بترتيبها، وتركيبها، وأضفت عليها الانسجام الذي تفتقر إليه، بحيث استطاعت أن تقف بمفردها أمام أشتات المعتقدات والشعائر التي يؤمن بها أعداؤها دون أن تظهر ضعفاً أو نقصاً عنها في أي من المجالات الهامة.

وتمت ظاهرة التشرب هذه ـ وهي من الظواهر الأساسية في تاريخ المسيحية ـ في بطء معتمدة على الاتصال الدائب بتطور الإيمان بين جميع طبقات المجتمع الوثني، ذلك المجتمع الذي اختلفت فيه صور الإيمان باختلاف بيئاته وباختلاف العهود التي مر بها... وإنها لظاهرة تفسر لنا كيف جاء العصر الذي استطاعت فيه المسيحية أن تكسب عطفاً نشيطاً بين رحاب العالم اليوناني الروماني[١].

ولقد كان جلوس قسطنطين الذي تعاطف مع النصرانية على عرش الإمبراطورية ٣٠٦م محققاً انتصاراً للنصرانية على الوثنية، ولكن كما يقول الندوي:

«انتصر النصارى في ساحة القتال وانهزموا في معترك الأديان، ربحوا ملكاً عظيماً وخسروا ديناً جليلاً، لأن الوثنية الرومية مسخت دين المسيح ومسخه أهله، وكان أكثر مسخاً له وتحريفاً هو قسطنطين الكبير حامى ذمار النصرانية ورافع لوائها»[٢].

وينقل عن «درابر»:

«دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية، ولم يكونوا يحتفلون بأمر الدين، ولم يخلصوا له يوماً من الأيام، وكذلك كان قسطنطين،

---

(١) راجع المسيحية نشأتها وتطورها، ص٢٢٨.
(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص١٦٦.

فقد قضى عمره في الظلم والفجور، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية إلا قليلاً في آخر عمره سنة (٣٣٧م).

فإن هذا الإمبراطور الذي كان عبداً للدنيا لم تكن عقائده الدينية تساوي شيئاً عنده، ولكنه رأى لمصلحته الشخصية ولمصلحة الحزبين المتنافسين - النصراني والوثني - أن يوحد بينهما، حتى إن النصارى الراسخين أيضاً لم ينكروا عليه هذه الخطة، ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة ستزدهر إذا طعمت ولقحت بالعقائد الوثنية القديمة[١].

ومن ثم فقد نادت النصرانية بالتجسد والتثليث وغير ذلك من العقائد التي بدأت تنتشر مستمدة قوتها من وثنية الرومان وسلطان دولتهم التي باتت ترفع شعار الصليب.

وإذا جئنا إلى الظاهرة الأخيرة للديانات الوثنية وهي ظاهرة التداخل والتلاقح فيما بينها، فإننا نجد أن النصرانية قد تداخلت مع الوثنيات الأخرى وتلاقحت معها[٢].

وقد ذكرنا[٢] سابقاً أن الأمة اليهودية لم تكن قد وصلت من الانعزال عن العالم الخارجي إلى ما تستطيع به أن تتجنب تماماً تأثيرات الشعوب السريانية والكلدانية التي عاشت بجوارها، كما أنها تأثرت ولا شك بصلاتها المستمرة بالفاتحين الرومان، يضاف إلى هذا تأثير وفود الحجيج المتفاوتة العدد إلى القدس - في المواسم والأعياد - من أبناء الجالية اليهودية التي هاجرت إلى بلاد اليونان واستقرت بها. كل ذلك أدى إلى تشرب اليهود بالكثير من الأفكار الخارجية، خلال القرون الثلاثة السابقة للتاريخ النصراني.

وقد أشرنا[٣] إلى تأثير البيئة السورية والفينيقية، والتي كانت مصباً لروافد كثيرة من التيارات الفكرية والعقائدية وللخرافات والأساطير أو آثار ديانات القرون الماضية إلى جانب الديانات المعاصرة[٤]. ثم كانت هناك البيئة المصرية، حيث

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص١٨٣، ١٨٤.
(٢) انظر كلام شارل جينيبير في الصفحة السابقة.
(٣) راجع، ص٣٠ ـ ٣١.
(٤) المسيحية نشأتها وتطورها، ص٤٠.

تطورت العبادات المحلية ونمت فيها ونحت نحو آفاق أوسع وأشمل بتأثير الفكر اليوناني. وأخيراً البيئة الإغريقية من ناحية الشمال، في الإقليم الذي نسميه اليوم بآسيا الصغرى نجدها أكثر تعقيداً واختلاطاً في الفكر، ولكنها أيضاً أكثر خصوبة وإثماراً بسبب وضعها كمركز هام للديانات[١]. وقد انتهى الأمر إلى الدمج حتى تكون في متناول عامة الناس[٢].

وقد حرص حواريو المسيح ﷺ على دينهم بل وسعى بعضهم إلى التعريف به، ثم كان ما تعرضوا له من تدمير الهيكل سنة ٧٠م وما تلاه سنة ١٣٥، جعل هذه الدعوة تنتقل من أرض اليهود إلى الشعوب الوثنية المحيطة بها كالرومان واليونانيين وغيرهم[٣].

وقد ذكرنا[٤] أن النصرانية في تلك الشعوب طعمت ببعض الطقوس والشعائر التي وجدوها في تلك الشعوب الوثنية.

ومن الأدلة على تداخل النصرانية مع الديانات الوثنية المختلفة قول القساوسة أنفسهم حين يعترفون بأن النصرانية قد اختلطت بالوثنية القديمة والرومانية والمصرية والشرق آسيوية، فها هو القس إلياس اليسوعي يقول في كتابه: «يسوع المسيح»:

«لقد لقحت الكنيسة الفكر المسيحي فحمل مرسلوها إلى اليونان حكمة التوراة وآداب الإنجيل، وأخذوا منهم وضوح التعبير ودقة التفكير فنتج عن هذا التلاقح تراث جديد نقلوه إلى روما، ولقد احترمت الكنيسة تقاليد الشعوب وحافظت على تنوع الطقوس في مختلف الطوائف[٥].

صحيح أن النصرانية ولدت في القدس من فلسطين في آسيا، لكنها لم تلبث أن عبرت إلى أوروبا فاستقرت في الدولة الرومانية ذات الحضارة العريقة، وذات النظام الاجتماعي الذي شكلته الفلسفة اليونانية الوثنية والقانون الروماني[٦].

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها، ص٤١.
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها، ص٤١، الفكر الإسلامي ص٢٩، ٢٩.
(٣) المسيح عبود، ص٨٣، ٨٤.
(٤) راجع، ص٩٥ ـ ٩٦.
(٥) يسوع المسيح، ص١٩٩.
(٦) الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة، ص١٧٨.

وفي هذا الجو بكل قيوده وتحدياته عبرت النصرانية إلى أوروبا، وتشكلت في داخل هذا الفكر على النحو الذي قام به بولس منحرفاً بها عن نهجها الرباني المنزل من السماء[1].

وقد أشرنا إلى ما كان من أثر دخول غير اليهود الوثنيين في الديانة ثم محاولة التوفيق بين ما أثير من مشكلات[2].

والأصول الوثنية للعقائد النصرانية الحالية، لم تعد فرضاً علمياً أو تخميناً أو استنتاجاً، فبعد تقدم العلوم النقدية، واكتشاف الوثائق، وقراءة المخطوطات والنقوش، قطع علماء الأديان الغربيون بأن هذه العقائد النصرانية ما هي ـ في حقيقة الأمر وواقع الحال ـ إلاّ خرافات وأساطير عرفتها الأمم الوثنية القديمة، وسجلتها في آثارها، ثم استمدتها النصرانية منها، ونقلتها بعد ذلك نقلاً حرفياً[3].

وقد أفاض العلماء الغربيون في البرهنة على ذلك اعتماداً على الموازنة العلمية بين ما عليه هذه الديانة النصرانية، وما عرف من أساطير دينية وخرافات وثنية عند الأمم القديمة.

وقد وضع أساتذة اللاهوت وعلماء الحفريات مئات الكتب والدراسات التي تثبت هذه الحقيقة، وهي: وثنية العقائد النصرانية[4]. ومع الوثنية لا يستساغ بل لا تصح منهم دعوى التوحيد!!

وكما تذكر مقدمة ترجمة كتاب «الأصول الوثنية»: إننا إذا قارنا بين النصرانية والوثنية فإننا لن نجد تطابقاً كاملاً أو دائماً. وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن بعض الخلافات والفروقات قائمة بالضرورة. ليس هناك من دين ينسخ نسخاً

---

(١) الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة، ص١٧٨.

(٢) انظر: ص٨١. وما بعدها.

(٣) راجع العقائد الوثنية، ص٢٠٢.

(٤) انظر نماذج كثيرة جداً لهذه الكتب في كتاب: (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية). وانظر ما كتبه الجاحظ في (المختار في الرد على النصارى) وما كتبه ابن حزم في (الفصل) والباقلاني في (التمهيد) والجويني في (شفاء الغليل) والغزالي في (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل). و(الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح): لابن تيمية، و(الأجوبة الفاخرة) للقرافى، و(النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية)، و(تحفة الأريب) للترجمان، وراجع (إظهار الحق) لرحمة الله الهندي.

كاملاً، أو ينقل عن الدين الوثني الآخر نقلاً منتظماً حرفياً شاملاً لكن العمل الباطني للتصورات والمفاهيم الشعبية هو الذي بدل الأعماق الدينية للمسيحية المعاصرة وجددها. ومن هنا نستطيع القول أن المسيحية بوجهها العام تبدو تلفيقية وثنية، وإنها برغم تنقيحها تبقى تلفيقية[1].

ولعلنا في الفقرة التالية نقدم الأدلة التفصيلية لأثر هذه الديانات الوثنية في انحراف النصرانية عن وضعها الصحيح.

## ثالثاً: أثر الوثنيات القديمة في تحريف العقائد النصرانية:

### ١ ـ التجسد:

التجسد عند الأديان الوثنية يعني أن الله تعالى أخذ صورة جسد، أو يحل في جسد. قال دوان: «ومن عقائد الوثنيين القدماء قولهم بتجسد أحد الآلهة ونزوله وسكنه معهم، وقد ورد ذكر ذلك على أنواع كثيرة من التصورات والروايات الشرقية[2].

ولا تكاد الديانات الوثنية تخلو من عقيدة التجسد هذه عن طريق الولادة من عذراء، وقد تختلف مظاهر هذا التجسد وكيفيته، إلا أن المضمون والجوهر واحد لا يختلف.

وقد ذكرنا سابقاً[3] عند حديثنا عن بولس أن هذه الفكرة مستقاة من أفكار السامريين العبريين، وذهب بعض الباحثين إلى أن فكرة التجسد هي من رصيد الحلول اللاهوتي الناسوتي الموجود في التلمود، حيث إن التلمود ورد فيه القول بالتناسخ.

فهي عقيدة وثنية عامة ظهرت بقوة في الديانات الوثنية المصرية واليونانية والرومانية وكذلك في الهندية والأشورية. وكانت هذه العقيدة ـ عقيدة ولادة الإلّه من أم بشرية، أي نزول الإله وتجسده وظهوره بالناسوت ـ كانت منتشرة بين الرومان واليونان انتشاراً كبيراً، بل كانت معتادة إلى حد كبير، مما يسر إدخالها

---

(١) الأصول الوثنية، ص٢٢.

(٢) العقائد الوثنية، ص٥٨.

(٣) انظر: ص١٦٧.

في الديانة النصرانية وذيوعها وانتشارها[١].

فعقيدة تجسد الإله التي يقول بها النصارى قد سبقهم إليها الهنود. وقد ورد ذكر ذلك على أنواع كثيرة من التصورات والروايات الشرقية، ولم يزل «كرشنا» حتى هذه الساعة الإله المحبوب عند نساء الهنود، والفرقة التي تحترمه مشغوفة بعبادته، وقد نشروا تعاليم يتمسكون بها أشد التمسك وهي أن «كرشنا» يخالف كل الآلهة التي تجسدت لأنها لم يكن فيها إلاّ جزء من الألوهية، أما «كرشنا» فهو نفس الإله «فشنو» ظهر بالناسوت[٢].

وجاء في بعض كتبهم أن «كرشنا» قال: «سأتجسد في «متواربيت يادوا»، وأخرج من رحم «ديفاكي» أولد وأموت، وقد حان الوقت لإظهار قوتي وتخليص الأرض من حملها»[٣].

قال «دوان»: «والإله «بوذا» المولود من العذراء «مايا» الذي يعبده بوذيو الهند وغيرهم يقولون عنه إنه ترك الفردوس، ونزل إلى الأرض، وظهر بالناسوت رحمة بالناس كي ينقذهم من الآثام ويرشدهم صراطاً مستقيماً، ويحمل أوزارهم ويفديهم مما يستحقونه من العذاب بأخذه عنهم ما يستحقونه من القصاص».

وقد جاء في الكتاب الصيني المدعو «فوتيهنك» ما نصه: «ولما عزم الإله «بوذا» على النزول من السماء إلى الأرض ليولد عليها نادى ملائكة السماء وسكان الأرض قائلاً: «يا أيها الأموات زينوا أرضكم لأن «بوذيشومهتو» العظيم سينزل عما قريب من «توسيا» ويولد بينكم فأعدوا كأسين لوقت ظهوره»، ويقولون أيضاً: أما الرحم الذي يحل فيه الإله بوذا ليتجسد إنما هو كوعاء وضعت فيه ذخيرة وليس أحد من البشر يكون الحمل به كما كان بوذا فإنه يحل فيه بغير إفراز.. ولما حملته (بهامايا) لم تعد تشتهي (رجلاً) وعاشت عذراء[٤].

قال «هوك» ـ أحد المبشرين الفرنسيين ـ عند تكلمه عن بوذا ما نصه: «والبوذيون يعدونه إلهاً تجسد أي إنه إله ظهر بالناسوت أتى إلى هذا العالم،

(١) مقدمة العقائد الوثنية، ص٣٤.
(٢) راجع العقائد الوثنية، ص٩٣، Objection to christian belief، ص٣٩٧.
(٣) العقائد الوثنية، ص٩٥.
(٤) العقائد الوثنية، ص٩٥.

ليعلم الناس ويرشدهم ويفديهم ويبني لهم طريق السلام!!..[1] ومثل هذا الاعتقاد نجده عند الصينيين»[2].

وكمثال على التجسد بدون ولادة من عذراء اعتقاد «أن الفرعون المصري ابن رع من صلبه وتجسيد له على الأرض، ويتضح هذا جلياً من الألقاب الرسمية التي كان يتخذها الفرعون ومن الأوسمة التي كان يحملها»[3].

وكان اليونانيون يدعون أبطالهم في القرون الماضية آلهة وأولاد آلهة، وأنهم ظهروا بالناسوت، ومن جملة أبناء الآلهة هرقل «من الإله» المشتري. وعندهم أن «برومسيوس»[4] إله اتحد لاهوته بناسوته فهو ذو نشأتين إلهية وجسدية في جسم واحد، وهو إنسان وإله حقيقيان في وقت واحد[5]».

وهناك رواية تتعلق بـ «روملوس» الذي سميت مدينة روما باسمه، تقول إن العذراء «ديهيا سلفيا» اغتصبت وولدت توأمين، قيل إن أباهما كان «مارس» إله الحرب، وأنه أثناء عاصفة مفاجئة مر الغيم فوق رأس «روملوس» واختفى ولم يعد على الأرض واعتبر إلهاً وابن إله.

ولقد كان تجسد المسيح كإله موافقاً لهذا تماماً، فهو حمل به من الروح القدس وولد من عذراء هي مريم لتكمل قصة تجسده المزعومة، وهو ما تؤكده النصوص والمقالات في كتاب «أسطورة تجسد المسيح»: إن الأساطير والخرافات الوثنية الرومانية واليونانية مليئة بأساطير نزول الآلهة إلى الأرض واختلاطهم بالبشر واتصالهم بهم أحياناً اتصالاً لا تزاوجياً، وأن هذه الأساطير التي أوحت للنصرانية بالتجسد الإلهي للمسيح، بل لقد نسب إلى الإمبراطور أغسطس الذي ولد المسيح في عهده أن الآلهة قد أرسلت أغسطس وإنه إله نزل إلى الأرض[6].

---

(١) العقائد الوثنية، ص٩٦.

(٢) العقائد الوثنية، ص٩٧.

(٣) إبطال ألوهية عيسى، ص٤٦، وانظر الديانة في مصر الفرعونية، ص٤٣.

(٤) اسم مشتق من كلمة يونانية معناها البصر والعناية الإلهية. راجع العقائد الوثنية، ص١٠٠.

(٥) راجع العقائد الوثنية، ص١٠٠.

(٦) راجع النصرانية، شاهين، ص٢٧٩.

## ٢ ـ الصلب والفداء:

إن قصة صلب المسيح وفدائه لبني البشر من أهم العقائد النصرانية بل لعلها أهمها، وقد اكتسبت هذه القضية أهميتها من حيث إنها جعلت أساساً يقوم عليها دين.

ويكفي أن نعرف أن الصليب الذي يعتقد النصارىٰ أن المسيح صلب عليه أصبح رمزاً مقدساً عندهم، وهو رمز التثليث. وهو عندهم كذلك رمز لأكبر فاجعة وقعت في تاريخ البشرية فيما يزعمون، وهو كذلك أساس الكنيسة وعماد الإنجيل ورمز الحياة الأبدية[١] فيما يزعمون.

وقد ذكرنا[٢] عند دراستنا لتقرير بولس لهذه العقيدة في رسائله أنها تقوم على أساس القول بتكفير خطايا البشر وحاجتهم إلى فاد يفديهم من خطاياهم.

والنصارى يستدلون على قصة صلب المسيح لفداء البشرية بما تضمنته رسائل بولس كما ذكرنا من قبل، وبما تضمنته الأناجيل، مثل ما ورد في إنجيل يوحنا «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»[٣].

هذه هي عقيدتهم في الصلب والفداء وهي كما ذكرت أهم العقائد عندهم لأنهم يقولون إن صلب المسيح كشف لهم أموراً كان يجهلها الجنس البشري من لدن آدم حتى جاء المسيح وصلب.

### قصة الصليب وفلسفته:

إذا رجعنا لنرى تاريخ نشأة الصليب، ثم تقديسه بعد ذلك في الأديان الوثنية فإننا نجد أن نشأة الصليب وتقديسه ترجع إلى العصور المتقدمة. ففيما يتعلق بنشأة الصليب يذكر «آرثر فندلاي» أن اكتشاف النار من أهم الاكتشافات لدى الإنسان الأول، وأنه يمكن توليدها من احتكاك قطعتين من العصا تدخل إحداها في الأخرى بطريقة تشبه التقاء العصوين في الصليب، وعن طريق الاحتكاك بين العصوين تتولد النار فتولدت النار من الصليب فرأى الإنسان النار تتولد من هذا الاحتكاك فأثارت في نفسه الإعجاب والدهشة، حتى أدى به إلى

(١) دراسات في النصرانية، مزروعة ١١٠، ١١١، الإنجيل والصليب، ص٦.
(٢) راجع، ص١٦٧.
(٣) ١/١٦.

عبادة النار، ومن هنا نشأ تقديس الصليب من العبادة المقدسة[1]. هكذا زعم.

وقد انتقلت هذه القداسة إلى الأديان الوثنية المختلفة فيما بعد. ويذكر المسيو «كوينيو»: أن الهنود يذكرون موت «كرشنا» بأشكال متعددة أهمها أنه مات معلقاً على شجرة سمر بها بضربة حربة[2].

وقال «دوان»: والمقصود من الشجرة (خشبة الصليب) وأن السيد «مور» قد صور «كرشنا» مصلوباً، كما هو مصور في كتب الهنود مثقوب اليدين والرجلين ومعلق بقميصه قلب إنسان.

ومما يذكر عن الإله «آندرا»، وهو إله فارسي قديم يعبدونه في التبت والنيبال: أنه سفك دمه بالصلب، وثقب بالمسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم، وأن صورة الصلب موجودة في كتبهم[3].

وكان المصريون يصورون في يد آلهتهم علامة ترمز إلى الحياة. وكانوا يسمونها «عنخ» وهي قريبة في تكوينها من علامة الصليب التي اتخذها النصارى شعاراً ورمزاً لهم بعد ذلك.

يقول الدكتور صابر صبره: إن كلمة الحياة عند المصريين ترسم بما يرسم به الصليب، وليس بعيداً أن يكون رسم الصليب مقتبساً من الفكر المصري بمعنى نهاية الحياة التي تلي الصلب[4]. وبهذا أصبح الصليب رمزاً للحياة والتضحية عند الوثنيين فقد شكل مكانة دينية مرموقة في مصر وأشور وفارس وغيرها[5].

هذا عن تقديس الصليب ووجوده في الديانات السابقة.

أما عن عقيدة الصلب لأجل فداء البشر المتمثلة في صلب المسيح عند النصارى فما هي إلا عقيدة وثنية محضة[6]، باعتراف الباحثين الغربيين أنفسهم.

---

(١) راجع دراسات في النصرانية، مزروعة، ص١١٢، القضايا المسيحية الكبرى، إلياس مقار، ص٣٨٨، المسيحية والإسلام، القس إبراهيم، ص١٧١، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص١٦٣، ١٦٤.

(٢) العقائد الوثنية، ص٧٥.

(٣) العقائد الوثنية، ص٧٥.

(٤) المسيحية، شلبي، ص١٧٧.

(٥) محمد في التوراة، ص١٦٣، ١٦٤.

(٦) العقائد المسيحية بين القرآن والعقل د. هاشم جودة، ص٢١٤، ٢١٥، التجسد والصلب بين الحقيقة والافتراء، حماية، ص٩٠.

فهذا «ول ديورانت» يقول مؤكداً لذلك: لقد كانت مصر وآسية الصغرى وبلاد اليونان تؤمن بالآلهة من زمن بعيد، ـ تؤمن بأوزيريس وأوتيس وديونيس ـ التي ماتت لتفتدى بموتها بني الإنسان، وكانت ألقاب «سوتر» (المنقذ) و«أليوثريوس Eleutherios» (المنجي) تطلق على هذه الآلهة، وكان لفظ «كريوس Kyrios» (الرب)، الذي سمى به بولس المسيح، وهو اللفظ الذي تطلقه الطقوس اليونانية السورية على «ديونيشس» الميت المفتدى[1].

وكما يقول جينيبير: إن جميع ديانات البيئة التي تكونت فيها المسيحية كانت تأخذ بمبدأ التضحية[2].

وقد ذكر «آرثر فندلاي في كتابه (صخرة الحق) ترجمة د. علي علي راضي، ستة عشر مخلصاً عرفوا قبل مجيء المسيح، وسمي كل منهم إلهاً مخلصاً وأعطى لقب المسيح، هكذا قال. وهم:

| الاسم | المنطقة | التاريخ |
|---|---|---|
| ١ ـ أوزوريس | مصر | ١٧٠٠ق.م. |
| ٢ ـ بعل | بابل | ١٢٠٠ق.م. |
| ٣ ـ أتيس | فرجيا | ١١٧٠ق.م[3]. |
| ٤ ـ ناموسي | سوزيا | ١١٦٠ق.م. |
| ٥ ـ ديوقيوس | اليونان | ١١٠٠ق.م. |
| ٦ ـ كرشنا | الهند | ١٠٠٠ق.م. |
| ٧ ـ هيوس | أوروبا | ٨٣٤ق.م. |
| ٨ ـ أندار | التبت | ٧٢٥ق.م. |
| ٩ ـ بالى | آسيا | ٧٢٥ق.م. |
| ١٠ ـ أياو | نيبول | ٧٢٢ق.م. |
| ١١ ـ التيس | فيريا | ٦٠٠ق.م. |
| ١٢ ـ كويكي لكوت | المكسيك | ٥٨٧ق.م. |
| ١٣ ـ وتيبا | ني فانسكو | ٥٥٢ق.م. |
| ١٤ ـ برومتيوس | اليونان | ٥٤٧ق.م. |
| ١٥ ـ كوربتوس | روما | ٥٠٦ق.م. |
| ١٦ ـ مذرا | الفرس | ٤٠٠ق.م.[4] |

(١) قصة الحضارة ٣/ ٢٦٤.
(٢) راجع المسيحية نشأتها وتطورها، ص٤٦.
(٣) المسيحية نشأتها وتطورها، ص٩٣.
(٤) إبطال ألوهية عيسى، ص٤٧، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص١٦٥.

وفي كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية أمثلة كثيرة جداً مما يشترك فيه النصارى مع الوثنيين في عقيدة الصلب من أجل الفداء.

قال دوان: «إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة، فداء عن الخطيئة، قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم».

وكان الرومانيون واليونان يقدمون أنفسهم ذبيحة للآلهة استرضاء لها. وكانوا في مصر يقدمون من البشر ذبيحة، وتمكنت منهم هذه العادة الشريرة حتى صاروا يقدمون الابن البكر من أحد العائلات الأثانية ذبيحة، يأخذونه إلى هيكل في «فستات في عالوس»، ويضعون على رأسه إكليلاً ثم يذبحونه قرباناً للآلهة، كما تذبح الأنعام.

وقال «بونويك» Bonwick: «يعد المصريون «أوزيريس» أحد مخلصي الناس وأنه بسبب جده لعمل الصلاح يلاقي اضطهاداً، وبمقاومته للخطايا يقهر ويقتل».

وقال «موري»: «يحترم المصريون «أوزيريس، ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة»[1].

وقال: «دوان» ما نصه: «ويعتقد الهنود بأن «كرشنا» المولود البكر الذي هو نفس الإله «فشنو»، الذي لا ابتداء له ولا انتهاء على رأيهم، قد تحرك - شفقة وحنواً - كي يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه»[2].

ويدعون «بوذا» الطبيب العظيم، ومخلص العالم والممسوح، والمسيح المولود الوحيد، وغير ذلك، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر آثام البشر، ويجعلهم ورثة ملكوت السموات، وبولادته ترك كافة مجده في العالم ليخلص الناس من الشقاء والعذاب كما نذر[3].

وقال «هوك»: إن «بوذا» في نظر البوذيين إنسان وإله معاً وأنه تجسد بالناسوت في هذا العالم ليهدي الناس ويفديهم، ويبين لهم طريق الأمان وهذا التجسد اللاهوتي يعتقده كافة البوذيين، كما يعتقدون أن بوذا هو مخلص الناس.

---

(١) العقائد الوثنية، ص٧٤.
(٢) العقائد الوثنية، ص٧٥.
(٣) المسيحية، شلبي، ص١٧٧، العقائد الوثنية، ص٧٧.

وقال «دوان»: كان الفداء بواسطة التألم والموت لمخلص إلهي قديم العهد جداً عند الصينيين، وكان الفرس يدعون «مترا» الوسيط بين الله والناس، والمخلص الذي بتألمه خلص الناس ففداهم ويدعونه: «الكلمة»، و«الفادى».

ويقول «آرثر فندلاي»: «حتى سنة ٦٧٠م لم تكن الفكرة قد تبلورت حول الرمز الذي يعطى لصلب عيسى. وقبل ذلك كان يرمز بحمل للمخلص «مذرا»، فاستبدل عندئذ بالحمل رجل مربوط إلى الصليب»[١].

ويقول الأستاذ إبراهيم خليل أحمد ـ الذي كان قسيساً وراعياً لكل كنائس الوجه القبلي في مصر وهداه الله إلى الحق وأسلم ـ: «إن الإمبراطور قسطنطين هو الذي اتخذ الصليب رمزاً للإيمان المسيحي. وعلى هذا يكون الصليب رمزاً دينياً قديماً جداً لا يمت إلى المسيحية بصلة»[٢].

وهكذا شهد شاهد كان منهم أن فكرة تقديس الصليب هي فكرة مبتدعة لم يأت بها عيسى عليه السلام ولم يجعلها أساساً لعقيدته، وإنما صنع ذلك المنحرفون من بعده؛ بولس وفكرته التي نادى بها، وقسطنطين والرمز الذي جاء به[٣].

وبهذا يتضح تأثير الوثنيات عموماً في نشأة الصليب، وعقيدة الصلب للفداء، ورمزية الصليب في النصرانية.

### ٣ ـ ألوهية عيسى وادعاء أنه ابن الله:

تشكل دعوى ألوهية عيسى عليه السلام قاعدة الديانة النصرانية ومحورها المركزي الذي تتأسس عليه وتدور حوله منظومة العقائد النصرانية كلها من تجسد وحلول وتثليث وصلب وقيامه... إلى آخره كما ذكرت[٤]. ورأينا كيف أنه بينما كان البعض يراه رسولاً مثله كمثل من سبقه من المرسلين والأنبياء رآه أخرون إلهاً، ورأى فريق ثالث أنه ابن الله له صفة القدم، فهو أكبر من رسول، وله صلة خاصة بالله وأنه وسيط بين الله والناس.

---

(١) مشكلات العقائد الوثنية، ص١٦٦.
(٢) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص١٥٨.
(٣) مشكلات العقيدة النصرانية، ص١٦٧.
(٤) انظر: ص١٧٧، ٢٩٨، ٣١٧.

وهكذا تباينت نحلهم واختلفت مذاهبهم في شخص المسيح[١]. وتحدثنا عن المجامع التي عقدت من أجل إقرار المسيح وبنوته لله[٢].

ولقد كان تأليه الملوك والأبطال والشخصيات العظيمة أمراً شائعاً في الديانات الوثنية، وأغلب الديانات الوثنية أصلها عبادات لبشر بلغوا العظمة على وجه ما من الوجوه الشائعة آنذاك، وتاريخ البشرية مليء بذلك[٣].

ولم يكن مستغرباً في بلدان الشرق القديم أن يقوم من يزعم أنه «ابن الله»، ففي مصر القديمة نجد الكثيرين ممن يدعى فيهم أنهم أبناء الله، كأبناء توت وبتاح ورع، ويقال: إن الفاتح الإسكندر الكبير حين دخل معبد «سيوه» سمع صنم الإله «أمون» يناديه: يا ابني، بل إننا نجد على إحدى حفريات الأسرة الفرعونية التاسعة عشرة في «ممفيس» وعلى ورق البردي هذه العبارة التي تصف «آمون»: «هذا الله الذي عمل إلهاً وصار مزدوجاً»[٤].

فالمصريون القدماء من أشهر من ألَّهوا ملوكهم، وملك مصر كان إلهاً في نظر المصريين[٥].

وكان الهنود القدماء يقولون: بأن الإله «سافستري» له ابن هو ابنه الوحيد واسمه «آتى» وأنه مولود غير مخلوق. كذلك كانت الديانة الزرادشتية تقول: بأن للإله: «متراس» ابن هو: «أهورا»[٦].

وكان اليونانيون يدعون أبطالهم في القرون الماضية آلهة وأولاد الآلهة، وأنهم ظهروا بالناسوت، ومن بعد موتهم انضموا إلى الآلهة[٧].

وكان قسطنطين إمبراطور الرومان يؤمن بأن «أبولو» (إله الطب عند

---

(١) انظر: ص٣١٨.

(٢) انظر: فصل المجامع ص٣١٥.

(٣) ولهذا أكد النبي ﷺ على عدم الغلو فيه سواء بالإطراء في حياته أو بعد موته، أو تعظيم قبره حماية للمسلمين من أن يقعوا فيما وقع فيه من قبلهم.

(٤) الأصول الوثنية، ص٣٩، العقائدة الوثنية، ص٩٩، ١٠٠.

(٥) الأصول الوثنية، ص٣٩، العقائدة الوثنية، ص٩٩، ١٠٠.

(٦) الأصول الوثنية، ص٣٩.

(٧) الديانة اليونانية، ص١٣٠، الأساطير الإغريقية والرومانية، كوملان، ترجمة أحمد رضا، ١٩٩٢م، ص١٤٤ ـ ١٥٣.

اليونانيين) هو إله الشمس وأن «أفلاطون» ابن الله[1]. ولذا أقر ما في النصرانية من دعوى بنوة المسيح لله.

وممن ألّهوهم الرومان «روميلوس» مؤسس رومية كما ذكرنا ويدعونه «ابن الله» ولد من العذراء «راسيلفيا»، ويقولون عن «يوليوس قيصر» أنه «ابن الله»، وقالوا أيضاً عن أغسطس قيصر إنه إنسان وإله... وقد ألّهوا «كلوريوس»، وكانوا يدعون ملوك رومية بهذه الألقاب «ربنا ومعلمنا وسيدنا وإلهنا»[2].

وقد اعتقد سكان رومية بألوهية «سمعان السامري» الملقب «ماغوس» أو «الساحر» وكان معاصراً للمسيح ﷺ، وقالوا: إنه عمل آيات وعجائب مدهشة ووضعوا صورته مع صور الآلهة المصورين في تلك المدينة. وقد نقل هذا كذلك المؤرخ «يوسيبيوس» عن «جوستين»، ويوجد على الجسر الكائن فوق نهو تبريس هذه العبارة «لسمعان الإله القدوس»[3].

وما ذكرت يؤكد منبع هذه العقيدة الدخيلة ـ عقيدة ألوهية ابن الإله وإرساله لهداية البشر في الديانات ـ وأنّ هذه العقيدة وورودها في الأناجيل لم يكن مصدرها إلاّ ما استورده النصارى من ديانات وعقائد سابقة وشعوب وثنية ممن دخلوا في النصرانية فيما بعد.

وخلاصة القول أن مؤرخي الأديان لا يستطيعون إلا أن يعترفوا بالأصل الوثني لعبارة «ابن الله»، وأن هذه العبارة كان لها تأثير كبير في استقطاب الكثير من الوثنيين إلى الديانة النصرانية، بل دخل بعضهم في الدين الجديد بسببها[4].

### ٤ ـ التثليث:

من خلال النظر في المصادر المتاحة يتبين أن عقيدة التثليث عقيدة وثنية محضة وجدت قبل ميلاد المسيح ﷺ لدى الأمم القديمة، ومن ثم تأثرت بها النصرانية وقبلتها.

---

(١) النصرانية، شاهين، ص٢٢٣.

(٢) النصرانية والإسلام، ص٩٤، وانظر العقائد الوثنية، ص١٠١، وإبطال ألوهية عيسى، ص٤٤.

(٣) العقائد الوثنية، ص١٠٣.

(٤) الأصول الوثنية، ص٤٠.

فالمتتبع لتاريخ الأديان الوثنية يجد أن الثالوث المقدس يعتبر أصلاً من أصولها، ومعتقداً من أهم معتقداتها[1]. وفي هذا يقول الدكتور أحمد شلبي: إن موضوع تعدد الآلهة موضوع يكاد يكون عاماً في جميع الثقافات القديمة، قال به المصريون القدماء، وقال به الآشوريون والبابليون، على اختلاف في عدد الآلهة ومكانتهم، واختلاف في تصور صلة الآلهة بعضهم ببعض أو صلتهم بالبشر[2].

أما التثليث فلعله كان تحديداً لهذا التعدد... وأصبح الثالوث معبوداً معروفاً لكثير من الأمم، ولعل البابليين هم أول من قال بالثالوث، وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد حيث كانوا يدينون بتعدد الآلهة. لكنهم نظموا هؤلاء الآلهة أثلاثاً، أي جعلوها مجموعات متميزة المكانة والقدرة، كل مجموعة ثلاثة.

فكانت المجموعة الأولى على رأس الآلهة، وتتكون هذه المجموعة من إله السماء، فإله الأرض فإله البحر، أما المجموعة الثانية فإله القمر وإله الشمس، وإله العدالة والتشريع... إلخ. وأن التثليث كان معروفاً عند قدماء الهنود قبل المسيح بأكثر من ألف عام[3].

ويرى الدكتور وافي أن أول ديانة نشأت فيها عقيدة اللاهوت الثلاثي هي ديانة الهنود القديمة، والتي كانت تعرف بديانة البراهمة، فإن أسفار الفيدا يرجع تاريخها إلى عصر سحيق، يرجع به بعضهم إلى نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد[4].

ويذكر دارسو الوثنية أن كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية لا تخلو من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثي (أي: الأب والابن وروح القدس).

قال موريس: كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي، أي: أن الإله ذو ثلاثة أقانيم[5].

---

(١) الله واحد أم ثالوث، ص٧٨، وقصة الحضارة، ٣/ ٧٥، والأصول الوثنية، ص٨٢.

(٢) المسيحية، شلبي، ص١٣٥، وتاريخ الفلسفة، مذكور، ص٦ - ٩.

(٣) المسيحية، شلبي، ص١٣٥، وعقيدتا التثليث والصلب، ص٢٦١.

(٤) الأسفار المقدسة، ص٢٦١.

(٥) العقائد الوثنية، ص٥٥.

وجاء في كتاب «سكان أوروبا الأول» «كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الإله واحد، ولكنه ذو ثلاثة أقانيم»[1]. وهو ما يؤكده علماء النصارى أنفسهم[2].

وفيما يلي ذكر بعض صور التثليث القديمة، ونبدأ بأقدمها وهي الوثنيات الهندية، فنحن إذا تصفحنا كتب الهنود سنجد أن أعظم وأشهر عقائدهم هو القول بالتثليث، وقد كان للهنود أكثر من ثالوث. فهو يختلف من طائفة لأخرى ولكننا نجد الثالوث في كل مرة يشبه إلى حد كبير ثالوث النصارى[3].

منها: ما نقله الأستاذ مالفير في كتابه المطبوع عام ١٨٩٥م وترجمه إلى العربية «نخلة شقوان» عن الكتب الهندية القديمة في شرح عقيدة الهنود القدماء ما نصه:

نؤمن «بسافسترى» أي الشمس إله واحد ضابط الكل خالق السماوات والأرض وبابنه الوحيد «آنى» أي النار نور من نور مولود غير مخلوق تجسد من «فايو» أي الروح في بطن «مايا» العذراء، ونؤمن بـ «فاليو» الروح المحيي المنبثق من الأب والابن، الذي هو مع الأب والابن يسجد له ويمجد[4].

وقارئ هذا النص يحس أنه يقرأ وثيقة الإيمان التي وضعها مجمع «نيقية» وتؤمن بها الكنائس على اختلافها. إنه تشابه تام بين العقيدتين، لا اختلاف بينهما إلاّ في الأسماء، فبينما يسمى النصارى الإله أباً، ويسوع المسيح ابناً، وروح الحياة المنبثقة روح القدس، نجد قدماء الهنود يسمون الأب (سافستري) والابن (آني) والروح (فايو). وبينما يتجسد يسوع في بطن مريم العذراء، يتجسد (فايو) في بطن (مايا) العذراء عند الهنود. ونرى هذا الثالوث واضحاً في أكبر ديانتين في الهند هما: البراهمية والبوذية[5].

وقال «دوان»:

«إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو

---

(١) العقائد الوثنية، ص٥٥.

(٢) انظر: ص٣٧٠، وما بعدها.

(٣) النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص٢٠٩.

(٤) التعصب والتسامح، ص١٠١، الله واحد أم ثالوث، ص٨١.

(٥) كتاب «الله جل جلاله» العقاد، ص٧٦.

التثليث أي: القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم. ويدعون هذا التثليث بلغتهم: «ترى مورتي»، وهي جملة مركبة من كلمتين سنسكريتيتين: أما «ترى» فمعناها: «ثلاثة»، و«مورتي» معناها: «هيئات» أو أقانيم وهي «برهما وفشنو وسيفا» ثلاثة أقانيم غير منفكة عن الوحدة، وهي: الرب والمخلص وسيفا، ومجموع هذه الثلاثة الأقانيم: إله واحد.

ويرمزون لهذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف هي: الألف والواو والميم، ويلفظونها «أوم»، ولا ينطقون بها إلاّ في صلاتهم، ويحترمون رمزها في معابدهم احتراماً عظيماً[١].

وجاء في «الكبيتا» ـ أحد كتبهم المقدسة الدينية ـ أن كرشنا قال: «أنا رب المخلوقات جميعها، أنا سر الألف والواو والميم ـ أوم ـ، أنا برهما وفشنو وسيفا. التي هي: ثلاثة آلهة إله واحد»[٢].

وكما نجد عند الهنود ثالوثاً مؤلفاً من: «برهما وفشنو وسيفا»، نجد ذلك عن البوذيين، فإنهم يقولون: إن بوذا إله، ويقولون بأقانيمه الثلاثة[٣].

وقال «دوان»: «البوذيون الذين هم أكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم، يسمونه: «فو»، ومتى أرادوا ذكر هذا الثالوث المقدس، يقولون: (الثالوث النقي فو)، ويصورونه في هياكلهم بشكل الأصنام التي وجدت في الهند، ويقولون أيضاً: «فو»: واحد لكنه ذو ثلاثة أشكال!!»[٤].

وقال أيضاً: «كان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم، مثل الهنود تماماً وهم: «أورمزد، ومتراث وأهرمان»، فأورمزد؛ الخلاق. ومتراث: ابن الله المخلص والوسيط. وأهرمان: المهلك».

ويوجد في كتابات «زورستر» سانن الشرائع الفارسية، هذه الجملة: الثالوث اللاهوتي مضيء في العالم، ورأس هذا الثالوث موناد. وكان الأشوريون والفينيقيون يعبدون آلهة مثلثة الأقانيم[٥].

---

(١) العقائد الوثنية، ص٥٥، تحقيق ما للهند، البيروني، ص١٣٥.
(٢) العقائد الوثنية، ص٥٦، وراجع الأديان الشرقية القديمة في الشرق، رؤوف شلبي، ص١٠٤.
(٣) العقائد الوثنية، ص٥٨.
(٤) العقائد الوثنية، ص٥٨.
(٥) العقائد الوثنية، ص٦٥، ٦٦.

وقد اتسع موطن هذه العقائد المتضمنة لعقيدة التثليث بعد انتقالها من غرب آسيا إلى بلاد اليونان وغيرها من المناطق التي خضعت للحكم الروماني بعد ذلك، فقد كان يقوم بالدعوة إلى الوثنية دعاة كثيرون يحاولون جذب الناس إلى هذه الديانات.

وقد روع قساوسة النصارى ما وجدوه من أوجه الشبه بين دينهم وبين المثرائية وقالوا: إن الثانية قد سرقت هذه العبادات عن النصرانية، أو أنها في المثرائية حيل مضللة احتال بها عليهم الشيطان في صورة لأهرمن.

وهو قول وزعم متهافت، فقد عرفنا مما مر أن أقليم البحر الأبيض كله كانت تسوده عقائد وثنية قبل أن توجد النصرانية، وقبل أن تنتشر في ربوع تلك البلاد[١].

وكان اليونانيون ـ القدماء الوثنيون ـ يقولون: إن الإله مثلث الأقانيم، وإذا شرع رجال دينهم بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء ثلاث مرات ـ إشارة إلى الثالوث، ويرشون المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاثة أصابع، ويعتقدون أن الحكماء قد صرحوا أن كل الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة. ولهم اعتناء تام بهذا العدد (الثالوث) في كافة أحوالهم الدينية. وقد جرد الباحث الألماني المعاصر أوزينير أكثر من ١٢٠ إلهاً مثلثاً في الأساطير اليونانية القديمة[٢].

وقد انتقلت كل هذه الظواهر إلى الدولة الرومانية، التي أصبح لها الحكم في تلك البلاد وغيرها.

أما التثليث عند المصريين القدماء، فقد أخذوه عن الهنود من ٧٠٠ سنة ق.م[٣].

وقد كان للدين المصري القديم تأثير قوي في النصرانية، ليس فقط في الشعائر بل في صورها ورموزها، لدرجة أن الكثيرين يعتقدون أن صورة العذراء التي يصلي أمامها النصارى في الكنيسة إنما هي مأخوذة عن صورة «إيزيس»

---

(١) عقيدتنا التثليث والصلب، ص٢٦٨.

(٢) العقائد الوثنية، ص٦٤، ٦٥، والأصول الوثنية، ص٧٠، ٧١.

(٣) المسيح، وصفي، ص١٤٣.

المصرية التي كان يرسمها المصريون وهي تحمل طفلها «حورس» وترضعه[1].

ويقول «ويلز» ـ أحد علماء مقارنة الأديان في بلاد الغرب ـ: إنه بعد الفتح الإغريقي لمصر أصبحت مدرسة الإسكندرية الحديثة مركزاً لحياة مصر الدينية بل صارت في الحق مركز الحياة الدينية للعالم الهلليني كله، فأقام بطليموس الأول معبداً عظيماً هو معبد السرابيوم، كان يعبد فيه نوع من ثالوث الأرباب مكون من: (١) أوزريس (٢) وإيزيس (٣) وحوروس، ولم يكن الناس يعدونها أرباباً منفصلة بل هيئات ثلاث لإله واحد[2].

ومن المؤرخين والمحققين المعاصرين من النصارى أسوق ما قاله زكي شنودة حيث يقول: «وكان في معتقدات المصريين ما يجعل فكرة التثليث المسيحية قريبة إلى فهمهم، فقد كان لكل مدينة هامة من مدنهم ثالوث من الآلهة تختص بعبادته والولاء له، ومن أمثلة ذلك ثالوث طيبة ويتألف من «أمون» (الأب) و«موث» (الأم) و«خنسو» (الابن) وثالوث أبيدوس أو العرابة المدفونة ويتألف من «أوزريس» (الأب)، والاعتقاد أنه الإله الأكبر العظيم على ولادة الأقنوم الثاني حورس خالق المخلوقات ورب الأرباب، والأقنوم الثاني هو «حورس» ويسمى (الابن) أو النطق أو الكلمة وهو ابن الإله «أوزيريس» وهو إله النطق والكلام، والأقنوم الثالث هو «إيزيس» الإله وتسمى الأم الوالدة، والاعتقاد أنها ملكة السماء وأم الأقنوم الثاني. وكانوا يعتقدون أنهم وإن كانوا ثلاثة إلا أنهم يعملون معاً»[3].

فهذا قول شاهد منهم وعليهم بسابقية التثليث المصري على التثليث النصراني.

وبذلك تكون المشابهة قد وضحت بين العقيدتين، وكلاهما تثليث وانحراف عن عقيدة التوحيد الصحيحة.

---

(١) دراسات في النصرانية، مزروعة، ص١٠٥، النصرانية والإسلام، ص٣٥، الميزان، ص١٤٥، تاريخ المسيحية في مصر، د. سليمان نسيم، ص١٥.

(٢) النصرانية، شاهين، ص٦١، الأصول الوثنية، ص٧١.

(٣) تاريخ الأقباط ٣٦/١، ٣٧، والله واحد أم ثالوث، ص٧٩، ٨٠، المسيحية، شلبي، ص١٧٧.

والمعروف أن الثالوث المصري سابق في الزمن على الثالوث النصراني واللاحق يستعير من السابق، ومن هنا فقد أكد «جارسلان كريني» ـ أستاذ الحفريات بجامعة أكسفورد ببريطانيا ـ في كتابه «ديانة قدماء المصريين» وجوه التماثل والتطابق التام بين الثالوث المسيحي والثالوث الفرعوني، الأمر الذي دعاه إلى التقرير بأن الثالوث المسيحي مأخوذ من الثالوث الفرعوني[١].

وهكذا لم يقتصر وجود التثليث على الأمم التي ذكرنا، فقد وجد عند أمم عديدة[٢]، وظهر أن عقيدة التثليث عريقة في الأديان السابقة للنصرانية والمنطقة التي انتشرت فيها كذلك.

ويذكر بعض المؤرخين أن أول من نادى بعقيدة الثالوث واخترعها واستعملها في الديانة النصرانية هو «ترتليان» في القرن الثاني الميلادي سنة ٢٠٠م، فهي عقيدة دخيلة على دين المسيح وعقيدته الحقة الموحدة. وكان «أثيناغورس» أول من نطق بكلمة «ثالوث»، لأنه راعى عادات الرومان أصحاب السلطان على الإمبراطورية الرومانية وقتئذ، حيث كانوا معتنقين لديانتهم الوثنية، وأنه ما كان هؤلاء الرومان ليعتنقوا النصرانية ويتصوروا معنى الألوهية بغير ما هو ممتزج بأفهامهم، وما هو مغروس في قلوبهم من طقوس الوثنية الشائعة، وفي ارتكازها على عقيدة الثالوث[٣].

وفي النصوص المصرية القديمة وصف لولادة الابن الإلهي يجعلونه أحياناً في حورس الإله وكيف يقول الأب عن الابن: لسوف يمارس ملكاً مباركاً في هذه الأرض لأني وضعت روحي فيه. ويقول للابن: إنك ابن جسدي الذي انجبت.

وهنا لا بد من أن نقارن هذا مع ما ورد في رسالة بولس إلى العبرانيين: «أنت ابني أنا اليوم ولدتك»[٤]. ومع ذلك هناك من النصارى من ينكر أن تكون عقيدتهم في التثليث مقتبسة من الوثنية مع اعترافهم بوجودها عند الوثنيين[٥].

---

(١) الله واحد أم ثالوث، ص٨١، المسيحية، شلبي، ص١٧٧، والنصرانية والإسلام، ص١٩٩.

(٢) راجع العقائد الوثنية، ص٥٩، ٦٦، التفكير الديني، ص٢٩٤.

(٣) راجع النصرانية والإسلام، ص٣٥.

(٤) راجع عبرانيين ١/٥، وانظر العقائد الوثنية، ص٨٤.

(٥) أقانيم النصارى، ص٨٧، ٨٨.

ومن علمائهم من يقرر خلاف ذلك، إذ يقول القس «بولس إلياس»: «إنه في مفتتح القرن السابع الميلادي كتب البابا غريغوريوس الأول الكبير إلى القديس أوغسطينوس في بريطانيا يقول: دع البريطانيين وعاداتهم وابق لهم أعيادهم الوثنية واكتف بتنصير تلك الأعياد والعوائد، واضعاً إله المسيحيين موضع آلهة الوثنيين»[1].

وهكذا نرى أن القس يعترف بتسرب الوثنية إلى النصرانية، ويعترف بأن الكنيسة لم تقف في وجه الوثنية، وإنما حافظت على تقاليد الشعوب، وأبقت الأعياد والطقوس الوثنية قائمة وآلهة الوثنيين معبودة ولم تغير إلا الأسماء فقط.

وهكذا تنازلت النصرانية عن معتقداتها بذوبانها وسط الوثنية، وبتنازل بولس عن معتقدات الجماعة الأولى. وقد كتب القاضي عبد الجبار يصف الواقع الذي حدث بتنصر الدولة الرومانية فيقول: «إذا تبينت الأمر وجدت النصارى تروموا ورجعوا إلى ديانات الروم، ولم تجد الروم تنصروا»[2]. وقد قالها شارل جينيبير بعد القاضي بقرون: «إن الغربيين لم يكونوا قط مسيحيين في يوم من الأيام»[3].

والذي لا شك فيه أن النصرانية أخذت خلاصة الأديان الشرقية ثم امتصتها ولبست ثوبها وظهرت بشكلها الجديد، فالنصرانية آخر تشكيل ابتدعه العالم الوثني القديم.

## ٥ ـ الكلمة:

إن تسمية الأقنوم الثاني من الثالوث بالكلمة مجردة، مع التصورات والعقائد التي يفسرها بها النصارى كان أثراً من آثار العقيدة الوثنية القديمة.

وفيما يلي عرض لأهم الديانات التي ظهر فيها هذا الاسم المفهوم للكلمة، فقد صرح كثير من علماء المصريات مثل «بونويك» و«برستيد» وغيرهم أن هذا المفهوم مأخوذ من الوثنية المصرية القديمة[4]، فقال «بونويك»: وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين (الوثنيين القدماء) قولهم بلاهوت الكلمة، وأن

---

(١) الله واحد أم ثالوث، ص٨٨.

(٢) المغني: ١/١٥٨.

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها، ص٢٠٩.

(٤) مقدمة العقائد، ص٣٢.

كل شيء صار بواسطتها، وأن الكلمة منبثقة عن الله، وأنها الله، ويوجد في كتبهم المقدسة هذه الجملة «إني أعلم بسر لاهوت الكلمة، وهي كلمة رب كل شيء، وهو الصانع لها» فالكلمة هي الأقنوم الأول بعد الإله، وهي غير مخلوقة، وهي الحاكم المطلق على كافة المخلوقات[1].

وسأل «توليسو» ملك مصر الكاهن «تنيشوكي» أن يخبره هل كان قبله أحد أعظم منه، وهل يكون بعده أعظم منه؟ فأجابه الكاهن: «نعم يوجد من هو أَعظم وهو الله قبل كل شيء، ثم الكلمة، ومعهما روح القدس، ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة وهم واحد بالذات وعنهم صدرت القوة الأبدية، فاذهب يا فاني يا صاحب الحياة القصيرة». قال صاحب العقائد الوثنية: لا ريب أن تسميه الأقنوم الثاني من الثالوث «كلمة» هو من أصل وثني مصري دخل في غيره من الديانات كالمسيحية[2].

وقال «هيجيمن»: كان الفرس يسمون «مترا» الكلمة والوسيط والمخلص، وكانت عقيدة لاهوت الكلمة منتشرة كذلك في الشرق القديم لدى الأشوريين والكلدانيين[3]. وكان الأشوريون يدعون «مردوخ» الكلمة، ويدعونه أيضاً ابن الله البكر. كما كان الكلدانيون يدعون الكلمة «ممرار» واليونانيون أيضاً كانوا يدعون «أبولو» الكلمة، وهو الكائن قبل كل شيء ابن الله البكر، الخبز السماوي الأبدي النائب عن الله، صورة الله الكاهن، خالق العوالم، الإله الثاني، قوة الله، الإنسان الوسيط والفادي..»[4].

وبهذا يتضح أن الاعتقاد بالكلمة على نحو ما ذكرنا عند المصريين والأشوريين والبابليين والرومان واليونان هو عين ما نادى به النصارى، والمقارنة تظهر مدى تأثير تلك الوثنيات في النصرانية، والتطابق فيما بينها في تلك العقيدة.

### ٦ ـ عقيدة قيامة المسيح بعد الموت:

يعتقد النصارى أن المسيح بعد صلبه وموته قام من قبره وارتفع إلى السماء

---

(١) العقائد الوثنية، ص٨٥.

(٢) العقائد الوثنية، ص٨٥.

(٣) مقدمة العقائد، ص٣٢.

(٤) اعتقاد المصريين ٢/ ١٦٢، محمود خفاجى نقلاً عن رسائل الرسل.

حيث جلس بجوار الأب على كرسي استعداداً لاستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا، وإن الإله الأب أعطى سلطان الحساب للإله الابن[1].

وإذا نظرنا إلى أصل هذه العقيدة فإننا نجد أن النصارى قد استوردوا هذه العقيدة من الهنود والمصريين واليونان والرومان وغيرهم من الوثنيين، وطبقوها على شخص المسيح عليه السلام.

وقد نقل صاحب العقائد الوثنية طائفة من هؤلاء الوثنيين الذين ظهرت عندهم هذه العقيدة، إذ يعتقد وثنيو الهند بقيام «كرشنا» من الموت وبصعوده إلى السماء بجسده، ويعتقدون أنه سيأتي ثانية في الأيام الأخيرة[2].

والمخلص «أدوني» (ويدعى تموز أيضاً) بعدما قتلوه قام من بين الأموات، وقصة موته وقيامه حكاها جوليس قرمسيوس، وكان هذا الراوي معاصراً لقسطنطين، قال: في ليلة معينة، بينما كان القداس جار لتعظيم «أدوني»، جاؤا بتمثال ووضعوه على مهد، وشرع القوم يندبون بأناشيد الحزن والرثاء، ومن بعد ذلك جاء الكاهن وصار يمسح أفواه المرتلين بزيت وهو يقول: «ثقوا أيها القديسون برجوع إلهكم، واتكلوا على ربكم الذي قام من الموت فبآلامه استجلب لنا الخلاص»!![3]

وقال الدكتور «برتشرد»: «كان السوريون يعبدون لادوني في فصل الربيع، وكانوا أولاً يندبون موته بحزن عظيم، ثم يذكرون قيامه من بين الأموات بفرح وابتهاج»[4].

قال «الكسندر موري»: «كان اليونانيون القدماء يحترمون عيد قيام «أدوني» من بين الأموات ويعظمونه جداً، وكانوا يأتون بصنم على أنه «أدوني»، ويتلون عليه جناز الموت وهم يبكون ويرتلون أناشيد الحزن واليأس، ومن بعد ذلك ترتفع أصوات الفرح والسرور وينادى بأن «أدوني» عاد حياً وقام». و«أوزيريس» المخلص المولود من عذراء قام من بعد موته والمصريون يدعونه (الواحد

---

(١) النصرانية والإسلام، ص٥٨، ٥٩، المسيحية الأصيلة، ج .ر .و. ستوت، ص٥٤ ـ ٦٥.
(٢) العقائد الوثنية، ص١٦٧.
(٣) العقائد الوثنية، ص١٥٨.
(٤) العقائد الوثنية، ص١٥٩

المبعوث)، وقال «مهامي»: «إن محور التعليم الديني عند الوثنيين في مصر في القرون الخالية هو الإيمان بقيام الإله الوسيط الظاهر بالناسوت والمولود من عذراء من بين الأموات، وأبدية تملكه لملكوت السموات، وكانوا يعيدون عيد الفصح بفصل الربيع تذكاراً لقيام الإله المخلص أدوني من بين الأموات[١].

وقال «بونويك»: ومن العجائب المدهشة أن الأمم منذ خمسة آلاف سنة وثقوا بأوزيريس المخلص الذي قام من بين الأموات، واعتقادهم بأنه مخلصهم، وأنهم سيعودون أحياء مثله. وهو أشهر آلهتهم ويحبونه جداً ويقولون: إنه الواحد الصالح وحبيبهم في الحياة والممات، وحباً بالخير حمل الأنام ولذلك غلب وقتل ودفن وأصبح قبره أبرك بقعة بمصر يقصدها الزوار، ودامت هذه الحال مدة ألوف من السنين.

وأصاب «حورس» الإله ابن العذراء «إيزيس» ما أصاب «أوزيريس»، أي قتل ثم قام من بين الأموات. والذين يعتقدون فيه يعملون له كما يعمل للذي ذكر سابقاً من الحزن والبكاء، ثم الفرح والزينة يوم قيامه من الموت[٢].

و«متراث» مخلص الفرس وهو الوسيط بين الله والناس، كانت عبادته شائعة في بلاد الفرس والأرمن وآسيا الصغرى، مات قتلاً، ثم قام من بين الأموات، ويوم عيد قيامه الواقع من ٢٥ آذار يأتون بشاب يتماوت ردحاً قصيراً، ثم يقوم على أنه عاد حياً وما ذلك إلاّ تمثيلاً لموته وقيامه، وفي يوم عيد قيامه المذكور سابقاً تقعد الكهنة على القبر الذي يعملونه في معابدهم يبكونه ويندبونه في ظلام الليل، ثم يشعلون السرج بغتة وينادون «افرحوا وتهللوا أيها القديسون المخلصون فقد عاد ربكم الذي بموته وآلامه وأوجاعه نلنا الخلاص» ويعظمون جمعة الحزن[٣].

قال في انتصار الحضارة: «وانتقل «مثراس» من آسيا الصغرى إلى أوروبا، وزاد انتشار عبادته فيما بعد في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وأصبحت بعد ذلك منافساً خطيراً للديانة المسيحية، لأنه فيما يتعلق بالديانات بالنسبة لكثير من

---

(١) العقائد الوثنية، ص١٥٩، ١٦٠.

(٢) العقائد الوثنية، ص١٦٠، والميزان، ص١٤٦، الشرق الأدنى القديم، ص٣٤٤، انتصار الحضارة، برستد، ص٩٣.

(٣) العقائد الوثنية، ص١٦١، وقصة الحضارة، ص٢٧٦.

الأمور الأخرى أتمت الإمبراطورية الفارسية تحطيم الحدود الدولية، وكان ظهورها بداية فترة طويلة من الزمن تنافست فيها الديانات الرئيسية في الشرق لنيل مركز الصدارة بين جميع الأمم»(١).

ويعتقد الرومان أن «هرقل» المخلص ابن الإله «زوس» من الأم البشرية، قتل وقام من بين الأموات وصعد إلى السماء على غمامة يحفها الرعد، وقد بنى المعتقدون بألوهيته هيكلاً في المكان الذي يقال عنه إنه صعد منه إلى السماء!!

و«احفاريوس» قام من بين الأموات، وكان المؤمنون به من اليونانيين يدلون الناس على المكان الذي صعد منه إلى السماء(٢).

وهكذا كما قال الوثنيون عن قيام أبناء آلهتهم من بين الأموات، قالت النصارى عن يسوع المسيح تماماً.

وكما ذكرنا ما قاله الوثنيون بخصوص مجيء أبناء آلهتهم المتجسدين إلى هذا العالم مرة أخرى، فقد اقتدى بهم النصارى، فقالوا بمجيء المسيح مرة ثانية إلى هذا العالم، ولم يغادروا شيئاً مما قاله الوثنيون عن آلهتهم إلا وقالوه بحق يسوع المسيح عليه السلام ظناً منهم أن في ذلك تعظيماً لمقامه عليه السلام.

## رابعاً: أثر الوثنيات القديمة في تحريف الشعائر النصرانية:

لم يقتصر اقتباس النصرانية من الديانات الأخرى أو الوثنيات المجاورة على أمور العقيدة فحسب، بل إنه شمل كذلك التأثير في الشعائر، وعلى حد تعبير جينيبير عن ذلك أن التأثير الوثني في شعائر المسيحية نمى بالتوازي مع العقيدة وبنفس الأساليب(٣).

وفيما يلي عرض لأهم هذه الشعائر المقتبسة من الوثنيات القديمة:

### ١ ـ التعميد:

إن الموازنة بين التعميد كما يجري في الكنيسة وما في الوثنيات السابقة

---

(١) انتصار الحضارة، ص٢٧٩، ٢٨٠.

(٢) العقائد الوثنية، ص١٦٢ ـ ١٦٨.

(٣) المسيحية ص١٥٩، ١٦٠.

يؤكد أن عدداً ليس بالقليل من الطقوس الوثنية يظهر عند النصارى.

يقول «لندي»: «إذا تصفحنا التاريخ نرى أن طقس العمادة قديم العهد جداً، فقد كان أتباع «زوروستر» يعمدون أولادهم سواء كانوا أطفالاً أو مراهقين، وكذلك الفرس القدماء كانوا يأخذون أولادهم إلى الهياكل بعد الولادة ببضعة أيام، ويسلمونهم للكاهن عند صنم الشمس، فيغمسه بإناء مملوء ماء، ثم يسمونه بما يودون من الأسماء.

وقال الدكتور «هيد»: كانت العمادة عند القدماء إما غمساً بالماء أو رشاً، ويدعون هذه العمادة الولادة الثانية، وكان المصريون يعمدون أولادهم المراهقين ويسلمونهم الأسرار الدينية الابتدائية، ويرسمون على جبين المعمد علامة الصليب المقدس[1].

وعند البرهميين عادة دينية قديمة تشابه ما يعمله الفرس والمصريون القدماء. من طقوس العمادة، حيث يصلون ويتوسلون للشمس، ومن بعد قسم الأيمان المغلظة من المعتمد ـ إذا كان كبيراً على أداء الطاعة التامة للكهنة، وحفظ الأسرار ـ يرشونه بالماء ثلاث مرات، ويخاطبونه بما يوافق المقام، ويعدون الرش بالماء (الخلق الجديد)، ويلبسونه ثوباً خصوصياً، وإكليلاً، ويرسمون على جبينه صليباً، ويضعون على صدره صليباً من شكل صلبان «تو» ويسلمونه السر؛ وهو كلمة «أوم»... إلخ[2].

وفي بلاد اليونان كان يجري على الطفل الرضيع طقس معين يشبه التعميد في النصرانية إلى حد ما، ولكن الأمر لم يكن ينطوي على أي فكره لتخليصه[3].

وقال «دوان» ما نصه: كان الرومانيون الوثنيون يعمدون أولادهم بالماء ويعتقدون أن العمادة واسطة لإزالة الخطايا[4].

وقد نقل صاحب كتاب العقائد الوثنية نقولاً عدة لعلماء الغرب تثبت تشابه طقس العمادة النصراني مع وثنية أمم أخرى[5].

---

(١) راجع العقائد الوثنية، ص١٢٥ ـ ١٢٨.

(٢) العقائد الوثنية، ص١٧٩.

(٣) الديانة اليونانية، ص٩.

(٤) العقائد الوثنية، ص١٨٠.

(٥) انظر: تفصيل ذلك في العقائد الوثنية: ١٨٠، ١٨١.

## ٢ ـ العشاء الرباني:

يرمز إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه وحوارييه، إذ يزعم النصارى أن عيسى اقتسم معهم الخبز والنبيذ، والخبز يرمز إلى جسد المسيح الذي كسر لنجاة البشر، أما الخمر فيرمز إلى دمه الذي سفك لهذا الغرض أيضاً كما ذكرنا[١].

يقول صاحب الأصول الوثنية: قدمت الاكتشافات الأثرية فهما عميقاً جداً للعلاقة الوثيقة بين القداس المسيحي وبين الأسرار في الديانات الوثنية القديمة[٢].

ومن بين الآثار المكتشفة في بلاد الفرس والموجودة حالياً في متحف اللوفر في فرنسا تمثال لأتباع الإله «ميترا» نراهم فيه يتناولون الخبز والنبيذ. ويصف الكاتب الفرنسي «فرانز كومون» في مجلة علم الآثار لعام ١٩٤٦م هذا الأثر قائلاً: نظراً لأن لحم الثور كان صعب المنال أحياناً فقد اضطر أتباع الإله «ميترا» إلى استخدام الخبز والنبيذ مكان اللحم، وكانوا يرمزون بذلك إلى لحم معبودهم ميترا ودمه تماماً كما يرمز المسيحيون اليوم إلى لحم المسيح ودمه بالخبز والخمر[٣].

وبعض النصارى يرفضون مثل هذه المقارنات كما ذكرت[٤].

ولكن كثيراً من علماء التاريخ والأديان يقرون بحقيقة التشابه بين النصرانية والوثنيات السابقة عليها. بل إن علماء الآثار وجدوا نصوصاً على ورق البردي من مصر القديمة تدل على أن دم الإله «أوزيريس» كان يتحول إلى خمر. وكذلك يقول «فرانز كومون» في كتابه عن الأديان الشرقية القديمة إن أتباع أتارغاتيس (المعبودة السورية القديمة) كانوا يلتهمون السمك الذي يقدمونه لها، ثم ينشدون إنهم بذلك يتناولون لحم معبودتهم. وهذا ما يفعله المسيحيون في القداس أيضاً[٥].

ويذكر أحد الرهبان الأسبان أنه رأى الهنود يضعون قطعة من الكعك كبيرة

---

(١) انظر: ص١٩٣.

(٢) راجع، الأصول الوثنية، ص٧٩.

(٣) قصة الحضارة، ص٢٧٥، الأصول الوثنية، ص٦١، كتاب الله جل جلاله، العقاد، ص١٧١.

(٤) غضب جوستين من هذه المقارنة وقال: إن المقارنة بين القداس المسيحي والذبائح الوثنية أصلاً هي مقارنة شيطانية، ص٦٤، الأصول الوثنية.

(٥) الأصول الوثنية، ص٦٤.

جداً على صورة معبودهم «هوتيزيلوبوشيتي»(١).

وفي كل عام يصنعون الكعكة على صورته فيكسرونها ويوزعونها بينهم ويأكلونها وهم يعتقدون أنهم يأكلون جسد معبودهم، وكانوا يقولون وهم يأكلونها: أكلنا ربنا، ويقولون: إنا نحفظ الله ونحرسه حين نأكله(٢).

وكذا عند اليونانيين بل إن العشاء ـ كما يذكر دارسو أصول الوثنية النصرانية ـ منحدر من كلمة يونانية تعني وجبة الطعام التي كان يتقاسمها الذين كانوا يحتفلون بالقربان أو التضحية حيث كان إلههم حاضراً، وهو أيضاً وجبة مقدسة يأكلون منها طعاماً مقدساً ولهذا تعتبر تضحية أو قرباناً.

والقداس في النصرانية يتضمن كما ذكرنا هذين المعنيين: معنى العشاء ومعنى القربان أو التضحية(٣).

قال صاحب الأصول الوثنية: ومن الواضح أن الكنيسة بتبنيها ذبيحة المسيح المشاركة في لحمه ودمه كانت تستثير الدفائن العميقة في النفس البشرية الوثنية: الذبيحة البشرية التي كانت تقدم للآلهة(٤)، ثم قال: ونحن لا نستطيع أن نتجاهل هذه النصوص القربانية الرمزية، الكعكة التي تشبه خبز القداس، والإله الذي يتجلى أمام الكاهن كما يتجلى المسيح في القداس(٥).

### ٣ ـ الرهبنة:

إن الباحث في مقارنة الأديان يجد أن النصارى في الرهبنة اتبعوا المنهاج الهندي دون تحريف، فالترهب والتبتل هي سمة واضحة في الهندوكية والبوذية(٦).

وهذا نفسه ما عرضه ديورانت من تأثير النظرية البوذية وقوانينها الأخلاقية

---

(١) قال صاحب الأصول الوثنية: ذبح الكاهن كوتيز «هوتيز يلوبوشيتي» برمح، وقد مات الإله هرتيز أمام السادن الذي كلمه الإله حقاً وظهر أمامه وجعل له قرباناً وكان هناك أربعة من الشباب الكهنة ومات أمامهم فلما مات توزعوا جسده بينهم، انظر: ص١٤٤.

(٢) الأصول الوثنية، ص١٤٥.

(٣) الأصول الوثنية، ص١٢٤، ١٢٥.

(٤) الأصول الوثنية، ص١٤٣.

(٥) الأصول الوثنية، ص١٤٥.

(٦) أديان الهند، شلبي، ص٢٠٧.

على الرهبان، ورهبان الشرق بصفة خاصة حسب تسميته لهم.

ويشير جينيبير إلى مصدر آخر أثر في ابتداع الرهبنة عند النصارى وهو المانوية فقد كان للمانوية دور كبير في هذا، وإن كان يصعب تحديد مداه اليوم على حد تعبيره[١].

ولكنه يؤكد أن أفكار المانوية ـ وإن كانت فشلت كحركة دينية، وحلت محلها النصرانية في ذلك العصر ـ وأفكارها تشربتها النصرانية أو شملتها، مع تنسيقها بالدرجة التي تتجاوب فيها ومختلف طبقات الناس، بل إن المانوية أثرت تأثيراً عميقاً على روح الكنيسة في تلك الفترة، وعلى إنشاءاتها فيما بعد[٢].

ويرى آخرون أن الرهبنة جاءت للنصرانية في ديانة الرومان «فستا» التي كانت قبل المسيح بألف عام لأن «رملس» إله الرومان كان ابن «رياسلفيا» ابنة أحد الأمراء التي نذرت العفة وانخرطت في سلك العذارى المقيمات في هيكل الإله «فستا» للعبادة[٣].

## ٤ ـ عبادة الصور والتماثيل وتوافق الأعياد:

مما تجلى فيه تأثير الوثنية في النصرانية تقديس التماثيل والصور والتي لا يخلو منها دير أو كنيسة برغم تحريم التوراة لذلك، ونشأت عبادة الصور والتماثيل كأية بدعة أخرى محدودة النطاق، ثم نمت تدريجياً ولكنها لم تدخل في صلب الديانة النصرانية بصفة رسمية إلاّ في مجمع نيقية الثاني كما ذكرت[٤].

وقد نافست النصرانية أكثر الأديان وثنية بكثرة أعيادها وتنوعها، ودارس تاريخ الأديان الوثنية والنصرانية لا بد أن يلحظ أن الأعياد النصرانية وقتت من قبل الكنيسة في أيام الأعياد الوثنية نفسها[٥].

---

(١) قصة الحضارة ١١/١١٩، المسيحية نشأتها وتطورها، ص٢٥٤، ٢٥٥، ماني والمانوية، ص١٣٠، ١٣١.

(٢) راجع المسيحية نشأتها وتطورها، ص٢٥٣ ـ ٢٥٦.

(٣) النصرانية والإسلام ص٧٣.

(٤) العلمانية، ص١٠٠ ـ ١٠٣، وقد جاء في الوصايا العشر لدى اليهود «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض، خروج ٢٠/٤، وانظر، ص٣٢٨.

(٥) الأصول الوثنية، ص٥١.

ويؤكد هذا «ول ديورانت» عند تعليقه على أسرار النصرانية: إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها[1].

وإلى مثل هذا ذهب المؤرخ «فيشر» إلى مشابهة طقوس الديانة النصرانية وأسرارها المقدسة فيما للديانة القديمة من طقوس وأسرار[2].

**تعقيب:**

هناك من يرى أن النتائج التي تثبت أثر الوثنية على النصرانية يعتمد قسط منها على الحدس، وأنها ليست قاطعة، لا سيما وإن النصارى الأوائل أبادوا بعض الكتب الدينية الوثنية كما ورد في أعمال الرسل من إحراقهم للمؤلفات الوثنية في أفسس اليونانية[3].

إلا إن هذا لا يعني فناء جميع المصادر الوثنية الأولى، فإذا كان النصارى القدامى قد أتلفوا بعضها فقد بقى منها ما يكفي لإثبات هذا التشابه، فإن بعض المؤلفين النصارى أمثال «أوريجين» حفظوا لنا معلومات نادرة ومختارات من الكتب الوثنية، وفيها نصوص كثيرة من الوثنيات التي تثبت هذا التشابه[4]. فقضية التشابة قائمة ولا يعني ذلك التماثل من كل وجه.

وكما يقول «جينيبير»: إنه إن تعذر إرجاع كل لون من ألوان الطقوس المسيحية إلى الأصل الوثني الذي نبع منه، إلا أنه لا مجال للشك في أن الروح الوثنية في مظاهر العبادات العملية قد فرضت على المسيحية شيئاً فشيئاً[5].

وقد أثبت علماء مقارنة الأديان والدراسات النصرانية التشابه بين ديانات وعقائد الشعوب: البوذية والهندية والفارسية، والعبادات الشرقية عموماً التي زحفت إلى الإمبراطورية الرومانية، بما يؤكد أن النصرانية المحرفة تأثرت في وضع معتقداتها وشعائرها بتلك الشعوب[6].

---

(١) قصة الحضارة ١١/ ٢٧٥.

(٢) تاريخ أوربا ص٧،٨، دراسات في الأديان، ص٢٢٧، كتاب الله جل جلاله، العقاد، ص١٧٠.

(٣) أعمال الرسل ١٩/ ١٩.

(٤) الأصول الوثنية، ص٢٤، ٢٥.

(٥) المسيحية، ص١٦٠.

(٦) راجع العقائد الوثنية، ص١٨٥ ـ ٢٠٠، ٢٠٣ ـ ٢١٨، أديان الهند، شلبي، ص٢٠٨.

ولم تكن الوثنية الرومانية في تلك الفترة ـ القرون الأولى للميلاد ـ ذات طابع ثابت، بل كانت خليطاً عجيباً من المعتقدات والعبادات من مختلف البلاد وشتى الثقافات(١).

ومما يذكر هنا أن القرآن الكريم قد سبق في بيان هذا كله حيث نص على ذلك منذ أربعة عشر قرناً، فقال الله تعالى محذراً النصارى عن تقليد الوثنيين والكفار قبلهم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧]. كما أكد الله ﷻ في آية أخرى أن التحريف الأكبر في ديانة النصارى وهو الذي انبثق عنه سائر التحريفات والضلالات الأخرى لديهم هو دعوى الابن لله، وأن ذلك إنما هو اقتباس من الوثنيين قبلهم وموافقة لما كان شائعاً بينهم وذلك قوله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠].

(١) راجع الدولة والكنيسة، رأفت عبد الحميد، ص١٥،، نقلاً عن دعوة التوحيد، ص٢٨٩.

# الفصل الثالث

## أثر الفلسفة في تحريف العقيدة النصرانية

**تمهيد:**

ليس من قصدنا في هذا الفصل أن نقدم دراسة عن المدارس الفلسفية اليونانية التي سادت البيئة اليونانية خلال ستة قرون قبل ميلاد المسيح عليه السلام لبيان مدى تأثيرها في تحريف العقيدة النصرانية، فليس لفلاسفة هذه المدارس علاقة بالنصرانية التي نشأت فيما بعد.

وليس من قصدنا كذلك أن ندرس في هذا الفصل فلسفة العصور الوسطى، التي اشتغل بها آباء الكنيسة في تلك العصور، موفقين بينها وبين العقيدة النصرانية، ففلسفة العصور الوسطى كانت بعد أن اكتمل تحريف العقيدة النصرانية خلال القرون الأولى للنصرانية.

وإنما نعني في هذا الفصل بعرض آراء الفلاسفة الذين نشأوا في القرون الأربعة الأولى للنصرانية، تلك التي تكونت فيها العقيدة النصرانية بكل ما لحقها من انحراف عن عقيدة المسيح عليه السلام.

ولا سيما أولئك الفلاسفة الذين جمعوا بين دراستهم للفلسفة ثم اعتناقهم للنصرانية بعد ذلك، وقاموا خلال تلك القرون إما بتحريف العقيدة النصرانية الصحيحة في بعض جوانبها، أو بتفسير العقائد الموجودة في هذه القرون تفسيراً فلسفياً، أو بمحاولة التوفيق بين الآراء الفلسفية والعقائد النصرانية، أو بالتأثير على بعض دعاة النصرانية الأوائل عن طريق الاتصال بهم، كما حدث بين فيلون الإسكندري وبولس كما أشرنا[1]، وكما سنوضحه في هذا الفصل، أو بانتشار مذهبهم الفلسفي في البيئة النصرانية، وإن لم يعتنق الديانة كما حدث لأفلوطين

(١) انظر: ص١٨٧ ـ ١٨٨.

الإسكندري، صاحب فلسفة الأفلوطينية الحديثة، إلى غير ذلك من مظاهر التأثير في العقيدة النصرانية.

## أولاً: بداية دخول الفلسفة اليونانية في الفكر النصراني:

بدأت النصرانية كفرقة يهودية اضطهد اليهود دعاتهم كما ذكرنا[١]، ولم تكن في بادئ الأمر تلتفت إلى آراء الفلاسفة؛ لأن دعوتها إلهية تقوم على الإيمان بالله تعالى وحده، ولذلك لم تدخلهم العلوم الفلسفية ولا الجدل اليوناني.

وبقيت النصرانية صافية من هذه الشوائب يوم كانت دعوة خاصة ببني إسرائيل زمن عيسى عليه السلام، ولكن بعد أن انتشرت الديانة النصرانية في أرجاء الدولة الرومانية ـ بعد بدء فكرة عالمية النصرانية على يد بولس ـ كما ذكرنا ـ[٢] دخلت إلى العالم الوثني، فدخلت معركة مع الوثنية من جهة، ـ كما ذكرنا[٣] ـ ومع الفلسفة من جهة أخرى، وانتشرت وتسربت بعض الأفكار والعلوم إلى هذه الديانة الناشئة المضطهدة، فتأثرت بهذه الأفكار وخاصة الفكر اليوناني، وذلك لأسباب منها:

ـ دخول أصحاب الأهواء والمنافقين ممن تأثروا بالفلسفة أمثال بولس في الديانة في عصر مبكر من تاريخ النصرانية، حيث أمكنهم أن ينشروا أفكارهم ومعتقداتهم الضالة، ولم يكن للنصارى الصادقين إمكانية الرد عليهم وقمعهم من خلال دولة تحمي دين المسيح عليه السلام من تحريف الضالين الجاهلين وأصحاب الأهواء.

ـ دخول بعض فلاسفة اليونان في الديانة النصرانية، وقد كان كثير من كبار قساوسة النصرانية تنصروا بعد فلسفة، بل تعمقوا في الفلسفات الوثنية، فكان من الطبعي أن يصدروا عن معارفهم وأفكارهم السابقة وثقافتهم في مجال تبيان عقيدتهم، مثل «يوستن»، وحاولوا أن يسدوا الثغرات التي يجدونها في الديانة النصرانية بمزيج من الفلسفات التي كانوا عليها، بل يمكن القول إن

---

(١) انظر: فصل الاضطهاد، ص٣٤١ وما بعدها.

(٢) انظر: ص١٩٠.

(٣) انظر: ص٣٥٢ وما بعدها.

اليوناني بقي يونانياً بعد دخوله في النصرانية[١].

ـ تسامح رجال الدين النصراني مع الداخلين في الديانة لأجل استقطاب أكبر عدد منهم، فكان المرء يدخل في النصرانية اسماً فقط، وأفكاره كلها مع ما كان يعتقده من قبل، كحال جميع الذين دخلوا في النصرانية، لأن النصرانية لم تكن لها دولة تحميها، بل كانت مضطهدة تحت الدولة الرومانية، لذلك لجأت إلى التسامح، وغض النظر عن الأفكار الدخيلة[٢].

## ثانياً: أهم الفلاسفة الذين تأثر بهم النصارى:

### فيلون:

ولد فيلون في الإسكندرية نحو عام ٢٠ أو ٣٠ق. م، ومات بعد عام ٥٤ من القرن الأول الميلادي، أي في زمن الحواريين، وكان كبير المنزلة بين أبناء جنسه وطائفته اليهود، حتى أرسل على رأس وفد إلى رومة ممثلاً لها لدى الإمبراطور «كاليجولا»، وكان ذلك بعد أن تجاوز الستين من عمره.

وهو فيلسوف إسكندري في آرائه الفلسفية والدينية، وقد درس الفلسفة اليونانية وسائر الفلسفات، التي كانت الإسكندرية تموج بها في عصره.

وقد بلغ من علو مرتبته في الفلسفة الإغريقية أنه كان يلقب «بالأفلاطوني» أو «بأفلاطون اليهود»، ذلك بأن فلسفته كانت تقوم بعد التوراة والتفكير اليهودي على فلسفة أفلاطون والمذاهب الأفلاطونية عامة، وقد جعل هدفه التوفيق بين الكتاب المقدس، وعادات اليهود من جهة، والآراء اليونانية وبخاصة آراء أفلاطون من جهة أخرى.

ومع هذا لم تخل فلسفته وآراؤه من التأثر ببعض التفكير الشرقي ومذاهبه، ومن ثم كان لفلسفته ـ وهذه مصادرها ـ الأثر الذي لا ينكر في الأفلاطونية المحدثة، والنصرانية الحالية، وكان ذلك بفضل دعاة النصرانية الأوائل، وهذا هو السر في أن فيلون قد شغل أول الأمر المؤرخين الذين يبحثون عن أصول النصرانية.

---

(١) راجع الديانة اليونانية، ص١٧١، فجر الإسلام، ص٢٨، تاريخ الفكر المسيحي، ٢/ ٨٢، ٨٤، ٨٥، عقيدتا التثليث والصلب، ص٢٧١.

(٢) راجع أهم عوامل انحراف النصرانية، ص٦٥، موجز تاريخ الشرق الأدنى، فيليب حتي، ص١١٩.

وقد ازدهر نشاط فيلون العقلي في الأربعين سنة الأولى من القرن الأول النصراني، فقد كتب آخر مؤلفاته في عام ٤١م.

وقد أسهم على غير علم منه في تكوين اللاهوت النصراني، وسيتبين ذلك من عرض بعض آرائه ونظرياته الفلسفية والدينية، والتي تكررت بهيئتها في العقائد والتعاليم النصرانية[١].

### أفلوطين:

ولد في مدينة أسيوط عام ٢٠٤م، وتوفي عام ٢٧٠م. تتلمذ في مدرسة الإسكندرية، ثم رحل إلى فارس والهند، فاطلع على المعارف الصوفية الهندية، والتعاليم البوذية والبرهمية... إلخ، ثم عاد إلى الإسكندرية، وفي جعبته خليط من ألوان الثقافات، فراح يدرسها.

وكان أساس تعاليمه أموراً ثلاثة:

١ ـ الكون نشأ عن الخالق الأزلي الأول الذي لا تحده الأفكار.

٢ ـ الأرواح شعب لروح واحدة تتصل بالخالق الأزلي عن طريق العقل، المنبثق عن الخالق الأزلي الأول.

٣ ـ العالم كله في تدبيره وتكوينه وتحريكه يخضع لهذه الثلاثة: المنشئ الأزلي الأول، العقل المنبثق عنه، الروح التي هي مصدر تتشعب عنها الأرواح جميعاً.

ويشرح أفلوطين نظريته الثلاثية فيقول: عن المنشئ الأول صدر العقل، وليس صدوره كالولادة، ولكنه انبثاق من العقل انبثقت الروح التي هي وحدة أساس الأرواح كلها. وهذه الثلاثة المنشئ الأول، والعقل والروح أساس لتوالد العالم وتواجد تكوينه[٢].

## ثالثاً: فلاسفة النصارى في القرون النصرانية الأولى وآراؤهم الفلسفية:

### يوستينيوس:

ولد سنة ١٠٠ أو ١٠٥م من أبوين وثنيين، وتربى على الديانة الوثنية،

---

(١) راجع عقيدتنا التثليث والصلب، ص٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) راجع تاريخ الفلسفة، إبراهيم مدكور، ص٦٥، مشكلات العقيدة النصرانية، ص١٤٤، فجر الإسلام، ص٢٨.

وتعلم الفلسفة الرواقية[(١)]، ثم درس فلسفة الأكاديميين[(٢)] والفيثاغوريين[(٣)]، ولكن كل هذه الدراسات لم تشبعه، حتى وجد - حسب زعمه - في النصرانية الفلسفة الحقيقية.

وقد اشتغل في الدفاع عن النصرانية، إلا أنه لم يتخل عن دراساته الفلسفية السابقة، وقد حكم عليه بالإعدام سنة ١٦٥م في روما.

**آراؤه العقدية:**

يعرض القس حنا الخضري آراءه الاعتقادية فيقول: يرى يوستينيوس أن «اللوجوس» هو القنطرة التي ألقيت على الهاوية الفاصلة بين الله والإنسان، فدور هذه القنطرة أو اللوجوس هو الوساطة بين الله والإنسان. والله لا يتصل بالعالم إلا عن طريق اللوجوس، فهو الوسيط الذي عن طريقه يعلن الله ذاته، ثم يقود النفوس إلى الرب.

ولقد حاول أن يشرح أصل اللوجوس، فقال بأنه كان ساكناً في الله كقوة، وهذه القوة انبثقت أو خرجت من الله قبل الخليقة، ولقد قام اللوجوس بعملية الخلق، ولكي يوضح عملية انبثاق اللوجوس من الأب استعمل بعض التشبيهات والصور.

ومع أنه يعتقد بأن اللوجوس انبثق من الله، لكنه مؤمن بأنه يتمتع بوجوده الذاتي والمتميز بالطبيعة عن الله السامي.

وقد كان أهم المواضيع التي عالجها موضوع اللوجوس، وفي شرحه لهذه العقيدة يرى بعض الروابط التي تربط المسيحية بالوثنية.

وعلى الرغم من دراساته العميقة ومعرفته بالكتاب المقدس فإن التعاليم

---

(١) الفلسفة الرواقية: سميت رواقية لأن أصحابها كانوا يجتمعون في رواق، وهي فلسفة أخلاقية، تقول عن الله بأنه خالق كل شيء وهو منبث في هذا الكون. الموسوعة الفلسفية، ص٢١٤.

(٢) الأكاديمية نسبة إلى المدرسة التي أنشأها أفلاطون، وسماها أكاديميا. وكانت تدرس الفلسفة اليونانية. الموسوعة الفلسفية، ص٦٠.

(٣) الفيثاغورية: نسبة إلى فيثاغورس اليوناني ومدرسته فلسفية، وفيها مبادئ فلسفية تتصل بالزهد، وهم يرون تحريم أكل اللحوم، ويقولون بتناسخ الأرواح. موسوعة الفلسفة ٢/٢٢٨.

الأفلاطونية تركت تأثيراً عميقاً عليه. وفي كتاباته يلحظ التأثير الوثني، لا سيما في تعليمه عن اللوجوس، وطريقة الانبثاق، فإنه خروج اللوجوس من الأب يشبه إلى حد ما خروج بعض الأرواح من الإله الأعظم في المفهوم الوثني الغنوصي.

وهو يعتقد بأن الابن أدنى من الأب، وأن الروح القدس أقل من الابن، وعندما يتكلم عن الثالوث يضع الله في المرتبة الأولى، والمسيح في المرتبة الثانية، والروح القدس في المرتبة الثالثة.

قال صاحب الكتاب في آخر حديثه عنه: ومما لا شك فيه أن الدراسات الفلسفية الكثيرة التي درسها يوستينيوس تركت في تعاليمه بعض الآثار الوثنية[١].

## تاتيانوس:

ولد سنة ١١٠م في سورية، من عائلة وثنية، ثم ترك سورية، واتجه إلى بلاد اليونان لكي يدرس أفكارهم وفلسفتهم، وبعد أن أقام في اليونان فترة من الزمن انطلق إلى روما لكي يستقي من فلسفتها. وفي روما تقابل مع يوستينيوس، فتتلمذ على يديه. وقد خالف أستاذه في أنه ضرب عرض الحائط بكل العلوم والفلسفات الأخرى غير المسيحية.

### آراؤه العقدية:

من تعاليمه أن اللوجوس كان غير موجود في زمن ما، في زمن بعيد جداً في الأزل.

وفي هذا يقول القس حنا الخضري معلقاً: وهنا نلاحظ ظهور التربة التي ستنمو فيها فيما بعد أنواع كثيرة من الهرطقات المختصة بشخص المسيح وعدم أزليته

واللوجوس عنده كان مختفياً في الله، فقبل الخليقة كان لا يمكن تمييزه عن الله، وفي المرحلة الثانية يبدأ بالخليقة عندما يخرج اللوجوس عاملاً، وبعبوره في هذه المرحلة يصبح الخارج من الأب، وهنا يبدأ عمله في تنظيم المادة المختلطة بالعالم[٢].

---

(١) راجع تاريخ الفكر المسيحي، ص٤٤٤ ـ ٤٥٣.

(٢) راجع تاريخ الفكر المسيحي، ص٤٥٤ ـ ٤٥٧.

## أثيناغورس:

كان معاصراً لتاتيانوس، ومن أبلغ المدافعين عن المسيحية، وكان يحب الفلسفة والشعر.

### آراؤه العقدية:

وعن آرائه فقد تابع يوستينيوس فيما يختص بالدور الذي قام به اللوجوس في الخليقة، وهو يحاول أن يثبت أن اللوجوس كان يعمل هو أيضاً خالقاً في أثناء الخليقة.

وقد حاول بتعاليمه أن يزيل الحاجز الذي أقامه أتباع يوستينيوس بتعليمهم أن اللوجوس هو فكرة إلهية، وأبدية الكلمة في وقت الخليقة ولأجلها، فهو يعتقد بأن اللوجوس كان منذ الأبد في الله، فهو الفكرة والقول والحكمة الذي يفهم، والإرادة والطاقة الذي ينفذ، وأن خلق العالم ما هو إلا نتيجة هذا الفكر والنشاط الإلهي.

ولقد ظل اللوجوس بعد الخليقة على ما كان عليه قبلها، أي أنه الفكر والنشاط والطاقة الإلهية الذي يحكم العالم، ويرشد البشر. يقول القس حنا الخضري معلقاً: وهي نظرية تعرض شخصية اللوجوس للاختلاط، بل للتلاشي في الله[1].

## ثيوفيلوس الإنطاكي:

يذكر يوسيبيوس في كتابه تاريخ الكنيسة أن ثيوفيلوس كان الأسقف السادس لكنيسة أنطاكيا. ولد بالقرب من الفرات من والدين وثنيين، وكانت ثقافته ثقافة يونانية وثنية، وبعد الدراسة الطويلة للكتب المقدسة، والتأمل العميق تجدد - أي دخل في النصرانية - ويحتمل أنه توفي بعد سنة ١٨٠م.

### آراؤه العقدية:

ثيوفيلوس هو أول شخص استعمل كلمة الثالوث في تاريخ العقيدة النصرانية، ولقد استعمل هذا الاصطلاح في صيغة غريبة، وهي ثالوث الله، كما أنه يرى في الأيام الثلاثة السابقة لخلق الشمس إشارة إلى الثالوث.

---

(١) راجع تاريخ الفكر المسيحي، ص٤٥٩ - ٤٦٢.

وهو يحاول أن يشرح بأن اللوجوس أو الكلمة كان في الله، في حضن الله، وفي ما يسميه الكلمة في الداخل، أي أن اللوجوس (الكلمة) كان في الله في داخل الله، ولكن عندما نطق الله هذا الكلمة صار هذا اللوجوس خارجاً عنه فهو الكلمة المنطوق، أو الخارج من الله[١].

وهو عندما يتكلم عن طبيعة اللوجوس يثبت أن الحكمة أو الابن ولد للاشتراك في عمل الخليقة.

كما يلاحظ في تعاليمه الخاصة بالمسيح نوعاً من التبعية أو الثانوية ـ عقيدة أن الابن أقل من الأب أو تابع له ـ ومع ذلك فقد قال بأن الكلمة أو اللوجوس لم يفرغ نفسه أو يخلي نفسه من اللاهوت عندما صار كلمة منطوقاً خارجاً عن الله[٢].

## أكليمندس الإسكندري:

ولد في أثينا، من أبوين وثنيين سنة ١٥٠م، وتاريخ اعتناقه النصرانية مجهول. التحق في الإسكندرية بالمدرسة اللاهوتية التي كانت تدعى مدرسة التعليم المسيحي، وآلت إليه رئاسة المدرسة بعد بانتيوس.

وقد كان ملماً بعلوم الفلسفة والشعر والأثريات والأساطير والآداب، توفي سنة ٢١٧م.

### آراؤه العقدية:

هناك تشابه كبير بينه وبين يوستينيوس، وبنوع خاص موقفهما من العلوم والفلسفات الوثنية، فإن كان يوستينيوس يؤمن بوجود بذور اللوجوس في تعاليم وفلسفات اليونان، فإن أكليمندس قارن فلسفة اليونان بالعهد القديم نفسه عندما كانت تعد البشرية لمجيء المسيح ـ حسب زعمهم ـ وقد ركز على أن الفلسفة لا تستطيع أن تحل محل الوحي الإلهي.

وفي شرحه لعقيدة اللوجوس يبدأ بظهورات اللوجوس في العهد القديم، وقد كانت كل هذه الظهورات تعد للظهور الأعظم أي التجسد، ففي خلال فترة

(١) راجع تاريخ الفكر المسيحي، ص٤٦٢ ـ ٤٦٤.

(٢) تاريخ الفكر المسيحي، ص٤٦٢ ـ ٤٦٤.

العهد القديم كان اللوجوس يظهر نفسه بطرق مختلفة، على أن هذا الظهور الأخير أي التجسد يختلف تماماً عن الظهورات السابقة، فهو شيء جديد من نوعه، فكما أن الله اختار شعباً جديداً وعهداً جديداً، فإنه يظهر هذه المرة لشعبه بطريقة جديدة.

واللوجوس لا يبدأ بهذه الظهورات التي يتكلم عنها العهد القديم، بل هو الذي خلق هذا العالم، كل ما يوجد في الكون به وله قد وجد، وهو أيضاً الذي مع الأب والروح القدس يكون الثالوث الإلهي، وهو الذي عن طريقه يعرف الأب(١).

وأكليمندس يعترف بنوع من المساواة في العظمة بين الأب والابن. وهو يتمسك بقول يوحنا «والكلمة صار جسداً»(٢). وهذا الكلمة هو نفسه الذي ولد من الأب قبل كل الدهور (لوغوس) واحد مولود من الأب، وهو أيضاً صورة الأب، ولم يصبح صورة الأب بفضل التجسد وبسببه، بل منذ الأزل وقبل كل بداية كان صورة الله غير المنظور.

فاللوجوس الذي هو صورة الله، هو أيضاً سيد هذا الكون والمشرع للبشرية، كما أنه المخلص للجنس البشري، والمعطي للحياة الجديدة.

وقد شدد كثيراً على لاهوت المسيح، ونادى بأفكار تشبه إلى حد كبير الأفكار الغنوصية ولقد تركت الرواقية تأثيراً لا يستهان به على تعاليمه، لا سيما في مفهومه لمشكلة آلام المسيح، فهو يرى أن القوة الإلهية حلت فيه محل الدوافع البشرية، واللاهوت سيطر عليه بطريقة كلية، لدرجة أن المشاعر والعواطف والتأثيرات الحسية لم يعد لها أي سلطان عليه.

وبالرغم من تشديده على لاهوت المسيح فإنه لم يهمل الكلام عن ناسوته، فهو يؤمن بأن اللوجوس المتجسد هو الله وإنسان، بل إن اللوجوس عنده سابق لكل وجود، وهو نفسه الذي سكن في شخص يسوع المسيح التاريخي، وهو نفسه أيضاً الذي حل في الجسد وارتبط به.

وقد حاول أن يوفق بين التعاليم الغنوصية الوثنية، وبين الغنوصية

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي، ص٥٠٠ ـ ٥١٢.

(٢) يوحنا، ١/ ١٤.

المسيحية، وفي هذه المحاولة شدد كثيراً على اللاهوت معطياً له الأولوية العظمى.

ومما لا شك فيه أن أكليمندس كان يحتفظ في داخله بجزء من أكليمندس الفيلسوف اليوناني الذي درس الفلسفات اليونانية الوثنية بمذاهبها المختلفة المتنوعة، وإن لم يعمم هذا على كل مبادئه[1].

## ترتليانوس:

ولد في حوالي سنة ١٥٥ ـ ١٦٠م من والدين وثنيين في قارطجنة، وفي هذه المدينة نشأ وتردد على مدارسها، وتتلمذ على أيدي معلميها، ثم توجه إلى روما ودرس الحقوق ونجح فيها نجاحاً ملحوظاً. ودرس بجانب دراسته للحقوق الآداب واللاتينية واليونانية والفلسفات المختلفة في عصره.

**آراؤه العقدية:**

كتب الكثير عن شخص المسيح، عن (اللوجوس) عن ابن الله، مدافعاً عن الثالوث.

وكان يدافع عن عقيدة التجسد محاولاً أن يشرح هذه العملية للدخلاء من الوثنية وللوثنيين أنفسهم، وضد اليهود الدخلاء وغير الدخلاء، الذين لم يروا في المسيح إلا مجرد إنسان، وكان يناضل ضد جماعة أخرى من اليهود رأت في لاهوت المسيح تهديداً عظيماً لوحدة اللاهوت، وهي جماعة «وحدة الله»، ولهذا السبب فقد حاول أن يخترع مصطلحات جديدة وعديدة لكي تعبر عن تعاليمه اللاهوتية دون أن يبتعد عن المكتوب.

ونادى بوحدة الله، ولكن هذه الوحدة هي وحدة الأقانيم، فإن الله هو أب، وابن، وروح قدس، هؤلاء الثلاثة أقانيم هم إله واحد، الله الواحد المثلث الأقانيم من جوهر واحد.

فهو يقول: أؤمن بأنه يوجد جوهر واحد في الثلاثة. وهو أول كاتب لاتيني يستعمل اصطلاح «التثليث». وفي كلامه عن التثليث كان أول شخص أيضاً استعمل الاصطلاح (PERSONA) الذي يمكن أن نسميه أقنوماً. هذا الاصطلاح

---

(١) راجع تاريخ الفكر المسيحي، ص٥٠٠ ـ ٥١٢.

الذي سيلعب دوراً مهماً جداً فيما بعد في المناقشات والمجادلات العقائدية في أثناء انعقاد المجالس المسكونية[١].

وهو يعتقد بأن ظهور أو ميلاد اللوجوس بدأ بالتدريج، وهو يميز بين الميلاد الأول لهذا الأقنوم (الحكمة) قبل الخليقة، وبين الميلاد الكامل في لحظة الخليقة، عندما نطق الله هذا اللوغوس وأصبح الكلمة، في هذه اللحظة أصبح الكلمة منظوراً وكاملاً، فعندما قال الله: ليكن نور، كان هذا هو الميلاد الكامل للكلمة الذي خرج من الله، الذي انبثق منه، فإن هذا الكلمة كان ساكناً في الله، كحكمة كفكر، ولكن عند عملية الخليقة خرج هذا الحكمة، وظهر هذا الكلمة اللوجوس من الله، أو أن الله أخرج أو أبثق منه هذا الكلمة، فإن الكلمة قد انبثق من الله لكي يعمل معه في خلق العالم، وبهذه العملية - أي عملية انبثاق أو خروج اللوغوس أو الكلمة من الله - أصبح الله الأب أباً، وأصبح اللوغوس المنبثق منه أو المولود منه ابناً، فهو الابن البكر، لأنه ولد قبل كل خليقته، بل إنه الابن الوحيد، إذ أنه الوحيد الذي ولد من الله، فالابن كابن ليس أزلياً.

وبما أن الابن انبثق أو خرج من الأب فهذا الأخير هو الجوهر الكامل أو الكلي، وبناء على ذلك فإن الابن سيل من هذا الكل، الأب هو كلي الجوهر بينما الابن هو جزء من هذا الكل.

وتظهر فكرة التبعية أو أولوية الأب وسموه على الابن في التشبيهات الكثيرة التي أعطاها لشرح هذه العقيدة، فمع أنه أعطى المكانة الأولى في الثالوث للأب، والمكانة الثانية للابن، والمكانة الثالثة للروح القدس، إلا أنه أكد كثيراً وبشدة على حقيقة أن هؤلاء الثلاثة من جوهر واحد، ويكونون الله المثلث الأقانيم.

وقد شدد بوضوح على وجود الطبيعتين في شخص المسيح، الإلهية والبشرية، اتحاد الإلهي بالبشري، وفي هذا الاتحاد الإلهي البشري «اللوجوس» يسوع، احتفظت كل طبيعة بمميزاتها الخاصة بها[٢].

---

(١) راجع تاريخ الفكر المسيحي، ص٥١٤ - ٥٣٠.

(٢) راجع تاريخ الفكر المسيحي، ص٥١٤ - ٥٣٢، دراسات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى، ص٣٦٧.

## أوريجانوس:

ولد أوريجانوس في حوالي سنة ١٨٥م، في مدينة الإسكندرية، ولم يكن وثنياً، فقد عرف أبوه الكتب المقدسة، وفي الوقت نفسه كان مثقفاً ومطلعاً على كتابات الوثنيين.

عين مديراً لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية، ومات ودفن في صور سنة ٢٥٣م.

**آراؤه العقدية:**

شدد أوريجانوس على حقيقة أن الله هو الأول، فهو الخالق الذي عن طريق الكلمة خلق كل الأشياء، فهو يعمل وينتج عن طريق الكلمة أي «اللوجوس» الذي يستخدمه في عملية الانتاج والخلق.

وعملية الخلق كما يراها أوريجانوس عملية طويلة، فالله هو الأول وهو الخالق الذي كان منذ الأبد خالقاً، فكل ما هو موجود خلقه الله عن طريق كلمته أي «اللوجوس»، والله خلق في البداية عنصرين هامين جداً ساهما في تكوين العالم، ومنهما تكون العالم الحالي، العنصر الأول هو الأرواح، ولقد دعا هذه الأرواح للاتحاد مع كلمته، أي «اللوجوس»، وعن طريق اتحادها مع اللوجوس تتحد أيضاً مع الله. أما العنصر الثاني الذي تكون منه العالم فهو المادة، فالمادة خليقة الله.

وهو يعتقد أنه من المستحيل أن تتحد الطبيعة الإلهية بجسد بشري، ولكي تتم هذه العملية ـ عملية الاتحاد الإلهي البشري ـ كان لا بد من وجود وسيط، والوسيط الذي يلجأ إليه هو الروح البشرية والمخلوقة قبل خلق الجسد، وعملية الاتحاد التي تمت بين اللوجوس وروحه البشرية قد تمت بعد الخليقة مباشرة، وظلت هذه الروح ساكنة في السماء ومتحدة باللوجوس، ولذلك عندما جاء ملء الزمان، وعندما أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، فإن هذه الروح التي كانت متحدة باللوجوس قبل التجسد صارت روحاً للإنسان يسوع بعد الجسد.

وهذه الروح هي نفسها حلت في الإنسان يسوع، وبعبارة أخرى صارت الروح البشرية ليسوع الناصري،، وهذه الروح أصبحت الوسيط بينه وبين جسد يسوع الذي سكن فيه اللوجوس[1].

---

(١) راجع تاريخ الفكر المسيحي، ص٥٣٩ ـ ٥٥٠.

وعندما سكن اللوجوس في هذا الجسد، في يسوع الناصري، وهو إنسان كامل من ناحية تكوينة أي روح وجسد، كان «اللوجوس» ابن الله يعمل في الإنسان يسوع لكي يرفعه ويسمو به. وكان «اللوجوس» يرفع ويؤله تدريجياً الروح التي اتحد بها، وكانت الروح ترفع وتؤله هي أيضاً بدورها الجسد الذي سكناه.

ومع أنه في شرحه للنصوص يؤكد على ناسوت المسيح، إلا أنه يقول في بعض كتاباته وفي أماكن عديدة بتأليه جسد المسيح. ومن هذا يتضح كما يقول القس حنا الخضري أن المعلم الذي نشأ في بيئة تشبعت بالغنوصية كان يريد أن يعمل من الغنوصية الوثنية غنوصية مسيحية. ومع أنه يستعمل العبارة «إنسان الله» عندما يتكلم عن المسيح ليسير إلى لاهوته وناسوته، لكن وردت منه التصريحات التي تبين أنه يريد أن يرفع جسد هذا الإنسان إلى درجة اللاهوت، وهذا خطر عظيم ـ على حد تعبير القس ـ.

وفي تعاليمه لا يكاد يرى إلا اللاهوت، أو ناسوتاً في طريقه إلى التأله، وهو يرى بأن اللوجوس انبثق من الأب، وهذا الانبثاق لا يعد تقسيماً في ذات الله، بل إن هذه العملية هي عملية روحية، فالابن هو صورة الله غير المنظور، وهو أيضاً حكمة الله، وهذا الابن هو ابن أزلي لا بداية له، فإنه موجود منذ الأزل ولا يوجد وقت ما لم يكن الابن موجوداً فيه.

وبما أن الحكمة (الكلمة أو اللوجوس) انبثق من الله، فهو الله، مولود من جوهر إلهي، ولكي يعبر بطريقة صحيحة وواضحة، فقد صاغ الاصطلاح الذي لعب دوراً كبيراً في تاريخ العقيدة المسيحية، وخاصة في مجمع نيقية، وهو «أموزيوس» (omoousios)، والذي يعني أن طبيعة الابن من طبيعة الاب، فبحسب هذا التعبير الابن من نفس جوهر الأب.

وهكذا أدخل أوريجانوس في التعاليم اللاهوتية الشرقية عقيدة روح المسيح، ورأى في شخص المسيح المخلص والفادي، وقد تطرف في فهم نظرية الخلاص، إذ أنه ظن بأن عملية الخلاص مقدمة للكون كله، والفرصة متاحة للشياطين أيضاً[1].

---

(١) راجع تاريخ الفكر المسيحي، ص٥٣٩ ـ ٥٥٠.

وخلاصة القول كما يقول القس حنا الخضري أنه كان له تأثير عميق على كنيسة القرون الأولى[1].

## أغسطينوس:

ولد سنة ٣٥٤م في مدينة سقسطة في الجزائر، وتوفي سنة ٤٣٠م. تميزت سنوات شبابه بالصراع العقلي والأدبي فقد جذبته الفلسفة الثنائية لجماعة المانويين، وصار تابعاً أميناً للعقيدة المانوية وفلسفتها، ثم ضاق بالمانوية، وصار اهتمامه بالأفلاطونية الحديثة والذي من خلالها صار يعتبر نفسه مسيحياً، ثم خلع عنه فيما بعد حياة المجون والفساد، واستقبل الحياة النصرانية، وبرز فيها إلى أن صار أسقفاً لهيبو في منطقة تونس، إلى أن توفي، وصار من أعظم قادة الكنيسة بعد بولس[2].

أثرت أفكار الأفلاطونية الحديثة على تعاليمه، كما يقول جون لوريمر، وكانت معالجته للأوجه الرسمية الخاصة بالفكر اللاهوتي متأثرة بخلفيته عن الأفلاطونية الحديثة[3].

## رابعاً: بعض ملامح التأثير الفلسفي في العقائد النصرانية:

إن تأثير الفلسفة اليونانية واضح كل الوضوح في الديانة النصرانية، وإن انتماءها إليه أكثر من انتمائها إلى المسيح ﷺ، وإن الناظر في الديانة النصرانية يتحقق من تأثير الفلسفة فيها في نواح عديدة، من أهمها:

**أولاً**: إن النصرانية اقتبست من الأديان الوثنية والفلسفات اليونانية الواسطة بين الخالق والمخلوق، وإن مما هو معلوم أن أهم مميزات الدين السماوي هو وصل المخلوق بالخالق بدون وسائط، وأهم مميزات الوثنية عموماً هو ادعاء الواسطة بين الخالق والمخلوق، ومن هنا نرى أن بولس وهو اليهودي في الأصل قد تأثر بفيلون اليهودي في دعوى الواسطة، فنرى التطابق بين رأييهما، فقد ادعى فيلون وسيطاً بين الإله الأعلى والإنسان، وفي ذلك يقول بولس: «يوجد إله

---

(١) راجع تاريخ الفكر المسيحي، ص٥٣٩ ـ ٥٦١، دراسات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى، ص٣٧٣.

(٢) راجع تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ٣/ ١٨٦ ـ ١٨٩.

(٣) راجع تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ٣/ ١٨٦ ـ ٢٠٠.

واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح»[١].

وهكذا نجد أن كل تصور عن الله أو الوسطاء في فلسفة أفلاطون الممتزجة بالرواقية قد انتقل إلى النصرانية عن طريق بولس أو يوحنا صاحب الإنجيل في الأعم الأغلب بواسطة فيلون اليهودي، الذي صاغ هذه الفلسفة في صورة جديدة مبنية في أغلب الأحيان على الرمز والتأويل بما يتلاءم والكتاب المقدس.

ودعوى النصارى في الكلمة أو اللوجوس بمعنى الواسطة بدا واضحاً في الإنجيل الرابع (إنجيل يوحنا)، وهو قول مأخوذ من فلاسفة اليونان، فهو مزيج بين فلسفة أفلاطون، حيث يدعي أنه في البدء جاء الصانع فصنع النفس الكلية، ومن الأخيرة صنع الإنسان وبقية الأشياء[٢].

وهي عند الرواقيين الإله الأكبر، وهي منتشرة وحالة في سائر المخلوقات، وهي غير مخلوقة[٣].

فجاء فيلون اليهودي، وحاول الربط بين هذه الأشياء مع موروثاته الدينية اليهودية، فادعى أن الواسطة بين الخالق والخلق هي الكلمة واللوجوس الصادر عن الله، والذي هو صفة من صفات الله، وهو يعتبر ولد الله وابن الله، وهي عنده التي تحفظ جميع الأشياء، وهي موجودة في ماهية الله، وتكاد تعد أقنوما من أقانيم الله ـ تعالى الله عن قولهم ـ.

وهذا القول ظهر واضحاً في إنجيل يوحنا بادعاء أن المسيح هو الكلمة، ودعوى أن الكلمة هي الله وابن الله وبها كان كل شيء. ولذا صرح عبد الرحمن بدوي بأن فكرة الكلمة قد لعبت دوراً خطيراً في المسيحية عن طريق الإنجيل الرابع، ولسنا ندري على وجه التدقيق في أي وقت كتب، وإن كان الأرجح أن يكون قد كتب في القرن الثاني تحت تأثير فيلوني صرف[٤].

**ثانياً**: إن التثليث وهو رأس العقيدة النصرانية هو مزيج مستورد من الوثنية والفلسفة وخلاصة الأفلاطونية، فنجد أن أفلاطون في كلامه عن الإله جعله ثلاث طبقات:

---

(١) تيموثاوس ٢/ ٥.

(٢) راجع موسوعة الفلسفة ١/ ١٧٤، وأديان العالم، ص٣١٤، ٣١٥.

(٣) راجع موسوعة الفلسفة ٢/ ٢٢٤.

(٤) راجع موسوعة الفلسفة ٢/ ٢٢٣.

**أولاً**: الصور الحي بذاته.

**ثانياً**: الصانع الذي يصنع الوجود على غرار الصور والحي بذاته، وهو عنده النفس الكلية التي صنعها الخالق الأول.

**ثالثاً**: الكون أو العالم ثم أرواح الكواكب[١].

وهذا التثليث ظهر أيضاً بعد في كلام أفلوطين رأس الأفلاطونية المحدثة على نحو من كلام أفلاطون، فادعى التثليث، وجعل الإله ثلاثة أقانيم كما ذكرنا سابقاً.

وإذا نظرنا إلى ثالوث النصارى وجدناه يحوم حول هذه المعاني التي عرضها أفلوطين، وكأنه مشتق منها، إلا أنه حددها بذوات معلومة معروفة، وخالف بين أدوارها، فعندهم الأب وهو الأصل والمبدأ، والابن وهو كلمة الله وعقل الله، وهو صادر عن الأب، وهو الذي خلق العالم وأوجده، ويتصرف فيه ويدبره. وروح القدس وهو صفة الحياة للإله الأب والابن، وهو منبثق عن الأب كما هو قول الأرثوذكس، ومنبثق عن الأب والابن كما هو قول الكاثوليك وعمله التطهير للنصارى.

ويقرر «ليون جوتيه» في كتابه «المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية» تحت عنوان التثليث ليس من المسيحية، أن الثالوث الأفلوطيني والثالوث المسيحي كلاهما يرجع إلى الفلسفة الإغريقية[٢].

وعلى هذا يكون أفلوطين هو آخر الفلاسفة الوثنيين وأعظمهم في تنسيق اللاهوت النصراني، فأودعه بعد عقيدة التثليث لاهوتية العقائد الوثنية، وما أكثر الذين افتتنوا به من النصارى، حتى إن أوغسطين يردد كل ما انتهجه أفلوطين.

وفي الوسع أن نقول بأنه عن طريق فيلون ويوحنا وبولس وأفلوطين وأوغسطين غلب أفلوطين أرسطو، وتعمق في أغوار اللاهوت الكنسي، وأخذت الثغرة القائمة بين الفلسفة والدين تضيق شيئاً فشيئاً[٣].

**ثالثاً**: إن المصطلحات الدينية لدى النصارى مثل الأب والابن والروح

---

(١) راجع موسوعة الفلسفة ١/ ١٨٧.

(٢) راجع تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٢٩٧.

(٣) راجع تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص١٧٥، عقيدتنا التثليث والصلب، ص٢٦١.

القدس والكلمة والتجسد والصلب والفداء والتعميد فسرت بتفسيرات فلسفية، استخدم أصحابها فيها أساليب الفلاسفة ليتم إقناع الناس بتلك المصطلحات، التي لم يرد فيها عن المسيح عليه السلام شيء البتة، مما يدل دلالة واضحة على أن الفلسفة كانت مطيعة للنصارى في شرح ديانتهم.

كما أن استخدام الفلسفة في شرح تلك المصطلحات أدى إلى ظهور الفرق الكثيرة بين النصارى، وذلك للتفاوت الكبير بين تلك الشروحات، وذلك كما حدث في تفسير البنوة، حيث فسرها البولسيون بأنها بنوة حقيقة، وتعني اتحاداً بين الأب والابن، أما الأريوسيون ففسروها على أنها بنوة النعمة، وبنوة المكانة الرفيعة لدى الأب.

ونفس الأمر حدث عند الحديث عن الروح القدس، فمنهم من ادعى أنه مخلوق، ومنهم من ادعى أنه إله ويشكل أقنوماً من أقانيم الإله لديهم، ومنهم من زعم صدوره عن الأب وحده، ومنهم من زعم صدوره عن الأب والابن معاً.

وهكذا كانت الآراء التي خرجت وطرحت في المجامع حصيلة آراء صاغتها الفلسفات المنتشرة، وكانت أهم قضية طرحت في هذا المجال كما أسلفنا ما يرتبط بمفردات الثالوث، وأقنومية كل فرد منها، واقترح كل مناصر رأيه في هذا المجال في الوصول إلى مصطلحات تؤدي الغرض الذي سعوا إليه في تحديد الأقنومية وطبيعتها. وقرر أنصار الثالوث أن هذا سر يصعب تعقله.

فلا شك بعد هذا كله من أن الديانة التي جاء بها المسيح عليه السلام لم يكن فيها شيء من التعقيد والفلسفة، بل كانت دعوة بسيطة وجهها إلى بسطاء الناس من بني إسرائيل، لأنها لا تعدو أن تكون وعظاً وتذكيراً وضرب أمثلة من واقع الناس وحياتهم اليومية، فتابعه من تابعه من أولئك البسطاء، وكان جلهم من الفلاحين وصيادي السمك وفقراء الناس. وكفر به من كفر من اليهود، لأن تلك الدعوة لم تكن تدور في فلك أهوائهم.

أما ما عليه النصرانية اليوم فهي نصرانية غاية في العسر واستحالة الفهم، وكل من أراد أن يؤمن بها فعليه أن يلغي عقله جانباً حتى يمكنه أن يقبل ذلك المزيج بين الدين والفلسفة، والأديان الوثنية، وهو مزيج النسبة المرتفعة فيه لصالح الفلسفة الوثنية.

# الخاتمة

## أسأل الله حُسنها والقبول

وبعد: بحمد الله وتوفيقه استطعت بما توفر لدي من قدرات التعرف على كثير من جوانب الانحراف في النصرانية وأسبابه. وبالإمكان القول أن البحث يحوي بعض المعلومات المهمة والجديدة، والنتائج التي قد تضيف شيئاً ما للدراسات الخاصة بالنصرانية.

ولكن ينبغي الاعتراف بأن البحث في مثل هذه الموضوعات عسير وصعب ولا يخلو من القصور، ولكن الذي يعزيني في ذلك أني حاولت جهدي، وبذلت ما في وسعي في حدود الطاقة والوقت، حيث إن الموضوع يتطلب الكثير من الوقت والجهد.

وقد توصلت بحمد الله إلى نتائج أعتقد أنها مهمة، وأرجو أن تكون قد أجابت على كثير من التساؤلات المطروحة في مقدمة هذا العمل، كما أرجو أن تكون تلك النتائج مثاراً لمزيد من البحث والاستقصاء.

وإني ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها في ثنايا البحث وهي كما يلي:

**أولاً**: أن المسيح ﷺ رسول لبني إسرائيل، جاءهم بالهدى والنور، وآتاه الله الإنجيل هدى ونور. وقام ﷺ بالدعوة إلى الدين الحق الذي دعا إليه الأنبياء قبله، لا يختلف في شيء من ذلك عنهم، ولكن بني إسرائيل لم يقبلوا دعوته بل ردوا دعوته وحاولوا قتله، ولكن الله أنجاه منهم ورفعه إليه.

**ثانياً**: أنّ طائفة من بني إسرائيل قد قبلت دعوته وآمنت به وأخلصت لها وهم الحواريون، وكانوا معه في حياته أنصاراً لله، وكانوا بعد رفعه على طريقته ومنهجه، وسار على دربهم طائفة من أتباعهم وهم من عرفوا بالموحدين إلى أن انقرضت هذه الطائفة، واندرست معالم دعوة المسيح الحقة بفعل مؤثرات عديدة.

**ثالثاً**: أن بولس (شاؤول اليهودي) يعتبر أخطر العوامل المؤثرة في تحريف

رسالة المسيح عليه السلام، والذي جعله بهذه المثابة كونه يهودياً، من اليهود المعادين للمسيح عليه السلام، بل كان من أشدهم عداوة له، ومن هنا تظاهر بالدخول في الديانة ليتمكن من هدمها من الداخل، واستخدم ثقافة عصره الفلسفية لجذب الناس إلى دعوته.

وكان ذا نشاط متميز وجد متواصل لتحقيق غايته، وهي هدم رسالة المسيح، وبناء النصرانية باسمه، ثم إنه دخل في ديانة المسيح في عصر مبكر جداً مما مكنه من تحقيق غايته، وهي تحريف النصرانية، قبل أن تنتشر الديانة الحقة، وتثبت قدمها على الأرض.

أضف إلى ذلك أنه وجه دعوته بما حوت من عقائد مخالفة لدعوة المسيح عليه السلام إلى أمة وثنية جاهلة بتلك الدعوة، وفي نفس الوقت فإنه لم يجد مقاومة من الحواريين لأنه وجه دعوته إلى منطقة بعيده عنهم، كما أن الحواريين لم يكن لديهم القوة التي يمكن أن توقف أهل البدع التحريفية، وتمنعنهم من الدعوة إليها.

**رابعاً**: أن بولس هو أول من نادى بالعقائد المنحرفة في الديانة النصرانية، مثل: بنوة المسيح وألوهيته والصلب للفداء والتعميد والعشاء الرباني، كما فصل بين شريعة موسى عليه السلام وما جاء به عيسى عليه السلام بتحريمه العمل بالعهد القديم وإلغائه للختان وقوله بعموم رسالة المسيح عليه السلام.

كما وضع بذور التثليث وسائر الانحرافات التي قلبت ديانة المسيح عليه السلام رأساً على عقب وأصبحت ديانة لا تمت إلى المسيح عليه السلام بأدنى صلة. وبذا نخلص إلى نتيجة مهمة وهي: أن بولس هو المؤسس الحقيقي للديانة النصرانية الحالية.

**خامساً**: إن فقدان إنجيل عيسى عليه السلام وهو النص الأصلي للنصرانية يعتبر من أهم العوامل المؤثرة في تحريف رسالة المسيح عليه السلام، فضياعه ضياع للمصدر الصحيح للديانة، كما أنه ضياع للأصل الذي يمكن أن يرجع إليه عند الخلاف في شأن أي عقيدة من العقائد أو شعيرة من الشعائر. ولا عجب بعد هذا أن يجري التحريف للعقائد والشعائر النصرانية دون أن يكون هناك ما يرجع إليه في معرفة مدى هذه التحريفات والعمل على تصحيحها.

**سادساً**: أن أتباع المسيح واجهوا عدوين لدودين، وهما: اليهود الحاقدون والرومان الوثنيون وكلاهما مارس اضطهاد النصارى في جميع مظاهر حياتهم الاجتماعية والسياسية، وهو الأمر الذي كان له أثر خطير على دعوة المسيح عليه السلام وتلاميذه وذلك بمنعهم من نشر الحق والدعوة إليه والمجادلة عنه، وكان سبباً في ضياع الإنجيل، وما تبعه من تحريفات عقدية، وفي نشوء الفرق الضالة وشيوع ضلالاتها، وظهور الرهبنة، وما تبع ذلك كله من تحريفات عقدية وتشريعية.

**سابعاً**: أن النصارى استبدلوا بإنجيل المسيح عليه السلام أناجيل أربعة ضمنوها أشياء من سيرة المسيح عليه السلام وأقواله، وادعوا أنها كتبت بتأييد إلهي، وهي كتب لا يعرف على التحقيق كتابها ولا تاريخ كتابتها، فضلاً عن امتلائها بالأخطاء والتناقضات، كما أن أصولها مفقودة كما أثبتنا.

وهذا فتح الباب لإثبات العقائد المنحرفة في تلك الكتب مما أدى بالتالي إلى رسوخها وثبوتها في الديانة النصرانية تبعاً لمنزلة تلك الأناجيل عند النصارى.

**ثامناً**: أن تعاطف الدولة الرومانية مع النصارى بعد دخول قسطنطين في الديانة النصرانية كان له أثر في تثبيت الانحرافات العقدية التي دعا إليها بولس، وذلك لأن قسطنطين كان وثنياً فنصر من أقواله ما يتناسب مع تصوراته وعقائده الوثنية كدعوى ألوهية المسيح وبنوته لله.

**تاسعاً**: أن المجامع النصرانية ثبتت الانحرافات التي دعا إليها بولس والتي كانت حصيلة آراء صاغتها الفلسفات والوثنيات، وأضفت على كل ذلك هالة من التقديس والتعظيم وحمتها بما أصدرت من قرارات كان لها الدور الأكبر في إخراج الديانة النصرانية من التوحيد إلى التثليث رسمياً.

**عاشراً**: أن البيئة الوثنية المحيطة بالنصارى ساهمت في تحريف دين المسيح عليه السلام، وهي التي انطلقت إليها ومنها دعوة بولس حيث انتهى البحث إلى إثبات أن العقائد والشعائر التي عليها النصارى الآن لها أصول وثنية محضة.

**حادي عشر**: أن الفلسفات المحيطة بالبيئة النصرانية، والتي دخلتها على أيدي الفلاسفة المتنصرين، أو الذين تتلمذ عليهم دعاة النصرانية قد ثبت تأثيرها القوي في تحريف الديانة النصرانية، ويمكن ملاحظة هذا التأثير القوي في الاعتقاد بوساطة المسيح بين الله والخلق، واعتقاد أنه الكلمة التي انبثق منها

الوجود، وكذلك القول بالتثليث وما تبع ذلك من التفسيرات والتأويلات المطولة والمعقدة ـ للعقائد النصرانية ـ التي هي سمة الفلسفة، والتي أخرجت دين المسيح عليه السلام من البساطة إلى التعقيد ومن الوضوح إلى اللبس والغموض.

**ثاني عشر**: إن المحصلة النهائية لنتائج هذا البحث والتي أبرزنا أهمها في هذه الخاتمة هي تأكيد القول بأن ما يزعمه النصارى الآن ديناً للمسيح عليه السلام هو في واقع الأمر مجرد أساطير وثنية وشروح فلسفية، وتحريفات عقدية لدعاة النصرانية، وعلى رأسهم بولس، ولا تمت إلى رسالة المسيح عليه السلام بأدنى صلة.

وفي ضوء ما تقدم أوصي بما يلي:

ـ الحث على إجراء مزيد من الأبحاث في مجال أصول النصرانية، وقواعد وأهداف النصارى في دعواتهم وما يبشرون به.

ـ هناك العديد من الدراسات التي تخدم المسلمين في دعوتهم ومواجهتهم للنصارى فيما يروجون له، وقد وقفت عليها في ثنايا المصادر الأجنبية التي اعتمدتها، حيث قام أصحابها بدراسات علمية نقدية جادة بعيدة عن الترويج لديانة ما أو التأويل، فأوصي بالوقوف على تلك الدراسات وترجمتها ونشرها ومتابعتها.

هناك بعض الموضوعات ـ والتي تكشفت لي من خلال البحث ـ يمكن للباحث أو الدارس في الأديان أن يكتب فيها وهي:

* العقائد النصرانية بين الفكر والواقع.

* قانونية الأناجيل الأربعة.

* مؤلفو الأناجيل الأربعة ومنزلتهم في النصرانية.

**ثالث عشر**: وخير ما نختم به هذه النتائج ذلك النداء الرباني في قول الله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

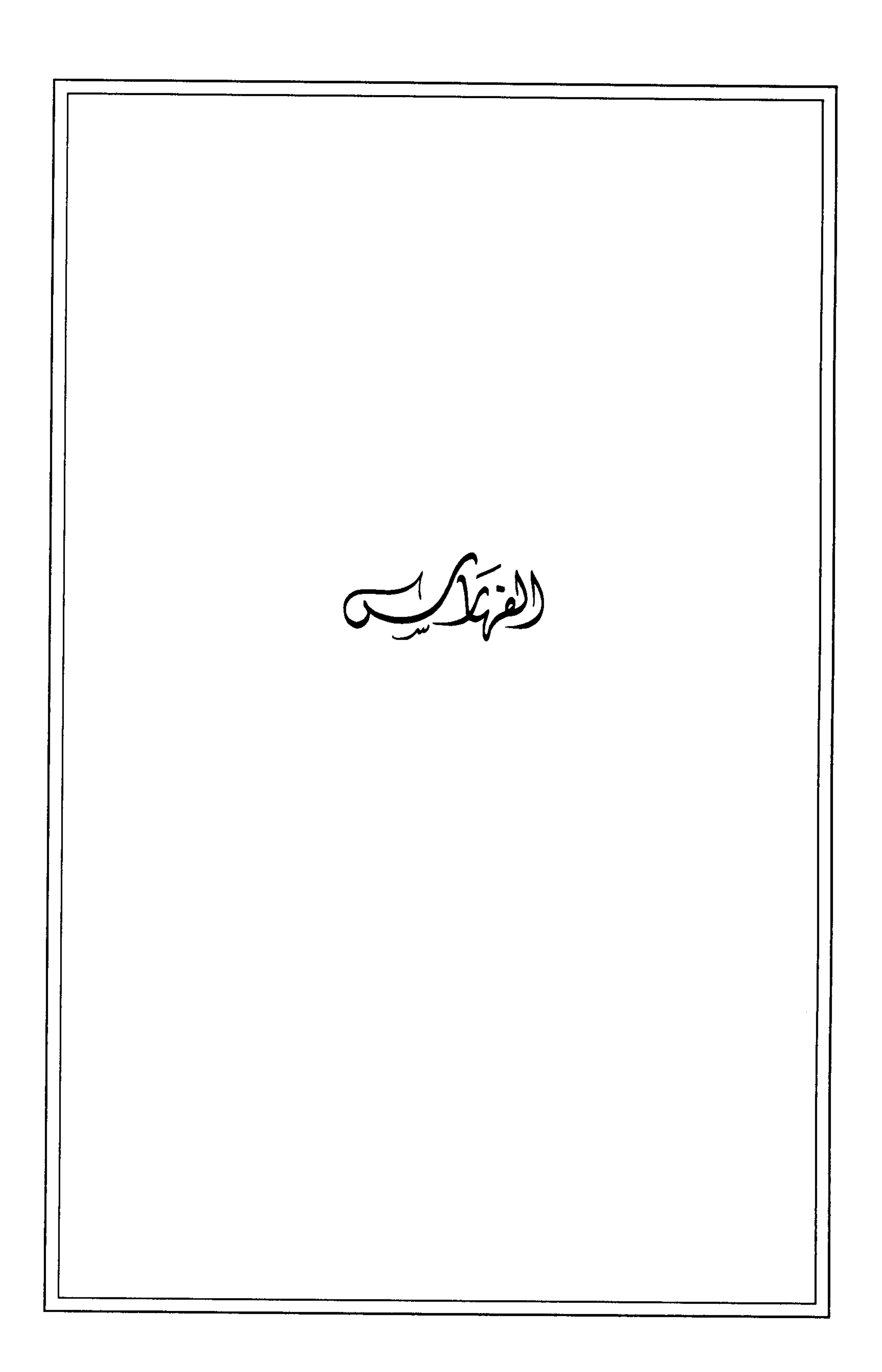
وصلى الله على نبينا محمد النبي الأمي الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق، والقائل عنه: ﴿ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقوله: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَـٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة: ١٥ ـ ١٦].

فصلى الله عليه أكمل صلاة وأتمها وأزكاها وأبرها وأعلاها، وعلى آله الطاهرين وأصحابه الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأسأله سبحانه أن يعز الإسلام والمسلمين، وأن يعلي شأن الدين، ويرد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً لينيروا السبيل للناس ويخرجوهم من ظلمات الجهل وتخبطات الأهواء والفلسفات وسخافات الوثنيات، وتلبيس شياطين الإنس والجن إلى نور الإسلام وسماحته وبساطته، ليفوزوا بعز الدنيا ونجاة الآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.


الفهارس

# أولًا: فهرس الآيات القرآنية

## ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

# ثالثاً: فهرس الأعلام

(ك)



(ل)



(م)

# رابعاً: فهرس الفرق والجماعات

# خامساً: فهرس المدن والبلدان

# سادساً: ثبت المصادر والمراجع


١ ـ أبحاث في الفكر اليهودي. حسن ظاظا، (بدون بيانات نشر).

٢ ـ إبطال ألوهية عيسى عليه السلام وإثبات بشريته من نصوص من الإنجيل. محمد عبد المقصود، د. محمد عبد المجيد، القاهرة ـ جامعة الأزهر. د.ت(*).

٣ ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية. أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، بيروت ـ دار صادر، د.ت.

٤ ـ الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة. القرافي (ـ ٦٨٤)، تحقيق: د. بكر زكي عوض، ط٢، القاهرة ـ مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ.

٥ ـ الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة. القرافي، تحقيق ناجي محمد داود. دكتوراه. جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ.

٦ ـ الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة. محمد عبد الرحمن عوض، ط٢، القاهرة ـ دار البشير، د.ت.

٧ ـ اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية: أحمد عبد الوهاب، ط١، القاهرة ـ مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ.

٨ ـ أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية. القرافي (ـ ٦٨٤)، تحقيق: عبد الرحمن دمشقية، ط١، ١٤٠٨هـ.

٩ ـ الأديان السماوية. ناصر الحسين بانافع، ط١١، الرياض ـ مؤسسة الجريسي، ١٤١١هـ.

١٠ ـ الأديان الشرقية القديمة. رؤوف شلبي، ط٢، بيروت ـ دار الشروق، ١٩٨٣م.

١١ ـ أديان العالم. حبيب سعيد، القاهرة ـ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، د.ت.

١٢ ـ الأديان في القرآن. محمود بن الشريف، ط٤، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٨٠م.

١٣ ـ الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة. عبد القادر شيبة الحمد، مطبوعات الجامعة الإسلامية.

١٤ ـ أديان وفرق. أمين القضاة، محمد الخطيب، محمد الهزايمة، ط١١، عمان، دار عمار ١٤١١هـ.


---

(*) (د.ت) أي بدون تاريخ نشر.

١٥ ـ إذا كان المسيح إلهاً فكيف تألم ومات. القس عبد المسيح بسيط، ط٢، القاهرة، مطبعة المصريين ١٩٩٤م.

١٦ ـ الأساطير الإغريقية والرومانية. د. كوبلان، ترجمة: أحمد رضا محمود رضا، مراجعة. محمود خليل النحاس، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

١٧ ـ إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة. أحمد عبد الوهاب، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٧٢م.

١٨ ـ الأسفار المقدسة قبل الإسلام «دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية» د. صابر طعيمة، ط١، بيروت، عالم الكتب ١٤٠٦هـ.

١٩ ـ الأسفار المقدسة. علي عبد الواحد وافي. القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.

٢٠ ـ الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة. أنور الجندي، بيروت، الشركة العالمية للكتاب ١٩٨٧م.

٢١ ـ الإسلام والأديان الأخرى. أحمد عبد الوهاب، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، د.ت.

٢٢ ـ الإسلام والأديان. محمد عبد الرحمن عوض، القاهرة، دار البشير، د.ت.

٢٣ ـ الإسلام والأديان. دراسة مقارنة، د. مصطفى حلمي، ط١، الإسكندرية، دار الدعوة ١٤١١هـ.

٢٤ ـ الإسلام والنصرانية. في ضوء العلم والمدنية، الشيخ محمد عبده، ط٦، القاهرة، دار المنار ١٣٦٣م.

٢٥ ـ الإسلام والمسيحية في الميزان. شريف هاشم، ط١، بيروت، مؤسسة الوفاء ١٤٠٩هـ.

٢٦ ـ أصلح الأديان للإنسانية. أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة ١٤٠٠هـ.

٢٧ ـ الأصول الوثنية للمسيحية. أندريه نايتون، أدغارويند، كارل غوستاف يونغ، ترجمة: سميرة عزمي الزين. منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، ط١، ١٤١١هـ.

٢٨ ـ أطلس الكتاب المقدس. تحرير رولي، بيروت، دار النشر المعمدانية، ١٩٨٣م.

٢٩ ـ إظهار الحق في الأديان والفرق. محمد مختار المغني، موسى أبو الريش، ط١، عمّان، دار الإسراء ١٤١٢هـ.

٣٠ ـ إضمحلال الإمبراطورية الرومانية. إدوارد جيبون، نقله إلى العربية. محمد علي أبو درة، راجعه وقدم له. نجيب هاشم. (بدون بيانات نشر).

٣١ ـ أضواء البيان. الشنقيطي، القاهرة مكتبة ابن تيمية، د.ت.

٣٢ ـ أضواء على المسيحية. رؤوف شلبي، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٧٥م.
٣٣ ـ إظهار الحق. رحمه الله الهندي، تحقيق: محمد ملكاوي، ط٢، القاهرة، دار الحديث، القاهرة، دار الحرمين ١٤١٣هـ.
٣٤ ـ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، القرطبي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، د.ت.
٣٥ ـ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام، القرطبي، تحقيق فايز عزام، دكتوراه جامعة أم القرى. ١٤٠٥هـ.
٣٦ ـ أقانيم النصارى. أحمد حجازي السقا، ط١، القاهرة، دار الأنصار ١٣٩٧هـ
٣٧ ـ الإله الذي لا وجود له. أحمد ديدات، ترجمة: رياض أحمد باهبري. د.ت.
٣٨ ـ آلهة في الأسواق، دراسة في النحل والأهواء القديمة في الشرق، رؤوف شلبي، ط٢ الكويت، دار القلم ١٤٠٣هـ.
٣٩ ـ الألوهية وصلتها بالعالم في الديانة الهندية القديمة. محمد ضياء الدين الكردي، ط١، القاهرة، مطبعة السعادة ١٤٠٣هـ.
٤٠ ـ الإمتاع والمؤانسة. أبو حيان التوحيدي، (بدون بيانات النشر).
٤١ ـ الأمور المتيقنة عندنا. هذا ما نؤمن به وهذا ما نبشر به، القس كارلس وليمز الكبير، الإسكندرية، مطبعة ومكتبة إيزيس، د.ت.
٤٢ ـ الأناجيل «دراسة مقارنة»، أحمد طاهر، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
٤٣ ـ إنجيل يوحنا في الميزان. محمد علي زهران، ط١، القاهرة، دار الأرقم ١٤١٢هـ.
٤٤ ـ انتصار الحضارة. برستد، نقله إلى العربية. أحمد فخري، القاهرة، مكتبة الأنجلو، د.ت.
٤٥ ـ الإنتصارات الإسلامية. نجم الدين البغدادي الطوفي الحنبلي (٧١٦)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، القاهرة، مطبعة دار البيان، د.ت.
٤٦ ـ الإنسان في ظل الأديان. عمارة نجيب محمود، (بدون بيانات النشر).
٤٧ ـ إنجيل برنابا. ترجمة: د. خليل سعادة، القاهرة، دار الفتح للإعلام العربي، د.ت.
٤٨ ـ إنجيل يوحنا في الميزان. د. محمد علي زهران، ط١، القاهرة، دار الأرقم، ١٤١٢هـ.
٤٩ ـ الإنجيل والصليب. عبد الأحد داود، القاهرة ١٣٥١هـ.

٥٠ ـ الإنجيل كيف كتب وكيف وصل إلينا. القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، ط١، القاهرة، مطبعة المصريين ١٩٩٤م.
٥١ ـ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم. د. حسن عز الدين الجمل، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.
٥٢ ـ أهم عوامل انحراف النصرانية. إبراهيم خلف التركي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
٥٣ ـ أوروبا العصور الوسطى. سعيد عبد الفتاح عاشور، ط٧، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٩٤م.
٥٤ ـ الإيمان. محمد عبد الله الشرقاوي، ط١، القاهرة، مكتبة الزهراء، ١٤٠٩هـ.
٥٥ ـ الإيمان المسيحي هل هو معقول. ناشد حنا، ط٢، القاهرة، لوجوس برنت سنتر. د.ت.
٥٦ ـ إيماني. أو «القضايا المسيحية الكبرى». القس إلياس مقار، القاهرة، دار الثقافة، د.ت.
٥٧ ـ البدء والتاريخ. ابن طاهر المقدسي (٥٠٧)، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
٥٨ ـ البداية والنهاية. ابن كثير، بيروت، مكتبة المعارف، د.ت.
٥٩ ـ البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح. زبادة بن يحيى النصب الراسي (٦٦١هـ ـ ١٢٦٣م)، مخطوطة عن طريق مركز الملك فيصل رقم. ٣٤٦٢/ ٧٠٦ف، ٥٨ لوحة.
٦٠ ـ بذل المجهود في إفحام اليهود. الحكيم السموءل بن يحيى بن عباس المغربي (ـ٥٧٠)، تحقيق: عبد الوهاب الطويلة، دمشق، دار القيم، بيروت، الدار الشامية. د.ت.
٦١ ـ البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية، محمد تقي الدين الهلالي، ١٩٩٣، (بدون بيانات النشر).
٦٢ ـ البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان. عباس بن منصور التريني السكسكي الحنبلي (ـ ٦٨٣)، تحقيق: د. بسام العموش، ط١، الأردن، مكتبة المنار ١٤١٨هـ.
٦٣ ـ بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص كتب العهدين. محمد أحمد ملكاوي، ط١، الرياض، مطبعة الفرزدق ١٤١٣هـ.
٦٤ ـ بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء. عبد الشكور محمد أمان، ١٤٠٢هـ، (رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى).

٦٥ - بولس الرسول. قراءة في حياة عملاق، القمص بيشوي وديع، ط١، طنطا، مكتبة كاتدرائية الشهيد مار جرجس، ١٩٩٤م.

٦٦ - بولس وتأثيره في المسيحية. بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، إعداد وهيب أحمد بكري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ.

٦٧ - بين القرآن الكريم والعهدين. القديم (التوراة) والجديد (الإنجيل)، ياسين الخطيب، ط١، مكة المكرمة، مطابع الصفا، ١٤١١هـ.

٦٨ - بين الإسلام والمسيحية. أبو عبيدة الخزرجي (٥٨٢)، تحقيق: د. محمد شامة، ط٢، القاهرة، مكتبة وهبة، د.ت.

٦٩ - تأثر اليهودية بالأديان الوثنية. د. فتحي محمد الزغبي، ط١، القاهرة، دار البشير ١٤١٤هـ.

٧٠ - تاريخ الأقباط. زكي شنودة (بدون بيانات النشر).

٧١ - تاريخ أوروبا في العصور الوسطى. فيشر. ترجمة محمد زيادة وزميله، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٠م.

٧٢ - تاريخ أوروبا للعصور الوسطى. الباز العريني، بيروت، دار النهضة العربية. د.ت.

٧٣ - تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم. محمد عزة دروزة، بيروت، المكتبة العصرية، ١٣٨٩هـ.

٧٤ - تاريخ سورية. المطران يوسف الدبس. راجعه الدكتور مارون رعد، دار نظير عبود، ١٩٩٤م.

٧٥ - تاريخ العالم. أوروسيوس. ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢م.

٧٦ - تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. د. مصطفى شاهين، القاهرة، دار الثقافة، د.ت.

٧٧ - تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. د. محمد أبو ريان، ط٢، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م.

٧٨ - تاريخ الفكر المسيحي. القس حنا الخضري، ط١، القاهرة، دار الثقافة، د.ت.

٧٩ - تاريخ الفكر السياسي. جان توشار، ترجمة: د. علي مقلد، ط٢، بيروت، الدار العالمية للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ.

٨٠ - تاريخ الطبري. تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط٣، بيروت، دار الكتب، ١٤١١هـ.

٨١ - تاريخ الفلسفة في الإسلام. ت.ج. دي بور. ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٥، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د.ت.

٨٢ ـ تاريخ الفلسفة. إبراهيم مدكور، يوسف كرم، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٤٠م.
٨٣ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية. يوسف كرم، ط٤، القاهرة، مكتبة النهضة. د.ت.
٨٤ ـ تاريخ الفلسفة «الفلسفة الهلنستية والرومانية». أميل برهيية، ترجمة: جورج طرابيش، ط١، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٢م.
٨٥ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية. يوسف كرم. (بدون بيانات النشر).
٨٦ ـ تاريخ الكنيسة. يوسابيوس القيصري، تعريب. القمص مرقس داود، د.ت.
٨٧ ـ تاريخ الكنيسة. جون لوريمر، القاهرة، دار الثقافة. د.ت.
٨٨ ـ تاريخ المسيحية. حبيب سعيد، القاهرة، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. د.ت.
٨٩ ـ تاريخ المسيحية. (المسيحية في العصور الوسطى)، جاد المنفلوطي، القاهرة، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. د.ت.
٩٠ ـ تاريخ المسيحية في مصر. سليمان نسيم. (بدون بيانات النشر).
٩١ ـ تاريخ النصارى في الأندلس. عبادة كحيلة، ط١، القاهرة، المطبعة الإسلامية الحديثة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
٩٢ ـ تاريخ مختصر الدول. العلامة غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري، ط١، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، د.ت.
٩٣ ـ التاريخ اليهودي العام. صابر طعيمة، ط٣، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ.
٩٤ ـ التاريخ اليهودي. يوسيفوس. (بدون بيانات النشر).
٩٥ ـ تثبيت دلائل النبوة. القاضي عبد الجبار. (بدون بيانات النشر).
٩٦ ـ التثليث بين الوثنية والمسيحية. د. محمود حماية، ط٢، القاهرة، د.ت.
٩٧ ـ التجسد والصلب بين الحقيقة والافتراء، د. محمود حماية، ط٢، مصر، دار المعارف. د.ت.
٩٨ ـ تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، عبد الله الترجمان الميورقي (ـ٨٣٢)، تحقيق: عمر وفيق الداعوق، ط١، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٨هـ.
٩٩ ـ تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تحقيق: د. محمود حماية، ط٣، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
١٠٠ ـ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. البيروني، بيروت، عالم الكتب، د.ت.
١٠١ ـ التزوير المقدس. عبد الودود شلبي، ط٢، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٧هـ.

١٠٢ ـ تطور العقائد. شارل جينيبير، ترجمة: د. محمد محمد حسانين، القاهرة، دار مايا للطباعة والنشر، ١٩٩١م.

١٠٣ ـ التعريفات. الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٠٤ ـ التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، القاهرة، دار الكتب الحديثة، د.ت.

١٠٥ ـ تفسير الألوسي، «روح البيان في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي (ـ ١٢٧٠)، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨م.

١٠٦ ـ تفسير أبي السعود، «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم». أبو السعود العمادي (ـ ٩٨٢)، بيروت، دار إحياء التراث، د.ت.

١٠٧ ـ تفسير الطبري. ابن جرير الطبري، بيروت، عالم الكتب. د.ت.

١٠٨ ـ تفسير القاسمي، «محاسن التأويل». القاسمي (ـ ١٣٣٢)، محمد جمال الدين، تحقيق فؤاد عبد الباقي، ط١، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٦هـ.

١٠٩ ـ التفسير الكبير. «مفاتيح الغيب». الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١م.

١١٠ ـ تفسير ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، بيروت، دار المعرفة. ١٩٦٩م.

١١١ ـ تفسير المنار. «تفسير القرآن الحكيم». محمد رشيد رضا، ط٤، مصر، دار المنار، ١٣٧٣هـ.

١١٢ ـ تفسير المراغي. المراغي (ـ ١٣٧١)، ط٣، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ١٩٧٤م.

١١٣ ـ التفسير الحديث للكتاب المقدس. العهد الجديد سفر أعمال الرسل، هوارد مارشال، ترجمة: نجيب جرجور، ط١، القاهرة، دار الثقافة، د.ت.

١١٤ ـ تفسير العهد الجديد. وليم باركلي (رسالة رومية)، ترجمة القس: منيس عبد النور، ط١، القاهرة، دار الثقافة المسيحية، ١٩٧٥م.

١١٥ ـ أعمال الرسل، وليم باركلي، ترجمة: جوزيف صابر، ط١. القاهرة، دار الثقافة المسيحية، ١٩٧٥م.

١١٦ ـ التفكير الديني. في العالم قبل الإسلام، د. أورانج كاي رحمات بن داتو، ترجمة: رؤوف شلبي، الدوحة، دار الثقافة، د.ت.

١١٧ ـ تلخيص الأجوبة الجلية في دحض الدعوات النصرانية، زيادة بن يحيى الدمشقي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، القاهرة، مكتبة الإيمان، ١٤١٢هـ.

١١٨ ـ التنصير. خطة لغزو العالم الإسلامي. الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين إيري ١٩٧٨م ونشر بعنوان. The Gospel and Islam.

١١٩ ـ التوحيد والتنزيه في سورة مريم، عبد الحميد طهماز، ط١، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ١٤١٠هـ.

١٢٠ ـ تمهيد لدراسة الأناجيل الأربعة. وإنجيل برنابا، د. السيد محمد عقيل المهدلي، ط١، القاهرة، دار الحديث، ١٤١٤هـ.

١٢١ ـ التمهيد. الباقلاني، بيروت، عالم الكتب. د.ت.

١٢٢ ـ التوراة والإنجيل والقرآن في سورة آل عمران. عبد الحميد طهماز، ط١، بيروت، الدار الشامية، دمشق، دار القلم، ١٤١٠هـ.

١٢٣ ـ التوراة السامرية. ترجمة الكاهن السامري. أبو الحسن إسحاق الصوري، نشرها وعرف بها أحمد حجازي السقا، ط١، القاهرة، دار الأنصار، ١٣٩٨هـ.

١٢٤ ـ التوراة بين الوثنية والتوحيد. سهيل ديب (بدون بيانات النشر).

١٢٥ ـ ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره. د. محمد خيري، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٧هـ.

١٢٦ ـ الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، بيروت، عالم الكتب. د.ت.

١٢٧ ـ الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي، د. محمد البهي، ط٦. القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٠٢هـ.

١٢٨ ـ جذور البلاء. عبد الله التل، ط٣. بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ.

١٢٩ ـ جوهر الإيمان في صحيح الأديان، أهل الكتاب (اليهود واليهودية)، صلاح العجماوي، ط١، القاهرة، دار صفا للطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ.

١٣٠ ـ الجواب الفسيح لما لفّقه عبد المسيح. الإمام الألوسي البغدادي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط١، القاهرة، دار البيان العربي، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

١٣١ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية (٧٢٨) أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: د. علي بن حسن بن ناصر، د. عبد العزيز العسكر، د. حمدان الحمدان، ط١، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٤هـ.

١٣٢ ـ ابن حزم ومنهجه في الأديان، د. محمود علي حماية، ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م.

١٣٣ ـ حقائق أساسية في الإيمان المسيحي. القس فايز فارس، ط٢، القاهرة، دار الثقافة المسيحية، د.ت.

١٣٤ ـ حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر. الغزالي، القاهرة، دار الفضيلة. د.ت.

١٣٥ ـ حقيقة عيسى المسيح. د. محمد علي الخولي، ط١، عمّان، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ.

١٣٦ ـ حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة. علي الجوهري، دار الفضيلة، أحمد حجازي السقا، دار الفضيلة، د.ت.

١٣٧ ـ كلمة من الله. د. توحيد الزهيري، ط١، ١٩٩٣م.

١٣٨ ـ حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح. د. عبد الودود شلبي، ط١، جدة، الدار السعودية للنشر، ١٤١٣هـ.

١٣٩ ـ حياة بولس. ف.ب. ماير، تعريب. القمص مرقس داود، القاهرة، مكتبة المحبة، د.ت.

١٤٠ ـ حياة الحقائق. جوستاف لوبون. (بدون بيانات نشر).

١٤١ ـ حياة مريم. محمود شلبي، ط٣، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٩هـ.

١٤٢ ـ حياة المسيح. محمود شلبي، ط٢، بيروت، دار الجليل، ١٤٠٩هـ.

١٤٣ ـ حياة يسوع. د. تبرس سميث، تعريب. حبيب سعيد، ط٣، القاهرة، دار الثقافة، د.ت.

١٤٤ ـ الخالدون مائة. أعظمهم محمد رسول الله ﷺ، مايكل هارت، ترجمة: أنيس منصور، ط٧، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٩م.

١٤٥ ـ خطر اليهودية الصهيونية على النصرانية والإسلام. الأب طانيوس منعم، ط٢، بيروت، مؤسسة موناشا، د.ت.

١٤٦ ـ دائرة معارف القرن العشرين. (بدون بيانات نشر).

١٤٧ ـ دائرة المعارف البريطانية. (بدون بيانات نشر).

١٤٨ ـ دائرة المعارف. بطرس البستاني. (بدون بيانات نشر).

١٤٩ ـ دراسات في الأديان. د. سعود بن عبد العزيز الخلف، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٤هـ.

١٥٠ ـ دراسات في إنجيل متى. عن مجلة كنوز الكتاب المقدس. (Bible Treasury) تعريب. وهيب ملك، القاهرة، مطبعة كنيسة الأخوة، د.ت.

١٥١ ـ دراسات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى. (بدون بيانات نشر).

١٥٢ ـ دراسات في الكتاب المقدس. العهد القديم والعهد الجديد، د. محمود حماية. (بدون بيانات نشر).

١٥٣ ـ دراسات في الملل والنحل (أصول المسيحية الهللينية). محمد الشرقاوي. (بدون بيانات نشر).

١٥٤ ـ دراسات في النصرانية. محمود مزروعة. . (بدون بيانات نشر).
١٥٥ ـ دراسة تحليلية لإنجيل مرقس. تاريخياً وموضوعياً، د. محمد عبد الحليم مصطفى أبو السعد، ط١، مصر، مطبعة الجبلاوي، ١٤٠٤هـ.
١٥٦ ـ دراسة في التوراة والإنجيل. د. كامل سعفان، القاهرة، دار الفضيلة، د.ت.
١٥٧ ـ دروس في تاريخ الفلسفة. إبراهيم مدكور، يوسف كرم، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٤٠م.
١٥٨ ـ دعوة التوحيد في المسيحية قبل الإسلام وأثرها في تأسيس الفرق المسيحية. عرفة سالم حسن، جامعة الأزهر، رسالة دكتوراه، ١٤١٢هـ.
١٥٩ ـ دعوة الحق. أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام، منصور حسين عبد العزيز، ط٢، مكتبة علاء الدين ١٣٩٩هـ.
١٦٠ ـ دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية. حسن محمد إبراهيم، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ.
١٦١ ـ الدولة والكنيسة. رأفت عبد الحميد، (بدون بيانات نشر).
١٦٢ ـ الديانات والعقائد في مختلف العصور. أحمد عبد الغفور عطار، ط١، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ.
١٦٣ ـ الديانة في مصر الفرعونية. أحمد فخري ـ القاهرة مكتبة الأنجلو، ١٩٨٦م.
١٦٤ ـ الديانة اليونانية القديمة. هـ. ج. روز. ترجمة: رمزي عبده جرجس. القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٥م.
١٦٥ ـ الدين. محمد عبد الله دراز، ط٢، الكويت، دار القلم، ١٣٩٠هـ.
١٦٦ ـ الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ. علي بن ربن الطبري، تحقيق: عادل نويهض، ط٢، بيروت، دار الآفاق، ١٩٧٧م.
١٦٧ ـ الدين المقارن. محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.
١٦٨ ـ رحلة بين أرجاء الكتاب المقدس. مديحة خميس، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.
١٦٩ ـ الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد الشرقاوي، ط٣، بيروت، دار الجيل، القاهرة، مكتبة الزهراء، ١٤١٠هـ.
١٧٠ ـ الرد الجميل. رومير الشدياق. ترجمة وتحقيق: عبد العزيز عبد الحق حلمي، الأزهر، مجمع البحوث، ١٣٩٢هـ.
١٧١ ـ الرد على النصارى. أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق: محمد محمد حسانين، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٠٩هـ.

١٧٢ ـ رد على اليهودية واليهودية المسيحية. ندرة اليازجي. ط٢، دمشق، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٢م.

١٧٣ ـ رسائل الرسل في العهد الجديد وأثرها في انحراف المسيحية. سعيد سراج، ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ.

١٧٤ ـ الرسالة السبعية. بإبطال الديانة اليهودية. الحبر إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي، تخريج وتعليق. عبد الوهاب طويلة، ط١، دمشق، دار القلم، ١٤١٠هـ.

١٧٥ ـ الرمز والأسطورة في مصر القديمة. رندل كلارك، ترجمة: أحمد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

١٧٦ ـ الروح القدس. فهيم عزيز. (بدون بيانات نشر).

١٧٧ ـ السامريون واليهود. د. سيد فرج راشد، الرياض، دار المريخ، د.ت.

١٧٨ ـ سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس. عبد الله العلمي، ط١، ١٣٩٠هـ.

١٧٩ ـ السلطة السياسية التشريعية بين الإسلام والنصرانية. كامل صفي محمد عيسى، ماجستر، جامعة الأزهر، ١٤١٣هـ.

١٨٠ ـ سنن الترمذي. الترمذي، بيروت، عالم الكتب. د.ت.

١٨١ ـ سيرة بولس الرسول. حبيب سعيد، ط٣، القاهرة، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، د.ت.

١٨٢ ـ الشرق الأدنى القديم مصر والعراق. عبد العزيز صالح، ط٤، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م.

١٨٣ ـ شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل. إمام الحرمين الجويني عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (٤٧٨)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٩هـ.

١٨٤ ـ صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري. البخاري محمد بن إسماعيل. تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة، دار الريان، ١٤٠٧.

١٨٥ ـ صحيح مسلم. مسلم النيسابوري، بيروت، عالم الكتب. د.ت.

١٨٦ ـ الصلب وهم أم حقيقة. أحمد ديدات، ترجمة: إبراهيم خليل أحمد، ط١، القاهرة، دار المنار، ١٤١٠هـ.

١٨٧ ـ صيحة تحذير من دعاة التنصير. محمد الغزالي، ط١، القاهرة، دار الصحوة، ١٤١٢هـ.

١٨٨ ـ طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون. أحمد عبد الوهاب، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٠٠هـ.

١٨٩ ـ العبادة المسيحية. الأشمندريت إلياس، طرابلس، مكتبة السائح، ١٩٨٥م.
١٩٠ ـ عبقرية المسيح. عباس محمود العقاد، القاهرة، دار نهضة مصر. د.ت.
١٩١ ـ عصمة الأنبياء. بين اليهودية والمسيحية والإسلام، د. محمود ماضي، الإسكندرية، مكتبة الإيمان، د.ت.
١٩٢ ـ العقائد المسيحية بين القرآن والعقل. هاشم جودة، ط٢، القاهرة، المركز العربي للنشر. د.ت.
١٩٣ ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. محمد طاهر التنير البيروتي، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، ط١، بيروت، دار عمران القاهرة، مكتبة الزهراء، ١٤١٤هـ.
١٩٤ ـ عقيدة الصلب والفداء. محمد رشيد رضا، القاهرة، الفتح للإعلام العربي ١٩٩١م ـ ١٤١١هـ.
١٩٥ ـ العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية. د. سعد الدين صالح، ط٢، جدة، مكتبة الصحابة، القاهرة، مكتبة التابعين، ١٤١٦هـ.
١٩٦ ـ عقيدتا التثليث والصلب في المسيحية وموقف الإسلام منهما. محمد أبو الغيط الفرت، دكتوراه، جامعة الأزهر، ١٣٩١هـ.
١٩٧ ـ عقيدتا التثليث والصلب وموقف الإسلام منهما. يونس توري، ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ.
١٩٨ ـ عقيدتا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية. محمد حسين موسى محمد، ماجستير، جامعة الأزهر، ١٩٨٢م.
١٩٩ ـ علم اللاهوت النظامي. إصدار دار الثقافة المسيحية للهيئة القبطية الإنجيلية، مطبعة دار الجليل، ١٩٧١م.
٢٠٠ ـ العلمانية نشأتها وتطورها. سفر الحوالي، ط١، القاهرة، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٢هـ.
٢٠١ ـ الفارق بين المخلوق والخالق. عبد الرحمن بن سليم البغدادي الشهير بباجه جي زاده، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.
٢٠٢ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢)، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط١، القاهرة، دار الريان، ١٤٠٧هـ.
٢٠٣ ـ فتح القدير. الشوكاني، (بدون بيانات نشر).
٢٠٤ ـ فجر الإسلام. أحمد أمين، ط١١، ١٩٧٥م.
٢٠٥ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل. علي بن أحمد (ابن حزم ٤٥٦)، تحقيق: د. محمد نصير، د. عبد الرحمن عميرة، ط١ جدة، شركة مكتبات عكاظ للنشر، ١٤٠٢هـ.

٢٠٦ ـ الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه. د. حسن ظاظا، ط٢، دمشق، دار القلم، بيروت، دار العلوم والثقافة، ١٤٠٧هـ.
٢٠٧ ـ الفكر الإسلامي منابعه، وآثاره. M.M. SHARIF ترجمة: أحمد شلبي، ط٨، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٦م.
٢٠٨ ـ الفكر الإسلامي في الرد على النصارى. عبد المجيد الشرفي، تونس، الدار التونسية للنشر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦م.
٢٠٩ ـ الفكر اللاهوتي في رسائل بولس. فهيم عزيز. القاهرة. دار الثقافة المسيحية. ط١، ١٩٨١م.
٢١٠ ـ فلسفة العصور الوسطى. عبد الرحمن بدوي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٩م.
٢١١ ـ فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية. لويس غردية، ج قنواتي، نقله إلى العربية. د. صبحي الصالح، د. فريد جبر، ط٢، بيروت، دار العلم، ١٩٧٩م.
٢١٢ ـ الفهرست. ابن النديم، بيروت، دار المعرفة. د.ت.
٢١٣ ـ فهرس الموضوعات الكتابية. ط٢، القاهرة، دار الثقافة المسيحية، مطبعة دار الجيل، ١٩٧٠م.
٢١٤ ـ فهرس الكتاب المقدس. جورج بوست، ط٨، القاهرة، دار الثقافة. د.ت.
٢١٥ ـ في العبادات المسيحية. «دراسة نقدية». محمود حماية. (بدون بيانات نشر).
٢١٦ ـ في علم الكلام. أحمد محمود صبحي، ط٥، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ.
٢١٧ ـ في مقارنة الأديان بحوث ودراسات. محمد عبد الله الشرقاوي، ط٢. بيروت، دار الجيل، القاهرة، مكتبة الزهراء، ١٤١٠هـ.
٢١٨ ـ في موكب التاريخ عشرون قرناً. حبيب سعيد، القاهرة، مكتبة المحبة. د.ت.
٢١٩ ـ قاموس الكتاب المقدس. تحرير. بطرس عبد الملك، جون الكسندر طمسن، إبراهيم مطر، القاهرة، دار الثقافة، د.ت.
٢٢٠ ـ القديس بولس. القس حارث قريصة، ط٣، القاهرة، دار الثقافة، د.ت.
٢٢١ ـ القديس بولس الرسول. حياته لاهوته أعماله. الأب متى المسكين، ط١، القاهرة، مطبعة دير القديس أنبا مقار، د.ت.
٢٢٢ ـ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، (دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة). مرويس بوكاي، القاهرة، دار المعارف. د.ت.
٢٢٣ ـ قصة الحضارة. ول ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، بيروت، دار الجيل، د.ت.

٢٢٤ ـ قصة الديانات. سليمان مظهر، القاهرة، دار الوطن العربي للطباعة والنشر، د.ت.

٢٢٥ ـ القضايا المسيحية الكبرى. إلياس مقار. (بدون بيانات نشر).

٢٢٦ ـ القوى الخفية لليهودية العالمية الماسونية. داود عبد العفو سنقرط، ط١، عمّان، دار الفرقان، د.ت.

٢٢٧ ـ قيام أم انتعاش. أحمد ديدات، ترجمة: رياض أحمد باهيري، د.ت.

٢٢٨ ـ الكتاب المقدس. (الطبعة البروتستانية). دار الكتاب المقدس. القاهرة. ١٩٨٣م.

٢٢٩ ـ الكتاب المقدس. (الطبعة الأرثودكسية). (بدون بيانات نشر).

٢٣٠ ـ الكتب السماوية وشروط صحتها. عبد الوهاب عبد السلام طويلة، جدة، دار القبلة، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ١٤١٠هـ.

٢٣١ ـ الكتاب المقدس في الميزان. عبد السلام محمد، ط١، القاهرة، مطابع الوفاء، ١٤١٢هـ.

٢٣٢ ـ الكتاب المقدس في الميزان. إدوارد يونج، ط٢، دار الثقافة المسيحية، ١٩٧٧م.

٢٣٣ ـ الكتاب المقدس هل هو كلمة الله. القيس عبد المسيح بسيط أبو الخير، ط١، القاهرة، مطبعة الأخوة المصريين، ١٩٩٢م.

٢٣٤ ـ كشاف إصطلاحات الفنون. محمد بن علي التهانوي، بيروت، دار صادر، د.ت.

٢٣٥ ـ الكشاف. محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨)، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

٢٣٦ ـ الكنز المرصود في قواعد التلمود. ترجمة: د. يوسف نصر الله، ط١، دمشق، دار القلم، بيروت، دار العلوم، ١٤٠٨هـ.

٢٣٧ ـ الكنز المرصود في فضائح التلمود. د. محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الوعي الإسلامي، د.ت.

٢٣٨ ـ كنت نصرانياً وأسلمت. إعداد. محيي الدين عبد الحميد، ط٢، جدة، مكتبة الخدمات الحديثة ١٤١٤هـ.

٢٣٩ ـ اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر. الأب سليم بترس، ط١، بيروت، منشورات المكتبة البولسية، ١٩٨٥م.

٢٤٠ ـ الله، (ضمن موسوعة العقاد الإسلامية توحيد وأنبياء)، العقاد، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٠.

٢٤١ ـ الله واحد أم ثالوث. محمد مجدي مرجان، القاهرة، دار النهضة، د.ت.
٢٤٢ ـ ما أصل الإنسان. د. موريس بوكاي، ط١٢، ١٩٨٥م، الرياض، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٦هـ.
٢٤٣ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. أبو الحسن الندوي، ط٩، الكويت، دار القلم، ١٣٩٣هـ.
٢٤٤ ـ الماسونية ذلك العالم المجهول. صابر طعيمة، ط٥، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٦هـ.
٢٤٥ ـ الماسونية. محمد علي الزغبي، بيروت، المكتبة الثقافية، د.ت.
٢٤٦ ـ ما كانت آية يونان النبي. أحمد ديدات. ترجمة: رياض أحمد باهبري، د.ت.
٢٤٧ ـ ماني والمانوية. جيو وايسر نفرين. ترجمة: د. سهيل زقار، ط١، دار حسن للطباعة، ١٤٠٦هـ.
٢٤٨ ـ ما هي النصرانية. محمد تقي العثماني، تعريب. نور عالم الأميني، كراتشي، مكتبة العلوم، ١٤٠٣هـ.
٢٤٩ ـ مباحث بريئة في الإنجيل. مصطفى أحمد الرفاعي، القاهرة، المطبعة السلفية، د.ت.
٢٥٠ ـ المجامع النصرانية وأثرها على اعتقاد النصارى. إعداد. الجيلي محمود يوسف الكباش «ماجستير» جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠١هـ.
٢٥١ ـ المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان. المنعقد في الفترة ١٩٦٢م ـ ١٩٦٥م، الطبعة الثانية لوثائق المجمع.
٢٥٢ ـ مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة. حنانيا إلياس كساب، بيروت، منشورات النور، ١٩٧٥م.
٢٥٣ ـ مجموع الفتاوى. ابن تيمية، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د.ت.
٢٥٤ ـ محاضرات في مقارنة الأديان. إبراهيم خليل أحمد، القاهرة، دار المنار، ١٤١٢هـ.
٢٥٥ ـ محاضرات في النصرانية. محمد أبو زهرة، ط٣، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٣٨١هـ.
٢٥٦ ـ محمد في التوراة والإنجيل والقرآن. إبراهيم خليل أحمد، القاهرة، دار المنار، ١٤٠٩هـ.
٢٥٧ ـ محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن. محمد عزت الطهطاوي، القاهرة، مكتبة النور، د.ت.
٢٥٨ ـ المختار في الرد على النصارى. الجاحظ. (بدون بيانات نشر).

٢٥٩ ـ مختصر دراسة للتاريخ. أرنولد توينبي. ترجمة: فؤاد شبل، ط١، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٦٠م.

٢٦٠ ـ مختصر تاريخ الكنيسة (من البداية إلى القرن العشرين). أندرو ميلر، ط٣، القاهرة، مكتبة كنيسة الأخوة، ١٩٩٣م.

٢٦١ ـ مختصر الصواعق المرسلة.

٢٦٢ ـ المدخل إلى العهد الجديد. د. القس فهيم عزيز، القاهرة، دار الثقافة، د.ت.

٢٦٣ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تحقيق قاسم الرفاعي، ط١٠، بيروت، دار القلم، ١٤٠٨هـ.

٢٦٤ ـ مسالك النظر في نبوة سيد البشر. سعيد بن حسن الإسكندراني، تحقيق. د. محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الزهراء، د.ت.

٢٦٥ ـ المسيح. زكي شنودة، القاهرة، مكتبة المحبة، د.ت.

٢٦٦ ـ المسيح عيسى ابن مريم. عبد الحميد جودة السحار، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، د.ت.

٢٦٧ ـ المسيح في الإنجيل بشر. ممدوح جاد. القاهرة. المطبعة الفنية، ١٩٩٣م.

٢٦٨ ـ المسيح في الأناجيل أو الكنيسة والنقد الكتابي الحديث. ف. كيزيتش، تعريب الأب ميشال نجم، بيروت، منشورات النور، د.ت.

٢٦٩ ـ المسيح في مصادر العقائد المسيحية. أحمد عبد الوهاب، ط٢، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٠٨هـ.

٢٧٠ ـ المسيح في نبوات العهد القديم. الشماس الدكتور أميل ماهر إسحاق، ط١، القاهرة، مطبعة الأنبارويس الأوفست، ١٩٩٢م.

٢٧١ ـ المسيح إنسان أم إله. محمد مجدي مرجان، حققه. عبد الرحمن دمشقية، د.ت.

٢٧٢ ـ المسيح بين الإنجيل والقرآن. الشيخ محمود البرشومي، القاهرة، مؤسسة روزا اليوسف، د.ت.

٢٧٣ ـ المسيح إله أم إنسان. القس حنا جرجس الخضري، ط١، القاهرة، دار الثقافة، د.ت.

٢٧٤ ـ المسيح في البشائر. صليب عبد السيد ميخائيل، القاهرة، مطبعة دار الجيل، ١٩٨٨م.

٢٧٥ ـ المسيح والمسيحية والإسلام، عبد الغني عبود، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٨٤م.

٢٧٦ ـ المسيح بين الحقائق والأوهام. محمد وصفي، القاهرة، دار الفضيلة، د.ت.

٢٧٧ ـ المسيحية. أحمد شلبي، ط٨، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤م.
٢٧٨ ـ المسيحية الأصيلة. ج. ر. و. ستوت، تعريب ريد زخاري، دار منشورات النضير. د. ت.
٢٧٩ ـ المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها. إعداد. عبد المنعم فؤاد عثمان «ماجستير»، جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط، ١٤٠٨هـ.
٢٨٠ ـ المسيحية نشأتها وتطورها. شارل جينيبير، ترجمة: محمد عبد الحليم محمود، منسوب إلى والده، د. عبد الحليم محمود، ١٩٨١م.
٢٨١ ـ المسيحية بين النقل والعقل. د. عبد الفتاح أحمد الفاوي، ط١، القاهرة، المطبعة الإسلامية الحديثة، ١٩٩٢م.
٢٨٢ ـ مشكلات العقيدة النصرانية. د. سعد الدين السيد صالح، ط٣، القاهرة، دار الأرقم للطباعة والنشر، ١٩٩٢م.
٢٨٣ ـ معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى. محمود سعيد عمران، ط٢، بيروت، دار النهضة. د.ت.
٢٨٤ ـ معالم تاريخ الإنسانية. ويلز. (بدون بيانات نشر).
٢٨٥ ـ معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير. إبراهيم الجبهان، ط٥، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ.
٢٨٦ ـ معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس. موريس جدعوه، حنا حلو، غسان خلف، بيروت، دار النشر المعمدانية. د.ت.
٢٨٧ ـ معجم الحضارات السامية. هنري س. عبودي، لبنان، جروس برس، ط٢، ١٤١١هـ.
٢٨٨ ـ المعجم الفلسفي. عبد المنعم الحفني، ط١، القاهرة، الدار الشرقية ١٤١٠هـ.
٢٨٩ ـ المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. تركيا. دار الدعوة. د.ت.
٢٩٠ ـ مع العقيدة والحركة والمنهج. د. علي عبد الحميد محمود، الرياض، مطابع جامعة الإمام، ١٣٩٨هـ.
٢٩١ ـ المعمودية والأفخارستيا والكهنوت. بيان ليما، تعريب. الأب ميشال نجم، بيروت، منشورات النور، ١٩٨٤م.
٢٩٢ ـ المغني. القاضي عبد الجبار الأسد آبادي (٤١٥)، تحقيق: محمود الخضري، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف. د.ت.
٢٩٣ ـ المغني الأكبر. (قاموس. إنجليزي، عربي). حسن سعيد الكرمي، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٨م.
٢٩٤ ـ مفتريات أهل الكتاب حول الذات الإلهية في العهد القديم والجديد والرد عليها، محمد عبد البصير حصيري، جامعة الأزهر، ١٤١٢هـ.

٢٩٥ ـ المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم. سميرة جمجوم، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ.
٢٩٦ ـ مقارنة الأديان. عوض الله حجازي. (بدون بيانات نشر).
٢٩٧ ـ مقارنات الأديان «الديانات القديمة». محمد أبو زهرة، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.
٢٩٨ ـ مقارنة الأديان «أديان الهند الكبرى». أحمد شلبي، ط٨. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٦م.
٢٩٩ ـ مقامع الصلبان. أحمد عبد الصمد الخزرجي (٥٨٢). تحقيق: عبد المجيد الشرفي، تونس، الشركة التونسية لفنون الرسم، ١٩٧٥م.
٣٠٠ ـ مقدمة ابن خلدون. ابن خلدون (بدون بيانات النشر).
٣٠١ ـ الملة والنحلة في اليهودية، المسيحية، الإسلام. حمدي عبد العال، ط١، الكويت، دار القلم، ١٤٠٩هـ.
٣٠٢ ـ مناظرة بين الإسلام والنصرانية. مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، ط٢، الرياض، مكتبة ابن خزيمة، ١٤١٢هـ.
٣٠٣ ـ مناظرة في الرد على النصارى. الرازي، بيروت، دار الغرب، ١٩٨٦م.
٣٠٤ ـ المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان، بين القس سويجارت والشيخ ديدات. تقديم ودراسة وتعليق. د. محمود حماية، د.ت.
٣٠٥ ـ المناظرة الأولى. علي الجوهري، القاهرة، مكتبة التراث، د.ت.
٣٠٦ ـ المنتخب الجليل من تخجيل من حرّف الإنجيل. أبو الفضل المالكي السعودي، من علماء القرن العاشر الهجري، تحقيق: د. بكر زيمي عوض، ط١، ١٤١٤هـ.
٣٠٧ ـ المنجد في اللغة والأعلام. المطبعة الكاثوليكية، ط٢٢، بيروت، دار المشرف، ١٩٧٣م.
٣٠٨ ـ منحة القريب المجيب في الرد على عبادة الصليب. عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر، ط١، القاهرة، شركة فن الطباعة، ١٣٥٨هـ.
٣٠٩ ـ من دحرج الحجر بعيداً. أحمد ديدات، ترجمة: رياض أحمد باهبري، د.ت.
٣١٠ ـ منظومة الإمام الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود، محمد بن سعد بن حماد الأبوصيري (٦٩٦)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط١، القاهرة ـ مكتبة المدينة المنورة، ١٣٩٩هـ.
٣١١ ـ منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى. عبد الراضي بن محمد عبد المحسن، ط١، مكتبة التربية الإسلامية، ١٤١٢هـ.

٣١٢ ـ موجز تاريخ العالم. هـ. ج. ويلز. ترجمة: عبد العزيز جاويد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د.ت.

٣١٣ ـ موجز تاريخ العالم. جماعة من المؤرخين السوفيات، إشراف. البروفسور أ. مانفرد. ترجمة: محمد عيتاني، ط١، بيروت، دار الفارابي ١٩٨٩م.

٣١٤ ـ موجز تاريخ الشرق الأدنى. د. فيليب متى، ترجمة: د. أنيس فريحة، بيروت، دار الثقافة. د.ت.

٣١٥ ـ المورد (إنجليزي، عربي)؛ منير البعلبكي، ط٢٩، بيروت، دار العلم. ١٩٩٥م.

٣١٦ ـ الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية. عبد المنعم الحفني، ط١، بيروت، دار السيرة، ١٤٠٠هـ.

٣١٧ ـ موسوعة الفلسفة. عبد الرحمن بدوي، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤م.

٣١٨ ـ موقف الرسول ﷺ من أهل العقائد الأخرى. د. عبد اللطيف محمد العبد، ط١، القاهرة، مطابع مدكور، ١٣٩٧هـ.

٣١٩ ـ موقف اليهود والنصارى من دعوة المسيح عليه السلام. سارة العبادي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤١٣هـ.

٣٢٠ ـ الميزان في مقارنة الأديان. محمد عزت الطهطاوي، ط١، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ١٤١٣هـ.

٣٢١ ـ النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام. أحمد عبد الوهاب، ط٣، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ.

٣٢٢ ـ نشأة الطوائف المسيحية. المطران إسحاق سعد، القاهرة، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، د.ت.

٣٢٣ ـ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. علي سامي النشار، الجزء الأول، ط٧، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

٣٢٤ ـ النصرانية والإسلام. د. سعود عبد العزيز الخلف، المدينة النبوية، دار البخاري، ١٤١٦هـ.

٣٢٥ ـ النصرانية والإسلام. محمد عزت الطهطاوي، ط٢، القاهرة، مكتبة النور، ١٤٠٧هـ.

٣٢٦ ـ نصرانية عيسى عليه السلام في التوراة والإنجيل والقرآن ومسيحية بولس في الكتاب المقدس. صلاح العجماوي، ط١، الإسكندرية، لواء الحمد للنشر والإعلان، ١٤٠٩هـ.

٣٢٧ ـ النصرانية في ضوء العلم والكشوف الأثرية. محمد المجذوب، محاضرة ضمن كتاب «محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٣هـ». جدة، مطابع البنوي.

٣٢٨ ـ النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير. د. محمد عثمان صالح، ط١، المدينة المنورة، مكتبة ابن القيم، ١٤١٠هـ.

٣٢٩ ـ النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية. نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب (١٤٦هـ). تحقيق: محمد الشرقاوي، القاهرة، دار الصحوة، د.ت.

٣٣٠ ـ النصرانية من التوحيد إلى التثليث. محمد أحمد الحاج، ط١، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ١٤١٣هـ.

٣٣١ ـ نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية. محمد شكري سرور، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م.

٣٣٢ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١) تخريج وتعليق. مصطفى الشلبي، ط٢، جدة، مكتبة السوادي، ١٤١٠هـ.

٣٣٣ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. تحقيق: أحمد حجازي السقا، القاهرة، دار الريان، دار المطبعة السلفية، د.ت.

٣٣٤ ـ هل الكتاب المقدس كلام الله. أحمد ديدات. ترجمة: رياض أحمد باهبري، د.ت.

٣٣٥ ـ هل صلب المسيح حقاً وقام. القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، ط١، المطبعة العربية ١٩٩٣م.

٣٣٦ ـ واقعنا المعاصر. محمد قطب، ط٢، جدة، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ.

٣٣٧ ـ الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام. أحمد عبد الوهاب، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٩٩هـ.

٣٣٨ ـ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء «دراسة مقارنة الأديان». رؤوف شلبي، مصر، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، د.ت.

٣٣٩ ـ يسوع كما في مرقس. الفرد هافنت، جوزف هليط، بيروت، منشورات المكتبة البولسية، ١٩٨١م.

٣٤٠ ـ يسوع المسيح. بولس إلياس اليسوعي، القاهرة، مكتبة المحبة. د.ت.

٣٤١ ـ اليهودية. أحمد شلبي، ط٨، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨م.

٣٤٢ ـ اليهود تاريخ وعقيدة. د. كامل سعفان، القاهرة، دار الاعتصام، د.ت.

٣٤٣ ـ اليهودية والمسيحية. د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط١، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠٩هـ.

## الدوريات:

٣٤٤ ـ «الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة»، مقال صادر عن مجلة (إسلاميات مسيحيات) ٢ ـ إصدار المعهد البابوي للدراسات العربية. روما، ١٩٧٦م.

٣٤٥ ـ «البابا بولس تهنئتك مقبولة ولنا معكم كلام». المجتمع، عدد ١٢٦، شوال، ١٣٩٢هـ.

٣٤٦ ـ «بولس وتأثيره» بيادر، عدد ٧، رجب ١٤١٢هـ، كتبه. جيرالد ياشيل، ترجمة. أحمد سليم الفيفي.

٣٤٧ ـ البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية. محمد الحديدي الطير، الأزهر، سنة ٥٧/ ١٤٠٥، ج٤.

٣٤٨ ـ «تاريخ الإنجيل والكنيسة» أحمد أدرب، دار الحراء، مكة، ١٩٨٧م.

٣٤٩ ـ «تطور الاعتقاد بألوهية المسيح»، المنار، ج٩، مج٢٩، ١٣٤٧هـ، شعبان.

٣٥٠ ـ «حقيقة المسيح ودعوته» مقال الأزهر، سنة ٥٧، رجب، ١٤٠٠هـ.

٣٥١ ـ دين الله دين القوة، أحمد حسن الزيات، الأزهر، ج٢، سنة ٢٨، ١٣٨٦هـ.

٣٥٢ ـ «درس العقائد المسيحية» المشرق، السنة الثامنة، عدد ١١، للأب أوزياس تورين اليسوعي.

٣٥٣ ـ كيف وصل إلينا الكتاب المقدس، محاضرة ألقيت بكنيسة ماري جرجس. ١٩٨٤م، لجنة النشر للثقافة القبطية الأرثوذكسية.

٣٥٤ ـ لمحة تاريخية عن الانقسام الكنسي، إبراهيم خليل أحمد، المنهل، عدد ٥، ١٣٩٨هـ.

٣٥٥ ـ «مستقبل الحوار الإسلامي»، أرض الإسراء، عدد ١١٥، رجب، ١٩٨٨م، كامل الشريف.

## المراجع الأجنبية.

1 - According to the scriptures - C.H.D odd. New York. 1953.

(وفقاً للكتاب المقدس، النظام الفرعي لعلم اللاهوت الجديد، تشارلز دود)

2 - Le Christ - Geneber. sharl. paris.1948.

(المسيح. شارل جينيبير)

3 - Eusebius as church historian - Robert. m. Grant. London. 1980.

(يوسيبيوس مؤرخاً للكنيسة. روبرت جرانت)

4 - History and thought of the early church. Henry Chadwick. London. 1982.

(تاريخ وفكرة الكنيسة القديمة، هنري تشادوك)

5 - History of dogma - Adolf. Harnack. New York. 1958.

(تاريخ العقيدة. أدولف هارناك)

6 - A history of the early church - J. W. C. Wand. london. 1957.

(تاريخ الكنيسة في العهود الأولى حتى عام ٥٠٠م، واند)

7 - Jesues - Geneber. Sharl. paris. 1984.

(عيسى. شارل جينيير)

8 - The cambridge history of the bible - G.W.H. Lampe.

9 - The crucible of christianity - Arnold. Toynbee.

(بوتقة النصرانية. أرنولد توينبي)

10 - The Gospels, Their origin and their growth. faber and faber - F.C.Grant. New York. 1957.

(الأناجيل نشأتها وتطورها. جرانت)

11 - The Parables of the king dom - C.H.Dodd. London. 1935.

(أمثال الملكوت. تشارلز دود)

12 - The rise of christianity- W.H.C.Frend. 1984.

(نشأة الكنيسة. فرند)

13 - Longman Dictionary of conemporany english - Longman group. 1990.

14 - Objections to christian belief - D.M.Mackinnon (and others). 1964.

(اعتراضات على العقيدة المسيحية. ماكينون وآخرون)

15 - Orthodoxy and heresy in earliest christianity - Walter. Bauer. New York. 1971.

(الأرثوذكسية والهرطقة في النصرانية القديمة. والتر باور)

16 - A study of early christianity - Joseph. Tyson. New York. 1973.

(دراسة عن الكنيسة القديمة. تايسون).

17 - Smith,s bible dictionary. West wood . Newjersey.

# فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|